



مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

- تعقب ابن مالك النحوين فيما فهموه من نصوص سيبويه

د. سعد بن سويف المضياني

- المسائل الكبير والصغر لأبي الحسن الأخفش وأثرهما في النحاة

د. عبدالله بن محمد جار الله التغيمشي

- المصطلح والشاهد البلاغي في كتاب الكامل للمبرد

د. عبد العزيز بن صالح الدعيبل

- المنهج الأسلوبـي في الدراسة الأدبـية الحديثـة مطبقـاً على هـمزـية

فخر الدين بن مكائـس (٧٤٥-٧٩٤هـ)

د. محمد بن إبراهيم الدوخي

رقم الإيداع: ٢٥٦٢ / ١٤٢٩ / ١٩ بتاريخ ١٤٢٩ / ٠٦ / ١٩
الرقم الدولي المعياري (إردم) ٤١٩٨ - ١٦٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرف العام

معالٰي الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله أبا الغيل

مدير الجامعة

نائب المشرف العام

الدكتور / عبد الله بن حمد الغلف

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور / محمد بن علي الصامل

عميد كلية اللغة العربية

مدير التحرير

الدكتور / عبدالعزيز بن صالح العمار

وكيل عمادة البحث العلمي للشؤون الثقافية

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. أحمد محمد علي

الأستاذ في جامعة الخليج بالبحرين

أ.د. خالد بن محمد الجديع

الأستاذ في قسم الأدب بكلية اللغة العربية

أ.د. سيف بن عبد الرحمن العريفي

الأستاذ في قسم النحو بكلية اللغة العربية

أ.د. شكري المبخوت

عميد كلية الآداب في جامعة منوبة بتونس

أ.د. عبدالعزيز بن إبراهيم العصيلي

عميد معهد تعلم اللغة العربية

أ.د. محمد خطابي

الأستاذ في جامعة ابن زهر في أغادير بالمغرب

د. هشام عبدالعزيز الشرقاوي

أمين مجالات الجامعة - عمادة البحث العلمي

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة. تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :
أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

- ١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخرج .
- ٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦- ألا يكون مستلماً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

- ١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية (مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢- أن يكون البحث في حدود (٤٠) صفحة مقاس (A4).
- ٣- أن يكون بنط المتن (١٧) Traditional Arabic. والهوامش بنط (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد).
- ٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً: عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العلم متوفى .

خامساً: عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً: تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً: تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً: يُعطى الباحث عشر نسخ من المجلة، وثلاثون مستلزمات من بحثه .
عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢ - ص ب ٥٧٠

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www.imamu.edu.sa

E.mail: journal@imamu.edu.sa

المحتويات

١٣ تعقب ابن مالك النحوين فيما فهموه من نصوص سيبويه
د. سعد بن سويف المضياني

٨٥ المسائل الصغيرة والكبيرة لأبي حسن الأخفش وأثرهما في النجاة
د. عبدالله بن محمد جار الله النغيميشي

١٤٥ المصطلح والشاهد البلاغي في كتاب الكامل للمبرد
د. عبد العزيز بن صالح الدعيلج

**٢٤٣ المنهج الأسلوبي في الدراسة الأدبية الحديثة مطبقاً على همزية
فخر الدين بن مكائيس (٧٤٥-٧٩٤هـ)**
د. محمد بن إبراهيم الدوخي

تعقب ابن مالك النحويين
فيما فهموه من نصوص سيبويه

د. سعد بن سويف المضياني
قسم اللغة العربية - الكلية الجامعية برفحاء
جامعة الحدود الشمالية

تعقب ابن مالك النحوين

فيما فهموه من نصوص سيبويه

د. سعد بن سويف المضياني

قسم اللغة العربية

الكلية الجامعية برفحاء - جامعة الحدود الشمالية

ملخص البحث:

يتعرض ابن مالك لسيبوه وكتابه كثيراً، فالناظر في تراثه يلاحظ كثيراً من النصوص والآراء السيبويهية التي ضمنها ابن مالك كتبه وبخاصة شرح التسهيل، فتارة تجده موافقاً لسيبوه أو معارض له، وتارة تجده شارحاً لنصوصه، وتارة تجده متعقباً للنحوين في نسبة رأي له أو فهم نص من نصوصه، وقد خص هذا البحث تعقب ابن مالك النحوين في فهم نصوص سيبويه، بالجمع والدراسة، وعمادة في ذلك توثيق الآراء المتعقبة من مصادرها إن أمكن، ودراستها للوصول إلى الفهم الصحيح لمراد سيبويه، والوقوف على مدى صحة ما يزعمه ابن مالك - رحمه الله - في ذلك.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين بسان عربي مبين. نحمدك - اللهم - على ما علمتنا وسائلك أن تنفعنا به، وننحوذ بك من فتنة القول والعمل. اللهم، هب لنا قلوبنا تقلب مع الحق، وألسنتنا لا تلهمج إلا بالصدق، وبياناً مؤيداً بالحججة، إذا تاهت البصائر بالدلجة.

وبعد، فإن مما استرعى انتباхи - وأنا أرجع إلى كتب ابن مالك وبخاصة شرح التسهيل خلال بحثي في الماجستير والدكتوراه - عبارات لا بن مالك عن سيبويه وكتابه مثل قوله: "هذا مفهوم كلامه في باب الابتداء ولا معارض له في غيره. ومن زعم أن سيبويه... فقد قَوْلَه مَا لَمْ يَقُلْ" ^(١)، وقوله: "هو مذهب سيبويه والمحققين ممن تدبر كلامه" ^(٢)، وقوله: "وقد خفي كون هذا مذهب سيبويه على جمهور الشرح لكتابه" ^(٣)، وقوله: "ومن نسب إليه خلاف هذا فقد تَقَوَّلَ أو غلط فيما تأول" ^(٤)، وقوله: "إنما ذكرنا نص سيبويه لئلا يظن من لا يعرف كلامه أن مذهبه مخالف لما ذهبت إليه" ^(٥)، وغيرها من العبارات التي تدل على عناد ابن مالك بالكتاب، واهتمامه بأراء سيبويه وتوثيقها من نصوصه فيه، وعلى أنه يفهم نصوصه فهما يصحح به أفهام غيره من النحويين من شراح الكتاب وغيرهم.

ولما لسيبوه وابن مالك في الدرس النحوي من أثر بارز ومؤثر غني عن الذكر، ونظراً لأن ابن مالك في ذلك كان يزعم أنه يصحح أفهم الكبار شراح الكتاب كالسيرافي والرمانى وابن خروف، وهو القائل في التسهيل: "إذا كانت العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخل بعض المتأخرین ما عسر على كثير من المتقدمين" ^(٦). ونظراً لأنني لم أقف على من درس ذلك عزمت على جمع آراء ابن مالك تلك ودراستها للوقوف على فهمه ومعرفة مدى صحة ما يزعمه. رحمة الله.

(١) شرح التسهيل/١.٢٧٢/١.

(٢) السابق/٢.٧٤/٢.

(٣) السابق/٢.٢٧١/٢.

(٤) السابق/٢.٢٧٣/٢.

(٥) السابق/٢.٣٤٥/٢.

(٦) التسهيل: ٢.

ولقد بحثت قبل أن أبدأ بدراسة الموضوع عن دراسات سابقة له، فلم أجد سوى دراسة ماجستير لطالبة اسمها عزة بنت علي القرني بعنوان: (تفسير ابن مالك لنصوص سيبويه في شرح التسهيل)، فحاولت الوصول إلى الرسالة، ولكن دون جدو، ثم بعد ذلك اتصلت بالمشرف على الرسالة، الدكتور بهاء الدين عبدالرحمن، أخبره بعزمي على دراسة الموضوع، وأطلب منه نسخة من الرسالة، فلم يلب طلبي مشيرا علي بالمضي في دراسة الموضوع، ثم بعد أن بدأت بالموضوع وشارفت على الانتهاء سمعت عن رسالة دكتواره في كلية اللغة العربية في الرياض بعنوان: (اختلاف الشراح في تفسير كتاب سيبويه وأثره في الدرس النحوى والتصريفى)، إعداد: عبدالعزيز الدباسي، فلما أطلعت على الرسالة وجدت الباحث قد تطرق إلى شيء من الموضوع، ولكن بحثه لم يكن منصبًا على تعقب ابن مالك، ولذلك كانت مسائل الدراسة في موضوعي مختلفة عن المسائل في موضوعه، ولم يتتشابها إلا في أربع مسائل.

وقد رغبت في البداية أن يكون عنوان البحث كالتالي: "تعقب ابن مالك النحوين فيما نسبوه لسيبوه أو فهموه من نصوصه". وبذلك تكون التعقيبات قسمين: الأول التعقب فيما نسب لسيبوه وفي الكتاب ما يخالفه، والثاني التعقب فيما فهم من نصوص سيبويه على غير وجهه.

ولكن لأن المسائل في ذلك كانت أكثر من أن تنشر في بحث علمي محكم، خصصت هذا البحث في القسم الثاني، فكان عنوان البحث كما سبق. ولعلي بإذن الله أخص ذلك ببحث آخر.

وقد أسلست هذا البحث على هذه المقدمة، وكومنته من قسمين:
القسم الأول: مسائل التعقب. وقد رتبتها حسب ورودها في شرح التسهيل، لأن كل تلك المسائل وردت فيه، ومعظمها لم يرد في غيره، ولأن كتبه الأخرى لم تنفرد عن شرح التسهيل بشيء.

والقسم الثاني: منهج ابن مالك في التعقب.
ثم ختمته بخاتمة بيّنت فيها النتائج.



أولاً: مسائل التعقب.

١- زمن المضارع المنفي بـ(لا).

يرى ابن مالك أن الفعل المضارع إذا نفي بـ(لا) لم يتعين الحكم باستقباله، فـ(يكتب) في قوله: لا يكتب زيد - مثلاً - يصلاح أن يدل على نفي الكتابة عن زيد في الحاضر أو المستقبل، ويرى أن كلام سيبويه (١٨٠هـ) في الكتاب يحتمل هذا، ولذلك اعتبر ابن مالك الزمخشري (٢٨٥هـ) وغيره من المتأخرین - كما عبر - لاعتمادهم على نص سيبويه فيما ذهبوا إليه من أنه متغير الدلالة على الاستقبال.

قال ابن مالك: "والذي غر الزمخشري^(١) وغيره من المتأخرین قول سيبويه في باب نفي الفعل: (إذا قال: هو يفعل، أي: هو في حال فعل فإن نفيه ما يفعل). وإذا قال: هو يفعل ولم يكن الفعل واقعاً فإن نفيه لا يفعل".^(٢)

وسأورد باب نفي الفعل في كتاب سيبويه كاملاً لعدم طوله، وهو: "إذا قال: فعل فإن نفيه لم يفعل، وإذا قال: قد فعل فإن نفيه لما يفعل، وإذا قال: لقد فعل فإن نفيه ما يفعل، لأنه لأنه قال: والله لقد فعل، فقال: والله ما فعل، وإذا قال...^(٣) وإذا قال: ليجعلون نفيه لا يفعل، لأنه قال: والله ليجعل، فقلت: والله لا يفعل، وإذا قال: سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل".^(٤)

فابن مالك يرى أن هذا النص ليس فيه دالة قاطعة على أن سيبويه يرى فيه تعين المضارع المنفي بـ(لا) للاستقبال دون غيره. وقد استدل لرأيه بما يليه^(٥):

١. أنه ليس في نص سيبويه نص على منع إيقاع غير (ما) موقع (ما)، ولا من إيقاع غير (لا) موقع (لا).
٢. أن سيبويه بين في موضع آخر أن (إن) النافية مساوية لـ(ما) النافية^(٦)، فيلزم من ذلك أن تستعمل لنفي الحال كما تستعمل (ما)، كما بين في موضع آخر - أيضاً - أن (إن) لنفي

(١) لم أقف إلا على قول الزمخشري في المفصل عن حروف الاستقبال: "هي (سوف) و(السين) و(إن) و(لا) وإن". قال الخليل: أن سيفعل جواب لن يفعل، كما أن يفعل جواب لا يفعل لما في (لا) من اقتضاء القسم". المفصل: ٤٢٥.

(٢) شرح التسهيل ١/٢٠.

(٣) وضفت علامة الفراع، لأن نص سيبويه المشار إليه بها قد سبق ضمن نص ابن مالك السابق.

(٤) الكتاب ٢/١١٧.

(٥) انظر: شرح التسهيل ١/٢٠.

(٦) حين قال عن (إن): "وتكون في معنى (ما)". الكتاب ٢/١٥٢.

(سيفعل)^(١)، فيلزم من ذلك مواتقتها (لا) النافية، ولم يتعرض سيبويه لهذا في باب نفي الفعل^(٢)، فلا يوجب ذلك عدم جوازه. فكذا لا يجب من تخصيص ما يقع على الحال امتناع نفيه بغير (ما).

٣. أن سيبويه قال في باب عدة ما يكون عليه الكلم: "وتكون (لا) ضد (نعم)"^(٣)، وهذا إشعار بعدم تقييدها في النفي بزمان دون زمان كما لا يتقييد (نعم)، لأن (نعم) تصدق لما قبلها أياً كان أو حاضراً أو مستقبلاً.

٤. أن كون النفي بـ(لا) غير متعين الحكم بالاستقبال لازم لسيبوبيه وغيره من القدماء لاجتماعهم على صحة قول القائل: قاموا لا يكون زيداً، بمعنى: إلا زيداً، ومعلوم أن المستثنى منشئ للاستثناء، والاستثناء لا بد من مقارنة معناه للفظ، (لا يكون) هنا استثناء فمعناه مقارن للفظ، فلو كان النفي بـ(لا) مخلصاً للاستقبال لم تستعمل العرب (لا يكون) في الاستثناء لمبaitته الاستقبال.

ثم خلص ابن مالك إلى تحقيق مراد سيبويه في نصه السابق، حيث قال: "ولكنه قد في باب نفي التنبية على الأولى في رأيه والأكثر في الاستعمال، وذلك أن استعمال (ما) في النفي أكثر من استعمال (إن)، ونفي الحال بها أكثر من نفيه بـ(لا)، وكذلك (لا) في المثال المذكور راجحة على (لن) من قبل مشاركة اللفظ، لأن الفعل المتقدم مرفوع، فإذا نفي الثاني بـ(لا) قوبل مرفوع بمرفوع، فيكون الفعلان متشاكلين، وإذا نفي بـ(لن) قوبل مرفوع بمنصوب فتفوت المشاكلة وهي مهمة في كلامهم، حتى حملهم الاهتمام بها على إخراج الشيء عن أصله نحو: قولهم: أخذه ما قَدْمَ وما حَدَثَ، فضموا دال (حدُث) لتشاكيل دال (قَدْمَ)، ولو أفرد (حدُث) تعين فتح داله"^(٤).

وقد ألمح إلى هذا الفهم الذي فهمه ابن مالك ابن خروف (ت: ٦٠٩ـ٥٥) حين قال في شرحه - بإيجاز - معلقاً على كلام سيبويه: "باب نفي الفعل بين، ويجوز أن يجap فيه على غير ما ذكر، والأصل ما ذكر"^(٥).

(١) حين قال: "والن) وهي نفي لقوله: سيفعل". الكتاب ٤ / ٢٢٠. وانظر أيضاً: ٤ / ٢١٧.

(٢) سبق ذكر نص سيبويه كاماً.

(٣) الكتاب ٤ / ٢٢٢.

(٤) انظر: شرح النسهيل ١ / ٢٠.

(٥) تنقیح الألباب: ٧٦.

وكون المضارع المنفي بـ(لا) غير متعين الحكم باستقباله، وأن دلالته على الحال باقية معها هو مذهب جماعة من النحويين غير ابن خروف وابن مالك، منهم ابن الشجري^(١) (ت ٤٢٥ هـ)، والرضي^(٢) (ت ٦٨٦ هـ)، وابن أبي الريبع^(٣) (ت ٦٨٨ هـ). ونسبه ابن مالك للأخفش^(٤) (ت ٢١٥ هـ)، ونسبه أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) له وللمبرد^(٥) (ت ٢٨٥ هـ). أما السيرافي^(٦) (ت ٣٦٨ هـ)، والرمانى^(٧) (ت ٤٣٨ هـ)، والأعلم^(٨) (ت ٤٧٦ هـ) فقد فهموا من نص سيبويه أنه يرى أن (لا) تخلص المضارع المنفي بها للاستقبال، وذكر جماعة من النحويين منهم المرادي^(٩) (ت ٧٤٩ هـ)، وأبو حيان^(١٠)، وناظر الجيش^(١١) (ت ٧٧٨ هـ) أن هذا هو ظاهر كلام سيبويه.

وكون (لا) تخلص المضارع المنفي بها للاستقبال هو -أيضاً- رأي جماعة أخرى من النحويين منهم: المبرد^(١٢)، والفارسي^(١٣) (ت ٣٧٧)، والهروي^(١٤) (ت ٤١٥ هـ)، والشلوبين^(١٥) (ت ٦٤٥ هـ)، والإربيلي^(١٦) (ت ٦٤٧ هـ)، والإسپرایینی^(١٧) (ت ٦٨٤ هـ)، والمالمقی^(١٨) (ت ٧٠٢).

(١) انظر: أمالی ابن الشجري /٢٥٣.

(٢) انظر: شرحه القسم الثاني /٢٨٢.

(٣) انظر: البسيط /٢٤٢.

(٤) انظر: شرح التسهيل /١٦.

(٥) انظر: التذليل /٨٧. وفي المقتضب ما يخالفه كما سيبويه.

(٦) انظر: شرحه /١٨٨/ ٥، ١٦٠/ ٤، ١٦٠/ ٤.

(٧) انظر: شرحه: ٢١٠. رسالة د. آل موسى.

(٨) انظر: النكت /٢٨١.

(٩) انظر: الجن الداني: ٢٩٦.

(١٠) انظر: التذليل /١٨٧.

(١١) انظر: تمهيد القواعد /١٩٢.

(١٢) انظر: المقتضب /٤٧.

(١٣) انظر: التعليقة /٢٤٧، ٢٣٥/ ١.

(١٤) انظر: الأزهية: ١٥٠.

(١٥) انظر: التوطنة: ١٣٧.

(١٦) انظر: شرح الأنموذج: ٢٢٢.

(١٧) انظر: لباب الإعراب: ٤٦٠.

(١٨) انظر: رصف المباني: ٣٢٠.

والذي يظهر لي أن الفهم الذي ألمح إليه ابن خروف وبسطه ابن مالك هو أقرب ما يمكن أن يحمل عليه مراد سيبويه في نصه في باب نفي الفعل، وذلك لأن سيبويه صرخ بكون المنفي بـ(الا) يدل على الحال، حيث قال في موضع آخر: ”وكذلك مرض زيد حتى لا يرجونه، أي: حتى إنه الآن لا يرجونه“^(١). فالجتمع بين نص سيبويه هذا ونصه في باب نفي الفعل يكون هذا الفهم متوجهًا، والذي يؤيد هذا أن من عادة سيبويه عدم إكمال الحديث عن موضوع ما في مكان واحد في كتابه، وإنما كان ينشر الحديث نثراً ويفرقه تفريقاً كما قال الشيخ عضيمه^(٢).

أما كون المعارض المنفي بـ(الا) صالحًا للدلالة على الحال فهذا مما لا شك فيه لكثرة شواهده، فقد استدل ابن مالك على ذلك بإجماعهم على إيقاع المعارض المنفي بـ(الا) في موضع تنافي الاستقبال نحو قوله: ”أطنن ذلك كائناً أم لا تطنه؟ وما شأنك لا توافق؟“ وغير ذلك. كما استدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم بعد أن قال: ”ومثل ذلك في القرآن كثير“، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَمَا نَأَلَّا نُؤْتِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْعَيْنِ﴾ [المائدة: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَيْلَةٌ لَا أَبْعُدُ اللَّذِي قَطَرَ فِي وَالَّتِي تُرِجِعُونَ﴾ [يس: ٢٢]. كما ذكر ابن مالك أن ذلك كثير في غير القرآن، ومنه قول الشاعر:

إذا حاجةً ولَكَ لَا تستطيعها فخذ طرفًا من غيرها حين تَسْقِي^(٣)

وقول الآخر:

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِذَا كَانَ بَعْدَه تَلَاقٍ وَلَكَنْ لَا إِخَالٌ تَلَاقِي^(٤)

(١) الكتاب .٢٠ / ٢.

(٢) انظر: فهرس كتاب سيبويه: ١١.

(٣) بيت من الطويل، قائله: الأعشى. انظر: ديوانه: (٢٤٧). وانظر: شرح التسهيل / ١٩. واللسان: (ولي).

والتنزيل والتكميل / ٨٨. وتمهيد القواعد / ١٩٠.

(٤) بيت من الطويل، قائله: المجنون كما في سمعط الآلي / ٢٤١. وجميل ابن معمر كما في كتاب الحماسة

لأبي القاسم الفارسي / ٢٤٢. وشرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء / ٨٧٢ / ٢.

لعبد الله بن الدمينة كما في الحماسة البصرية / ٢٧٨. وانظر أيضًا في: ديوان جميل المجموع: ٢٢٤.

وصلة ديوان ابن الدمينة: ٦٢٠. وديوان المجنون المجموع: ٢٩٣. وانظر دون نسبة في: الحماسة / ٢٩٩.

وشرح التسهيل / ١٩. والتنزيل / ٨٩. وتمهيد القواعد / ١٩٠.

وقد جمع الشيخ عصيمة إضافة إلى ما ذكره ابن مالك آيات كثيرة من القرآن الكريم ليست متعلقة لنفي المستقبل وإنما هي لنفي الحال أو بمعنى (لم) قائلاً: "ونذكر طرفا منها". ثم ذكر خمسا وسبعين آية.

وهذا مما يؤيد أن ذلك لا يخفي على سيبويه، ولعل هذا ما جعل ابن مالك يقول في ختام حديثه: "على أن كلام سيبويه لو كان صريحاً في أن المضارع المنفي بـ(لا) لا يكون إلا مستقبلاً لم يجز الأخذ به بعد وجود الأدلة القاطعة بخلاف ذلك"^(١).

وأما ما استدل به ابن مالك من أن سيبويه بين في موضوع آخر -أيضاً- أن (لن) لنفي (سيفعل)^(٢). فيلزم من ذلك موافقتها بـ(لا) النافية، ولم يتعرض سيبويه لهذا في باب نفي الفعل = ففيه نظر: لأنه يمكن أن يقال: إن سيبويه لا يرى موافقة (لن) بـ(لا) بل يفرق بينهما. لأنه ذكر أن (لا) لنفي المستقبل غير المتصل بـ(السين) أو (سوف). ولن) لنفي المستقبل المتصل بهما، أو بمعنى آخر إنه يرى أن (لن) فيها تأكيد لنفي، لأنها نفت الفعل المؤكّد أو المنصوص على استقباله بالسين. وبهذا يكون هناك مشاكلة بالتأكيد لا بالإعراب بين (سيفعل) أو (سوف يفعل) وبين نفيهما: (لن يفعل)، وإلا فلا يرد ما ذكره ابن مالك -كما سبق- من أن نفي (يُفعل) الدال على المستقبل بـ(لا) راجح على نفيه بـ(لن) بحجّة المشاكلة في الإعراب بالرفع بين (يُفعل) ونفيه (لا يُفعل)، لأن نفي (سيفعل) أو (سوف يُفعل) بـ(لن) يفوت المشاكلة بالرفع -أيضاً- إلا إذا قلنا: إن بينهما مشاكلة بالتأكيد لا بالإعراب كما ذكرت.

وكون (لن) لتأكيد النفي هو ما ذهب إليه الزمخشري^(٣) وجمهور من النحوين^(٤)، فلا يرد هذا دليلاً على الزمخشري ومن يرى رأيه في نص سيبويه.

(١) شرح التتسهيل ٢١/١.

(٢) حين قال: ~ (لن) وهي نفي لقوله: سيفعل. الكتاب ٤ / ٢٢٠. وانظر أيضاً: ٤ / ٢١٧.

(٣) انظر: الكشاف ٢ / ٤٥. والأنموذج ضمن شرحه للأردبلي: ٢٢٢.

(٤) انظر: شرح الجمل للجرجاني: ٤٠. وترشيح العلل: (١٧٧). وشرح المقدمة الكافية ٢ / ٨٦٨. ولباب الإعراب للإسفرايني: ٤٧. وشرح كافية ابن الحاجب لابن جماعة الموصلي ٢ / ٥٧. وشرح الرضي القسم الثاني ٢ / ٨٤٠. وقال الصبان في حاشيته ٢ / ٢٧٨: "والذين وافقوا الزمخشري كثيرون".

٢- وجه الاستشهاد في قول الشاعر:

كأنـا يـوم قـرـى إـنـا نـما نـقـة لـإـيـانـا^(١)

ذهب ابن مالك إلى أن هذا البيت شاهد على تعين انفصال الضمير لحصره بـ(إنما). ثم ذكر أن الزمخشري^(٢) وهم وذهب إلى أن الشاهد فيه هو وضع الضمير المنفصل ضرورة موضع المتصل، ورد ذلك بأنه لو أوقع المتصل لقال: نقتلنا. فيعمل بذلك الفعل في ضميرين متصلين لمعنى واحد، وهذا لا يجوز إلا في أفعال القلوب، وقد بين ابن مالك أن سبب رأي الزمخشري هذا هو فهمه لنص سيبويه على غير وجهه.

قال ابن مالك: ”وغير الزمخشري ذكر سيبويه هذا البيت في باب: (ما يجوز في الشعر من (إيا) ولا يجوز في الكلام)، ثم قال^(٣): (فمن ذلك قول حميد الأرقط^(٤)):

إـلـيـكـ حـتـىـ باـغـتـ إـيـاكـا^(٥)

فهذا ونحوه مخصوص بالشعر، لأنه لولا انكسار الوزن لقال: حتى بلغتك، ثم ذكر البيت الذي أوله: كأنـا، لأنـ ما فيه لا يجوز إلا في الشعر، بل لأنـ (إيانـا) مـوـقـعـ فيـهـ مـوـقـعـ (أنـفسـنـاـ)، فـيـنـهـ وـبـيـنـ الـأـوـلـ مـنـاسـبـةـ مـنـ قـبـلـ آنـ (إـيـاـ)ـ فـيـ المـوـضـعـنـ وـاقـعـ مـوـقـعـاـ غـيـرـهـ بـهـ

(١) بيت من الهزج قائله: ذو الإصبع العدواني. انظر: ديوانه: (٧٨)، وتهذيب الألفاظ لابن السكريت/٢٠، وأمالي الشجري/٥٦، وشرح شواهد سيبويه لابن السيرافي/١٢٩، والتخيير/١٤٩/٢، وشرح المفصل لابن يعيش/١٠٢/٣. ونسبة سيبويه في الكتاب/٣٦٢ لبعض اللصوص، ونسبة ابن جنبي في الخصائص/١٩٦/١ لأبي بجيلة.

(٢) انظر: المفصل: ١٦٧.

(٣) أي: سيبويه.

(٤) بيت من الرجز. انظر: الكتاب/٣٦٢، والأصول/١٢٠، والخصائص/٣٠٧، وأمالي ابن الشجري/٥٨، والإنساف: (٥٥٩).

(٥) الكتاب/٣٦٢، ونصله كاملاً: ”هـذاـ بـاـبـ ماـ يـجـوزـ فـيـ الشـعـرـ مـنـ (إـيـاـ)ـ وـلـاـ يـجـوزـ فـيـ الـكـلـامـ، فـمـنـ ذـكـرـ قـوـلـ حـمـيدـ الـأـرـقـطـ... وـقـالـ الـآـخـرـ، لـبـعـضـ الـلـصـوـصـ:ـ

كـأـنـاـ يـومـ قـرـىـ إـنـاـ نـماـ نـقـةـ لـإـيـانـاـ

فـتـلـ أـبـ يـضـ حـسـنـاـنـاـ.

أولى. لكن في الثاني من معنى الحصر المستفاد بـ(إنما) ما جعله مساوياً للمقررون بـ(إلا)، فحسن وقوع (إيا) فيه كما يحسن بعد (إلا). وهذا مطرد فمن اعتقد شذوذ فقد وهم^(١). فابن مالك يرى أن سيبويه أورد هذا البيت مستشهاداً به على إيقاع (إيا) فيه موقع (أنفسنا) كما وقعت (إيا) في بيت حميد الأرقط السابق موقع الضمير المتصل، لأن في البيت إيقاعاً للمنفصل موقع المتصل كما فهم الزمخشري.

وقد فهم من هذا الشاهد كمافهم الزمخشري جمهور من النحويين كالسيرافي^(٢)، وابن السيرافي^(٣) (ت ٣٨٥ هـ)، وأبي البركات الأنباري^(٤) (ت ٧٧٧ هـ)، والأعلم^(٥)، وابن يعيش^(٦) (ت ٦٤٢ هـ)، وابن عصفور^(٧) (ت ٦٦٩ هـ)، وأبي حيان^(٨)، ذاكراً بعضهم^(٩) أن الذي حسن هذه الضرورة هو عدم إمكان استعمال المتصل لأن الفعل (قتل) ليس من أفعال القلوب.

وقد سبق الجرجاني^(١٠) (ت ٧١٤ هـ) ابنَ مالك إلى هذا الرأي، ولكن دون الإشارة إلى نص سيبويه.

وتتابع ابنَ مالك في رأيه بعضُ شراح التسهيل^(١١)، والرضي^(١٢)، والبغدادي^(١٣) (ت ٩٢٠ هـ).

(١) شرح التسهيل ١٤٨/١٤٩.

(٢) انظر: شرحه له ١٤٢/٢ آب.

(٣) انظر: شرح أبيات سيبويه ٢/١٣٠.

(٤) انظر: الإنصاف، ٥٥٩.

(٥) انظر: تحصيل عين الذهب، ٢٨٢.

(٦) انظر: شرح المفصل له ٢٠٢/١٠٣.

(٧) انظر: شرح الجمل، ٢/١٢.

(٨) انظر: التذليل والتكميل ٢/١٥٢-٢١٧.

(٩) انظر: شرح السيرافي، ٣/٤٤٢ آب. وشرح المفصل لابن يعيش ٣/١٣٠.

(١٠) انظر: دلائل الإعجاز، ٣٤٢.

(١١) انظر: شفاء العليل ١/١٩٢، وتمهيد القواعد ١/٢١-٥٢٢، وتعليق الفراند ٢/٨٢-٨٤.

(١٢) انظر: شرحه القسم الثاني ١/١٢، ٢/١٠١، ٢/١١٠، وقد وهم البغدادي في الخزانة ١٠٢، إذ نسب للرضي القول بوصف فعل الضمير بعد (إنما) في بيت ذي الإصبع بالشذوذ. وتتابعه في هذا الوهم محقق شرح الرضي عند التعليق على الشاهد وفي طريق كتابة النص في الموضع الأول المشار إليه في هذه الحاشية، مع أن الرضي صرّح بجواز ذلك في الموضع الثاني المشار إليه أيضًا في هذه الحاشية.

(١٣) انظر: شرح أبيات المغني ٥/٢٥٢.

أما ابن جني وابن الشجري فقد ذهبا إلى أن البيت وارد على الضرورة من باب إيقاع المنفصل موقع المتصل في موضع^(١)، وفي موضع آخر^(٢) ذهبا إلى إجازة فصل الضمير بعد إنما لدلالتها على الحصر، وهذا ينافق ذاك إلا إذا قلنا: إن رأيهما استقر على هذا.

وكون البيت ضرورة لوقوع (إيا) موقع (النفس) لا موقع المتصل هو مانع عليه بعض شراح الكتاب كالمراني^(٣)، وابن خروف^(٤)، والصفار^(٥) (ت ٦٢٠ هـ)، كما نص عليه ابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ)، لكنه اعتذر للزمخشري قائلاً: أورده على أنه وضع المنفصل موقع المتصل، والقياس أن يقال في مثله: نقتل أنفسنا، فإذا لم يضع (إيا) إلا موضع (النفس)، ولكنه نظر إلى القياس الأصلي المطروح، وهو أن القياس أن يقال: نقتلنا، فكأنه وضع (إيانا) موضع ذلك الضمير^(٦).

والذي يظهر لي أن الخلاف في توجيه هذا الشاهد راجع إلى الخلاف في أنه هل يجوز فصل الضمير بعد (إنما)؟ وهذا مبني على الخلاف في أنه هل تفيد (إنما) الحصر أو لا؟ وللإجابة على هذين السؤالين، أقول: فيهما قولان:

الأول: أنه (إنما) يمكن أن تفيد الحصر، وعلى هذا يجب انفصال الضمير بعدها في هذه الحالة، وهذا مذهب الزجاج^(٧) (ت ٣١١ هـ)، ووافقه جماعة من النحويين كالفارسي^(٨) (ت ٣٧٧)، وابن جني^(٩) (ت ٣٩٢ هـ)، وعبد القاهر الجرجاني^(١٠)، وابن الشجري^(١١)، وابن مالك كما سبق. ونسبة هذا الرأي إلى الكوفيين^(١٢).

(١) انظر: الخصائص ١٩٦/٢، وأمالى ابن الشجري ١/٥٦.

(٢) انظر: المحتسب ١٩٥/٢، وأمالى ابن الشجري ١/٥٦٤.

(٣) انظر: شرحه ٦١٣، رسالة د. سيف العريفي.

(٤) كما نقل عنه أبو حيان في التذليل ٢١٩/٢.

(٥) كما نقل عنه أبو حيان في التذليل ٢١٦/٢.

(٦) الإيضاح في شرح المفصل ١٤/١.

(٧) انظر: المعانى ١/٢٤٢، وانظره منسوباً إليه في: شرح السيرافي ٣/٤٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/١١، والتذليل ٢/٢١٥.

(٨) انظر: الشيرازيات ١/٤٨، ٢٥٣.

(٩) انظر: المحتسب ١٩٥/٢.

(١٠) انظر: دلائل الإعجاز ٣٤٢.

(١١) انظر: أمالى ابن الشجري ١/٥٦٤.

(١٢) انظر: التذليل ٢/٢٢٠، والموفى في النحو الكوفي: ٩٤.

والثاني: أنه لا يمكن أن تفيد الحصر، وعلى هذا فهذه المسألة ليست من موضع فصل الضمير، وهذا ما جعل النحويين –كما سبق– يصفون البيت بالضرورة فاهمين نص سيبويه بناء على ذلك، وقد نسب إلى سيبويه^(١) القول بعدم إفاده (إنما) الحصر، وهو ظاهر نصه السابق. أما الزمخشري فيبدو أنه وهم كما قال ابن مالك، لأن نص على إفاده (إنما) الحصر في الكشاف^(٢).

وقد استدل^(٣) أصحاب القول الأول بشاهد سيبويه السابق، وبقول الشاعر:
أنا الفارس الحامي الذمار وإنما
يدافع عن أحبابهم أنا أو مثلي^(٤)

وبأن وجوب الفصل بعد (إنما) بسبب أن العرب عاملت (إنما) معاملة النفي وإلا، فكما وجب الفصل هناك، وجب –أيضاً– هنا، لأن هذا المعنى هو ذاته.

أما أصحاب القول الثاني فقد استدلوا^(٥) بأنه لو كان الفصل واجباً لم يرد الضمير بعد (إنما) إلا مفصولاً كما كان بعد (إلا)، وقد تعددت المواقع في القرآن والشعر وكلام العرب التي لم يرد فيها الضمير بعد (إنما) منفصلاً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَقِيَّ وَحْزَنِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦]، وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَجْهَةَ ﴾ [سبأ: ٤٦]، وقوله: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَبْعَدَ رَبِّهِ مَكْنِزَهُ الْبَلْدَةَ ﴾ [النمل: ٩١]، وقوله: ﴿ وَلَمَّا تُوقَنَتْ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فعلم بذلك عدم وجوب الفصل. وهذا ما دعا أبا حيان إلى أن يقول: ”وما ذهب إليه المصنف من تعين انفصال الضمير بعد (إنما) خطأ فاحش وجهل بلسان العرب“^(٦).

والذي يترجح لدى أن (إنما) تفيد الحصر والمحصور بها هو المتأخر لفظاً، فإذا حصر بـ(إنما) وجوب انفصال الضمير المحصور فيه، لأنك لو وصلت لما فهم والتبس، فقولك: إنما

(١) انظر: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ١١، والتذليل والتكميل ٢/٢٠٢، وتعليق الفراتي ٢/٨٤، والتصريح ١٠٦/١.

(٢) انظر: ١٧٠/٤.

(٣) انظر: المعاني للزجاج ١/٢٤٣، وشرح التسهيل ١/١٤٨، والمغني ٤/٨٢، والتصريح ١/١٠٦.

(٤) بيت من الطويل لفرزدق. انظر: ديوانه ٢/٢٠٧، والمعاني للزجاج ١/٢٤٢، ٢/٢٥٣، ٤/٨١، والشيرازيات ١/٤٨، والمحتسب ٢/١٩٥، والاقتضاب ١/٥٤، وشرح الجمل لابن عصفور ١١، وشرح التسهيل ١/١٤٨.

(٥) انظر: شرح الجمل لابن عصفور ١١، والتذليل ٢/٢١٦.

(٦) التذليل ٢/٢٢١.

فمت، موضوعه: لم يقع مني إلا القيام، فلو أردت به على: ما قام إلا أنا، لم يفهم إلا بأن تقول: إنما قام أنا. وقد نص الدمامي^(١) (ت ٨٢٧هـ) على أن البينيين^(٢) أجمعوا على الحصر بـ[إنما]، وقال البغدادي: "والحصر لا يبحث عنه النحاة، فإنه وظيفة علم البيان"^(٣).

وأما ما استدل به من الآيات السابقة فالرد^(٤) على الاستدلال بها بأنه لم يقصد بها حصر الفاعل وإنما حصر متعلقات الفعل. ثم إن ابن مالك لم يقل إن [إنما] لا يقع بعدها الضمير إلا منفصل حتى يرد عليه بوقوعه متصلًا، وإنما قال: إن الضمير المحصور بـ[إنما] يجب انفصاله. وهذا ما جعل ناظر الجيش يقول عن أبي حيان: "ويالله العجب من الشيخ، جهل المصنف وخطأه وقوله ما لم يقل"^(٥).

أما بالنسبة لفهم ابن مالك لنص سيبويه فهو -كما يظهرلي- صحيح من جانب وفيه نظر من جانب آخر. أما كون سيبويه أورد الشاهد على إيقاع ([إيا]) موقع ([أنفسنا]) لا موقع المتصل فهذا كلام صحيح وهو رأي الرمانى وابن خروف والصفار كما سبق، وأما كونه أورده لمناسبة وقوع ([إيا]) في البيتين موقعاً غيره به أولى وليس لأن ما فيه لا يجوز إلا في الشعر، ففي هذا نظر، لأنها دعوى تحتاج إلى دليل لأن نص سيبويه صريح في أن ([إيا]) واقعة في البيت الذي أورده موقعاً لا يقع مثله في السعة، إذ يقال في السعة: نقتل أنفسنا، إلا إذا كان هناك نص آخر لسيبويه يرى فيه أن [إنما] تفيد الحصر وينفصل بعدها الضمير، وهذا ما لم أقف عليه.

ولكن يظهر أن ابن مالك، بالنظر إلى ذكره تعين انفصال الضمير لحصره بـ[إنما] وأنه مطرد ومن اعتقاد شذوذه فقد وهم، وبالنظر إلى نص بعض النحوين^(٦) على أن سيبويه يرى أن انفصال الضمير بعد [إنما] ضرورة ي يريد أن يقول: إنه ليس في نص سيبويه ما ينص على أن انفصال الضمير بعد [إنما] ضرورة لأن البيت الذي في نصه له وجه غير هذا.

(١) انظر: تعليق الفرائد ٢/٨٤.

(٢) انظر: دلائل الإعجاز: ٣٤٢، ومفتاح العلوم: ١١، والتلخيص: ٥٠، والإيضاح: ٢٦، والمطول: ٣٩٢.

(٣) شرح أبيات مغني اللبيب ٥/٥٢٢.

(٤) انظر: المغني ٤/٨٢-٨٤، وتمهيد القواعد ١/٥٢٣، وتعليق الفرائد ٢/٨٣-٨٤.

(٥) تمهيد القواعد ١/٥٢٣.

(٦) كالسيرافي، والصفار، وابن عصفور، وأبي حيان. انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٣/١٤٢، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/١١، والتذيل ٢/٢١٥-٢١٦.

وقد فهم قريبا من هذا الفهم من نص ابن مالك ناطر الجيش^(١)، والدماميني^(٢):
والبغدادي^(٣) ناصرين رأي ابن مالك بناء على هذا.

وفي هذا تظهر دقة رأي ابن مالك في فهم وتوجيه نص سيبويه وعدم تحمله أكثر مما يحتمل، ولكن عبارته –كما يظهر لي– قصرت دون الوفاء بهذا المعنى. والله أعلم.

٣- عمل المبتدأ النصب في خبره الظرف.

أورد ابن مالك أربعة آراء في ناصب الخبر الظرف في نحو: زيد خلفك، منها رأي ابن خروف الذي ذهب فيه –معتمدا على نص لسيبوهـ إلى أن عامل النصب في الخبر الظرف المبتدأ نفسه، ثم اعترض ابن مالك ابن خروف مستعملاً أسلوب السبر والتقسيم وذلك بأن يذكر نص سيبويه المختلف فيه، ثم يذكر الأوجه التي يحتملها النص، ليخلص –بعد استبعاد ما يثبت استبعاده عنهـ إلى ما يرضيه ويرى أنه أليق بفكـ سيبويه التحوي.

قال ابن مالك: "ذهب ابن خروف^(٤) إلى أن عامل النصب في الظرف المذكور المبتدأ نفسه، وقال: هو مذهب سيبويه، وحمله على ذلك أن سيبويه قال...^(٥)".

ونص سيبويه الذي اعترض ابن مالك ابن خروف في فهمه هو: "هذا باب ما ينتصب من الأماكن والوقت، وذاك لأنها ظروف تقع فيها الأشياء، وتكون فيها، فانتصب لأنـه موجود فيها ومكون فيها، وعمل فيها ما قبلها، كما أنـ (العلم) إذا قلتـ: أنت الرجلـ علمـ، عملـ فيهـ ما قبلـهـ، وكما عملـ فيـ (الدرهمـ) (عشرونـ) إذا قلتـ: عشرونـ درهماـ، وكذلكـ يعملـ فيهاـ ماـ بعدهـ وماـ قبلـهاـ، فالمكانـ قولهـ: هوـ خلفـكـ وهوـ قدامـكـ...ـ فـهـذاـ كلـهـ اـنـتـصـبـ عـلـىـ ماـ هـوـ فـيـهـ وـهـوـ غـيـرـهـ، وـصـارـ بـمـنـزـلـةـ الـمـنـونـ الـذـيـ يـعـمـلـ فـيـمـاـ بـعـدـهـ، نـحـوـ العـشـرـينـ، وـنـحـوـ قـولـهـ: هـوـ خـيـراـ مـنـكـ عـمـلاـ، فـصـارـ (هـوـ خـلـفـكـ) (وـزـيـدـ خـلـفـكـ) بـمـنـزـلـةـ ذـلـكـ، وـالـعـاـمـلـ فـيـ (خـلـفـ)، الـذـيـ هـوـ [مـوـضـعـ لـهـ]^(٦)ـ وـالـذـيـ هـوـ فـيـ مـوـضـعـ خـبـرـهـ، كـمـاـ أـنـكـ إـذـاـ قـلـتـ: عـبـدـ اللهـ أـخـوـكـ، فـالـآـخـرـ قـدـ رـفـعـهـ الـأـوـلـ وـعـمـلـ فـيـهـ، وـبـهـ اـسـتـغـنـيـ الـكـلـامـ وـهـوـ مـنـفـصـلـ مـنـهـ^(٧)ـ".

(١) انظر: تمهيد القواعد ١/٥٢١-٥٢٣.

(٢) انظر: تعليق الفراند ٢/٨٣-٨٤.

(٣) انظر: شرح أبيات المغني ٢/٢٥٢.

(٤) انظر: شرح الجمل ١/٣٩٤.

(٥) شرح التسهيل ١/٣١٤.

(٦) ورد مكانها في شرح التسهيل: "في موضعه". وسيأتي الحديث عن الفرق بين العبارتين في المعنى.

(٧) الكتاب ١/٤٠٦-٤٠٧.

وبعد إيراد نص سيبويه السابق ذكر ابن مالك الأوجه التي يحتملها النص، وهي أربعة^(١): الوجه الأول: كون الظرف منصوباً بعامل معنوي، وهو حصول المبتدأ فيه، وهذا يؤخذ من قول سيبويه: ”فانتصب لأنّه موقوع فيها ومكون فيها“، مع كون الظرف – أيضًا – مرفوع المحل بالمبتدأ، وهذا ما خُوذ من قول سيبويه: ”عمل فيها ما قبلها“، وعلى هذا فاللظرف عاملان: عامل نصب معنوي وهو الحصول، وعامل رفع بال محل هو المبتدأ. وقد أبطل ابن مالك هذا الوجه معللاً ذلك بأنه لا قائل به، ولأنّ (الحصول) لوعمل في الظرف العرفي وهو (الخلف) وشبّهه لعمل في الظرف اللغوي كالكيس والكوز، فكان يقال: المال الكيس، والماء الكوز، بالتصب، بل الحصول المنسوب إلى الكيس والكوز ونحوهما أولى بالعمل، لأنّه حصل إحاطة وإحراز، وإذا لم يصح للعمل وهو أقوى، فغيره بعدم العمل أولى.

الوجه الثاني: كون الظرف منصوباً بالمخالفة، وهو القول المشهور عن الكوفيين^(٢)، فإنه يوهمه – كما قال ابن مالك – سيبويه بقوله في الباب المذكور: ”فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره“، وقد رد ابن مالك هذا الرأي بأربعة أوجه^(٣)، ثمرد إمكانية إفهام نص سيبويه هذا – وهذا ما يهمنا – معتمداً على نص سيبويه. قال ابن مالك: ”فسيبويه بريء مما يَعْوَلُ عليه وجُنحَ إليه، لأنّه قال حين مثل بظروف بعد مبتدآت: (عمل فيها ما قبلها)، وهذه عبارة لا تصلح أن يراد بها إلا شيء متقدم على الظرف، والمغالفة بخلاف ذلك، فتيقن أن مراده غير مراد الكوفيين“^(٤).

الوجه الثالث: رأي ابن خروف، وهو كون عامل النصب المبتدأ نفسه وهو رأي جعل ابن مالك احتماله أظهر من الوجهين السابقين، ولعل مرد هذا أن إشارات سيبويه إليه في نصه السابق أكثر وضوحاً. ومن تلك الإشارات قول سيبويه في نصه السابق: ”عمل فيها ما قبلها“، قوله: ”فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره“، قوله: ”فالعامل في (خلف)،

(١) انظر: شرح التسهيل/١-٢١٦/٢١٦.

(٢) انظر: شرح السيرافي/٢/٢٢٢، والإنصاف: ٢٠٢، وشرح التسهيل/١، ٢٢٣، والتذليل/٤/٥٢.

(٣) انظر هذه الأوجه في: شرح التسهيل/١-٢١٤/٢١٣، ولم أشأ تطويل البحث بذلك، لأنّه ليس محل نزاع في فهم النص.

(٤) شرح التسهيل/١/٢١٥.

الذي هو موضع له والذي هو في موضع خبره". ولكن ابن مالك على الرغم من هذا قال: "وهو أيضاً مخالف لمراد سيبويه.. ولو قصد ذلك سيبويه نطالعه عليه، لأنَّه يبطل من سبعة أوجه..."^(١). ثم ذكر هذه الأوجه السبعة التي تبطل القول بهذا الرأي سواء قال به سيبويه أو لم يقل، ولكن دون أن يبين فيها مخالفة ذلك لمراد سيبويه من نصه، لأنَّ هذا ما سيبينه في الاحتمال الرابع.

الوجه الرابع: كون الطرف المذكور منتصباً (مستقر) أو (استقر). قال ابن مالك: "وكلام سيبويه قابل لاستنباط ذلك منه، لأنَّه قال قاصداً الظروف الواقعية بعد المبتدأ: (و عمل فيها ما قبلها)"^(٢). ولما كان قول سيبويه هذا يحتمل رأي ابن خروف السابق، فارن ابن مالك بين الاحتمالين مبيناً أن الاحتمال الأول وهو رأي ابن خروف يفضي إلى المحذورات التي أبطلت بالأوجه السبعة المشار إليها، وهذا الاحتمال لا يفضي فكان أولى بمراد سيبويه. ثم استدل على ما يؤيد هذا الرأي من نص سيبويه قائلاً: "ويؤيد أولويته في إرادته أنه شبه ناصب الطرف بما ناصب التمييز في قوله: خير عملاً، وناصب التمييز خبراً مبتدأ، فينبغي أن يكون ناصب الطرف خبراً مبتدأ، فإنَّ ذلك أليق بالنظر"^(٣). واستدل^(٤) على ذلك -أيضاً- بقول سيبويه في نصه: "فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره". موجهاً هذا بأنَّ معناه: ما هو في الطرف غير المبتدأ، وبذلك فالضمير (هو) يعود إلى هذا الذي قدره ابن مالك من الاستقرار المحذوف، والهاء في (فيه) تعود إلى الطرف، والضمير الثاني (هو) يعود إلى ما عاد إليه الأول، والهاء في غيره تعود إلى المبتدأ. ثم ذكر أنه لا يصح أن يعود الضمير (هو) إلى المبتدأ، والهاء في (غيره) إلى الطرف، لأنَّ الإعلام بذلك إعلام بما لا يجهل، بخلاف الإعلام بأنَّ ثم مقدراً هو غير المبتدأ وعامل في الطرف، فإن الحاجة إليه داعية^(٥). وممَّا يجب التنبيه إليه قبل مناقشة ابن مالك في فهمه واعتراضه أنَّ ذكر أنه مسبوق في اعتراض ابن خروف، فقد اعترضه قبله شيخه ابن عمرون^(٦) (ت ٦٤٩ هـ)، وأنَّ ذكر أن

(١) انظر هذه الأوجه في: شرح التسهيل ٢١٥/٢١٥. وانظر رد أبي حيان عليها في: التذليل ١/٤٢-٤٣. ولمَّا ثُنا -أيضاً- تطويل البحث بذكرها لأنَّها ليست محل نزاع في فهم النص.

(٢) شرح التسهيل ١/٢١٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) كما نقل عنه ناظر الجيش في تمهيد القواعد ٢/٢٠٠-٢٠٠٣.

ابن خروف مسبوق في هذا الرأي، فقد ذهب إليه وإلى نسبته إلى سيبويه قبله ابن أبي العافية^(١) (ت ١٩٥ هـ)، وابن الطراوة^(٢) (ت ٥٢٨ هـ). كما نص ابن خروف نفسه فيما نقل عنه أبو حيان^(٣) والشاطبي^(٤) أن هذا مذهب متقدمي البصريين.

وقد تابع ابن خروف في رأيه الإمام الشاطبي (ت ٧٠٠ هـ)^(٥).

أما ما ذكره ابن مالك من احتمالات فقد سبقه السيرافي^(٦) إلى الثاني والثالث والقول بالرابع ولكن دون التكلف في الرد وتحميل نص سيبويه ما لا يحتمل كما سأذكر.

وأما بالنسبة لما ذكره ابن مالك في هذه الاحتمالات - كما سبق - فلي معه وقفات: الوقفة الأولى: قوله في الوجه الأول أنه يفهم من قول سيبويه: "فانتصب لأنك موقوع فيها ومكون" أن الظرف منصوب بعامل معنوي، وهو حصول المبتدأ فيه = فيه نظر؛ لأن هذا تعليل للنصب وليس بياناً للعامل فيه، فسيبوه يريد أن يقول: نصب لأنك ظرف، كما تقول مثلاً: هذا منصوب لأنك مفعول به، ولم يقل أحد أن عامل النصب في المفعول به هو وقوع الفعل به. ونص سيبويه هذا كنصه في المبتدأ حين قال: "فأما الذي يبني عليه شيء هو هو فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قوله: عبد الله منطلق، ارتفع (عبد الله) لأنك ذكر ليبني عليه (المنطلق)، وارتفع (المنطلق) لأن المبني على المبتدأ بمنزلته"^(٧). فسيبوه - كما هو ظاهر من نصه - بعد أن ذكر أن العامل في المبتدأ الابتداء وفي الخبر المبتدأ قال: "وارتفع (المنطلق)...، فلوفهم من تعليله بيان العامل - أيضاً - لقلنا: إن الخبر يرتفع بالابتداء. ولم يشر ابن مالك إلى هذا عند الحديث عن العامل في المبتدأ والخبر على الرغم من إيراده نص سيبويه هذا، بل الذي ذكره هناك أن نص سيبويه هذا صريح بأن المبتدأ مرتفع بالابتداء وأن الخبر مرتفع بالمبتدأ^(٨).

(١) كما نسب إليه في: التذليل ٥٠/١، والمساعد ٢٢٦/١، والهمم ٢١/٢.

(٢) كما نسب إليه في: شرح الصفار ٢٦٤/٢.

(٣) انظر: التذليل ٤/٥٠.

(٤) انظر: المقاصد الشافية ٢/٨-٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) انظر: شرح ٢٤١/١٢٢ وأ و ب.

(٧) الكتاب ٢/١٢٧.

(٨) انظر: شرح التسهيل ١/٢٦٩-٢٧٠.

الوقفة الثانية: ترجيحة في الوجه الرابع أولوية أن الطرف منتصب بـ(مستقرًا أو استقر) لتشبيه سببويه ناصب الطرف في (زيد خلفك) بناصب التمييز في قوله: "خير عملاً". وناصب التمييز خبر فناسب - كما ذكر - أن يكون عامل الطرف خبراً ليكون التنظير أليق فيه نظر، لأن ذلك غير لازم فقد شبهه سببويه - أيضًا - بنصب الدرهم بالعشرين، ولا يلزم أن يكون (الدرهم) خبراً.

الوقفة الثالثة: توجيحة في الوجه الرابع قول سببويه: "فهذا كله انتصب على ما هو فيه وهو غيره" بأن يكون الضمير (هو) الأول والثاني عائد إلى المستقر المقدر، والهاء في (فيه) عائدة إلى الطرف، والهاء في (غيره) عائدة إلى المبتدأ، وأنه لا يجوز أن يعود الضمير (هو) إلى المبتدأ، والهاء في (غيره) إلى الطرف بحججة أن هذا إعلام بما لا يجهل، بخلاف الإعلام بأن هناك مقدراً هو غير المبتدأ وعامل في الطرف فإن الحاجة إليه داعية = فيه نظر، لأن ظاهر التكليف، بل مارده هو المتبادر للذهن وال قريب منه عند قراءة نص سببويه، وبه قال السيرافي^(١)، فيكون المعنى: "فهذا انتصب على الاسم الذي هو فيه، أي: في الطرف، وهو، أي: الاسم غيره أي: غير الطرف. وأما حجة أن هذا إعلام بما لا يجهل في يمكن أن يرد عليه بأن سببويه ذكر هذا ليبين أن عمل المبتدأ في هذا القسم، وهو ما لم يكن المبتدأ هو الخبر في المعنى، حين قال: "واعلم أن المبتدأ بدل له من أي يكون المبني عليه شيئاً هو هو، أو يكون في مكان أو زمان... فاما الذي يبين عليه شيء هو هو فإن المبني عليه يرتفع به كما ارتفع هو بالابتداء، وذلك قوله: عبد الله منطلق"^(٢).

الوقفة الرابعة: قول ابن مالك: "وقال [أي سببويه]: (والعامل في (خلف) الذي هو في موضعه)"^(٣) مخالف لنص سببويه كما في طبعة هارون وبولاق وشرح السيرافي، وقد سبق ذكر النص فيهما وهو: "والعامل في (خلف) الذي هو موضع له"^(٤). ولا شك أن الفرق واضح بين العبارتين، فعبارة سببويه كما وردت في شرح التسهيل تخدم مراد ابن مالك، لأن فيها تصريحاً بأن العامل في (خلف) مستقر أو نحوه، لأنه قال: "الذي (خلف) في موضعه."

(١) انظر: شرحه ٢٤٣/١٣٢.

(٢) الكتاب ٢/١٢٧.

(٣) شرح التسهيل ١/٣٤٢.

(٤) الكتاب ١/٦٠٤ و ٢/٢٠٢ (بولاق)، وشرح السيرافي ٢/١٣٢.

والذى (خلف) في موضعه هو الخبر وهو الاستقرار المحذوف. أما العبارة في طبعة هارون وبولاق وفي شرح السيرافي فليست كذلك، لأن قوله: "الذى هو موضع له" تعنى الذي (خلف) موضع له، والذي (خلف) موضع له هو المبتدأ، وقد يراد به الاستقرار المحذوف إن دل على ذلك دليل يخرج النص عن ظاهره، وهذا ما لم يأت به ابن مالك.

والذى يدل على أن العبارة الصحيحة هي ما ورد في طبعة هارون وبولاق وشرح السيرافي هو أن العبارة التي أوردها ابن مالك لا تستقيم مع ما بعدها، وهي قول سيبويه: "الذى هو في موضع خبره"؛ لأنه بناء على توضيح ابن مالك لمراجع الضمير في قول سيبويه السابق: "على ما هو فيه وهو غيره" – كما سبق في الوقفة الثالثة – لا يمكن أن تعود الهاء في (خبره) من نص سيبويه هذا إلى المبتدأ، لأنه لا ذكر له سابق، فلم يبق إلا أن تعود إلى (العامل) أو (خلف) في النص، وهذا محال ظاهر.

ولا شك بعدم اسقى أن كلام ابن مالك ظاهر التكلف والتحميم لنص سيبويه بما لا يحتمل، وليس التكليف في نظري – عند ابن مالك في ترجيح كون الطرف يتعلق بمستقر محذوف، ولكن التكاليف في إصراره على جعل هذا مقصد سيبويه مع تبرئة نصه مما سواه، مع أن النص ملبس. وقد نص على هذا السيرافي حين قال: "وفي كلام سيبويه ما ظاهره ملبس... فإن بعض هذه العبارة إيهام لمذهب الكوفيين، وفي بعضها ما يوهم أن المبتدأ هو الذي نصب الطرف"^(١). كما قال الشاطبي معلقاً على رأي ابن خروف: "وكأنه استنبطه من كلام سيبويه بل هو كالنص... في باب ما ينتصب من الأماكن والوقت"^(٢). ومما يؤيد أن هذا النص ملبس أن لسيبوه نصاً آخر ظاهره موهم أن الابتداء هو عامل النصب في الخبر الظرف كما أنه يعمل الرفع في الخبر غير الظرف، وهو قوله: "واعلم أن الاسم أول أحواله الابتداء، وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء والجار على المبتدأ"^(٣). فقد فهم بعض الشرح كالقرطبي^(٤) والأعلم^(٥) من نص سيبويه هذا أن الابتداء يعمل الرفع والنصب، في حين أن بعضهم كالسيرافي^(٦) والصفار^(٧) لم يفهموا هذا من ذلك بل فهموا أن قوله: " سوى الابتداء" مستثنى من الرفع فقط، لأنه لا ابتداء ناصب. أما ابن

(١) شرح السيرافي /٢١٣٢ و /٢١٣٢.

(٢) المقاصد الشافية /٢٨.

(٣) الكتاب /٢٢٧.

(٤) انظر: شرح عيون كتاب سيبويه: ٣٩.

(٥) انظر: النكحت /١٩٩١.

(٦) انظر: شرحه /١٤٩٤.

(٧) انظر: شرحه /١٤٣٦-٣٦٤.

الطراوة^(١) فقد فهم من هذا النص أن المقصود بالابداء المبتدأ، وهو يعمل النصب في نحو: زيد خلفك. وزعم أن هذا مذهب سيبويه، وبهذا سبق - كما أشرت - ابن خروف في هذا الرأي ونسبته إلى سيبويه.

والذي يظهر لي أن توجيه السيرافي لنص سيبويه هو الأقرب والأسهل والذي ليس فيه تحمل لنص سيبويه أكثر مما يحتمل. وذلك لأنه بعد أن نص على إجماع البصريين على أن (خلفك) في نحو: زيد خلفك، متعلق بمحذوف هو الخبر، وبعد أن اعترف - كما سبق - بأن نص سيبويه ملبس، قال: "ومراد سيبويه على ما ينتظم من مذهبة أن الذي ظهر دل على المحذوف، فناب عنه... وإنما مثله بقوله: أنت الرجل علماً وعشرون درهما، لأن (الرجل) إنما ينصب (علماً) إذا كان بتقدير: كامل ونحوه مما هو بمعنى الفعل. وكذلك عشرون درهما، يقدر نصبه على مذهب: ضاربين زيداً ونحوه من التقدير، وكذلك زيد خلفك بمعنى: استقر، فكان اشتراكها في نصب ما بعدها لاشراك جميعها في تقدير ناصب لما بعدها من طريق المعنى والتشبيه"^(٢).

وبهذا فالقول: إن سيبويه يرى أن الناصب لـ(خلفك) في المثال السابق الاستقرار المحذوف ليس مأموراً من تأويل نصه السابق فقط، ولكن على ما ينتظم من مذهبة كما ذكر السيرافي، وذلك بالجمع بين نصوص سيبويه.

ومما يؤيد هذا أن سيبويه قال في موضع آخر: "وذلك أنك إذا قلت: فيها زيد، فكأنك قلت: استقر زيد فيها وإن لم تذكر فعلًا، وانتصب بالذى هو فيه كانتصاب الدرهم بالعشرين"^(٣). وقال - أيضاً - عن (فيها) في نحو: إن فيها عبد الله قائماً: "وليست (فيها) بنفس عبد الله كما كان هذا نفس عبد الله، وإنما هي ظرف لا تعمل فيها (إن)، بمنزلة (خلفك)، وإنما انتصب (خلفك) بالذى فيه"^(٤).

فالجمع بين هذه النصوص المتنافرة السابقة نستطيع أن نصل إلى رأي سيبويه، ولعل هذا ما جعل ابن عمرو - فيما نقل عنه ناظر الجيش - يقول: "والذي يدفع عن سيبويه ما

(١) انظر نسبة ذلك له في المصدر السابق.

(٢) شرح السيرافي ٢/١٢٢.

(٣) الكتاب ٢/٨٧.

(٤) الكتاب ٢/١٣٢.

تهمهه ابن خروف قول سيبويه في بعض أبواب الكتاب: (وانما ينتصب خلفك بالذى هو فيه)... ومعلوم أن الذي هو فيه (استقر) أو (مستقر)^(١).

وهذا لا يدفع أن نص سيبويه السابق ملبس وأن من فهم منه أنه يرى أن الناصب للظرف المبتدأ غير مقول له بغير ما قال. وهذا ما جعلني أصف محاولة ابن مالك في توجيه نص سيبويه بالتكلف، لأنه اعتسف في التوجيه مقتضرا على نص سيبويه السابق وحده، ولو أنه توصل إلى ما توصل إليه بالجمع بين نصوص الكتاب كما فعل السيرافي وابن عمرون، وكما فعل هو في مواضع من توجيهه نصوص سيبويه لما وصفناه بالتكلف.

ولكن ييدو أن ابن مالك تكلف في هذا لرده هذا المذهب سواء قال به سيبويه أولم يقل، كما نص على ذلك فيما سبق، فأراد أن يوجه نص سيبويه ما استطاع، لكي لا يكون مخالف له.

٤- اسم (لا) النافية للجنس المفرد بين البناء والإعراب.

ذكر ابن مالك أن أبا إسحاق الزجاج والسيرافي ذهبا إلى أن فتحة (رجل) في نحو: لارجل في الدار فتحة إعراب، وأن التنوين حذف للتخفيف. كما ذكر أنهما نصا على أن ذلك مذهب سيبويه اعتمادا على فهمها النص له، ثم اعترضهما ذاهبا إلى أن اسم (لا) مبني، ومعتمدا على نص آخر لسيبوه في هذا لا يقبل الاحتمال كما عبر.

أما نص سيبويه الذي اعتمد عليه السيرافي والزجاج فهو قوله: "و (لا) تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين، ونصبها لما بعدها كنصب (إن) لما بعدها. وترك التنوين لما تعمل فيه لازم؛ لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو: خمسة عشر"^(٢).

فقد فهم السيرافي من هذا النص كما نقل عنه ابن مالك، حيث قال في شرحه على الكتاب: "والذي عندي أن الفتحة في الاسم بعد (لا) إعراب، وهو مذهب سيبويه، لأنه قال: (ونصبها لما بعدها كنصب (إن) لما بعدها. وترك التنوين لما تعمل فيه لازم)"^(٣).

ويبدو أن السيرافي ذهب إلى ذلك، لأنه رأى سيبويه قد شبه عمل (لا) بعمل (إن)، وعمل (إن) النصب وهو إعراب، كما رأى سيبويه عبر بالنصب، والنصب من المصطلحات التي تستعمل للمعربات عند البصريين^(٤).

(١) تمهيد القواعد /٢٠٢-٢٠٣.

(٢) الكتاب /٢٧٤.

(٣) ٢٣/٨٢.

(٤) انظر: شرح الرضي القسم الثاني /١١١.

وقد نقل السيرافي قول الزجاج الذي أشار إليه ابن مالك، مع اعتذار الزجاج لتشبيه سيبويه (لا) مع اسمها بـ(خمسة عشر). قال السيرافي: ”قال أبو إسحاق الزجاج: ليست مبنية، وإنما شبهها بـ(خمسة عشر) يعني سيبويه- لأنها لا تفارق ما تعلم فيه، كما أن (خمسة) لا تفارق (عشر)“^(١).

وقد تابع الزجاج والسيرافي في هذا الفهم بعض النحوين كالباقولي^(٢) (ت ٤٣٥ هـ)، وابن الخباز^(٣) (ت ٦٢٧ هـ).

وأمانص سيبويه الآخر الذي اعتمد ابن مالك في الاعتراض فقد أورده ضمن قوله: ”والعجب من الزجاج والسيرافي في زعمهما أن ما ذهبا إليه من أن فتحة (لارجل) وشبهه فتحة إعراب. هو مذهب سيبويه، استنادا إلى قوله في الباب الأول من أبواب (لا)... وغفل عن قوله في الباب الثاني: (واعلم أن المنفي الواحد إذا لم يل (لك) فإنما يذهب منه التنوين كما أذهب من (خمسة عشر)، لا) ^(٤) كما أذهب من المضاف) ^(٥). فهذا نص لا احتمال فيه“^(٦).

فمراد ابن مالك أنه إذا كان نص سيبويه السابق يحتمل إعراب اسم (لا) لتعبيره بالنصب وتشبيهه عمل (لا) بعمل (إن)، فإنه في هذا النص قد صرخ بأن حذف التنوين من اسم (لا) كحذف التنوين من (خمسة عشر)، لا كحذفه من المضاف، وهذا نص لا احتمال فيه- على أن حذف التنوين فيه إنما سببه البناء لا التخفيف^(٧).

وقد فهم الفارسي^(٨) والرماني^(٩) أن اسم (لا) مبني من نص سيبويه نفسه الذي اعتمد عليه الزجاج والسيرافي معتمدين على أن سيبويه شبه (لارجل) بـ(خمسة عشر)، الأمر الذي اعتذر عنه الزجاج كماسبق. وبهذا يكونان قد سبقا ابن مالك إلى هذا الفهم.

(١) شرحه ٢/٨٢.

(٢) انظر: شرح اللمع ١/٤٠١-٤٠٠.

(٣) انظر: توجيه اللمع: ١٥٨.

(٤) سقطت (لا) من مطبوعة الكتاب، والصواب إباتها، لأن المعنى يطلبها، وهي كذلك في طبعة بولاق ١٣٤٨، وشرح السيرافي ٣/٨٥-٢٤٨.

(٥) الكتاب ٢/٢٨٣.

(٦) شرح التسهيل ٢/٥٨.

(٧) انظر: التذليل ٥/٢٤٩.

(٨) انظر: التعليقة ٢/٢٢-٢٢.

(٩) انظر: شرحه: ٣٤٢، ٣٤٥ رسالة الدكتور سيف العريفي. وقد نسب أبو حيان للرماني في التذليل ٥/٢٤٩.

القول بالإعراب.

وابع ابن مالك ومن سبقه في هذا الفهم الرضي^(١).
والذي يظهرلي أن ما ذهب إليه ابن مالك -تابع الفارسي والرمانى- هو الفهم
الصحيح، وذلك لما يلى:

١. صراحة نص سيبويه الذي ساقه ابن مالك في أن حذف التنوين من اسم (لا) سببه البناء.
 ٢. أن لسيبوه نص آخر نص فيه على أن اسم (لا) المفرد النكرة بمنزلة المنادى المفرد
المعرفة^(٢).
 ٣. أن الأخفش^(٣) قصد بمصطلح النصب أو الفتح بغير تنوين البناء، لأنه ذكره في أول حديثه
عن (لا)، ثم صرخ بالبناء، وكذلك فعل المبرد^(٤). وهذا يقوى أنه مراد سيبويه، أيضاً.
 ٤. أن تعبير سيبويه بالنصب لا يعني الإعراب، لأنه كثيراً ما يخلط بين ألقاب الإعراب
والبناء، وقد أشار إلى هذا الخلط عنده وعند المبرد الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في
هامش المقتضب^(٥).
 ٥. أن تشبيه سيبويه (لا) بـ(إن) لا يعني أن تعمل (لا) في الاسم فتنصبه، لأن التنوين ليس من
عمل (إن)، وإنما هو شيء يستحقه الاسم في الأصل^(٦).
 ٦. أن القول بأنه معرب بلا تنوين مخالف للنظائر، فإن التنوين لا يحذف إلا لمنع الصرف،
أولى الإضافة، أولى خول اللام، أولى كونه في علم موصوف بـ(إن) مضاف إلى علم، أولى ملاقاة
ساكن، أولى وقف، أولى بناء، ولما انتفى عن اسم (لا) جميع ما سبق قبل البناء تعين كونه
مبنياً^(٧).
- ٥ - (زيد) في نحو: أزيد قام، بين ترجيح الفاعلية أو الابتدائية أو احتمالهما.
نقل ابن مالك عن السيرافي أنه فهم من كلام لسيبوه أن (زيداً) في نحو: أزيد قام
يتحمل كونه مرفوعاً على الابتدائية أو الفاعلية، فاعتراضه قائلاً: "وذكر السيرافي أن

(١) انظر: شرح الرضي القسم الأول ٢/٨١٤-٨١٥.

(٢) انظر: الكتاب ٢/٢٨٨.

(٣) انظر: المعاني ١/٢٤-٢٥.

(٤) انظر: المقتضب ٤/٣٥٧، ٣٥٩.

(٥) انظر: المقتضب ١/٥-٤.

(٦) انظر: الإنصاف: ٣١٣.

(٧) انظر: شرح التسهيل ٢/٥٨.

الفاعلية في نحو: أزيد قام؟ راجحة على الابتداء عند الأخفش. مرجوحة عند الجرمي (٢٥هـ). وفي قول سيبويه احتمال. كذا زعم السيرافي، وليس كما زعم. بل صرخ برجحان^(١) الفاعلية، فإنه قال: (وتقول عبد الله ضرب أخوه زيداً، لا يكون إلا الرفع، لأن الذي من سبب (عبد الله) فاعل. والذي ليس من سببه مفعول، فيرفع إذا ارتفع الذي من سببه كما ينصب إذا انتصب، ويكون المضارع ما يرفع كما أضمرت في الأول ما ينصب. فإنما جعل هذا المضارع^(٢) (بيان ما هو مثله)^(٣). هذا نصه، فبان به خلاف ما زعم السيرافي^(٤)).

و قبل أن أناقش فهم ابن مالك لنص سيبويه لا بد من تحقيق نصه هو. فهل الأولى فيه كلمة (رجحان) كما وردت في النسختين الآخريتين غير الأم التي اعتمد عليها المحققان. وكما ورد -أيضاً- في شروح التسهيل: التذليل^(٥) والمساعد^(٦) وتمهيد القواعد^(٧)، أو أن الأولى (وجوب) كما أثبت محققاً شرح التسهيل في المتن من النسخة الأم التي اعتمداً عليها؟

قد يتadar إلى الذهن لأول وهلة أن كلمة (وجوب) هي الأولى، لأن نص سيبويه الذي نقله ابن مالك يتحمل ذلك. وسيأتي توضيح هذا. ولكن الذي يقطع بأن (رجحان) في نص ابن مالك أولى من (وجوب) أن ابن مالك نفسه قال بعد ذلك مباشرةً: "ولم يجز سيبويه في نحو: أزيد ذهب به إلا الرفع بالابتداء أو بفعل مضمر"^(٨). فلو كان الذي في نص ابن مالك (وجوب) لتناقض كلامه، لأنه لا فرق بين (أزيد قام) وأزيد ذهب به. بدليل أن سيبويه نفسه لم يفرق بينهما، إذ قال: "إإن قلت: أزيد ذهب به أو أزيد انطلق به، لم يكن إلا رفعاً، لأنك لو لم تقل (به) فكان كلاماً لم يكن إلا رفعاً، كما قلت: أزيد ذهب أخوه، لأنك لو

(١) في المطبوع اختار المحققان كلمة (وجوب) الواردة في النسخة الأم التي اعتمدوا عليها، وأشارا إلى أنه جاء في النسختين الآخريتين: (رجحان)، والصواب ما أثبت، وستأتي مناقشة ذلك.

(٢) في الكتاب طبعة هارون ١٠٢-١٠٣، وطبعة بولاق ١٢٥-١٢٦ وردت كلمة (المظهر) بدل (المضارع)، ويستفهم المعنى بكليهما. وقد أشار السيرافي إلى هذا. انظر: شرحه ٢١٠/١.

(٣) الكتاب ١٠٢/١٠٢-١٠٣.

(٤) شرح التسهيل ١٤٦/٢-١٤٧.

(٥) انظر: ٦/٣٥٠.

(٦) انظر: ١/٤٢٠.

(٧) انظر: ٤/١٧٠٤.

(٨) شرح التسهيل ١٤٧/٢.

قللت: أزيد ذهب لم يكن إلا رفعاً^(١). ثم إن سيبويه لم ينص على جواز الرفع بالابتداء أو بفعل مضر، وإنما عبر في هذا النص كما في النص الأول الذي اعتمد عليه ابن مالك، فكيف فهم ابن مالك من هذا جواز الوجهين، ومن ذاك وجوب الرفع على الفاعلية، لو كان يرى أن نص سيبويه يدل على وجوب الفاعلية؟

ومما يؤيد هذا أن شرحاً للتسهيل^(٢) نقلوا نص ابن مالك هذا وفيه (رجحان) بدل (وجوب)، فلو كان فيه ما فيه لما تركوه، وبخاصة أبا حيان الذي تعقب ابن مالك دينه.

إذا تقرر هذا قلنا: لم ينص ابن مالك على وجه الاستشهاد في نص سيبويه الذي أورده وذكر قبل إيراده أن سيبويه صرخ فيه برجحان الفاعلية، ولكن يظهر أنه فهم أن سيبويه في نصه هذا فسر رفع (عبد الله) في المثال الوارد فيه على أنه فاعل مرفوع يفسره المذكور؛ وذلك لأن قوله: "إنما جعل هذا المضر بيّان ما هو مثله" صريح في أن العامل في (عبد الله) في المثال المذكور فعل، لأن سيبويه يريد أن يقول: إن هذا الفعل المضر مُبِينٌ مما هو مثله، والذي مثله في مثال سيبويه فعل.

فلما رأى ابن مالك سيبويه قد فسر رفع (عبد الله) على أنه فاعل بفعل يفسره المذكور، ورأه في نصوص أخرى سبقت هذا النص قد أشار إلى جواز ابتداء الأسماء بعد همزة الاستفهام، وإلى أن الأرجح أن يليها الأفعال = فهم من ذلك رجحان الفاعلية، وخصوص هذا النص بالاستشهاد، لأن سيبويه صرخ فيه بكون المرفوع فاعلاً عند تفسير المثال، ففهم من هذا التصريح أنه رجحان.

أما بالنسبة للسيرافي فلم يكن هذا النص الذي أورده ابن مالك غائباً عنه، فلقد أورده ورأى أن كلام سيبويه ليس فيه نص على نوع رفع (عبد الله) فيه، لأن المضر يحتمل أن يكون الابتداء ويحتمل أن يكون فعلاً. قال: "وقول سيبويه... يحتمل هذين الوجهين، إن شئت قدرت الابتداء وإن شئت قدرت فعلاً"^(٣).

وقد تابع السيرافي في احتمالية الوجهين في نحو: أزيد قامر، ابن يعيش^(٤)، وابن الحاچب^(٥).

(١) الكتاب/١٠٤.

(٢) انظر: التنبيه/٦، ٢٥٠، والمساعد/١، ٤٢٠، وتمهيد القواعد/٤، ١٧٠.

(٣) السابق.

(٤) انظر: شرح المفصل/٢، ٢٥٢.

(٥) انظر: شرح المقدمة الكافية/٢، ٢٧٢.

أما الرمانى^(١) فمع إجازته لهما جعل رفع (عبدالله) على الفاعلية في المثال الذي في نص سيبويه هو المختار، لأن حرف الاستفهام بالفعل أول.

وهذا ما اختاره الرضي^(٢) ناسباً إياه إلى سيبويه والجمري، ووافقه في الاختيار الشاطبى^(٣). والذي يظهر لي أن سيبويه يرى أن (زيداً) في نحو: أَزِيدَ قَامَ، راجح الرفع على الفاعلية مع جواز الابتداء، ليس فهما من النص الذي أورده ابن مالك معتبراً السيرافي فيه فقط. وإنما منه مع غيره، وبين ذلك أن سيبويه^(٤) أجاز مجيء الجملة الاسمية بعد حروف الاستفهام، ولكن ذكر أن الفعلية أرجح لأنها الأصل. وجعل تقديم الاسم على الفعل في نحو: هَلْ زَيْدَ قَامَ أَوْ هَلْ زَيْدَ رَأَيْتَهُ، قبيحاً في حروف الاستفهام ما عدا الهمزة. فإن ذلك جائز فيها خاصة. وقال -أيضاً-: وأما الألف فتقديم الاسم فيها قبل الفعل جائز... ويختار فيها النصب، لأنك تضمر الفعل فيها. لأن الفعل أولى إذا اجتمع هو والاسم... إلا أنك إن شئت رفعت فيها... والرفع فيها على الجواز^(٥).

وأما قول السيرافي: إن نص سيبويه ليس فيه نص على نوع رفع (عبدالله)، وقول ابن مالك أن نصه صريح في رجحان الفاعلية = فيهما نظر، لأن الذي يبعد قول السيرافي هو تعبير سيبويه بالإضمار فهو يمكن أن يكون نصاً، لأن الابتداء ليس شيئاً يمكن إظهاره حتى يضرم بخلاف الفعل، وأن الذي يبعده ويبعد رأي ابن مالك هو أننا لو أردنا فهم نص سيبويه السابق بقطع النظر عما سواه، كما يدل عليه شرحهما، لما فهمنا منه - كما ذكرت فيما سبق- إلا إيجاب الرفع على الفاعلية. وأما إذا جمعنا هذا النص مع غيره من نصوص سيبويه في أبواب الاشتغال والتي ذكرنا أمثلة منها، فإن رجحان الفاعلية مع جواز الابتداء هو الذي نفهمه من هذا النص. فلعل هذا ما دعا ابن مالك إلى هذا الاعتراض. ولكنه لم يشير إلى ذلك.

(١) انظر: شرحه ٣١٣/١. تحقيق: شيبة.

(٢) انظر: شرح الرضي القسم الأول ١٢٢/٥.

(٣) المقاصد الشافية ٢/٧٦-٧٧.

(٤) انظر: الكتاب ١/٩٨-٩٩.

(٥) انظر: الكتاب ١/٩٩-١٠٠.

٦- حكم إضمار عامل المنصوب في: انته أمرا قاصدا.

ذهب الزمخشري إلى أن (أمرا) في المثال السابق مفعول به لفعل لازم إضماره، مثله مثل قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]. قال: "ومن المنصوب باللازم إضماره... قوله: انته أمرا قاصدا، لأنه لما قال: انته، علم أنه محمول على أمر يخالف المنهي عنه. قال الله تعالى: ﴿أَنْتُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]"^(١).

وقد بين ابن مالك أن هذا المثال ليس من المنصوب باللازم إضماره، بل من الجائز، لأنه ليس جارياً مجرى المثل في كثرة الاستعمال، نحو: هذا ولا زعماتك، وكليهما وتمرا، وحسبك خيرا لك، ونحو ذلك. ثم اعترض الزمخشري ووصف ما ذهب إليه بالغفلة عن كلام سيبويه، لأن سيبويه ذكر هذا المثال بعد أمثلة التزم إضمار ناصبها، لكنه بعد ذلك بقليل نص على أنه يجوز إظهاره. قال ابن مالك: "فإن كان الذي اقتصر فيه على المفعول مثلاً أو جارياً مجرى المثل في كثرة الاستعمال امتنع الإظهار ولزム الاقتصار... وقد غفل الزمخشري عن كلام سيبويه فجعل (انتهوا خيرا لكم) و(انته أمرا قاصدا) سواء"^(٢). وقال في موضع آخر معترضاً غير الزمخشري: "وقد حكم بعض المتأخرین بمنع النصب أخذًا بظاهر قوله الأول، ولو قرأ ما بعده من كلام سيبويه لم يقع فيما وقع. ومثل هذا اتفق للزمخشري في: (انته أمرا قاصدا). حين جعله من المنصوبات باللازم إضماره، لأن سيبويه ذكر بعده أمثلة التزم إضمار ناصبها. ثم بين بعد ذلك بقليل أن الذي نصب (أمرا قاصدا) يجوز إظهاره، وغفل الزمخشري عن ذلك فاعتذر ما ليس بصواب"^(٣).

ونص سيبويه الذي يشير إليه ابن مالك هو في باب: (هذا باب يحذف من الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المثل)^(٤). وقد بدأ فيه سيبويه بسرد الأمثلة إذ قال: "وذلك قوله: هذا ولا زعماتك، أي: ولا توهם زعماتك..."^(٥)، إلى أن قال: "ومما ينتصب في هذا الباب على إضمار الفعل المتروك إظهاره: "انتهوا خيرا لكم"، ووراءك أوسع لك، وحسبك خيرا لك"^(٦). ثم قال: "ونظير ذلك في الكلام قوله: انته أمرا قاصدا، فإنما قلت: انته وانت أمرا قاصدا، إلا أن هذا يجوز لك فيه إظهار الفعل"^(٧).

(١) المفصل: ٧٣.

(٢) شرح التسهيل ١٥٨/٢-١٥٩.

(٣) السابق/٢٥٨.

(٤) الكتاب/٢٨٠.

(٥) السابق.

(٦) السابق/٢٨٢.

(٧) السابق/٢٨٤.

ولا شك أن الفارق بين لازم الإضمار وجائزه كثرة الاستعمال، وإن فالامثلة التي أوردها سيبويه في هذا الباب لا تختلف عن هذا المثال في المعنى، ولعل هذا ما جعل الرضي يقول عن سيبويه: ”ولعله سمع (انته وائت أمرًا قاصداً)، بإظهار ناصب (أمراً)، ولم يسمع إظهار ناصب (خيراً لكم)، (وخيراً لكم)، وإن فالثلاثة متقاربة المعنى“^(١).

٧-(أمس) بين البناء على الفتح، والمنع من الصرف مطلاً عند بعض بنى تميم في قول الراجز:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَّبًا مُذْ أَمْسَأَ^(٢)

في (أمس) إذا قصد بها اليوم الذي يليه اليوم الذي أنت فيه ثلات لغات^(٣): الأولى: لغة أهل الحجاز وهي البناء على الكسر مطلقاً. والثانية: لغة جمهور بنى تميم، وهي إعرابها في حالة الرفع مع منع الصرف وبناؤها في النصب والجر على الكسر. والثالثة: هي ما خرج عليها هذا البيت واختلف في نص سيبويه فيها وسيأتي الحديث عنها، وهي لغة لبعض بنى تميم. هذا ما أطبق عليه عامة النحويين فيما وقفت عليه.

وزعم أبو القاسم الزجاجي^(٤) (ت ٣٢٩ هـ) أن من العرب من يبني (أمس) على الفتح مستشهاداً على ذلك بالرجز السابق، فاعتبره ابن مالك مبيناً عدم صحة كلامه، وذلك لأن مستنده - كما ذكر ابن مالك - الذي أورده - وهو بيت الرجز السابق - أخذه من سيبويه، وسيبوه لم يستشهد به على أن المفتحة في (أمس) فتحة بناء وإنما فتحة إعراب. فهو ممنوع من الصرف مجرور وعلامة جره المفتحة، وبهذا يكون البيت شاهداً

(١) شرح الرضي ق ١/٣٩٩.

(٢) بيت من الرجز يناسب للعجاج، وليس في ديوانه. وقد ذكر البغدادي في الخزانة ٧/١٧٢ أن ابن المستوفي ذكر أن هذا الرجز بعيد عن نمط رجز العجاج. وانظره في: الكتاب ٣/٢٨٥، والتواتر لأبي زيد: ٢٥٧، وما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٢، والعضديات: ١٩٩، وأمالي ابن الشجري ٢/٩٩٦.

(٣) انظر: الكتاب ٣/٢٨٣، وما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٣، والعضديات: ١٩٨، وأمالي ابن الشجري ٢/٩٥.

وشرح المفصل ٤، ١٠٧، وشرح التسهيل ٢٢٧، وشرح الرضي ق ١/٣٩٧.

(٤) انظر: الجمل: ٢٩٩. وقد ورد هذا منسوباً للزجاج في شرح الجمل لابن عصفور ٢/٤١٢، إذ ورد فيه: ”وزعم الزجاج وأبو القاسم... ثم أورد هذا الرأي. وبظاهر لي أن هذا خطأً طباعي أو تحريف. وما أكثره في هذه الطبعة. فيكون النص: ”وزعم الزجاجي أبو القاسم“، وإن فهو وهم من ابن عصفور... لأن الزجاج كما سيأتي لا يرى هذا.“

على أن من بني تميم من يسوى المجرور والمنصوب بالمرفوع في الإعراب والمنع من الصرف في جميع أحواله. قال ابن مالك: "وزعم أبو القاسم الزجاجي أن من العرب من يبني (أمس) على الفتح، واستشهد بهذا الرجز، ومدعاه غير صحيح؛ لامتناع الفتح في موضع الرفع، ولأن سببويه استشهد بالرجز على أن الفتحة في "مذ أمس" فتحة إعراب، وأبو القاسم لم يأخذ البيت من غير كتاب سببويه، فقد غلط فيما ذهب إليه واستحق ألا يعول عليه"^(١).

ولم ينص في الجمل الزجاجي على أنه أخذ هذا البيت من سببويه، ولم أقف على نص له في غيره، ولكن ابن مالك - كما سبق - قطع بهذا، فقد يكون استبعد عدم اطلاع الزجاجي على هذا النص، لأنه أحد رواة الكتاب عن شيخه الزجاج عن المبرد عن المازني عن الأخفش عن سببويه^(٢)، وقد يكون ابن مالك قطع بهذا لأنه اطلع على ابن هشام اللكمي (ت ٧٧ هـ) الذي قال عن هذا في شرح أبيات الجمل كما نقل عنه البغدادي: "الفتحة فتحة إعراب، وقد غلط أبو القاسم فيها وزعم أنها في البيت مبنية على الفتح، وإنما هي في البيت على لغة بعض بني تميم... وإنما دخل عليه الوهم من قول سببويه... وأنشد البيت على ذلك. فتوهم أنه لما ذكر الفتح الذي هو لقب البناء أنه أراد أن (أمس) مبني. ولو تأمل لبان له العذر"^(٣). وقد يكون ابن مالك استند إلى غير الجمل مما لم أطلع عليه من كتب الزجاجي. وعلى كل فقد عزا ابن مالك رأي الزجاجي هذا إلى فهم نص سببويه على غير وجهه.

ونص سببويه محل الإشكال هو قوله: "وقد فتح قوم (أمس) في (مذ) لمارفعوا وكانت في الجرهي التي ترفع، شبهوها بها. قال:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَّابًا مِذْ أَمْسًا

عَجَّابًا مِثْلَ السَّعَالِي خَمْسًا

(١) شرح التسهيل ٢٢٣/٢ - ٢٢٤.

(٢) انظر سند الرواية في: شواهد الشعر في كتاب سببويه: ٢٠٠.

(٣) خزانة الأدب ٧٠/٧ - ١٧١.

وهذا قليل^(١).

وقد اختلف النحويون في فهم هذا النص، فمنهم – وهو الزجاجي كمانص على ذلك ابن هشام اللخمي وابن مالك – من فهم أن المقصود بالفتح في نص سيبويه فتح البناء، وعليه فـ(أمس) مبنية على الفتح.

ومنهم من فهم منه أن المقصود بالفتح فتحة الإعراب. ثم اختلف هؤلاء بعد هذا، فمنهم من فهم من نص سيبويه أن (أمس) يعرب إعراب ما لا ينصرف في جميع أحواله عند بعض العرب وهم بعض تميم. وإلى هذا ذهب الرماني^(٢) وابن خروف^(٣)، وتبعهم على هذا ابن مالك – كما سبق – وابن أبي الربيع^(٤) والرضي^(٥). وإلى هذا الرأي في (أمس) دون الإشارة إلى نص سيبويه ذهب جماعة من النحويين كالفارسي^(٦)، والثمانيني^(٧) (ت ٤٤هـ)، وابن الشجري^(٨)، وابن هشام^(٩) (ت ٧٦١هـ).

ومنهم من فهم أن بعض بني تميم هؤلاء يعربون (أمس) إعراب ما لا ينصرف في حالة الرفع مطلقاً. وفي الجر بشرط أن يكون الجار (مز). وبخلاف هذا تكون مبنية، وذلك إذا كانت منصوبة أو مجرورة بغير (مز). وإلى هذا ذهب الزجاج^(١٠)، والسيرافي^(١١)، والقرطبي^(١٢)، والأعلم^(١٣)، ونسبة ابن خروف لابن طاهرات ٨٠هـ^(١٤).

(١) الكتاب ٢/٢٨٤-٢٨٥.

(٢) انظر: شرحه: ٩٧٤ رسالة د.آل موسى.

(٣) انظر: تنقية الألباب: ٣٢١.

(٤) انظر: البسيطا ١/٤٨٢.

(٥) انظر: شرح الرضي ق ٤٢/١٤٨٢-٤٨٣.

(٦) انظر: العظديات: ١٨٩-١٩٩.

(٧) انظر: شر المتع ١/٢٢٦.

(٨) انظر: أمالى ابن الشجري ٢/٥٩٥.

(٩) انظر: شرح شذور الذهب ١٠٠-١٠١.

(١٠) انظر: ما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٣.

(١١) انظر: شرحه: ٤/١٢٣.

(١٢) انظر: شرح عيون كتاب سيبويه: ٢٠٨.

(١٣) انظر: النكت ٢/٤٩١. وتحصيل عين الذهب: ٤٧٩.

(١٤) انظر: تنقية الألباب: ٣٢١.

والذي يظهر لي أن سيبويه من خلال نصه السابق يرى أن (أمس) ممنوعة من الصرف عند بعض العرب -وهم بعض بنى تميم كما نص عليه بعض النحويون^(١)- في حالة الرفع مطلقاً وفي حالة الجر إذا كان الجار (مذ). وفيما سوى ذلك يبنى على الكسر؛ وذلك لأنه نص على كون ذلك في (مذ) حين قال: "وقد فتح قوم في (مذ)"، وإنما فاتحة لذكر (مذ) في النص.

ومما يؤيد هذا أن سيبويه قال في موضع آخر وفي موضوع آخر: "كما لا تدخل الفتحة في (الدن) إلا مع (غدوة) حين تقول: لدن غدوة إلى العشى"^(٢). وقال السيرافي معلقاً على هذا: "فأراد أن يعرفك أن بعض الأشياء تختص بموضع لا تفارقه"^(٣). وليس هناك ما يمنع أن تكون (مذ) في النص الذي ناقشه من هذا الباب.

وأما ما ذهب إليه الزجاجي في قوله -كما ذكر ابن مالك- امتناع الفتح في موضع الرفع، فلو كانت تبني على الفتح لبنيت في حالة الرفع أيضاً. ولم يرد ذلك، فعلم أن المقصود بالفتح فتحة إعراب لا بناء. ومما يؤيد هذا أن سيبويه أحياناً يخلط بين مصطلحات البناء والإعراب.

وقد وجه تعبير سيبويه بالفتح توجيهها أراه حسناً، ابن هشام اللخمي في شرح أبيات الجمل^(٤)، راداً فهما الزجاجي لنص سيبويه، فذكر أنه عبر بالفتح هنا في الممنوع من الصرف، لأنه لا يمكن أن تسمى هذه الحركة التي أحدثتها عامل الجر نصباً، لأنها ليست للنصب وإنما هي للجر، ولم يسمها جراً استقلالاً لها، لأنها لو سميت بذلك صارت كأنها غير جر أبداً.

ـ عامل نصب الاسم في نحو: مالك وزيداً، وما شأنك وعمرًا.

قال ابن مالك في التسهيل عن المثالين السابقين: "والنصل في هذين ونحوهما بـ(كان) مضمرة قبل الجار أو بمصدر (ابس) منوياً بعد الواو، لا بـ(ابس) خلافاً للسيرافي وابن خروف"^(٥)، ثم قال في شرحه: "وذهب السيرافي وابن خروف إلى أن قول سيبويه: ما شأنك وملابستك زيداً، مؤول، قال ابن خروف: قوله^(٦): (فـكـأنـكـ قـلتـ: ماـشـأنـكـ

(١) انظر مثلاً: النواذر لأبي زيد: ٢٥٧، وما ينصرف وما لا ينصرف: ١٢٣. وشرح اللمع للثمانيني ١/٢٢٦.

(٢) الكتاب ٢/٤٩٩.

(٣) شرحه ٤/٢٣٤.

(٤) كما نقل عنه البغدادي في الخزانة ٧/١٧٠.

(٥) التسهيل ضمن شرحه لابن مالك ٢/٢٥١-٢٥٢.

(٦) يقصد سيبويه.

وملابسة زيداً). إنما قدر المصدر حين أظهر ليكون محمولاً على الشأن، والمضمر الفعل:
لأنه لا يجوز أن يعمل المصدر مضمراً^(١).

فابن مالك يرى أن العامل في الاسم المنصوب في المثالين السابقين هو المصدر من
(البس) ونحوه الذي قدره سيبويه حين قال: ”فإذا أضمرت فكأنك قلت: ما شأرك
وملابسه زيداً أو ملابستك زيداً“^(٢). في حين أن السيرافي وابن خروف - كما ذكر -
يقدران الفعل ويذهبان إلى أن تقدير سيبويه المصدر معنوي لا إعرابي، لأن المصدر لا يجوز
عمله عند سيبويه مقدراً^(٣).

وقد اعترضهما ابن مالك^(٤) زاهياً إلى أن سيبويه أراد تقدير المصدر، لقوة الدالة عليه.
ولثبوت عمل المصدر المقدر عن العرب - كما ذكر - وإلى أن سيبويه لو صرخ بمنع حذف
المصدر لكان محظوظاً بثبوت ذلك عن العرب.

وقد رد ابن مالك على ابن خروف من كلام ابن خروف نفسه، لأنه - كما ذكر ابن
مالك^(٥) - أقر سيبويه على تقدير المصدر المؤول في نحو قوله الراجز:

مِنْ لَدُ شَوَّلَا فِيَ إِنْلَائِهَا^(٦)

إذ التقدير: من لد أن كانت النوق شولا، وعلل ذلك بقوة الدالة عليه، مع أنه أقر
سيبويه على منع تقدير المصدر في نحو قوله الشاعر:
وَكُلُّ أَخْ مُفَارِقُهُ أَخْهُوَ لَعْمَرْ أَبِيِّكَ إِلَى الْفَرْقَدَان^(٧)

(١) شرح التسهيل ٢٥٦/٢-٢٥٧.

(٢) الكتاب ٢٠٩/١.

(٣) انظر: الكتاب ٢٢٤/٢-٢٣٥.

(٤) انظر: شرح التسهيل ٢٥٥/٢-٢٥٧.

(٥) انظر: شرح التسهيل ٢٥٧/٢.

(٦) بيت من الرجز نسبة النحاس في إعراب القرآن: ١٩٢ للعجاج، وليس في ديوانه. وهو من أبيات سيبويه
الخمسين التي لم يعرف قائلها. وانظره في: الكتاب ٢٦٤/١، وسر الصناعة ٤٦/٢، وتحصيل عين
الذهب: ١٨٥، وأمالى ابن الشجيري ٣٢٨، وشرح التسهيل ٢٥٧/٢، والتذليل ٢٢٠/٢.

(٧) بيت من الواقر نسب لعمرو بن معدى كرب وغيره. انظر: الكتاب ٣٢٤/١، والبيان والتبيين ٤/٤٠٩،
والكامل ٣/٤١، والخزانة ٣/٤٢٦، وشرح أبيات المغني ٢/١٠٨، وانظره بلا نسبة في: المقتضب ٤/٤٠٩،
وكتاب الشعر ٢/٤٢٨، والتذليل ٤/٢٢١.

إذ لا يجوز أن يكون التقدير عند سيبويه: إلا أن يكون^(١). وعلل ذلك بضعف الدلالة عليه.

كمارد على ابن خروف باعترافه بأن الموضع لا يصلح للفعل لتقدير الاسم عليه حتى لا يحمل الفعل على الاسم وهذا ما دعا ابن خروف إلى القول بأن المصدر يظهر حين التقدير^(٢).

وبناء على ما ذكر ابن مالك فإن ابن خروف متناقض في كلامه، ولم أستطع الوقوف على رأيه هذا فيما بين يدي من كتبه.

وما نسبه ابن مالك لابن خروف من موافقة سيبويه على تقدير المصدر لقوة الدلالة ومنع التقدير لضعفها، مع القول بأن العامل في الاسم في مثال سيبويه هو الفعل لا المصدر هو ما ذهب إليه الشلوبيين^(٣) في تفسير نص سيبويه، لكن أبا حيyan^(٤) نسب إلى الشلوبيين نقلًا عن ابن الطائعي (ت ٦٨٠هـ) أنه ذهب إلى ذلك أولاً، ثم خالف وقال: هو تفسير معنى لا تفسير إعراب، وتقدير الإعراب: مالك تلبس وزيداً.

أما ما نقله ابن مالك عن السيرافي فليس دقيقاً كما وقفت عليه في نص السيرافي، لأن السيرافي حينما ذهب إلى أن كلام سيبويه محمول على المعنى لم ينص على أن المقدر الفعل (البس) أو أن مكان التقدير بعد الواو، وإنما ذكر أن نصب (زيداً) في نحو: ما لك وزيداً وما شانك وزيداً، محمول على نصب الاسم في نحو: ما صنعت وزيداً، فـ(مالك) (وـما شانك) بمنزلة: (ما تصنع)، ولذلك نصباً الاسم حملاً على المعنى. قال السيرافي: "فحمل الكلام على المعنى، فجعل (ما شانك) (مالك) بمنزلة (ما تصنع)، فصار كأنك قلت: ما صنعت وزيداً". ثم بعد هذا قال: "وقد مثل سيبويه: ما شانك وملابسة زيداً وملابستك زيداً، ولا يخرج ذلك عن معنى: ما صنعت وزيداً"^(٥).

وقد وافق ابن مالك في أن العامل في تقدير سيبويه المصدر، بعض النحوين كاللورقي^(٦) (ت ٦٦١هـ)، والرضي^(٧)، وابن عقيل^(٨).

(١) انظر: الكتاب ٢٣٥/٢.

(٢) انظر: شرح التسهيل ٢٥٧/٢.

(٣) انظر: شرح المقدمة الجزوئية الكبير ٢٠٧٧-١٠٧٩.

(٤) انظر: التذليل ١٢١/٨، والارتشاف ١٤٨٨/٢.

(٥) شرح ٢٥٧/٢٥٨.

(٦) انظر: المباحث الكمالية: ٢٩٤.

(٧) انظر: شرح الرضي ق ١٢٧/٢-٦٢٨.

(٨) انظر: المساعد ٥٤٢/١.

في حين أن نحوين آخرين كابن طاهر (ت ٨٥٥هـ) فيما نسب إليه^(١)، وأبي حيyan^(٢)، وناظر الجيش^(٣). وافقوا ما نسبه ابن مالك للسيرافي وابن خروف من أن مراد سيبويه التفسير المعنوي. وزاد بعضهم كأبي حيyan وناظر الجيش على ذلك بأن اختيار أن يكون العامل (كان) المقدرة ذاكرين أن هذا هو الأولى لرأي سيبويه، لأن سيبويه عبر بالفعل في ترجمة الباب حينما قال: “هذا باب منه يضمرون فيه الفعل”^(٤)، وأن التقدير بال المصدر أو الفعل يخرج المسألة من باب المفعول معه إلى المفعول به، لأن الاسم المنصوب بعد الواو يكون مفعولاً به للفعل أو المصدر المقدرين وليس مفعولاً معه. كما أن تقدير الفعل أولى من تقدير المصدر، لأن تقدير المصدر ليس مغنياً عن تقدير الفعل، لأن المصدر لا بد له من عامل^(٥).

والذي يظهر لي^(٦) أن سيبويه –كما تancock به نصوصه التي سأوردها خلال حديثي هذا– يريد أن يعامل نحو: مالك وزيداً وما شأنك وعمرًا، معاملة: كيف أنت وعبدالله وما أنت وعبدالله ونحوهما. وقد تحدث عن ذلك قبل الحديث عن المثالين المعنون للمسألة بهما، وقد ذكر أن في ذلك لغتين: الأولى لغة الأثريين، وهي أن يكون (عبدالله) مرفوعاً على أنه معطوف على المرفوع قبله، فكأنك قلت: كيف أنت وكيف عبد الله، مع دلالة الواو على معنى المعية، كما ذكر أن الاسم لم ينصب لعدم تقدم فعل يكون عاماً للمنصوب. قال: “هذا باب معنى الواو فيه كمعناها في الباب الأول إلا أنها تعطف الاسم هنا على ما لا يكون ما بعده إلا رفعاً على كل حال... وكذلك كيف أنت وعبد الله، وأنت تريده أن تسأله عن شأنهما، لأنك إنما تعطف بالواو إذا أردت معنى (مع) على (كيف)، (كيف) بمنزلة الابتداء، كأنك قلت: وكيف عبد الله، فعملت كما عمل الابتداء، لأنها ليست بفعل، ولأن ما بعدها لا يكون إلا رفعاً”^(٧). وهذا لا يحتاج إلى تأويل في رفعه والممية مفهومة من معنى الواو. والثانية: اللغة القليلة، وهي التي يكون فيها (عبدالله) في المثال

(١) انظر: الارتشاف ٢/٨٨٤، والمساعد ١/٤٤٢.

(٢) انظر: التذليل ٨/١٢١-١٢٢، والارتشاف ٣/٨٨٤.

(٣) انظر: تمهيد القواعد ٤/٦٩٠-٢٠٧٠.

(٤) الكتاب ١/٢٠٧.

(٥) هذا إذا كان أعرّب المصدر المقدر مفعولاً معه، أما إذا كان معطوفاً على ما قبله والاسم بعده مفعوله فلا.

(٦) أشار إلى قريب مما ظهر لي ابن أبي الريبع في الملخص: ٣٧٨.

(٧) الكتاب ١/٢٩٩.

السابق منصوباً. وهذا ما يحتاج إلى تأويل عامل النصب فيه، وقد جعله سيبويه (كان) المقدرة. حين قال: ”وزعموا أن ناسا يقولون: كيف أنت وزيدا، وما أنت وزيدا، وهو قليل في الكلام العربي، ولم يحملوا الكلام على (ما) ولا (كيف)، ولكنهم حملوه على الفعل... كأنه قال: كيف تكون أنت وقصعةً من ثريد، وما كنت وزيدا“^(١). ونظرًا لأن (زيدا) (واعمرا) في نحو: مالك وزيدا، وما شأنك وعمرنا، لا يجوز عطفهما على الاسم السابق للمانع الصناعي. وهو العطف على المجرور دون إعادة الجار، وللمانع المعنوي إذا عطفت (عمرها) على (شأن)، لأنك لو عطفته عليه لم يجز لعدم التباسه به، لأن الملتبس بالشأن هو المضمر المتصل به، فالالأصل أن يقول: ما شأنك وشأن عمرها، ولو قال ذلك لكان (الشأن) الثاني معطوفاً مرفوعاً على لغة أكثر العرب مع بقاء الواو دالة على المعية، لعدم تقديم فعل يعدل النصب كما سبق - نظرًا لذلك وجه سيبويه النصب في المثالين السابقيين مرة بناء على لغة الأكثرين التي في نحو: كيف أنت وزيد، برفع (زيد)، فقدر في نحو: ما شأنك وعمرها، معطوفاً على (شأن) مرفوعاً يكون في نفس الوقت عاملًا للنصب في (عمرها)، وعلى هذا يكون (عمرها) مفعولاً به لا مفعولاً معه عند سيبويه والمعية باقية مفهومه من الواو كما كانت في نحو: أنت وشأنك، التي لا يجوز فيها النصب على المعية عند سيبويه^(٢) بل الرفع عطفاً على الاسم المرفوع قبله، مع بقاء دالة الواو على المعية. قال بعد أن ذكر مانع عطف الأسمين في المثالين السابقيين على ما قبلهما: ”فلما كان ذلك قبيحاً حملوه على الفعل، فقالوا: ما شأنك وزيدا، أي: ما شأنك وتناولك زيدا“. ثم قال: ”فإذا أضفت فكأنك قلت: ما شأنك وملابسّة زيدا، أو وملابسّتك زيدا، فكان أن يكون (زيدا) على فعل، وتكون (الملابسّة) على (الشأن)^(٣). فقوله: ”يكون (زيدا) على فعل“ يعني معمولاً للمصدر الذي عبر عنه بالفعل^(٤)، وهذا يفسر النصب، وقوله: ”وتكون (الملابسّة) على (الشأن)“ يعني أن تكون الملابسة المقدرة معطوفة على الشأن، وعلى هذا يكون العطف عطف اسم على اسم له به علاقة، فلو قال: ما شأنك وما ملابستك زيداً صح المعنى، كما كان (زيدا) في نحو: ما أنت وزيد، معطوفاً على الاسم الذي قبله.

(١) السابق .٢٠٢/١.

(٢) السابق .٢٠٥/١.

(٣) السابق .٣٠٧/١.

(٤) سيبويه أحياناً يعبر عن المصدر بالفعل. انظر: المفصل: ٥٥، وشرحه لابن يعيش/١١٠، والنجم الثاقب: ٣٧٣.

وعليه يصح أن تقول: ما أنت وما زيد، بخلاف ما لو قلت: ما شأنك وما عمرو، فلا يصح لأن عمرًا لا التباس له بالشأن.

ثم وجهه مرة أخرى بناء على اللغة القليلة وهي النصب في نحو: ما أنت وزيدا، إذ وجده سيبويه بالتقدير نفسه الذي وجده بهذه اللغة، وهو تقدير (كان)، فكما كان التقدير في نحو: كيف أنت وزيدا، هو: كيف تكون وزيدا، كذلك التقدير في نحو: ما شأنك وعمرا، هو: ما كان شأنك وعمرا، ليكون الفعل (كان) هو عامل النصب، وأنت لو قلت: ما شأنك وشأن عمرو، بنصب (شأن) الثانية لكان على اللغة القليلة، وبالتقدير نفسه، ولو رفعته لكان على اللغة الكثيرة، والدليل على ذلك من كلام سيبويه أنه قال: "من قال: ما أنت وزيدا، قال: ما شأن عبد الله وزيدا، وأنه قال: ما كان شأن عبد الله وزيدا، وحمله على (كان)، لأن (كان) تقع ه هنا، والرفع أجود وأكثر في (ما أنت وزيدا)، والجر في قوله: ما شأن عبد الله وزيد أحسن وأجود"^(١). فلم يقدر سيبويه الملابسة هنا لأن العطف هنا جائز على الاسم السابق وهو اللغة الكثيرة، فلم يحتاج إلى الملابسة لتقييم العطف، أما النصب فهو على اللغة القليلة، ولذلك احتاج إلى تقدير (كان)، وكذلك الأمر في نحو: مالك وزيدا، فعل التوجيه في اللغة الكثيرة أن يكون التقدير: مالك وملابستك زيدا، بعطف الملابسة على الخبر المقدم، وعلى اللغة القليلة يكون التقدير: ما كان لك وزيدا، قال: سيبويه: "من نصب في (ما أنت وزيدا) - أيضًا - قال: مال زيد وأخاه... كأنه قال: ما كان شأن زيد وأخاه"^(٢).

وبناء على ما سبق فسيبويه لم يقدر العامل بعد الواو مصدرًا ويكون الاسم المنصوب مفعولاً معه، بل يكون مفعولاً به مع بقاء الواو على معنى المعية، ولم يرد أن يكون المصدر مفعولاً معه، لأن هذا يحتاج إلى تقدير عامل - أيضًا - في المفعول معه، وسيكون (كان) المقدرة كما يقدر سيبويه دائمًا في مثل هذا، فيجتمع تقديران، كما لم يرد سيبويه تقدير فعل بعد الواو، لأن هذا يخالف توجيهه على اللغة الكثيرة مع تخالف المعطوف والمعطوف عليه، ولهذا فإن من قال من النحوين^(٣) معتبرًا: إن تقدير المصدر

(١) السابق.

(٢) السابق / ٣٠٦ - ٣١٠.

(٣) انظر: التنزيل ٨/١٢٢، وتمهيد القواعد ٤/٧٠٢.

يخرج نحوهذا من باب المفعول معه الأمر الذي لا يريده سيبويه = لم يفهم مقصود سيبويه الفهم الصحيح.

وعلى هذا فالنحويون الذين تعرضوا الكلام سيبويه في هذه المسألة لم يوضحوا – فيما يظهر لي – مقصود سيبويه كما يجب، فلم يتطرقوا إلى توجيه سيبويه بناء على اللغة الكثيرة والقليلة. وأقربهم إلى مراد سيبويه ابن مالك؛ لأن جزء أن سيبويه يقصد بتقدير المصدر أنه هو العامل، ولأن مفهوم كلامه^(١) أن الاسم المنصوب مفعول به؛ لأنه نص على أن المنصوب مفعولاً معه إذا كان المضمر (كان)، لكنه لم ينص على أن هذا التقدير يخرج الاسم من كونه مفعولاً معه صناعياً، الأمر الذي يقصد سيبويه، بل تحدث عنه في باب المفعول معه ضمن ما يجب النصب فيه عند الأكثر، كما أن قوله: ”ولسيبوه في هذين المثالين وشبههما مذهبان: أحدهما أن يقدر (كان) بعد (ما) فيكون المنصوب مفعولاً معه، والثاني أن يقدر بعد الواو مصدر (الابس) منوياً أو مضافاً إلى مخاطب“^(٢) يدل على أن التقديرتين مستويان عند سيبويه، في حين أنه فرق بينهما – كما سبق – على حسب اللغتين الكثيرة والقليلة.

وأما قول السيرافي: إن (مالك وزيداً) وأما شأنك وعمراً عند سيبويه بمنزلة (ما تصنع وزيداً أو وعمراً)، فليس ذلك عند سيبويه على الإطلاق، بل على اللغة القليلة.

وأما ما نقله ابن مالك عن ابن خروف، فيكتفي رد ابن مالك عليه.

وأما تأييد أبي حيان كون تقدير المصدر عند سيبويه تقديرًا معنوياً لا تقديرًا إعراب لأن سيبويه عبر بالفعل في ترجمة الباب، فيرده أن سيبويه – كما سبق – يعبر بالفعل وهو يقصد المصدر.

وأما تضعيف بعض النحويين – كما سبق – تقدير المصدر بأنه يخرج الاسم من النصب على المفعول معه، فليس دليلاً على نفي هذا التقدير عن سيبويه، لأنه أراد أن يكون مفعولاً به للمصدر المقدر المعطوف على ما قبله مع بقاء الواو دالة على المعية، فهو وإن خرج صناعياً لم يخرج معنوياً، مثله مثل: أنت وشأنك، وكيف أنت وزيداً!^(٣)

(١) ومن ذهب إلى أن هذا مفهوم كلامه – أيضاً – ناظر الجيش في تمهيد القواعد ٤/٦٩٢.

(٢) شرح التسهيل ٢/٥٥٢.

(٣) انظر: الكتاب ١/٢٩٩.

هذا مفهوم سيبويه كما ظهر لي من نصوصه، مع أن الأسهل –عندى– أن يكون تأويل العامل في الاسم المنصوب في نحو: مالك وزيدا، وما شأنك وعمرًا هو (كان) المحذوفة كما قدر سيبويه بناء على اللغة القليلة، لأن الاسم ههنا منصوب على اللغتين، ولا يجوز رفعه أو جره، فكون التأويل موحداً أولى، كما أن التأويل بذلك لا ينقض المعنى كما يرى سيبويه^(١).

٩- حكم نصب (زيد) في نحو: ما شأن عبد الله وزيدا.

ذكرت في المسألة السابقة أن إيجاب النصب في الاسم في نحو: مالك وزيدا وما شأنك وزيدا، كان بسبب المانعين: الصناعي والمعنوي للذين أديا إلى عدم جواز العطف، وعلى هذا فإذا زال المانع كما في نحو: ما للعبد الله وزيد وما شأن عبد الله وزيد، أمكن العطف وكان هو الأرجح، لأن النصب يحتاج إلى فعل ولا فعل في الجملتين، ولكنه غير ممتنع لجواز حمله على تقدير (كان) كما قدرها سيبويه في نحو: ما أنت وزيدا وكيف أنت وزيدا.

وكون العطف هو الأرجح هو ما نص عليه سيبويه حين قال: "إذا ظهر الاسم فقال: ما شأن عبد الله وأخيه يشتمه، فليس إلا الجر، لأنه قد حسن أن تحمل الكلام على عبد الله"، وحين قال بعد ذلك: "من قال: ما أنت وزيدا، قال: ما شأن عبد الله وزيدا، فإنه قال: ما كان شأن عبد الله وزيدا... والرفع أجود وأكثر في (ما أنت وزيدا)، والجر في قوله: ما شأن عبد الله وزيد أحسن وأجود"^(٢).

وقد اعترض ابن مالك بعض المتأخرین –كما عبر– لأنه حكم بمنع النصب اعتمادا على قول سيبويه في نصه الأول: "فليس إلا الجر". قال ابن مالك: "وقد حكم بعض المتأخرین بمنع النصب أخذًا بظاهر قوله الأول. ولو قرأ ما بعده من كلام سيبويه لم يقع فيما وقع"^(٣).

والحقيقة أن ما ذهب إليه بعض المتأخرین هذا هو ظاهر الوهم. ولم أقف على أحد من المتأخرین سبق ابن مالك منع ذلك توهما من نص سيبويه هذا، بل قد وجدت ابن

(١) انظر: الكتاب ٢٠٣/١.

(٢) الكتاب ٢٠٤/١.

(٣) شرح التسهيل ٢٥٨/٢.

الحاجب يمنع النصب في ذلك في شرح المقدمة الكافية^(١) دون الإشارة إلى سيبويه أونصه، ولكنه في الإيضاح^(٢) أجازه، وقد أشار ابن فلاح اليمني^(٣) (٦٨٠ هـ) إلى أن هذا رأيه الأخير، وهذا ما لم يشر إليه السيوطي^(٤) (٩٤١ هـ) حين قال: "ومنه بعض المتأخرین کابن الحاجب"^(٥). وقد تابع ابن الحاجب في رأيه الأول دون الإشارة -أيضاً- إلى سيبويه أونصه العلوي^(٦) (٧٤٩ هـ).

١٠- ناصب المستثنى بـ(إلا).

اختار ابن مالك أن يكون العامل في المستثنى المنصوب هو (إلا)، وذكر أنه موافق في ذلك لسيبوبيه الذي خفي كون هذا المذهب مذهبـه -كما عبرـ على جمهور شراح الكتاب. قال ابن مالك: "واخترت نصبه بها نفسها، وزعمت أنـي موافق بذلك لسيبوبيه... وقد خفي كون هذا مذهب سيبويه على جمهور الشراح لكتابـه، وأنا أستعين الله على بيان ما خفي عليهم من ذلك بنصوص يعـضـدـ بـعـضـهاـ بـعـضـاـ"^(٧). ثم أورد ابن مالك عـدةـ نصـوصـ لـسيـبـوـيـهـ يـسـتـدـلـ بـهـاـ عـلـىـ ماـ ذـكـرـهـ،ـ وـنـصـوصـ سـيـبـوـيـهـ هـيـ:

أولاً: قوله: "اعلم أن (إلا) يكون الاسم بعدها على وجهين: فأحد الوجهين لا تغير الاسم عن الحال التي كان عليها قبل أن تلحق، كما أن (إلا) حين قلت: لا مرحبا ولا سلام، لم تغير الاسم عن حاله قبل أن تلحق، فكذلك (إلا)، ولكنها تجيء كما تجيء (إلا) لمعنى، والوجه الآخر أن يكون الاسم بعدها خارجاً مما دخل فيه ما قبله، عملاً فيه ما قبله من الكلام، كما تعلم عشرون فيما بعدها إذا قلت: عشرون درهما"^(٨).

ووجه الاستدلال بهذا النص عند ابن مالك^(٩) أن سيبويه جعل (إلا) نظيرة (إلا) المحمولة على (إن) في أن ما تدخل عليه تارة تصادفه مشغولاً بعامل غيرها فتؤثر في

(١) انظر: ٤٩٩/٢.

(٢) انظر: ٣٢٤/١.

(٣) انظر: شرحـهـ عـلـىـ الـكـافـيـةـ ٦٢٢ـ.

(٤) هـمـعـ الـهـوـامـعـ ٢٤٢/٢.

(٥) انظر: الأزهار الصافية/١، ٣٨٣، والحاصر: ٣٥٥.

(٦) شـرـحـ التـسـهـيلـ ٢٧١/٢.

(٧) الـكـاتـبـ ٣١٠/٢.

(٨) انظر: شـرـحـ التـسـهـيلـ ٢٧١/٢، ٢٧٢-٢٧١.

معناه دون لفظه. وتارة تصادفه غير مشغول بعامل غيرها فتؤثر في لفظه ومعناه. كما أن سيبويه صرخ بأن العامل في (إزيد) في نحو: قاموا إلا زيدا، ما قبله من الكلام. وعلى هذا فهو إما أن يريد بـ(ما قبله من الكلام) (إلا) وحدها أو الفعل وحده أو كليهما، ودخول (من) مانع من أن تزيد كليهما، لأنها للتبعيض لا لبيان الجنس، لأن التي لبيان الجنس لا تدخل بعد (ما) إلا على نكرة.

ثانياً: قول سيبويه: "هذا باب النصب فيما يكون مستثنى مبدلا. حدثنا بذلك يونس وعيسي جميعاً أن بعض العرب المؤثوق بعربيته يقول: ما مررت بأحد إلا زيدا، وما أتاني أحد إلا زيدا. وعلى هذا: ما رأيت أحدا إلا زيدا، فينصب (إزيدا) على غير (رأيت)، وذلك أنك لم تجعل الآخر بدلاً من الأول، ولكنك جعلته منقطعاماً عمل في الأول. والدليل على ذلك أنه يجيء على معنى: ولكن زيدا، ولا يعني زيدا. وعمل فيه ما قبله كما عمل العشرون في الدرهم إذا قلت: عشرون درهما"!^(١)

وقد وصف ابن مالك^(٢) هذا النص بأنه أظهر من الأول في الدلالة، ووجه الاستدلال به عنده أن سيبويه صرخ بأن النصب في المثال المذكور على لغة من لا يبدل إنما هو بغير (رأيت). فيتعين نصبه بـ(إلا). ثم زاد هذا التصرير تأكيداً بقوله: "ولكنك جعلته منقطعاماً عمل فيه الأول".

ثالثاً: قول سيبويه بعد أن مثل بـ(أتاني القوم إلا أباك): "وانتصب الأب إذ لم يكن داخلاً فيما دخل فيه ما قبله ولم يكن صفة. وكان العامل فيه ما قبله من الكلام"^(٣). وجده الاستدلال من هذا النص عند ابن مالك^(٤) أن سيبويه جعل علة نصب (الأب) عدم دخوله فيما دخل فيه ما قبله، والذي دخل فيه ما قبله إسناد المعنى إلى المعنى وتأثير اللفظ باللفظ. فلزم من ذلك ألا يكون لفظ (الأب) منصوباً بل لفظ (آتي) كما لم يكن لمعناه حظ في معناه. وإذا لم يكن النصب بذلك تعين أن يكون بـ(إلا). ثم وصف ابن مالك من نسب إلى سيبويه خلاف هذا بأنه تقول أو غلط فيما تأول^(٥).

(١) الكتاب/٢٢٩.

(٢) انظر: شرح التسهيل/٢٢٧٢-٢٧٣.

(٣) الكتاب/٢٣١.

(٤) انظر: شرح التسهيل/٢٧٣.

(٥) السابق.

وأما شراح الكتاب فقد اختلفوا في فهم مراد سيبويه من نصوصه في العامل في المستثنى: فالسيرافي يرى أن سيبويه يرى أن العامل في المستثنى الفعل، لأنه بعد أن ذكر أن هناك خلافاً في ناصب المستثنى وقال: ”فأما الذي قاله سيبويه“ ونقل نصوص سيبويه التي استدل بها ابن مالك = قال: ”وقد كشف سيبويه ذلك بأبين مما تقدم، وهو قوله في باب (غير)^(١): (ولو جاز أن تقول: أتاك القوم زيدا، تريد الاستثناء ولا تذكر (إلا) لما كان إلا نصبا)^(٢). ولأنه بعد ذلك ذكر أن الفراء (٢٠٧هـ) نقل عن البصريين أنهما قالوا: نصبنا المستثنى بإضمار فعل معناه: لا أعني زيدا، ثم قال: ”وأظنه أراد ما قاله سيبويه“^(٣). ثم رد عليه قائلاً: ”هذا تفسير لمعنى الاستثناء وليس بتحقيق للناصب فيه“^(٤). ثم جلّ السيرافي عن رأيه في ذلك حين قال: ”وأما قول سيبويه عقيب قوله: (وعلى هذا ما رأيت أحدا إلا زيدا): (فتتنصب زيدا على غير رأيت) فإنما يريد: فتنصب (زيدا) على غير البدل ولكن على الاستثناء...والعامل للنصب في الوجهين هو (رأيت)“^(٥).

فهذا يدل على أن السيرافي يرى أن العامل في النصب في المستثنى هو الفعل، ولذلك قال عنه: ”والذي يوجبه القياس والنظر الصحيح أن تتنصب (زيدا) بالفعل الذي قبل (إلا)“^(٦). ثم زاد ذلك توضيحاً بأن بين وجه النصب به وهو كونه بواسطة (إلا)، لأن الفعل ينصب كل ما يتعلق به بعد ارتفاع الفاعل به على اختلاف وجوه المنصوبات، فمنها ما ينصب بالفعل مباشرة كالمحفول به، ومنها ما ينصب بواسطة كالمحفول معه والمستثنى بـ(إلا). ولعل هذا هو سبب عزو كثير من النحوين^(٧) إليه وإلى سيبويه القول بأنه منصب بواسطة (إلا).

(١) الكتاب ٢/٢٤٣.

(٢) شرحه ٣/٧٠١.

(٣) يقصد النص الثاني من نصوص سيبويه التي أوردتها سابقاً.

(٤) السابق ٢/٨٠١.

(٥) السابق.

(٦) السابق ٢/٧٠١.

(٧) انظر: سر الصناعة ١/١٢٩، والمرجل: ١٨٦، وشرح المقدمة المحاسبة ٢/٣٢٢، وتوجيهه اللمع: ٢١٥، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/٢٥٨، وشرح التسهيل ٢/٢٧٧، والمساعد ١/٥٥٦.

وعلى هذا فليس صحيحاً ما توصل إليه أحد الباحثين^(١) من أن كلام السيرافي يدل على أنه يرى أن سيبويه يرى أن الناصب للمستثنى (إلا)، ذاكراً أنه سبق ابن مالك إلى فهم نص سيبويه كذلك، ولكن ابن مالك لم يشر إليه.
وإلى مثل ما ذهب السيرافي ذهب الرمانى^(٢).

وأما أبو علي الفارسي فلم يذكر شيئاً عن هذا في التعليقة، ولكنه نسب لسيبويه في البغداديات^(٣) أنه يرى أنه منصوب عن تمام الكلام، وهو ما نسبه المرادي^(٤) لأحد المتأخرین. وأما في الإغفال^(٥) فقد نسب له أنه يرى أن المستثنى منصوب بالجملة قبل (إلا) بواسطة (إلا). مع أنه واضح من كلامه فيه أن المقصود بالجملة الفعل. في حين أنه في المسائل المنثورة^(٦) والإيضاح^(٧) نص على أن العامل في المستثنى الفعل بواسطة (إلا)، وإذا لم يكن في الجملة فعل نحو: القوم إخوتكم إلا زيداً، فيكون النصب على تقدير معنى الفعل.

وأما ابن خروف فقد نسب إليه ابن مالك أنه يرى أن الناصب للمستثنى ما قبل (إلا) على سبيل الاستقلال لا على سبيل الواسطة. مع أنه قال في شرح جمل الزجاجي: "والعامل في الاسم المنصوب في الصحيح من الأقوال - وهو قول سيبويه - الفعل الأول، أو الابتداء يتوسطه (إلا)"^(٨). ولم تستطع الوقوف على نص ابن خروف في شرح الكتاب، لأنه في الجزء المفقود منه.

والذي يظهر لي أنه ليس في نصوص سيبويه السابقة نص أو دليل على أنه يرى أن ناصب المستثنى هو (إلا) أو الفعل، بل غاية ما يفهم من نصوصه هو أن الناصب للمستثنى ما قبل (إلا) من الكلام. وقد ألمح سيبويه إلى أنه الفعل حين قال: "ولو جاز أن تقول: أتاني القوم زيداً. تزيد الاستثناء ولا تذكرة (إلا) لما كان إلا نصاً"^(٩). وهو ما قال عنه السيرافي ملمحاً إلى أنه فهم منه ذلك: "وقد كشف سيبويه ذلك بأبين مما تقدم. وهو قوله" ^(١٠). ثم ذكر نص سيبويه السابق.

(١) انظر: اختلاف الشرح في تفسير كلام سيبويه: ٤٩٦-٤٩٣، ٤٩٧.

(٢) انظر: شرحه: ٤٢٧ رسالة د. العريفي.

(٣) انظر: ٤٩٣-٤٩٢.

(٤) انظر: الجنى الداني: ٥١٧.

(٥) انظر: ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤١، ٣٣٩، ٣٢٧/١.

(٦) انظر: ٥٩-٥٨.

(٧) انظر: ٢٢٥.

(٨) انظر: ٩٥٨/٢.

(٩) الكتاب: ٣٤٣/٢.

(١٠) شرحه: ١١٠٧/٣.

وأما النصوص التي استدل بها ابن مالك فكلها فيها نظر، وقد تبعها أبو حيyan^(١) وفندتها نصانصاً. فأما ما ذكره من تشبيه سيبويه (إلا) في الاستثناء المفرغ بـ(لا) الداخلية على (مرحباً وسلاماً)، وأن ذلك يدل على أنها تشبه (لا) في أنها إن صادفت المعمول مشغولاً بعامل أثرت في معناه فقط، ولا أثرت في لفظه ومعناه فهو تحويل للنص بأكثر مما يحتمل لأن غاية ما ذكره هو تشبيه (إلا) في هذه الحالة التي يعمل فيها ما قبلها بما بعدها فكانها لم تذكر. بـ(لا) في قوله: لا مرحباً، في أنها غير مؤثرة في العمل؛ لأن (مرحباً) مشغول بعامل مضرم ناصب له، فكانها لم تذكر أيضاً.

وأما قوله بأن قول سيبويه: (ما قبله من الكلام) لا يخلو إما أن يريد به (إلا) وحدها أو الفعل وحده أو كليهما فهو ليس تقسيماً حاسراً، لأنه بقي أن يريد به الجملة بأسرها، وهو مدعى الجماعة في أنه مذهب سيبويه كما ذكر أبو حيyan^(٢).

وأما ما ذكره من أن (من) للتبييض لا لبيان الجنس لأن التي لبيان الجنس لا تدخل بعد (ما) إلا على نكرة، فليس ب الصحيح: لورود الشواهد الكثيرة على ذلك.

وأما استدلاله بقول سيبويه: ”فنصب (زيداً) على غير (رأيت)“، وأنه تصريح بأن العامل غير الفعل فتعين كونه (إلا)، وليس بمعني، لأن لا يُدعَّى أن سيبويه يرى أنه إذا انتصب انتصب بالفعل الناصب لـ(أحد) في قوله: ما رأيت أحداً إلا زيداً، وإنما يمكن أن يكون رأيه أنه منصوب بالجملة نفسها لا بجزئها الذي هو الفعل، نعم يمكن أن يكون هذا ردًا على السيرافي الذي ذهب إلى ذلك، مع أن له توجيهًا لا يخلو من التكلف في كون العامل الفعل في حالة النصب والإبدال^(٣).

وأما استدلاله بأن قول سيبويه: ”ولكنك جعلته منقطعًا مما عمل في الأول“ هو تصريح بأن العامل غير الفعل وتعين كونه (إلا)، وليس بمعني – أيضًا – لأن غاية ما فيه أنه يريد أنه لم يسلط عليه الفعل فينصبه كما نصب (أحداً)، ولكن العامل فيه ما قبله من الكلام كما يذكر سيبويه دائمًا.

وأما استدلاله بأن في قول سيبويه: ”وانتصب الأب إذ لم يكن داخلاً فيما دخل فيه ما قبله ولم يكن صفة“ جعلًا لكون علة النصب هي عدم دخول المستثنى فيما دخل فيه ما

(١) انظر: التذليل ٨/١٩٠-١٩٦.

(٢) انظر: المصدر السابق ٨/١٩٢.

(٣) انظر: شرح السيرافي ٣/٢٠٨.

قبله، والذي دخل فيه ما قبله إسناد المعنى إلى المعنى وتأثر اللفظ باللفظ، فيلزم من ذلك ألا يكون لفظ الأب منصوباً بلفظ (أبي) كمالاً م يكن لمعنى حظ في معناه، وإذا لم يكن ذلك تعين نصبه بـ(إلا) = فليس بلازم، لأنه ظاهر التكليف وتحميم النص أكثر مما يحتمل، وأنه يمكن أن يكون سببويه إنما نفي أن يكون داخلاً في الإتيان الذي دخل فيه القوم، ولم يكن صفة فيتبع ما قبله في الرفع، بل بقي فضلة من الفضلات، عمل فيه ما قبله من الكلام، فليس العامل فيه الفعل، ولا يتبعه إلا في قوله: "ما قبله من الكلام" أن يكون العامل (إلا)، ثم إن التزام سببويه وتكراره لعبارة أن العامل فيه ما قبله من الكلام^(١) يبعد أن يكون العامل (إلا).

وبناء على ما سبق يظهر تكليف ابن مالك في هذه المسألة ومحاولته توجيه نصوص سببويه حسب ما فهمه هو لا حسب ما يمكن أن تفهم هي.

١١- العامل في (بسراً) و(ارطباً) في نحو: هذا بسراً أطيب منه رطباً.

لسببويه نص ورد فيه هذا المثال، وهو قوله: "هذا باب ما ينتصب من الأسماء والصفات لأنها أحوال تقع فيها الأمور. وذلك قوله: هذا بسراً أطيب منه رطباً. فإن شئت جعلته حيناً قد مضى، وإن شئت جعلته حيناً مستقبلاً. وإنما قال الناس هذا منصوب على إضمار (إذا كان) فيما يستقبل، وإنما مضى لأن هذا لما كان ذا معناه أشبه عندهم أن ينتصب على (إذا كان)، ولو كان على إضمار (كان) لقللت: هذا التمر أطيب منه البسر، لأن (كان) قد ينصب المعرفة كما ينصب التكارة، فليس هو على (كان) ولكنه حال"^(٢). وقد فهم السيرافي^(٣) نص سببويه هذا على ظاهره ورأى أن العامل في (بسراً) و(ارطباً) هي (كان) التامة المقدرة والمقدر قبلها (إذا) في المستقبل (إذا) في الماضي، ولم يتعرض السيرافي لمتعلق الطرفين المقدرين.

فاعترضه ابن مالك^(٤) مورداً بعض نص سببويه السابق، ومبيناً أن العامل في الحالين هو (أفعل) التفضيل (أطيب). وراداً كلامه بأن فيه تكليف إضمار ستة أشياء وهي (إذا) أو (إذا)، و(كان)، وفاعلاً لها مرتين، وبأنه لو سلم بالإضمار للزم إعمال (أفعل) التفضيل في

(١) انظر: الكتاب ٢٠٢ / ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩.

(٢) الكتاب ١ / ٤٠٠.

(٣) انظر: شرحه ٢٩٧ / ١٢٩.

(٤) انظر: شرح التسهيل ٢٤٤ / ٣٤٥.

الطرفين: (إذا) وإنما) في الواقع بما فر منه، وبأنه خلاف كلام سيبويه لأن قول سيبويه: "إنما قال الناس..." إلخ النص - كما ذكر ابن مالك - نص على أن تقدير (إذا كان) لم تدع إليه حاجة من قبل العمل بل من قبل تقرير المعنى.

ثُمَّ قال ابن مالك بعد ذلك: "إنما ذكرت نص سيبويه لثلا يظن من لا يعرف كلامه أن مذهبة مخالف لما ذهبت إليه. وغير السيرافي من الشارحين لكتاب سيبويه مخالفون للسيرافي وذاهبون إلى ما ذهبت إليه".^(١)

والذي وقفت عليه من شراح الكتاب قد تعرض لهذا النص غير السيرافي هم: الفارسي والأعلم وابن خروف كما نقل عنه الشاطبي.
أما الأعلم^(٢) فكلامه تلخيص لكلام السيرافي.

وأما الفارسي فلم يتعرض لهذا النص في التعليقة، ولكنه تعرض له في الحلبيات، إذ ذكر هذا النص وذكر أنه مشكل، ثُمَّ استعمل في توضيحه أسلوب السبر والتقسيم، فذكر أن (بسرا) لا يخلو عامله من أن يكون اسم الإشارة (هذا) أو أفعى التفضيل (أطيب) أو المضمر الذي أشار إليه سيبويه، ولا يجوز أن يكون العامل (أطيب) للتقدم (بسرا) عليه، وإذا لم يجز أن يكون (أطيب) لم يبق إلا أن يكون العامل (هذا) أو المضمر، وإذا أعملت المضمر لزム لهذا المضمر عامل ولا بد أن يكون (هذا)، فإذا كان كذلك ولم يكن بد من إعمال عامل في الطرف أعملت (هذا) في الحال واستغنىت عن المضمر، وعلى هذا يخلو النص من تكلف التقدير في العمل ويفقى هذا التقدير الذي قدره سيبويه تقدير معنى لا إعراب، وبهذا يكون قول سيبويه: "إنما قال الناس هذا على إضمار (إذا كان)... إيعازا إلى ذلك، وهذا ما أشار إليه الفارسي حينما قال: "فإذا أعملت (هذا) تأولت^(٣) ما ذكره من قوله: (إنما قال الناس...) على إرادتهم معنى هذا الكلام لا حقيقة لفظه، وجعلت (أطيب) خبر هذا المبتدأ وإن كان قد عمل في الحال كما تقول: ضرب زيد عمرا حسن"^(٤). وأما (رطبا) فيرى الفارسي أن العامل فيها (أطيب).

(١) المصدر السابق.

(٢) انظر: النكت ١١/٢.

(٣) في المطبوع: "تأولت": بالعطف، وأظن الصواب ما أثبت، لأنه بالعطف يبقى (إذا) بلا جواب.

(٤) الحلبيات: ١٧٨.

وبهذا فقد خلص الفارسي إلى أن العامل في (بسرا) في المثال الوارد في نص سيبويه هو اسم الإشارة (هذا)، وأن العامل في (رطبا) هو أفعل التفضيل (أطيب). لكنه قال بعد ذلك: «والذي يحمل عليه هذا الباب أن تنصب (بسرا) على هذا الظاهر الذي ذكره، كأنه قال: هذا إذا كان بسرا وإذا كان بسرا أطيب منه إذا كان رطبا. فيكون الطرفان جميعاً متعلقين بأطيب لأن (أفعل) فيه دالة على فعلين... ولا يجوز أن تعمل هذا المعنى في الحالين من حيث أعملته في الطرفين؛ لأن الحال لا تعمل فيها المعاني إذا تقدمت عليهم. وإن جاز أن تعمل في الظروف متقدمة»^(١). كما قال: «وهذا الوجه أسهل وأشبه بمحرى هذا الباب، ألا ترى أن سيبويه قد قال: (فهذا كلّه محمول على ما حملت عليه ما قبله)^(٢). والذي ذكر قبل أن ذلك على (إذ كان) وإذ (كان)^(٣). وهذا تصريح بكون العامل في الحالين (كان) المقدرة قبل كل حال. وبكون العامل في الطرفين المقدرين قبل (كان) في الموضعين هو أفعل التفضيل (أطيب). وبكون إعمال أفعل التفضيل في الحال المتقدم عليه غير جائز لأن الحال يختلف عن الطرف. فلا يعمل فيه متقدماً العامل الضعيف.

ولعل هذا ما جعل أحد النحويين يصف رأي أبي على الفارسي بالاضطراب^(٤). ولكننا يمكن أن نجمع بين هذين الرأيين بأن نقول: إن الفارسي يجيز في المثال الوارد في نص سيبويه أن يحمل على وجهين: الوجه الأول: أن يكون العامل في الحال الأولى اسم الإشارة. وفي الثانية أفعل التفضيل، ولا تقدير على هذا. وتعليق سيبويه للتقدير الذي نقله عن الناس -كما عبر- يمكن أن يستدل به على ذلك كما سبق، وهذا لا يكون إلا إذا تقدم في المثال اسم إشارة كما في مثال سيبويه. والوجه الثاني: أن يكون العامل في الحالين -كما سبق. أيضًا- (كان) المقدرة قبلهما، وفي الطرفين أفعل التفضيل، وهذا يتحتم إذا لم يتقدم في المثال اسم إشارة.

هذا ما وقفت عليه من كلام الفارسي. وقد نسب له بعض المتأخرین^(٥) ومنهم ابن مالک أنه يرى في التذكرة أن العامل في الحالين أفعل التفضيل. وهذا يخالف ما سبق من كلامه في البغداديات. ولعل مصدر هؤلاء النحويين هو ابن مالک الذي ربما التبس عليه الأمر، لأنه قال: «قال أبو علي في التذكرة: مررت برجل خير ما تكون خير منك. العامل في

(١) الحلبيات: ١٧٩-١٨٠.

(٢) الكتاب: ٤٠١/١.

(٣) الحلبيات: ١٨٢-١٨٣.

(٤) انظر: شرح اللمع للأصفهاني ٤٦٩/٢.

(٥) انظر: الارتشف ٣/١٥٨٨. والمساعد ٢/٣٠.

(خير ما تكون) (خير منك) لا (أمرت)، بدلالة: زيد خير ما تكون خير منك^(١). وقد وجدت هذا الكلام الذي نقله ابن مالك في الحلبيات، ولكن كان الفارسي يوجه فيها رأياً للمازني في هذا المثال، أما رأيه هو فيه فقد وضحه بعد ذلك بجلاء، وهو أن العامل في (خير) هو إذا كان^(٢) أو (إذا كان) كما نقل عن سيبويه^(٣).

وأما ابن خروف فقد ذكر الشاطبي^(٤) أن الرأي الذي جرى عليه ابن مالك بأدله هو رأيه، ولم يستطع الوقوف على هذا الرأي في كتب ابن خروف.
وبهذا يتضح أن الرأي الذي نقله ابن مالك عن الفارسي من أنه موافق لما ذهب إليه يخالفه ما وجدته في الحلبيات، كما أن الاستدلال الذي ذكره ابن مالك من أن تقدير (إذا أو إذ كان) أدى إلى احتجاج تقدير للطرفين فيكون وقوع فيما فر منه، هو مستفاد من الفارسي، لكن الفارسي استدل به على إعمال (هذا) وابن مالك استدل به على إعمال أ فعل التفضيل.

والذي يظهرلي أن سيبويه حينما علل القول بتقدير (إذا أو إذ كان) الذي نقله عن الناس كان يريد أن يبين أنه ليس المقصود بـ(كان) في تقديرهم (كان) الناقصة وإنما التامة، والدليل على هذا قوله بعد ذلك: ”ولو كان على إضمار (كان) لقلت: هذا التمر أطيب منه البسر، لأن (كان) قد ينصب المعرفة كما ينصب النكرة، فليس هو على (كان) ولكنne حال.“ فقوله: ”لأن (كان) قد ينصب المعرفة كما ينصب النكرة.“ يعني: لأن (كان) الناقصة تنصب المعرفة على أنها خبر (كان) كما تنصب النكرة كذلك، بدليل قوله: ”فليس هو على (كان) ولكنه حال.“ يعني: فليس هو على (كان) الناقصة. وبهذا يكون رأي السيرافي والفارسي في فهم نص سيبويه هو الصواب.

١٢- عمل اسم الفاعل الموصول بـ(أ).

يرى الرمانى أن اسم الفاعل الموصول بـ(أ) يعمل إذا كان بمعنى الماضى فقط، وفهم كلام سيبويه على هذا. قال: ”الذى يجوز فى اسم الفاعل إذا صار بمنزلة (الذى فعل) أن يعمل فعل الماضى كقولك: الضارب زيدا... وعلى هذا جعله سيبويه بمعنى (الذى فعل) حتى يكون مختصاً بالزمان الماضى“^(٤).

(١) شرح التسهيل ٢/٣٤٥.

(٢) انظر: الحلبيات: ١٨٠-١٨٣.

(٣) انظر: المقاصد الشافية ٣/٤٨١.

(٤) شرحها ١/٥٧.

واعتراضه ابن مالك في هذا الفهم موردا النصوص الحاملة له على هذا الفهم من كلام سيبويه الذي لم يتعرض فيه لكون الموصول بـ(أـلـ) بمعنى المضارع. قال ابن مالك: «قد ظن قوم منهم الرمانى أنه لا يعمل إلا في الماضي، وحملهم على ذلك أن سيبويه حين ذكر إعمال اسم الفاعل المقربون بالألف واللام لم يقدره إلا بـ(الـذـي فعلـ). فقال: (هـذا بـابـ من الاستفهام يـكونـ فـيـ الـاسـمـ رـفـعاـ... وـمـمـاـ لاـ يـكـونـ فـيـ إـلاـ الرـفـعـ قـوـلـهـ: أـعـبـدـ اللـهـ أـنـتـ الضـارـبـ؛ لـأـنـكـ إنـماـ تـرـيدـ معـنـىـ: أـنـتـ الذـيـ ضـرـبـهـ)»^(١). وقال بعد هذا الباب بأبواب يسيرة: (هـذا بـابـ صـارـ فـيـهـ الـفـاعـلـ بـمـنـزـلـةـ الـذـيـ فـعـلـ فـيـ الـمعـنـىـ)»^(٢). ثم قال بعد ذلك: (قولـكـ هـذـاـ الضـارـبـ زـيـداـ، فـطـارـ بـمـعـنـىـ الـذـيـ ضـرـبـ زـيـداـ وـعـمـلـ فـيـهـ)»^(٣). هذا نصه. ثم تمادى على مثل هذا في جميع الباب^(٤). ثم علل ابن مالك اقتصار سيبويه على تفسير اسم الفاعل الموصول بـ(أـلـ) بـ(الـذـيـ فعلـ) وعدم تعرضه للذى بمعنى المضارع بأن اسم الفاعل الذي في معنى الفعل الماضي لا ينصب الاسم بعده مع غير الألف واللام، بخلاف المستقبل والدال على الحال فإنه يعمل متجردا، وإذا "صح له العمل دون الألف واللام فعمله عند اقتراحه بهما على معنى الذي أحق وأولى"^(٥). كما استدل ابن مالك على عمله -إضافة إلى هذه العلة القياسية- بالسماع. قال: "ولو لم يكن إعمال الذي بمعنى المضارع مسموعا عند وصل الألف واللام به لوجب الحكم بجوازه للأولوية المشار إليها. فكيف وقد ثبت إعماله في القرآن وغيره، فمن إعماله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْظُرُوهُمْ فِرَوْجَهُمْ وَالْحَقِيقَتِ وَالذَّكَرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِيرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. ومن إعماله في غير القرآن قول الشاعر^(٦):

فِيَتْ وَالْهَمْ تَغْشَانِي طَوَارِقَهُ مِنْ خَوْفِ رَحَلَةٍ بَيْنِ الطَّاعِنِينَ غَدَا

(١) الكتاب / ١٢٧، ١٢٠.

(٢) الكتاب / ١٨١.

(٣) المصدر السابق / ١٨١.

(٤) شرح التسهيل / ٢ / ٧٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) بيت من الطويل فائله: جرير. انظر: ديوانها / ٤٩٤. مع اختلاف في الرواية لا تغير الشاهد.

(٧) شرح التسهيل / ٢ / ٧٧-٧٧.

وقد تابع الرمانى في نسبة هذا المذهب لسيبويه ابن الدهان والفارسى كما نقل عنهما الرضي^(١). ونسبة هذا المذهب إلى قوم من النحويين دون تحديد^(٢). أما ما ذهب إليه ابن مالك من فهم نص سيبويه بتعليقه فهو -أيضاً- فهم السيرافي وتعليقه^(٣).

والذي يظهر لي أن هذا هو التفسير الصحيح لكلام سيبويه، لأن سيبويه^(٤) أورد قوله تعالى: ﴿لَكِنَ الرَّسُولُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْمُقْرِئُونَ أَزَكَوْهُ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَكْرَبِ أُفْتَكَ سَمْوَتِهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٢] مثلاً على ذلك، واسم الفاعل في الآية بمعنى الاستقبال لا المضي، وأن هذا القول هو قول جمهور النحويين^(٥). حتى إن ابن مالك في شرح الكافية الشافية^(٦) (وابنه)^(٧) وهما عزواه إلى جميع النحويين.

١٣- الشاهد في قول ساعدة بن جوية:

حتى شاهها كليلٌ موهناً عَمِلْ بات طرابة وبات الليل لم ينم^(٨).

اعتراض ابن مالك الأعلم الشنتمرى^(٩) الذي ذهب إلى أن شاهد سيبويه في البيت هو إعمال (فعيل) وهو (كليل) في (موهنا) عمل الفعل، ووصف توجيهه لسيبويه على هذا الاستشهاد، بأنه اعتذار متكلف. وهو استشهاد غلط فيه سيبويه جماعة من النحويين وعزي إلى أكثرهم^(١٠)، لذهبهم إلى عدم جواز إعمال (فعيل) (فعل) عمل الفعل، وإلى

(١) انظر: شرحه ق ٢/١٢٩.

(٢) انظر: شرح التسهيل ٢/٧٦. والارتفاع ٥/٢٢٧٢. والمساعد ٢/١٩٨.

(٣) انظر: شرح كتاب سيبويه ٤/٨ (مطبوع).

(٤) انظر: الكتاب ١/١٨٣.

(٥) انظر: الأصول ١/١٢٩. والجمل ٤/٨٤. وشرحه لابن خروف ١/٥٥٢. وشرح المفصل لابن يعيش ٦/٦٨. والبسط ٥/٢٢٧٢، والارتفاع ٥/١٠٠٧.

(٦) انظر: ٢/٤٢٩.

(٧) انظر: شرحه على الألفية ٤/٤٢٦.

(٨) بيت من البسط لساعدة بن جوية الهذلي. انظر: شرح أشعار الهذلين ٣/٢٩١، والكتاب ١/١١٢. والمقتضب ٢/١١٥، والتبرة ١/٢٢٦. وشرح المفصل ٦/٧٢.

(٩) انظر رأيه في: النكت ١/٣٤٧. وتحصيل عين الذهب: ١١٦.

(١٠) انظر: المقتضب ٢/١١٥، والأصول ١/٢٤١، والتبصرة والتذكرة ١/٢٢٧، وشرح المفصل ٦/٧٢. والبسط ٢/١٠٥٨، والمساعد ٢/١٩٣.

أن (موهنا) في البيت ظرف، والظرف تعلم فيه رائحة الفعل، ولذلك لا يدل نصب العامل للظرف على تعديه وعمله، بدليل أن الفعل اللازم ينصب الظرف، فعلى هذا يسقط الاستشهاد بالبيت.

قال ابن مالك عن الأعلم: «اعتذر لسيبوه بأن (كليلا) بمعنى (مكل). كأنه قال: هذا البرق مُكِلُّ الوقت بدوامه عليه، كما يقال أتعبت يومك وغير ذلك من المجاز. قلت: وهذا عندي تكلف لا حاجة إليه، وإنما ذكر سيبويه هذا البيت شاهدا على أن (فاعلا) قد يعدل به إلى (فعيل) و(فعل) على سبيل المبالغة، كما يعدل به إلى (فعول) و(فعال) و(أمْفعَال). فذكر هذا البيت لا شتماله على (كليل) للعدل به عن (كال)، وعلى (عميل) المعدول به عن (عامل). ولم يتعرض لوقع الإعمال».^(١)

فابن مالك أراد أن ينفي تهمة التغليط عن سيبويه، ويقول: إن النحويين فهموا وجه الاستشهاد من هذا البيت على غير ما أراد سيبويه، فسيبوه يريد أن يستشهد على عدل (فعيل) و(فعل) إلى (فاعل) دون التعرض إلى الإعمال. أما ثبوت العمل لهما فهو ثابت لهم في غير هذا الشاهد كما ذكر ابن مالك^(٢).

واختار ابن هشام^(٣) فهم ابن مالك هذا.

وأما رأي الأعلم الذي ساقه ابن مالك فهو رأي السيرافي^(٤)، وإليه—أيضاً—ذهب الرمانى^(٥) والقرطبي^(٦) من شرائح الكتاب، وهو فهم شاركهم فيه جمع كثير من النحويين^(٧). وهذا القول هو القول الذي يظهر لي صوابه، لأن سيبويه ذكر قبل هذا النص أن صيغ المبالغة تجري مجرى اسم الفاعل^(٨)، وأن حديثه في هذا الباب^(٩) الذي فيه هذا الشاهد

(١) شرح التسهيل ٢/٨٠-٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: معنى الليبب ٥/٢٨١.

(٤) انظر: شرحه ١/٢٢٥.

(٥) انظر: شرحه ١/٤١.

(٦) انظر: عيون كتاب سيبويه: ٨٠.

(٧) انظر منهم: التبصرة والتذكرة ١/٢٢٦، وإصلاح الخلل: ٢٠٨. وشرح المفصل ٦/٧٢، وشرح الجمل لابن عصفور ١/٥٧٤، والبسيط ٢/١٠٥٧. والصفوة الصافية ١٣٦/٢، والخزانة ٨/١٥٥.

(٨) انظر: الكتاب ١/١١٠.

(٩) المصدر السابق ١/١٠٨-١١٨.

كان عن عمل اسم الفاعل وما أجري مجراه من صيغ المبالغة، هذا إضافة إلى أنه قول جمهور النحويين من الشراح وغيرهم.

١٤- مراد سيبويه بقوله: "إذا قلت: رب رجل يقول ذلك فقد أضفت (القول) إلى (الرجل) بـ(رب)"^(١).

في وجوب وصف مجرور (رب) خلاف بين النحويين^(٢) ليس هنا مجال بحثه. وقد ذكر ابن مالك^(٣) أن نص سيبويه السابق يتضمن استغناء المجرور بـ(رب) عن الوصف، لأن تصريح سيبويه -كما ذكر ابن مالك- بكون (يقول) مضافاً إلى (الرجل) بـ(رب) مانع من كونه صفة، لأن الصفة لا تضاف إلى الموصوف وإنما يضاف العامل إلى المعمول، فـ(يقول) إذن عامل في (رجل) بواسطة (رب)، كما كان (مررت) وأخذت (في) (مررت بـزيد) وأخذت من عبد الله (عاملين بـزيد) وـ(عبد الله) بواسطة (في) (وامن)، وهو ما من أمثلة سيبويه في أول نصه الذي منه نصه السابق، إذ قال: "إذا قلت: مررت بـزيد، فإنما أضفت (المررور) إلى (زيد) بالباء... وإذا قلت: أخذته من عبد الله فقد أضفت (الأخذ) إلى (عبد الله) (وامن)"^(٤).

لكن ابن مالك -أيضاً- ذكر أن في المثال الوارد في نص سيبويه إشكالاً بينا، وذلك أن ظاهره -حسب ما وضحه سابقاً- يقتضي جواز أن يقال: من زيد عجب، إذا عجب (زيد) من نفسه، وهو غير جائز بالإجماع، لأن فيه إعمال فعل ضمير متصل في مفسره، وذلك ممتنع بلا خلاف. ثم قال بعد ذلك: "وقد أخذ أكثر الناس هذا المثال على ظاهره، فمنهم من خطأ سيبويه، ومنهم من صوبه وتكلف تأويله، وأحسنهم مأخذنا في التأويل ابن خروف"، ثم بين تأويل ابن خروف بقوله: "فإنه قال: يقول سيبويه: فقد أضفت (القول) إلى (الرجل) بـ(رب)، كلام حسن، وهو كقوله: فقد أضفت (الكينونة) إلى (الدار) بـ(في)... فـ(رب) أوصلت القول إلى قليل الرجال وكثيرهم، كما أوصلت (في) (الكينونة) إلى (الدار)... وموضع المحفوظ بـ(رب) مبتدأ وـ(يقول) خبره، فـكأنه قال: كثير من الرجال

(١) الكتاب ٤٢١.

(٢) انظر فيه مثلاً: الأصول ٤١٧، وشرح المقدمة الجزولية ٢٤٨، وشرح الجمل لابن عصفور ١٢٥، والملخص: ٥١٧، والجني الداني: ٤٢٥، وشرح التسهيل ٣١٧٩، ١٨١، و المساعد ٢٨٦.

(٣) انظر: شرح التسهيل ٢٤٨.

(٤) الكتاب ٤٢١.

يقول ذلك^(١). ولكنه على الرغم من تفضيله تأويل ابن خروف على غيره وصفه بالتكلف. وخرج مثال سيبويه على وجه زعم أنه لا تخطئة فيه ولا تكلف، "وذلك بأن يجعل (يقول) معارض (قال) بمعنى: فاق في المقاولة. ويجعل (ذلك) فاعلاً أشير به إلى مرئي أو مذكور. كأنه قال: رب رجل يفوق ذلك الرجل في المقاولة"^(٢).

هذا ما ذكره ابن مالك في هذه المسألة. فأماماً مابن سيبويه لابن خروف فهو ما ذهب إليه السيرافي في شرح الكتاب^(٣) لكن دون أن ينص على موقع المجرور بـ(أرب).

وأما من وقفت عليه ممن خطأ سيبويه في هذه المسألة فهو ابن السراج، لأنه قال عن نص سيبويه السابق: "وهذا لا معنى له، لأن اتصال الصفة بالموصوف يغنى عن الإضافة"^(٤). فهو يرى أن اتصال الصفة (يقول) بالموصوف (الرجل) يغنى عن العامل الذي أشار إليه سيبويه بقوله: أضفت، ولذلك لا معنى له عنده.

وأما من وقفت عليه ممن صوبه وتكلف تأويله فهو الشلوبين^(٥) وابن أبي الربيع^(٦)، وقد كان تأويلهم هو أنه لما كان عامل (أرب) يحذف كثيراً عندهم أقيمت الصفة مقامه، ولذلك نسب سيبويه إليهما هو منسوب إلى عامل (أرب) من إضافته إلى (الرجل) بواسطتها. وأما من صوب كلام سيبويه وفهمه على ظاهره دون التعرض لذكر الإشكال فهو أبو الوليد الواقشي (ات ٨٩٤هـ) فيما نسب إليه^(٧).

أما تأويل ابن مالك لنص سيبويه فهو تأويل يصبح بالتكلف الشديد وإخراج النص عن ظاهره بلا دليل. إضافة إلى أنه قول مخالف لأقوال النحوين، فلم أجده من قال به أو أشار إليه أدنى إشارة. والذي يظهر لي أن الذي دعا ابن مالك إلى هذا التأويل الغريب وإلى وصف تأويل ابن خروف بالتكلف على الرغم من أنه أحسن التأويل مأخذًا كما عبر، هو أن ابن مالك يرى أن (أرب) و مجرورها يتعلcan بالفعل كما يتعلق (بزيده) بـ(أمررت) في

(١) شرح التسهيل ٢/١٨٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: ٢/٤٤٠.

(٤) انظر: الأصول ١/٤١.

(٥) انظر: شرح المقدمة الجزوية ٢/٨٢٥.

(٦) انظر: البسيط ٢/٨٦٣.

(٧) انظر: شرح المقدمة الجزوية ٢/٨٤٢، والارتفاع ٤/١٧٤١.

قولك: مرت بزيد، فالمجرور بها عنده في موضع نصب. والذي يدعوا إلى قول هذا - كما ذكر ناظر الجيش^(١) - هو أن ابن مالك لم يتعرض لذكر موضع (رب) مع مجرورها، فعدم تعرضه لذلك وتوطيقه نص سيبويه كما سبق يدلان على أنه يرى أن حكم (رب) عنده لا يختلف عن بقية حروف الجر من حيث التعليق. وهذا الذي ذهب إليه هورأي ابن السراج^(٢) والشلوبين وابن أبي الربيع كما سبق، ونسب للزجاج^(٣).

ولو أن ابن مالك ذهب إلى أن (رب) حرف جر شبيه بالزائد وأن مجرورها يعرب حسب موقعه من الإعراب كما هو الرأي الصحيح، لما تكفل وركب هذا المركب الوعر في التأويل، ولما وصف كلام ابن خروف بالتكلف، ولفهم كلام سيبويه الفهم الصحيح كما فهمه السيرافي وابن خروف.

وأما ما ذكره ابن مالك من أن تعبير سيبويه بـ(أضفت) في نصه السابق يدل على أن (يقول) تعدد إلى (الرجل) بواسطة (رب)، فهو اعتراض أورده ابن عصفور وأحسن في الإجابة عنه فيما يظهر لي، إذ قال: ”فالجواب: أن حرف الجر لا يلزم فيه أن تضيف عملاً إلى معمول، بل قد تضيف الخبر إلى المخبر عنه، وإن لم يكن عاماً فيه، فـ(رب) هي التي أضفت الفعل إلى (الرجل) على معنى التقليل... كما أنك إذا قلت: لعل زيداً قائماً، كانت (العل) مضيفة (القيام) إلى (زيد) على جهة الترجي... وحروف الجر غير الزائدة متعلقة كانت بعامل أو غير متعلقة به إنما معناها الإضافة. فإن كانت متعلقة أضافت العامل إلى المعمول، وإن كانت غير متعلقة أضافت المبتدأ إلى المخصوص بها على المعنى الذي لها“^(٤).

١٥- نعت غير الواحد إن تعدد العامل واحد عمله ومعناه ولفظه أو جنسه.
إن كان النعت لأكثر من منعوت فلا يخلو أن يعمل فيهما عامل واحد أو أكثر، فإن عمل فيهما عامل واحد وذلك بعطف أحدهما على الآخر فهذا يتبع فيه النعت بلا إشكال. فتقول: مرت بزيد وعمرو العاقلين، ومررت بشيخ وامرأة وطفل جلوس^(٥).

(١) انظر: تمهيد القواعد ٦/٣٤٢.

(٢) انظر: الأصول ١/٤١٨.

(٣) انظر: المغني ٩/٩٧، ٢٢٢/٢، والخزانة ٥٦٧.

(٤) تمهيد القواعد ٦/٤٧-٤٠٤٨، نقلًا عن شرح الإيضاح لابن عصفور.

(٥) انظر: شرح التسهيل ٣/٢١٧، والمقادد الشافية ٤/٦٥١.

وأما إن تعدد العامل فهو موضوع هذه المسألة. فقد ذكر ابن مالك أنه إن تعدد العامل جاز الإتباع بشرط اتحاد عمله ومعناه لفظه أو جنسه، فمثلاً اتحاد عمله ومعناه لفظه: ذهب زيد وذهب عمرو العاقلان. وهذا بكر وهذا بشر الفاضلان، ورأيت محمدًا ورأيت خالدًا الشيفين، وعجبت من أبيك وأخيك المحسنين. ومثال اتحاد الجنس: هذا زيد وذاك عمرو الحسينيان. وذهب بكر وانطلق بشر العازمان. ورأيت علياً وأبصرت سعيداً الماجدين. وسيق المال إلى عامر ولسلام المفضلين. كما نص ابن مالك على أن هذا الجواز مطلق غير مختص بنعت فاعلي الفعلين وخبر المبتدأين، بل هو شامل لنعوت المنصوبين والجرورين.

والذي دعاه إلى هذا النص هو أن سيبويه كلاماً يوهّم أن هذا الحكم مختص بنعوت فاعلي الفعلين وخبري المبتدأين، لأنه قال في باب: (ما ينتصب فيه الاسم لأنّه لا سبيل إلى أن يكون صفة) ^(١) بعد أن مثل بـ(هذا فرس أخوي ابنيك العقلاء) ^(٢): "ولا يجوز أن يجري وصفاً لـما انجر من وجهين، كما لم يجز فيما اختلف إعرابه". ثم قال: "ونقول: هذا عبد الله وذاك أبوك الصالحان، لأنهما ارتفعا من وجه واحد، وهما اسمان بنيا على مبتدأين. وانطلق عبد الله ومضى أخوه الصالحان، لأنهما ارتفعا بـفاعلين" ^(٣).

فنص سيبويه فيما سبق على الخبرين والفاعلين قد يوهّم الاختصاص بذلك. كما أن نصه على منع إتباع المجرور من وجهين وعدم ذكره للمجرور والمنصوب من وجه قد يؤيد ذلك. وهذا ما جعل أحد النحوين – كما ذكر ابن مالك – يخص هذا الحكم بنعوت المبتدأين والفاعلين فقط بـجواز الإتباع اعتماداً على نص سيبويه هذا.

ولذلك اعترضه ابن مالك قائلاً – بعد أن أورد نص سيبويه الموهّم –: "فمن النحوين من أخذ من هذا الكلام أن مذهبه تخصيص نعوت فاعلي الفعلين وخبري المبتدأين بـجواز الإتباع، والأولى أن يجعل مذهبه وفق ما قدرته قبل، لأنّه منع الاشتراك في إعراب ما انجر من وجهين، كما هو في: هذا فرس أخوي ابنيك. وسكت عن المجرورين من وجه واحد، وعن المنصوبين من وجه واحد، فعلم عنده أنهما غير ممتنعين. ويعضد هذا التأويل قوله... لأنهما ارتفعا من وجه واحد" ^(٤).

(١) الكتاب ٢/٥٧.

(٢) المصدر السابق ٢/٥٩.

(٣) المصدر السابق ٢/٦٠.

(٤) شرح التسهيل ٢/٣١٧-٣١٨.

ولم أستطع الوقوف على من اعترضه ابن مالك في فهم نص سيبويه هذا. أما ما ذكره ابن مالك فهو الصحيح، لأنه كما يجوز أن تقول: ذهب زيد وانطلق عمرو العاقلان كذلك يجوز أن تقول: أحبت زيداً ووددت عمراً العاقلين، وأن تقول: مررت بزيد ومررت بعمرو العاقلين، أيضاً لأن العلة في الجميع واحدة والقياس سائغ^(١)، ولا مانع في كلام سيبويه، بل سكوته عنهما لا يدل على المنع بقدر ما يدل على الجواز.

١٦- ترخييم المركب الإسنادي.

قال ابن مالك في التسهيل عن المركب الإسنادي: "يجوز ترخييم الجملة وفقاً لسيبويه"، ثم قال في شرحه: "وأكثر النحويين يمنعون ترخيمه، لأن سيبويه منع ترخيمه في باب الترخييم، ونص في باب النسب على أن من العرب من يرخمه فيقول في تأبّط شراً: يا تأبّط. ورتب على ترخيمه النسب إليه، ولا خلاف في النسب إليه"^(٢). ونص سيبويه في الترخييم هو قوله: "واعلم أن الحكاية لا ترخم، لأنك لا تريد أن ترخم غير منادي، وليس مما يغيره النداء، وذلك نحو: تأبّط شراً وبرق نحره وما أشبه ذلك. ولو رحّمت هذا الرّحّمة رجلاً يسمى بقول عترة: يadar عبّلة بالجواب تكلمي"^(٣). ونصله في باب النسب هو قوله: "هذا باب الإضافة إلى الحكاية. فإذا أضفت إلى الحكاية حذفت وترك الصدر بمنزلة (عبدالقيس) و(خمسة عشر)، حيث لزمها الحذف كما لزمها، وذلك قوله في (تأبّط شراً): تأبّط. ويدلّ على ذلك أن من العرب من يفرد فيقول: يا تأبّط أقبل، فيجعل الأول مفرداً، فذلك الإضافة"^(٤).

وإطلاق ابن مالك جواز الترخييم في المركب الإسنادي في التسهيل وكلامه في شرحه عن هذين النصين يفهم ظاهره أن ما قاله سيبويه في باب الترخييم خطأ، وأن الصواب ما قاله في باب النسب، وهذا ما جعل الشاطبي يقول بعد أن أشار إلى ذلك: "كان ابن مالك اعتقد أن آخر القولين لسيبوه هو ما قاله في النسب، وأنه هو المعوض بالسماع فاعتده، ولم يعتمد القياس في المنع في باب الترخييم، لأنه لم يعده بسماع، ولا نفي عن العرب القول به، ففَوْلَ سيبويه الجواز مطلقاً"^(٥).

(١) انظر: المقاصد الشافية ٤/٦٥٣-٦٦٢.

(٢) شرح التسهيل ٢/٤٢١-٤٢٢.

(٣) الكتاب ٢/٢٦٩.

(٤) المصدر السابق ٢/٣٧٧.

(٥) المقاصد الشافية ٥/٤١٤ بتصريف يسبر.

ولكن ابن مالك قال في الألفية:

والعجزَ احذفَ من مركبٍ وقلْ
ترخيِّمُ جملةٍ، وذا عِمْرُونَقَلْ

فوصف ترخييم المركب الإسنادي بالقلة. كما ذكر أنه لغة لبعض العرب في شرح الكافية الشافعية^(١).

وعلى هذا فكلامه هنا - كما قال الشاطبي^(٢) - أقرب إلى مساعدة التأويل في الجمع بين نصي سيبويه منه في كلامه في التسهيل وشرحه كما سبق. لأن سيبويه حينما تكلم عن منع ترخييم المركب الإسنادي في باب الترخييم كان يتكلم على وجه القياس المعدل. ولا بد أن يكون منعه لترخيمه مستندا إلى كلام العرب وأن أكثرهم على منعه ثم لما جاء إلى باب النسب. وهو باب يحذف فيه عجز الاسم مطلقا في كل مركب أنَّسَ جواز حذف العجز في المركب الإسنادي في النسب بحذفه عند بعض العرب في الترخييم، تشبيها بالمركب تركيب مرج. ولم يقل: إن ذلك قياس فيه ولا أن قياس النسب مبني على قياس الترخييم - كما ذكر ابن مالك -. بل كان كلام سيبويه في ذلك كعادته في الإتيان بالمثل القليلة الاستعمال والنادرة تأسيسا في مواضع القياس. فليس لسيبوه تأسيسا على هذا قوله متضادا في هذه المسألة. بل هما قولان يمكن جمعهما. وقد تابع ابن مالك من شراح الألفية في رأيه فيها ابنه^(٣) والمرادي^(٤) وأبن جابر الأندلسى^(٥).

أما أبو حيان فقد اعترض ابن مالك في التسهيل وشرحه. وقال: "هو غلط منه وسوء فهم على سيبويه". وعلل^(٦) ذلك بأن سيبويه حين قعد الترخييم نص على منع ترخييم المركب الإسنادي في النص الأول. أما في النص الثاني في باب النسب فلم ينص على جواز ذلك بل قال: "من العرب من يفرد فيقول: يا تأبط أقبل". وهذا ليس على جهة الترخييم، لأن من العرب من ينادي مرة: يا تأبط شرا، ومرة: يا تأبط. ولذلك قال: "يفرد" ولم يقل: "يرخم". وبهذا فهو ليس مناقضا لنصه الأول.

(١) انظر: ١٣٥٢/٢.

(٢) انظر: المقاصد الشافعية ٤٤٢/٥.

(٣) انظر: شرحه على الألفية: ٦٠٠.

(٤) انظر: توضيح المقاصد ١١٤١/٣.

(٥) انظر: شرحه على الألفية ٤٧/٤٤٨-٤٨.

(٦) انظر: تمهيد القواعد ٣٦٢٨/٧ نقلًا عن التذليل.

وتتابع أبا حيyan في هذا ابن عqيل^(١).

وتوجيه أبي حيyan لنص سيبويه الثاني فيه تكاليف وتحميم للنص أكثر مما يحتمل، لأن ذكر سيبويه لـ(تأبٍط) مقررنا بحرف النداء يدل على الترخيّم، ولو لم يكن يريد النص على الترخيّم لقال مثلاً: إن من العرب من يقول: جاء تأبٍط، ونحو ذلك^(٢). ثم إن الكل يتافق على أن من يلتزم في النداء: (يا تأبٍط شرا)، وليس هناك شخصان أحدهما (تأبٍط) والأخر (تأبٍط شرا)، ولكن من التزم نداء (تأبٍط شرا) بالحذف انزاح عن الأصل، وإنما الترخيّم انزياح عن الأصل، وعلى هذا فأنسب شيء لتسمية هذا الحذف هو الترخيّم، لأنه هو الذي ينطبق عليه في نداء العلم.

والذي يترجح لدى هو ما ذكره الشاطبي من الجمع بين نصي سيبويه الذي يحتمله كلام ابن مالك في الألفية وشرح الكافية الشافية، لا في التسهيل وشرحه، إذ كلام ابن مالك فيهما يوهم التعارض بين نصي سيبويه، والأخذ بالثاني منهما. والله أعلم.
ثانياً: منهج ابن مالك في التعقب.

يمكننا أن نقول: إن ابن مالك كان يراوح بين السمات التالية في تعقبه أفهم النحوين لنصوص الكتاب:

١. الالتزام بنص الكتاب والوقوف عند ظاهره إذا لم يجد ابن مالك صارفاً عن هذا الظاهر في مواضع أخرى^(٣). أما إذا وجد ما يصرف عنه فلا يلتزم به^(٤).
٢. الجمع بين نصوص الكتاب وتقوية بعضها البعض والاستعمال في بعض الأحيان أسلوب السبر والتقطيع لنصوص الكتاب، بغية رد فهم والوصول إلى آخر. وقد استعمل هذه الطريقة في معظم المسائل^(٥).
٣. رد حجة من صرف نص الكتاب عن ظاهره^(٦).
٤. توضيح وجه الاستشهاد من الشاهد بما يسقط رأي من فهم غير ذلك^(٧).

(١) انظر: المساعد ٢/٥٥٣.

(٢) انظر: تمهيد القواعد ٧/٣٦٢٩.

(٣) انظر: المسألة الحادية عشرة من مسائل التعقب.

(٤) انظر: المسألة الثانية عشرة.

(٥) انظر: المسألة الأولى، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والعشرة، والخامسة عشرة، والسادسة عشرة.

(٦) انظر: المسألة الثامنة.

(٧) انظر: المسألة الثانية، والسابعة، والثالثة عشرة.

هذا إضافة إلى أن بعض النصوص ليست غامضة، ولكن بعض النحوين غفل عند قراءة النص عما يوضح المراد، فرمأه ابن مالك بالغفلة، ونص على النص المغفول عنه^(١). أما منهجه في نسبة الآراء المتعقبة فلم يلتزم ابن مالك بالنسبة، فهو أحياناً ينص على النحوي المتعقب باسمه، وأحياناً لا ينص وإنما يكتفي بمثل قوله: "جمهور الشرح" و "أحد المتأخرین" و "من النحوين".

وابن مالك ليس دقيقاً في نسبة الآراء إلى أصحابها، فهو أحياناً ينسب الفهم إلى نحوي ويعرضه مع أن الرأي لنحوي آخر سببه، وهذا النحوي قد اعتبره ابن مالك في موضع آخر، كنسبة رأياً لابن خروف والأعلم^(٢)، مع أن السيرافي سبقوهما إلى ذلك وقد اعتبره ابن مالك في موضع آخر، وكنسبة القول بتعيين المضارع المنفي بـ(لا) لاستقبال للزمخشري^(٣)، وهو قول سبقه إليه شراح الكتاب قبله كالسيرافي والرمانى. ومما يجب التتبّيه له أن ابن مالك –رحمه الله، كما سبق في دراسة المسائل– يزعم بالرأي على أنه له مع أنه مسبوق إليه دون الإشارة إلى ذلك، وأن ما انفرد به كان شديد التكافف وتحميل النص بأكثر مما يطيق^(٤).

(١) انظر: المسألة السادسة، والتاسعة.

(٢) انظر: المسألة الثالثة عشرة، والرابعة عشرة.

(٣) انظر: المسألة الأولى.

(٤) انظر: المسألة العاشرة، والرابعة عشرة.

الخاتمة:

الحمد لله على تيسيره لي وباركته في وقت إنتهاء هذا البحث الذي أردت به الوقوف على فهم ابن مالك لكتاب سيبويه، ومعرفة مدى صحة ما نص عليه من تصحيح لأفهام النحويين. وبعد، فقد اتضح بعد الدراسة ما يلي:

- ١- أن ابن مالك كان حفيا بالكتاب دقيق الفهم له، ولكن ما أدعى أنه فهمه فيما صحيحا كان مسبوقا إليه، وإن لم ينص على ذلك.
- ٢- أن ما انفرد به في الفهم كان شديد التكلف وظاهر لـ النصوص وتحمليها بأكثر مما تطيق وتحتمل، وأنه قد تطرق له في موضع آخر في كتاب آخر بما يؤدي إلى عدم صحة الاعتراض.
- ٣- أنه قد يعرض النحوي بشيء غير غافل عنه بل ربما نص عليه ذلك النحوي في موضع قريب مكانيا من الموضع الذي اعترضه فيه ابن مالك.
بقي أن أذكر أنه لا تعارض بين كون ابن مالك حفيا بالكتاب دقيق الفهم له، وبين كون ذلك الفهم مسبوقا إليه، لأنه لا يلزم من كونه كذلك أن يكون المتفرد بالفهم السابق إليه، فاستطاعة إدراك فهم الكتاب كما فهمه المتقدمون الكبار أمثال السيرافي والفارسي وغيرهما يعد في ذاته - محمد - دليلا على دقة الفهم، فكم نحو قصره فهمه عن إدراك ما فهم كما أنه لا تعارض بين ذلك وبين رکوب ابن مالك الشطط في بعض الأحيان، فالكمال لله وحده، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المنزه عن ذلك.

* * *

ثبات المصادر:

- اختلاف الشرح في تفسير كلام سيبويه وأثره في الدرس النحوى، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض، إعداد: عبدالعزيز بن إبراهيم الدباسي، ١٤٢٧هـ.
- ارشاد الضرب من لسان العرب، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، القاهرة - مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٨هـ.
- الأزهار الصافية في شرح المقدمة الكافية للعلوي الجزء الأول، تحقيق: محمد بن على العطاونة، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ١٤٠٢، والجزء الثاني تحقيق: عبدالحميد مصطفى السيد، رسالة دكتوراه مقدمة للكتاب نفسها.
- الأزهريا في علم الحروف لعلي بن محمد النحوى الهروى، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق - مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي لابن السيد البطليوسى، تحقيق: د. حمزة النشرتى، الرياض - دار المريخ، ط١، ١٣٩٩هـ.
- الأصول لابن السراج، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلى، بيروت - مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- إعراب القرآن للنحاس، تحقيق: د. زهير غازى زاهد، بيروت - عالم الكتب، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الإغفال للفارسي، تحقيق: د. عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم، أبوظبي - مطبوعات مركز جمعة الماجد، ٢٠٠٣م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسى، تحقيق: الأستاذ مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد، القاهرة - إصدارات الهيئة المصرية للكتاب، وبغداد - إصدارات وزارة الثقافة والإعلام.
- أمالى ابن الشجري، تحقيق: د. محمود بن محمد الطناхи، القاهرة - مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٣هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، تحقيق: جودة مبروك محمد مبروك، القاهرة - مكتبة الخانجي، ط١.
- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب، تحقيق: د. موسى بن بناء العليي، العراق - مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح وتعليق وتنقیح: د. محمد بن عبد المنعم خفاجی، بيروت: دار الجيل، ط٢.
- البسيط في شرح جمل الزجاجی لابن أبي الربيع، تحقيق: د. عیاد الثبیتی، بيروت - دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٧هـ.
- البغدادیات = المسائل المشکلة المعروفة بالبغدادیات لأبی علی الفارسی، تحقيق: صلاح الدین السنکاوی، بغداد - مطبعة العانی.
- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، بيروت - دار الجيل.
- التبصرة والتذكرة للصیرمی، تحقيق: د. فتحی أحمد مصطفی علی الدین، مکة المکرمة - مطبوعات جامعة أم القری، ط١، ١٤٠٢هـ.
- تحصیل عین الذهب في علم مجازات العرب، تحقيق: د. زهیر بن عبد المحسن سلطان، بيروت - مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٥هـ.
- التخمير= شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير للخوارزمی، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثیمین، الرياض - مکتبة العبیکان، ط١، ١٤٢١هـ.
- التذییل والتمکیل فی شرح کتاب التسهیل لأبی حیان، تحقيق: د. حسن هنداوي، دمشق - دار القلم، ط١، ١٤١٨هـ.
- ترشیح العلل فی شرح الجمل للخوارزمی، تحقيق: عادل بن محسن بن سالم العمیری، مکة المکرمة - مطبوعات جامعة أم القری، ط١، ١٤١٩هـ.
- التصریح علی التوضیح للأزہري، دار الفکر.
- تعلیق الفراتد علی تسهیل الفوائد للدمامینی، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن المفدى، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- التعلیقة علی کتاب سیبویه للفارسی، تحقيق: د. عوض القوزی، القاهرة - مطبعة الأمانة، ط١، ١٤٠١هـ.
- التلخیص مطبوع فی مقدمة کتاب المطول.
- تمہید القواعد= شرح التسهیل المسمی تمہید القواعد لناظر الجيش، تحقيق: جماعة من المحققین، مصر - دار السلام، ط١، ١٤٢٨هـ.

- تنجيح الألباب في شرح غواصات الكتاب لابن خروف من أول القطعة المتاحة إلى نهاية باب التصغير دراسة وتحقيقا. رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أمر القرى. إعداد: صالح بن أحمد بن مسفر الغامدي ١٤١٤هـ.
- تهذيب الألفاظ: كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ لابن السكين، وقف على طبعه وضبطه وجمع روایاته: لويس شيخو اليسوعي، مكة المكرمة- المكتبة التجارية لمصطفى أحمد البارز، القاهرة- دار الكتاب الإسلامي.
- توجيهه اللمع لابن الخباز شرح كتاب اللمع لابن جنى، تحقيق: د. فائز زكي دياب، مصر- دار السلام، ط١٤٢٣هـ.
- التوطئة لأبي علي الشلوبيين، تحقيق: د. يوسف المطوع، ١٩٨٠م.
- الجمل في النحو للزجاجي، تحقيق: د. على توفيق الحمد، بيروت- مؤسسة الرسالة، الأردن- دار الأمل، ط٢.١٤٠٩هـ.
- الجن الداني في حروف المعانى للمرادى، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت- دار الكتب العلمية، ط١٤١٢هـ.
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى ومعه شرح شواهد العينى، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبي.
- الحاصل لفوائد مقدمة طاهر في علم حقائق الإعراب للإمام يحيى بن حمزه العلوي، تحقيق: د. محمد صلاح الدين حنطاطية، صنعاء- مركز عبادي للنشر والتوزيع، ط١.١٤٢٨هـ.
- الحماسة لأبي تمام، تحقيق: د. عبدالله بن عبد الرحيم عسيلان، الرياض- مطبوعات جامعة الإمام، ١٤٠١هـ.
- الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تحقيق: د. عادل بن سليمان جمال، القاهرة- مكتبة الحانجى، ط١.١٤٢٠هـ.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى، تحقيق: عبدالسلام هارون، القاهرة- مكتبة الحانجى، ط٤.١٤١٨هـ.
- الخصائص لابن جنى، تحقيق: محمد بن علي النجار، مركز تحقيق الكتاب- الهيئة المصرية للكتاب، ط٦.١٤٠٦هـ.

- دلائل الإعجاز للجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الرياض- مكتبة دار المعارف للنشر، ط٥، ١٤٢٤هـ.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، قدم له وشرحه وطبعه ووضع فهارسه: د. محمد بن أحمد قاسم، بيروت- المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٥هـ.
- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين، مصر: دار المعارف، ط٢، ١٩٨٦م.
- ديوان جميل بثينة، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، مصر- دار مصر للطباعة، ط٢، ١٩٧٦م.
- ديوان ابن الدمينة، صنعة: أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: الأستاذ راتب النخاخ، مطبعة المدني، نشر دار العروبة، ١٣٧٨هـ.
- ديوان ذي الإصبع العدوانى، تحقيق: عبد الوهاب العدوانى، ومحمد بن نايف الدليمي، الموصل، ١٩٧٣م.
- ديوان الفرزدق، قدم له وشرحه: مجید طراد، بيروت- دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٩هـ.
- ديوان مجنون ليلي، جمع وتحقيق: د. عبدالستار فراج، دار مصر للطباعة.
- رصف المباني في شرح حروف المعانى للمالقى، تحقيق: د. أحمد الخراط، دمشق- دار القلم، ط٣، ١٤٢٢هـ.
- سر صناعة الإعراب لابن جنى، تحقيق: د. حسن هنداوي، دمشق- دار القلم، ط١، ١٤٠٥هـ.
- س茗ط الآلى= الآلى فى شرح أمالى القالى للوزير أبي عبيدة الله البكري، تحقيق: عبدالعزيز الميمنى، القاهرة، ٤، ١٣٥٤هـ.
- شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، تحقيق: د. محمد الريح هاشم، بيروت- دار الجيل، ط١، ١٤١٦هـ.
- شرح أبيات مغني الليب للبغدادي، تحقيق: عبدالعزيز رباح وأحمد يوسف الدقاد، دمشق- دار المأمون، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- شرح أشعار الهذلين للسكري، تحقيق: د. عبدالستار فراج، القاهرة- مكتبة دار العروبة، ٤، ١٣٨٤هـ. شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم، تحقيق: عبدالحميد السيد محمد عبدالحميد، بيروت: دار الجيل.

- شرح أفية ابن مالك لابن الناظم، تحقيق: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، بيروت: دار الجيل.
- شرح الأنموذج للأردبيلي، تحقيق: د. حسن شاذلي فرهود، الرياض- دار العلوم للطباعة والنشر، ط١٤١١هـ.
- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق: عبدالرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، القاهرة- هجر للطباعة والنشر، ط١٤١١هـ.
- شرح الجمل للجزاجي دراسة وتحقيقاً، رسالة مقدمة لجامعة أم القرى، إعداد: خديجة محمد حسين، ١٤٠٨هـ.
- شرح جمل الزجاجي لابن خروف، تحقيق: سلوى محمد عمر عرب، مكة المكرمة- مطبوعات جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.
- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، بيروت- عالم الكتب، ط١٤١٩هـ.
- شرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري، دراسة وتحقيق: د. حسين محمد نقشة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ.
- شرح الرضي لكتافية ابن الحاجب، تحقيق: د. حسن الحفظي، ود. يحيى بشير مصرى، الرياض- مطبوعات جامعة الإمام، ط١٤١٤هـ.
- شرح شذور الذهب لابن هاشم وبذلية محطات رحلة السرور إلى شرح وإعراب شواهد الشذور، تأليف: د. برّكات يوسف هبود، دمشق وبيروت- دار ابن كثير، ط١٤٢٦هـ.
- شرح الكافية لابن جمعة الموصلي، تحقيق: د. علي الشوملي، الأردن- دار الكندي، ودار الأمل، ط١٤٢١هـ.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، حققه: د. عبد المنعم هريدي، مكة المكرمة- مطبوعات جامعة الملك عبد العزيز.
- شرح كتاب الحماسة، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسي، دراسة وتحقيق: د. محمد عثمان علي، بيروت: دار الأوزاعي، ط١٠.
- شرح اللمع للأصفهاني أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي، تحقيق: د. إبراهيم أبو عبة، الرياض- مطبوعات جامعة الإمام، ط١٤١٠هـ.

- شرح اللمع للثمانيني، تحقيق: د. فتحي على حسانين، القاهرة- دار الحرم للتراث، ط١٠٢٠م.
- شرح عيون كتاب سيبويه لأبي نصر هارون بن موسى القيسي المجريطي القرطبي، تحقيق: د. عبدربه عبداللطيف، ط١٤٠٤هـ.
- شرح كتاب سيبويه لأبي الفضل الصفار، تحقيق: د. معوض بن مساعد العوفي، المدينة المنورة- دار المأثر، ١٤١٩هـ.
- شرح كتاب سيبويه للرمانى من باب الحروف التي تدخل على الفعل إلى نهاية باب الحكاية تحقيقاً ودراسة، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة الإمام، إعداد: إبراهيم بن موسى آل موسى، ١٤٢٠هـ.
- شرح كتاب سيبويه للرمانى من باب النسبة إلى نهاية باب الأفعال تحقيقاً وموازنة، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية بجامعة الإمام، إعداد: سيف بن عبد الرحمن العريفي، ١٤١٨هـ.
- شرح كتاب سيبويه للرمانى، تحقيق: د. رمضان أحمد الدميري، مطبعة السعادة، ١٤٠٨هـ.
- شرح كتاب سيبويه للرمانى، تحقيق ودراسة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى، إعداد: محمد بن إبراهيم يوسف شيبة.
- شرح كتاب سيبويه للرمانى، مصورة مكتبة داماً إبراهيم بتركيا، تحت الرقم: ١٠٧٤-١٠٧٥.
- شرح كتاب سيبويه للسيرفي، مخطوط، ومنه مصورة عن دار الكتب في المكتبة المركزية بجامعة الإمام تحت الرقم: ١٠٣٠٠ - ١٠٢٩٦.
- شرح المفصل لابن يعيش، القاهرة- مكتبة المتنبي.
- شرح المقدمة الجزولية الكبير للشلوبين، تحقيق: د. تركي بن سهو العتيبي، بيروت- مؤسسة الرسالة، ط٢٤١٤هـ.
- شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لابن الحاجب، تحقيق: جمال عبدالعاطى مخيم أحمد، مكة المكرمة، الرياض- مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١٤١٨هـ.
- شرح المقدمة المحسبة لابن بابشاد، تحقيق: خالد بن عبدالكريم جمعة، الكويت- مؤسسة دار الكتب الثقافية، ١٣٩٦هـ.

- الشعر أو شرح الأبيات المشكّلة للإعراب لأبي علي الفارسي، تحقيق: د. محمود الطناхи، القاهرة - مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠٨هـ.
- شفاء العليل في إيضاح التسهيل للسلسيلي، تحقيق: د. الشريف عبدالله بن علي بن الحسين البركاني، مكة المكرمة - مكتبة الفيصلية.
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، تأليف: د. خالد بن عبدالكريم جمعة، الكويت - مكتبة دار العروبة، ط١، ١٤٠٠هـ.
- الصفوّة الصفيّة في شرح الدرة الالفية للنيلي، تحقيق: د. محسن بن سالم العميري، مكة المكرمة - مطبوعات جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ.
- فهارس كتاب سيبويه، دراسة وصنع: محمد عبد الخالق عصيّمة، القاهرة - دار الحديث، ط١، ١٣٩٥هـ.
- الكامل للمبرد، حقيقه وعلق عليه: د. أحمد الدالي، بيروت - مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٢٥هـ.
- الكتاب لسيبوه، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة - مطبعة الخانجي، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- الكتاب لسيبوه، مصر - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣١٦هـ.
- الكشاف للزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل عبد المولود، والشيخ علي معوض، الرياض - مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ.
- لباب الإعراب للإسفرايني، تحقيق: د. بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن، الرياض - دار الرفاعي، ط١، ١٤٠٥هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج، تحقيق: هدى محمود قراءعة، القاهرة - مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المباحث الكاملية للورقي تحقيقاً ودراسة، رسالة مقدمة إلى كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، إعداد: شعبان عبد الوهاب، ١٣٩٨هـ.
- المحتسب لابن جني، تحقيق: على النجدي ناصف وزميليه، القاهرة - مطبوعات وزارة الأوقاف، ١٤٢٤هـ.
- المرتجل لابن الخشاب، تحقيق: على حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ.

- المسائل البصريات للفارسي، تحقيق: د. محمد الشاطر أحمد محمد، مصر- مطبعة المدنى، ط١، ١٤٠٥هـ.
- المسائل الحلبيات للفارسي، تحقيق: د. حسن هنداوى، دمشق- دار القلم، بيروت- دار المنار، ط١، ١٤٠٧هـ.
- المسائل الشيرازيات للفارسي، تحقيق: د. حسن هنداوى، الرياض- كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٤هـ.
- المسائل العضديات للفارسي، تحقيق: د. على جابر المنصوري، بيروت- عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ٦١٤٠٦هـ.
- المسائل المنتورة للفارسي، تحقيق: د. شريف النجار، عمان- دار عمار، ط١، ١٤٢٤هـ.
- المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، تحقيق: د. محمد بن كامل برकات، جدة- مطبوعات جامعة الملك عبد العزيز بدار الفكر بدمشق، ١٤٠٠هـ.
- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوى، بيروت- دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- معانى القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل بن عبده شلبي، بيروت- عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعaries لابن هشام، تحقيق: د. عبد اللطيف الخطيب، الكويت- مطبوعات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط١، ١٤٢١هـ.
- مفتاح العلوم للسكاكى، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوى، بيروت- دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ.
- المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، قدم له وبويه، د. علي بوملحم، بيروت- دار مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٣هـ.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبى، تحقيق: جماعة من المحققين، مكة المكرمة- مطبوعات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٨هـ.
- المقتضب للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمه، مصر- عالم الكتب.
- الملخص في ضبط قوانين العربية لابن أبي الريبع، تحقيق: د. علي سلطان الحكمي، ط١، ١٤٠٥هـ.

- الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي، شرحه بتعليقات توضح غواصته: محمد بهجة البيطار. دمشق- مطبوعات مجمع اللغة العربية.
- النجم الثاقب على كافية ابن الحاجب للمهدي صلاح بن على الحسيني. رسالة مقدمة إلى كلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض. إعداد: عبد الله بن عيسى الجعفري. ١٤٢٨هـ.
- النكت للأعلم، تحقيق: الأستاذ رشيد بلحبيب، الممكلة المغربية- مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ١٤٢٠هـ.
- النوادر في اللغة لأبي زيد، تحقيق: د. محمد عبدالقادر أحمد، بيروت- دار الشروق. ط١٤٠١هـ.
- هموع الهوامع في شرح جمع الجواب، تحقيق: عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم. القاهرة- عالم الكتب. ١٤٢١هـ.

* * *

المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش

وأثرهما في النحاة

د. عبدالله بن محمد بن جار الله النفيسي
قسم اللغة العربية وأدابها - كلية بجامعة القصيم

المسائل الكبير والصغرى لأبي الحسن الأخفش

وأثرهما في النحوة

عبد الله بن محمد بن جار الله النغيمشي

قسم اللغة العربية وأدابها - كلية بجامعة القصيم

ملخص البحث:

تعد العناية بتراث الأمة والحفاظ عليه من أجل الأعمال النافعة القيمة، وقد استعنت بالله وبدأت منذ فترة ليست بالقصيرة أركز - من خلال كتب اللغة المختلفة - على مسائل ونصوص تتعلق بكتابين مفقودين من أهم كتب أبي الحسن سعيد بن مساعدة الأخفش، هما: كتاب المسائل الكبير، وكتاب المسائل الصغير، فجمعت عدداً جيداً من نصوص ومسائل الكتابين، ثم عملت عليها هذه الدراسة التي أسعى من خلالها إلى رسم صورة لهذين الكتابين منتزة عن مقولات النحويين فيهما، ومنقولاته عنهما، وإلى بيان الأثر الذي خلفه الكتابان في النحويين مما صرحا به، وساقه على أنه من كلام الأخفش أو نقله في أحد الكتابين.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على خير المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن العناية بتراث الأمة والحفظ عليه من أجل الأعمال النافعة القيمة، وقد استعنت بالله وبدأت منذ فترة ليست بالقصيرة أركز - من خلال كتب اللغة المختلفة - على مسائل ونصوص تتعلق بكتابين مفقودين من أهم كتب أبي الحسن سعيد بن مساعدة الأخفش، هما: كتاب المسائل الكبير، وكتاب المسائل الصغير، فجمعت عدداً جيداً من نصوص ومسائل الكتابين، ثم عملت عليها هذه الدراسة التي أسعى من خلالها إلى رسم صورة لهذين الكتابين متزرعة من مقولات النحويين فيهما، ومنقولاتهما إلى بيان الأثر الذي خلفه الكتابان في النحويين مما صرحا به، وساقوه على أنه من كلام الأخفش أو نقله في أحد الكتابين.

وتأتي أهمية هذا البحث من عدة أمور، منها:

- ١- ارتباط الكتابين بعلم شامخ من أعلام النحو في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، هو أبو الحسن سعيد بن مساعدة الأخفش، الذي وُصفَ بأنه أبرع من أخذ عن سيبويه، وأنه الطريق الوحيدة إلى كتابه، فهو مدين للبصريين برواياته لكتاب سيبويه، وللكوفيين الذين خصهم بأثنين من أهم مؤلفاته، هما: ((معاني القرآن))، و((كتاب المسائل الكبير)).
- ٢- كون الكتابين من أقدم الكتب المؤلفة في النحو - بعد كتاب سيبويه - واشتمالهما على مجموعة من المسائل المهمة في الدراسات النحوية كانت ولا تزال موضع نقاش بين علماء العربية.
- ٣- الأثر الكبير الذي خلَّفه الكتابان في كثير من علماء العربية، البصريين، والكوفيين والبغداديين وغيرهم من أهل المدارس النحوية المتعاقبة، واعتماد كثير من هؤلاء العلماء على هذين الكتابين في كتبهم، مما يدل على مكانة الكتابين، وأهميتهما في نظر العلماء والدارسين.
- ٤- خدمة الدارسين والمهتمين في علمي النحو والصرف من خلال جمع ما تفرق من نصوص نحوية نُسبت في كثير من كتب التراث اللغوي إلى أحد كتابي ((المسائل)) لأبي الحسن الأخفش دراسة أثر تلك النصوص على من جاء بعد أبي الحسن من النحويين.

وقد كتبت عن الأخفش دراسات عدّة ما بين رسائل علمية، وبحوث، وكتب، ومن تلك الدراسات منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية للدكتور عبد الأمير الورد، ومنهج الأخفش الأوسط في إعراب القرآن للدكتور أحمد الخراط، ومنهج الأخفش الأوسط في معانٍ القرآن للدكتور جمال مخيمر، وخلاف الأخفش الأوسط عن سيبويه للدكتورة هدى جنهويتشي والأخفش الأوسط أمقلد هو أمّ مجدد للدكتور عبد الكريم الأسعد، وغيرها من الدراسات، ودراستي تلك بعيدة عن تلك الدراسات فهي تتناول دراسة كتابي الأخفش الكبير والصغير وبيان أثرهما على النحوة، فالدراسة منصبة على الكتابين لا على الشخصية، ولهذا يمكن لي أن أقول إن عملي في هذا البحث عمل جديد لم أسبق إليه.

ويتضمن هذا البحث الذي سميته: المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش وأثرهما في النحوة .

بعد المقدمة، تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

التمهيد وفيه تحدثت عن اسم أبي الحسن، وكنيته، ولقبه، ونسبه، ومولده، ونشأته وبعض صفاته، وشيوخه، وتلامذته، ومكانته، وأمانته، وأثاره العلمية، ووفاته.

الفصل الأول: وتحدثت فيه عن كتابي ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير)).

وقد اشتمل هذا الفصل على عدة مباحث، هي:

- توثيق عنواني الكتابين ونسبتهما إلى الأخفش.
- سبب تأليفهما.
- مادتهما العلمية وأسلوب أبي الحسن فيهما.
- مكانتهما.

الفصل الثاني: وتحدثت فيه عن أثر كتابي المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش في النحوين (من خلال النصوص المنقولة عندهما والمسائل المنسوبة إليهما).

واشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- اعتماد النحوين على الكتابين في إثبات بعض الشواهد أو اللغات.
- اعتمادهم عليهما في نقل بعض مذاهب العرب.
- اعتمادهم عليهما في توجيه بعض ما ورد عن العرب.

- اعتمادهم عليهما في تصحيح بعض الشواهد.
- اعتمادهم عليهما في نفي شيء ما عن العرب.
- نقل أمثلتهما واعتمادها.
- الاستدراك على أمثلتهما.
- اعتمادهم عليهما في نقل آراء بعض النحويين.
- اعتمادهم عليهما في إثبات آراء لأبي الحسن مخالفه لما نسب إليه.
- إيراد تعليقات الأخفش في أحد كتاب المسائل واعتمادها.
- اللجوء إلى أحد كتابي المسائل لجسم الخلاف في بعض القضايا النحوية.
- شرح كلام الأخفش في كتاب المسائل.

الفصل الثالث: وفيه تحدثت عن موقف النحويين من آراء الأخفش في كتابي المسائل واشتمل هذا الفصل على مبحثين، هما:

- موافقة الأخفش في بعض آرائه.
- مخالفه الأخفش في بعض آرائه.

ثم ختمت البحث بخاتمة موجزة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وأتبعتها بذكر قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي أفادت منها.

التمهيد: أبو الحسن الأخفش: حياته وأثاره (إياجاز):

اسمه وكنيته ولقبه ونسبة:

هو أبو الحسن سعيد بن مساعدة الماجاشعي البصري^(١)، كان مولى لبني مجاشع بن دارم، بطن من تميم، من أهل ((بلغ))^(٢)، عرف في عصره بالأخفش الصغير، لأن الأخفش الكبير هو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد (١٧٧هـ) شيخ سيبويه، فلما ظهر علي بن سليمان (٣١٥هـ) لقب بالأخفش أيضاً، فصار هو الصغير، وقيل عن سعيد بن مساعدة: الأخفش الأوسط، وقد تعارف الباحثون على أن لقب ((الأخفش)) إذا أطلق انصرف إلى الأوسط، لأنه أشهرهم، قال البغدادي (١٠٩٣هـ) بعد أن ذكر الأخفش الثلاثة: ((... والأخفش المتوسط أبو الحسن سعيد بن مساعدة... وهو المراد إذا أطلق في كتب النحو^(٣))).

مولده ونشأته وبعض صفاته:

لم تذكر المصادر مكان ولادة أبي الحسن ولا تاريخها، أما مكانها فمن المرجح أنه ولد في ((بلغ)), وهي المدينة التي ينسب إليها أحياناً، فيقال: البلخي، وأما تاريخها فيمكن تقديره ببداية العقد الرابع من القرن الثاني الهجري، وذلك أنه كان أسن من سيبويه^(٤)، وسبويه قد ثبت أخذه عن عيسى بن عمر، وعيسى بن عمر توفي سنة ١٤٩هـ، ولا يمكن لسبويه أن يأخذ عن عيسى إلا وهو يعقل، ولا يعقل حتى يكون بالغالى^(٥)، وهذا السبب رجح ياقوت (٦٢٦هـ) أن عمر سيبويه عند وفاته كان فوق الأربعين، وليس ثلاثة وثلاثين كما يذكره بعض المترجمين له^(٦).

وقد ورد أبو الحسن البصرة فسكنها، وتلأمذ لكثير من علمائها ممن سير ذكر بعضهم عند الحديث عن شيوخه، ودخل بغداد وأقام بها مدة، وروى وصنف بها^(٧)، ثم

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٢، وأخبار النحويين للسيرافي ٧٢، والالفهرست ٧٥، وزهرة الأباء

١٠٧، وإنما الرواة ٢٦/٢، ووفيات الأعيان ٢٨٠/٢، وإشارة التعين ١٣١.

(٢) مدينة مشهورة بخراسان. ينظر: معجم البلدان ١٥٦٨/١ ((بلغ)).

(٣) حاشية على شرح بانت سعاد ٢٧٠/٢.

(٤) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ١٧، وأخبار النحويين البصريين ٧٥، وإشارة التعين ١٣١، وإنما الرواة ٤٠٧/٢.

(٥) ينظر: معجم الأدباء ٢٢٣/٥.

(٦) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٢، وأخبار النحويين البصريين ٦٤، وزهرة الأباء ٥٨.

(٧) ينظر: البغية ١/٥٩٠.

انتقل إلى الري ومات هناك^(١). وتذكر كتب التراجم من صفاته أنه كان أجلع^(٢)، والأجلع الذي لا تنضم شفاته على أسنانه، وأنه كان من أعلم الناس بالكلام، وأخذهم بالجدل^(٣). وأنه كان جريئاً في الحق حريطاً على النصع، عاجزاً عن تحمل الخطأ، ولو أدى ذلك إلى إلحاده الضرر به^(٤)، وأنه أول من أملى غريب كل بيت من الشعر تحته، وكان يقال له: الأخفش الرواوية^(٥)، وأنه كان متخصصاً بالأمانة العلمية، وقد أثني على أمانته عدد من العلماء الأجلاء، منهم أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) الذي قال: ((يَكَادُ يُعْرِفُ صَدْقَ أَبِي الْحَسْنِ ضَرُورَةً، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ الْخَلِيلِ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ فَلَمْ يَحْكِ عَنْهُ حِرْفًا وَاحِدًا^(٦))). وابن جنی (٢٩٢هـ) الذي وصفه في سر الصناعة^(٧) بالأمانة وسعة الرواية، وابن إياز (٦٨١هـ) الذي قال معللاً لترجمته إحدى الروايات: ((لَانَّ الْأَخْفَشَ حَكَاهُ، وَحَسْبَكَ بِهِ ثَقَةً)) وأبو حيان (٥٧٤هـ) الذي جعل ما يقوله الأخفش بمنزلة ما يرويه، فقال في التذليل والتكميل^(٨): ((كَلَامُ الْأَخْفَشِ وَحْدَهُ كَالنَّقْلِ عَنِ الْعَرَبِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَدَّ^(٩)). وَعَدَهُ الْأَزْهَرِيُّ (٢٧٠هـ) فِي تهذيب اللغة^(١٠) ضمن العلامة الموصوفين بالصدق في الرواية، والمعرفة الثاقبة، وحفظ الشعر، وجعله من ضمن من اعتمد عليهم فيما جمعه من كتابه.

عقيدته:

اتفقت أقوال المترجمين للأخفش على أنه كان معتزلي المذهب^(١). غير أن تلك العقيدة لم تظهر في أي نص من النصوص المنسوبة إلى كتابيه المسائل الكبير والصغير، وإن كانت ظهرت في كتابه معاني القرآن ظهوراً واضحاً في توجيهه لبعض الآيات بما يناسب عقيدته.

(١) ينظر: المزهر، ٤٠٣-٤٠٤.

(٢) ينظر: إشارة التعين، ١٣١، وشندرات الذهب، ٣٦٧.

(٣) ينظر: ابنه الرواة، ٣٩/٢، والبلغة، ٥٩٠/١.

(٤) ينظر: مجالس العلماء، ٥٤-٥٥، وابنه الرواة، ٤٣/٢.

(٥) ينظر: طبقات النحوين واللغويين، ٧٤، وإنبه الرواة، ٢٩٢/٢.

(٦) الخطانص، ٣١/٢.

(٧) ٣٦٢/١.

(٨) ١٠٨/٨.

(٩) ١٢-١١/١.

(١٠) ينظر: مراتب النحوين، ٦٨، وطبقات النحوين واللغويين، ٧٤، والمزهر، ٤٠٥/٢.

شيوخه:

يعد سيبويه أبرز من أخذ عنهم أبو الحسن الأخفش، فقد لازمه، وأخذ عنه النحو، وروى عنه كتابه، بل هو الطريق الوحيدة إليه، إذ لا يعرف أحد قرأه على سيبويه، أو قرأه سيبويه عليه^(١)، ويروى عنه أنه كان يقول: (اما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه علي...^(٢)) وقد نصت المصادر على أنه لقي من سيبويه من العلماء، لأنه كان أكبر سناً منه، ونصل كذلك على أنه لم يأخذ عن الخليل^(٣)، ومن لقيه سيبويه من العلماء غير الخليل:

١. عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ).
٢. الأخفش الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد (١٧٧هـ).
٣. يونس بن حبيب البصري (١٨٣هـ).
٤. أبو زيد الأنباري، سعيد بن أوس بن ثابت (٢١٥هـ).

وتذكر بعض كتب الطبقات والترجمات أن أبي الحسن اتصل بأبي مالك النميري عمرو ابن كركة وحماد بن الزبرقان، وروى عنهم^(٤).

لامذته:

تخرج على يد أبي الحسن الأخفش العديد من العلماء، من أشهرهم:

- ١- أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي (٢٢٥هـ)^(٥).
- ٢- أبو محمد عبدالله بن محمد التوزي (٢٣٠هـ)^(٦).
- ٣- أبو عثمان بكر بن محمد المازني (٢٤٧هـ)^(٧).
- ٤- أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي (٢٤٩هـ)^(٨).
- ٥- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٥٠هـ)^(٩).

(١) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٦٤، والفهرست ٧٥، ونזהة الأباء ١٠٨.

(٢) طبقات النحويين واللغويين ٦٧، وشنرات الذهب ٣٦/٢.

(٣) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٦٧، وإنما الرواية ٣٩/٢.

(٤) ينظر: إنما الرواية ٤١-٤٠/٢.

(٥) ينظر: ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٧٤، والبغية ٨/٢.

(٦) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٩٥.

(٧) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٨٧، وأخبار النحويين البصريين ٨٥.

(٨) ينظر: مراتب النحويين ١٣٧.

(٩) ينظر: وفيات الأعيان ٤٣٠/٢.

- ٦ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)^(١).
 ٧ - أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي (٢٥٧هـ)^(٢).
 ٨ - أبو جعفر أحمد بن محمد اليزيدي (٢٦٠هـ)^(٣).

مكاناته العلمية:

يعد الأخفش واحداً من أعلام مدرسة البصرة المقدمين، وأكبر أئمتها بعد سيبويه. وقد وصفه بعض من يعرفه بأنه إمام العربية، وأنه من أكبر أئمة البصريين^(٤)، وأنه أربع أصحاب سيبويه وأحفظهم^(٥)، ووصفه الفراء بأنه سيد أهل اللغة، وسيد أهل العربية^(٦). وقال عنه الكسائي: لم يكن في البصريين أعلم من الأخفش^(٧). ولما علم الفراء بعزم الأخفش على الخروج إلى الري، قال: ((أما إنه إن كان خرج فقد خرج معه النحو كله، والعلم بأصوله وفروعه^(٨))) وكان ثعلب – الذي وصف بأنه قليل الشهادة لأحد بالحق في العلم^(٩) – يفضل الأخفش ويقول: ((هو أوسع الناس علمًا^(١٠))). ويكتفي في الدالة على مكانة الأخفش العلمية شهادة سيبويه، فقد كان لا يضع في كتابه شيئاً إلا عرضه على أبي الحسن^(١١). ولما مات سيبويه كان أبو الحسن هو الطريق الوحيدة إلى كتابه، فالكتاب لم يرو من طريق غير طريق الأخفش سعيد بن مساعدة^(١٢).

آثاره العلمية:

صنف الأخفش كتباً كثيرة في اللغة والنحو والعروض والقوافي، وله في كل فن منها مذاهب مشهورة، وأقوال مذكورة عند علماء العربية، ولم يصلنا من تلك المؤلفات

(١) ينظر: معجم الآباء ٢١٠١/٥.

(٢) ينظر: إنباه الرواة ٣٦٧/٢، والبغية ٢٧/٢.

(٣) قرأ عليه كتاب معاني القرآن. ينظر: مقدمة معاني القرآن للأخفش ١٦-١٥ (تحقيق د. عبد الأمير الور).

(٤) ينظر: نزهة الأباء ١٠٧. وشندرات الذهب ٣٦/٢.

(٥) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٦٦، والبلغة ٨٣، والبغية ١/١٥.

(٦) ينظر: وفيات الأعيان ٢٨١/٢.

(٧) ينظر: مراتب النحويين ٦٨.

(٨) المزهر: ٤٠٤/٢.

(٩) ينظر: معجم الآباء ٢٤٥٢/٦ في ترجمة محمد بن جرير الطبرى.

(١٠) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٦٦. ونزهة الأباء ١٠٨.

(١١) ينظر: مراتب النحويين ١١٢. وطبقات النحويين واللغويين ٦٧.

(١٢) ينظر: نزهة الآباء ١٠٨.

إلا ثلاثة، وجميعها حقق وطبع، وهي: معانى القرآن^(١)، وكتاب العروض^(٢)، وكتاب القوافي^(٣). أما كتبه التي لم تصل إلينا ولم يشير إلى وجودها أحد، وإنما هي في عداد الكتب المفقودة، فهي: كتاب المسائل الصغير وكتاب المسائل الكبير، وكتاب الأوسط في النحو، وكتاب المقاييس في النحو، وكتاب الاشتقاد، وكتاب وقف التمام، وكتاب الأصوات، وكتاب الملوك، وكتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسنانها^(٤)، وكتاب التصريف^(٥)، وشرح كتاب النوادر لأبي زيد^(٦)، وكتاب الواحد والجمع في القرآن^(٧)، وحواش على كتاب سيبويه^(٨)، وكتاب الأربع^(٩)، وكتاب في أبيات المعانى، سماه ((المعالية))^(١٠).

وفاته:

اختلاف في سنة وفاة أبي الحسن الأخفش – رحمه الله – فقيل: سنة ٢١٠ هـ^(١١). وقيل: سنة ٢١١ هـ^(١٢)، وقيل: سنة ٢١٥ هـ^(١٣)، وقيل: سنة ٢٢١ هـ^(١٤).

* * *

(١) خرج بثلاثة تحقیقات. أحدها للدكتور فائز فارس، ونشر عام ٢٠٠٤هـ والثاني للدكتور عبد الأمير الورد، ونشر عام ٢٠٠٥هـ والثالث للدكتورة هدى قراعة، ونشر عام ١٤١٤هـ.

(٢) خرج بتحقيقين، أحدهما للدكتور أحمد محمد عبد الدايم، والثاني للدكتور سيد البحراوى.

(٣) حقيقة الدكتور عزة حسن، ١٩٧٠م، وأعاد تحقيقه ونشره أحمد راتب النفاخ، ١٩٧٤م.

(٤) ينظر: الفهرست ٧٥، واباه الرواة ٤٢/٢، وإشارة التعين ١٣٢، ووفيات الأعيان ٢٨٠/٢، والوافي في الوفيات ١٥/٢٦٠.

(٥) ينظر: إباه الرواة ٤٢/٢، ونقل عنه ابن جني في سر الصناعة ٢/٧٥١٧٥٠، وتهذيب التذكرة ١٩٩ (مخطوط).

(٦) ينظر: تهذيب اللغة ١/٣٢، واباه الرواة ١/١٤٤، وعده البغدادي في مقدمة الخزانة ١/٢٢ من مصادره ونقل عنه في ثلاثين موضعًا.

(٧) ينظر: المزهر ٢/١٤٢، والهمم ١/٨٨.

(٨) ينظر: إشارة التعين ٤/٢٤٤.

(٩) ينظر: إيضاح المكنون ٢/٢٦٥.

(١٠) ينظر: حاشية على شرح بانت سعاد ١/٢٠٣، ووصفه البغدادي بأنه جيد، وذكر أنه عنده.

(١١) ينظر: الوافي في الوفيات ١٥/٢٦٠.

(١٢) ينظر: إباه الرواة ٢/٤١.

(١٣) ينظر: طبقات النحوين واللغويين، والفهرست ٧٥/٧٤.

(١٤) ينظر: البغية ١/٥٩١.

الفصل الأول: كتاب المسائل: الكبير والصغرى:

توثيق عنوان الكتابين ونسبتهما إلى الأخفش:

عنوان الكتاب هو اسمه الذي يعرف به، ويميزه عن غيره. وقد ورد كتابا ((المسائل)) للأخفش في جميع كتب الترجم والطبقات التي ترجمت لأبي الحسن بعنوان ((كتاب المسائل الكبير)). و((كتاب المسائل الصغير)). وكذلك ورد بهذين الاسمين عند كل من ذكرهما من أصحاب الكتب التي تعنى بالكتب ومصنفيها^(١). وكذلك عند أكثر من نقل عنهما من النحوين بل جاء في ((طبقات النحوين واللغويين)) ما يدل على أن هذه التسمية هي تسمية الأخفش نفسه^(٢).

وقد تصرف بعض النحوين – بقصد الإيجاز والاختصار – باسم الكتابين فذكرهما بعنوان ((الكتاب الكبير))^(٣). و((الكتاب الصغير))^(٤). بحذف كلمة ((المسائل)). وبعدهم ذكرهما بعنوان ((المسائل الكبير))^(٥). و((المسائل الصغير))^(٦). بحذف كلمة ((كتاب)) ويظهر لي أن التصرف الأخير أدى إلى ظهور عنوانات أخرى للكتابين اشتهرت عند كثير من نقل عنهما من النحوين المتأخرین. كابن عصوف وابن مالك ومن جاء بعدهما، هي ((المسائل الكبيرة))^(٧). و((المسائل الكبار))^(٨). و((المسائل الكبرى))^(٩) و((المسائل الصغيرة))^(١٠). و((المسائل الصغرى))^(١١). فجعلوا الوصف ينصرف إلى المسائل، وليس إلى

(١) ينظر: الفهرست ٧٥. وهدية العارفين ١/٢٨٨.

(٢) ينظر: طبقات النحوين واللغويين ٧٢.

(٣) ينظر: البعداديات ١٨٠. وضرائر الشعر ٢٥٠. ٣٩. ٤٠. ٥٤٩. ١١. وتنكرة النحة ٢٢٠. ٢٥٧/٥. والارتشفاف ٢٢٠. ٢٥٧/٥. والمنهاج الجلي في شرح القانون الجزوی ٣٧٦/١ (رسالة دكتوراه). والهمع ٢٦/٢. والأشباه والنظائر ٣٨٨/٤. وشرح شواهد الشافية ٣٦٧/٤.

(٤) ينظر: شرح المسائل المشكلة للفارقي ٢٢٢. ١٢٥.

(٥) ينظر: إعراب القرآن للحناس ٢٢٠/٢. وشرح المسائل المشكلة للفارقي ٣٨٢. ٢٧٢. وشرح التسهيل ٢٦٢. وشرح الكافية للرضي ١٢٢. ١٢٣. والصفوة الصافية ٣٠/٢. والتذليل والتكميل ٤/٥. ٩٢/٥. ١٣٨/٥. ١٩٤. ١٣٨/٥. وتعليق الفرائد ٢/١٢. والمنهاج الجلي في شرح القانون الجزوی ٩٧٤/٢ (رسالة دكتوراه).

(٦) ينظر: المقاصد الشافية ٦٩٥/٢. ١٨٥/٦. والخزانة ٤٤٤/٨.

(٧) ينظر: الصفوۃ الصافية ٤/٦٨٢ حاشیة رقم ٢.

(٨) ينظر: الارتشفاف ٢/١٥٣٢.

(٩) ينظر: تعلیق الفرائد ٢/١٣٠. ١٣٠/٦ حاشیة رقم ٦.

(١٠) ينظر: الارتشفاف ٢/١٠٨٣. ١٠٨٣/٦. وشرح أبيات مغني اللبيب ٨/٦٠.

(١١) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٧٣٧. ٦٦٧/٢. وشرح التسهيل ٧٤/٢. والتذليل والتكميل ٦/٩. وروح المعانی ٢/١٦٠. وحاشیة الشهاب ٢/١٨٦.

حجم الكتاب، ولهذا ظن بعض الباحثين^(١) أن الأول كتاب يحتوي على مسائل تناقض أدق الأحكام ولا تناسب المبتدئين، وأن الثاني كتاب تعليمي مبسط، تناول فيه أبو الحسن المسائل بأسلوب سهل موجز، وليس الأمر – في ظني – كذلك، وإنما أميل إلى أن الأخفش ألف كتاباً صغيراً يتضمن مسائل نحوية وصرفية معينة، ثم ألف كتاباً أكبر منه تناول فيه قدرًا أكبر من المسائل فالوصف ليس للمادة أو الأسلوب وصعوبتها أو سهولتها، وإنما إلى حجم الكتاب فقط، وهذا الذي ذكرته يؤيد ما سبق ذكره من تسمية النحويين المتقدمين لكتابين^(٢).

سبب تأليفهما:

لما دخل أبو الحسن بغداد بعد وفاة سيبويه واتصل بالковيين، ورأى اهتمامهم بالمسائل المتفقة في النحو والصرف صنع لهم ((كتاب المسائل الكبير))^(٣)، قال الزبيدي: ((وقال الأوراجي الكاتب: حدثني أحمد بن محمد بن رستم الطبرى (٤٠٤ هـ) عن الجرمي أن الأخفش حدثه، قال: لما دخلت بغداد أتاني هشام الضرير فسألني عن مسائل عملها وفروع فرعها، فلما رأيت أن اعتماده واعتماد غيره من الكوفيين على المسائل عملت ((كتاب المسائل الكبير))^{(٤)...).}

وكان أبو الحسن قبل ذلك أو بعده بقليل قد ألف كتابه ((معانى القرآن)) بطلب من الكسائي^(٥) فكان لهذين الكتابين أثر بالغ في الكوفيين، اطلعا من خلالهما على مذهب البصريين، واطلعا على سعة علم الأخفش، مما جعل رأسى مدرسة الكوفة – الكسائي والفراء – ومن بعدهما ثعلب يثنون على علم الأخفش ويدعون إلى الاستفادة من علمه، فقال الكسائي: ((لم يكن في القوم – يعني البصريين – أعلم من الأخفش^(٦))), وقال

(١) ينظر بحث بعنوان: نشأة محاولات تجديد النحو لمريم النعيمي، منتديات تخطاب، الدراسات التراثية ٩١/٢٠١٠م، ويبحث بعنوان: محاولات التيسير في النحو العربي، للدكتور عوض القوزي، ندوة الوفاء الخميسي، الرياض، لعميدها أحمد باجنيد، ١٤٢٦/١١/١٢هـ.

(٢) ينظر: الصفحة السابقة الحاشية رقم ٧ و ٨.

(٣) أما كتاب ((كتاب المسائل الصغير)) فلم أجده أحداً من العلماء تحدث عن سبب تأليفه.

(٤) طبقات النحويين واللغويين ٧٣.

(٥) ينظر: المصدر السابق ٧٠.

(٦) ينظر: مراتب النحويين ٦٨.

الفراء لما علم بعزم الأخفش على الخروج إلى الري: ((لَئِنْ خَرَجْ فَقْدْ خَرَجْ مَعَهُ
النَّحْوَكَلَهُ، وَالْعِلْمُ بِأَصْوَلِهِ وَفَرْوَعَهِ)) وَقَالَ عَنْهُ ثَعْلَبُ: ((هُوَ أَوْسَعُ النَّاسَ عِلْمًا)).
مَا دَهْمَهَا الْعِلْمِيَّةُ وَأَسْلُوبُ أَبِي الْحَسْنِ فِيهِمَا:

صَنْفُ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ ((كِتَابُ الْمَسَائِلِ)) لِأَبِي الْحَسْنِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كُتُبِ النَّحْوِ.
حِيثُ وَجَدَ عَلَى نَسْخَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ تَعلِيقَ كَتْبَهُ بِخَطْهِ، وَفِيهِ: ((كَتَبْتُ إِلَى أَبِي حَاتَمَ
السَّجْسَتَانِيِّ أَنْ يَنْسَخْ لِي مَسَائِلَ الْأَخْفَشَ كُلَّهَا فِي النَّحْوِ، فَوَجَهَ إِلَيَّ بِهَذِهِ
النَّسْخَةِ...)). وَمَا اسْتَطَعْتُ جَمِيعَهُ مِنْ نَصْوَصِ مَنْقُولَةٍ عَنِ الْكَتَابَيْنِ، وَمَسَائِلَ مَنْسُوَّةٍ
إِلَيْهِمَا، يُؤَكِّدُ مَا ذَكَرَهُ الْإِمامُ ثَعْلَبُ فَعَنْيَةً أَبِي الْحَسْنِ فِيمَا جَمِيعَ مِنِ الْكَتَابَيْنِ مُنْصَرِفَةٍ
إِلَى النَّحْوِ، وَمَا أُورِدَهُ مِنْ نَصْوَصِ تَنَاهُولِ مَسَائِلَ صَرْفِيَّةٍ، أَوْ لُغُوَيَّةٍ قَلِيلٍ جَدًّا).

وَالْمَسَائِلُ الَّتِي تَحدَثُ عَنْهَا أَبُو الْحَسْنِ فِي كَتَابِهِ جَعَلَهَا فِي أَبْوَابٍ، قَالَ أَبْنَى
دَرْسَتَوِيهِ (٢٤٧هـ): ((وَزَعَمَ جَمَاعَةُ الْبَصْرَيْنِ أَنَّ الْكَوْفِيَّ الَّذِي يَذَكُرُهُ الْأَخْفَشُ فِي
آخِرِ بَابِ مِنْ كِتَابِ الْمَسَائِلِ وَيَرِدُ عَلَيْهِ هُوَ الرَّوَاسِيُّ)). وَقَالَ الْفَارَسِيُّ فِي الْبَغْدَادِيَّاتِ (٦):
((قَالَ أَبُو الْحَسْنِ فِي كَتَابِهِ ((الْمَسَائِلُ الْكَبِيرُ)): هَذَا بَابُ ((إِنْ)) الْمَخْفَفَةُ إِذَا كَانَتْ بَعْدَهَا
اللَّامُ عَوْضًا...)). وَقَالَ الْفَارَسِيُّ فِي التَّذَكَّرَةِ—فِيمَا نَقَلَهُ عَنِ السِّيَوْطِيِّ—: ((... وَقَدْ عَمِلَ أَبُو
الْحَسْنِ فِي ((الْمَسَائِلُ الْكَبِيرُ)) أَبْوَابًا وَمَسَائِلَ، وَهَذَا أَصْلُ تَلْكَ الْمَسَائِلِ عِنْدِي)) (٧)، وَقَالَ
الْأَلْوَسِيُّ فِي رُوحِ الْمَعْانِي (٨): ((وَفِي الْمَسَائِلِ الصَّغِيرِ لِلْأَخْفَشِ فِي بَابِ عَقْدِهِ لِتَحْقِيقِ
هَذِهِ الْمَسَأَلَةِ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَسْتَعْمِلُ آخِرًا فِيمَا هُوَ مِنْ صَنْفِ مَا قَبْلَهُ، فَلَوْ قُلْتَ: أَتَانِي

(١) المزهر: ٤٠٤/٢.

(٢) ينظر: أخبار النحوين البصريين ١٦، ونزهة الآباء ١٠٨.

(٣) طبقات النحوين واللغويين ١٥٠.

(٤) يقول الأزهري في تهذيب اللغة ١١-١٢ وهو يعدد من اعتمد عليهم من العلماء فيما جمعه من كتابه:
((وَمِنْهُمْ: أَبُو الْحَسْنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعِدَةَ الْمَعْرُوفِ بِالْأَخْفَشِ؛ وَكَانَ الْفَالِبُ عَلَيْهِ النَّحْوُ وَمَقَايِيسُهُ، وَلَمْ
يَكُنْ حَافِظًا لِلْغَرِيبِ...)).

(٥) ينظر: إناء الرواة، والبغية ٨٢/١، والرؤاسي هو أول كوفي يضع كتاباً في النحو، وكتابه اسمه الفيصل.
وقيل: إن كل ما في كتاب سبيويه: وقال الكوفي كذا، إنما عن به الرؤاسي. ينظر: المزهر: ٤٠٠/٢.

(٦) ص ١٨٠.

(٧) الأشباه والنظائر ٣٨٨/١.

(٨) ١٦٠/٢. وينظر: حاشية الشهاب ١٨٦/٢.

صديق لك وعدولك آخر لم يحسن لأنه لغوه من الكلام)). وتلك الأبواب متفرقة لا ينتظمها كتاب أو فصل واحد، بمعنى أن أبي الحسن قد يعقد بباباً ((إن)) المخففة مثلاً فيتحدث عنها في جانب معين، ثم يعقد لها باباً آخر في موضع آخر من الكتاب يتحدث فيه عن جانب آخر، وقد قام أحد النحوين، وهو زيد البارد (٢٠٠هـ) بالجمع بين أبواب الكتاب، يقول الزيدي متحدثاً عن زيد البارد: ((وهو الذي جمع بين الأبواب في كتاب الأخفش، فاقتدى الناس به وكانت الأبواب متفرقة، رأيت النسخة الأولى، فرأيت أبوابها متفرقة)).

أما عن أسلوب أبي الحسن في الكتابين فهو - كما قيل عنه - أسلوب يميل إلى الصعوبة والتعقيد^(١)، وقد وأشار إلى ذلك الفارقي (٣٩١هـ) في كتابه (تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب)^(٢)، وحدث أبو بكر بن الخياط (٣٢٠هـ) أنه قصد يوماً أحمد ابن يحيى الملقب بتعلب فدق عليه الباب، فخرج وبيه جزء من مسائل الأخفش، فقال: ((ويحك، صاحبك هذا مجنون، ويتكلم بما لا يفهم، فقلت: وأي شيء وقفت عليه من هذا؟، فقال: كم مني مكان السارية رجل، وكم مني مكان السارية ذراع، في غير ذلك من المسائل، فقلت له: هذا رجل أشرف على بحر، فهو يتكلم منه بما يريد، فسكت^(٤)).
ويعرف الأخفش بصعوبة أسلوبه في كتابه (المسائل الكبير)، فيذكر وهو يتحدث عن سبب تأليفه أنه ألفه للكوفيين، وأنهم اطّلعوا عليه فلم يعرفوا أكثر ما فيه^(٥).

وقد حملت صعوبة أسلوب أبي الحسن في الكتابين بعض النحوين إلى الاهتمام بمعالجة ما فيهما من غموض وتعقيد، فشرحهما عدد منهم كما سيأتي بعد قليل.
وأختم الحديث هنا بأن أشير إلى أن سمة الإغماظ والإبهام في أسلوب أبي الحسن ليست خاصة بكتابي المسائل فقط، بل هي سمة ظاهرة في سائر كتبه، وقد ناقشه

(١) ينظر: طبقات النحوين واللغويين ٢٨٤.

(٢) ما عثرت عليه من نصوص يخالف هذا، فهي نصوص واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، ولكن الذي يجب أن يعلم هو أن ما جمعته لا يشكل نسبة كبيرة من الكتابين، مما فقد منها، وأن كل عناهما من غير عزوٍ كثير جداً ولا يمكن مقارنته بما جُمع.

(٣) ص ٢٨٣.

(٤) طبقات النحوين واللغويين ٧٤.

(٥) ينظر: طبقات النحوين واللغويين ٧٣.

الجاحظ في ذلك فقال له: ((أنت أعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟ وما بالك تقدم بعض العويس وتؤخر بعض المفهوم؟، قال: أنا رجل لم أضع كتبي هذه للله، وليس هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه فللت حاجاتهم إلى فيها وإنما كانت غايتها المتألة، فإنما أضع بعضها هذا الوضع المفهوم، لدعوه حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم مالم يفهموا^(١)). وهذا النص يدل على أن الإغماض عند أبي الحسن مصنوع، أداء إليه رغبته في أن يحمل الناس على الحاجة إليه.

مكانتهما:

تتضخ مكانته كتباً ((المسائل)) للأخفش من خلال الأمور الآتية:

- ١- ارتباطهما بعلم شامخ من أعلام النحو في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، هو أبو الحسن سعيد بن مساعدة الأخفش، الذي وُصف بأنه أربع من أخذ عن سيبويه وأنه الطريق الوحيدة إلى كتابه، فهو مدين للبصرريين بروايته لكتاب سيبويه، وللكوفيين الذين خصهم بأثنين من أهم مؤلفاته، هما: ((معاني القرآن))، و((كتاب المسائل الكبير)).
- ٢- كونهما من أقدم الكتب المؤلفة في النحو - بعد كتاب سيبويه - واشتمالهما على مجموعة من المسائل المهمة في الدراسات النحوية كانت ولا تزال موضع نقاش بين علماء العربية.
- ٣- اشتتمالهما على العديد من الشواهد الشعرية، والروايات النثرية، التي رواها الأخفش عن العرب مباشرة، أو نقل روايتها عنمن سمعها منهم.
- ٤- اعتماد كثير من العلماء عليهما في كتبهم، ونقلهم عنهم، مما يدل على مكانة الكتابين، وأهميتهم في نظر العلماء والدارسين.
- ٥- عنابة العلماء بهما، وذلك من خلال ما يلي:
 - أ- دراستهما، وقد وُصف أبو بكر بن الخياط بأنه من أتقن مسائل الأخفش، وأنه كان يتصرف فيها تصرفاً قوياً^(٢)، ووُصف أبو محمد الترسابادي النحوي (بعد ٢٠٠هـ) بأنه من أحكم مسائل الأخفش^(٣).

(١) الحيوان ٩٢/١.

(٢) ينظر: معجم الأذباء ٦٩/١٢-٧٠، والبغية ١٣٠/٢.

(٣) ينظر: البغية ٢٩٠/١.

بـ- نسخهما والحرص على امتلاكهما، وممن نسخ المسائل الصغير أبو الفتح ابن جني، قال البغدادي بعد أن نقل نصاً للأخفش من تلك المسائل: ((... ونقلته من نسخة هي بخط ابن جني^(١)) وجاء في طبقات النحوين واللغوين^(٢) أنه وجد على مسائل الأخفش بخط أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب مانصه: ((كتبت إلى أبي حاتم السجستاني أن ينسخ لي مسائل الأخفش كلها في النحو، فوجهه إلى بهذه النسخة، وأعلمني أنه لم يبق مسألة إلا وهي في هذا الكتاب)) وقد انتقلت هذه النسخة إلى الأندلس فشوهدت بيد الخليفة المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن (٢٦٦هـ) قبل ولادته، أنته من العراق^(٣).

جـ- ترتيب أبوابها بعد أن كانت مفرقة، وأول من صنع ذلك - على ما ذكره بعض أصحاب التراجم - زيد بن الريبع بن سليمان الحجري المعروف بالبارد (٣٠٠هـ)، فاقتدى الناس به^(٤).

دـ- الجمع بين مسائل ((الكبير)) و((الصغير)) تحت اسم ((ديوان مسائل الأخفش)), وقد جمعهما أبو حاتم السجستاني بطلب من أبي العباس ثعلب^(٥).
ـ- شرحهما وتوضيجهما، وممن شرحاهما من العلماء^(٦) أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى (٣٨٤هـ) في كتابين، هما: شرح المسائل الكبير للأخفش وشرح المسائل الصغير للأخفش^(٧)، وخص المسائل الكبير بشرح عدد من العلماء، منهم محمد بن علي المعروف بمبرمان (٣٢٦هـ)^(٨)، وأبو القاسم أحمد بن أبان بن السيد (٣٨٢هـ)^(٩)، وعلى بن إسماعيل بن سيده اللغوي (٤٥٨هـ) صاحب المحكم والمخصص^(١٠).

(١) حاشية على شرح باتت سعاد ١١٦/٢.

(٢) ص ١٥٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر: طبقات النحوين واللغوين ٢٨٤، وابن الرواة ١٥/٢، والبلغة ٢٣.

(٥) ينظر: طبقات النحوين واللغوين ١٥٠.

(٦) جميع ما سينذكر من شروح هو في عداد الكتب المفقودة.

(٧) ينظر: الفهرست ٨٨، وابن الرواة ٢٩٥/٢.

(٨) ينظر: البلقة ٦٩.

(٩) ينظر: البغية ١/٢٩١.

(١٠) ينظر: البغية ٢/٤٣، وأبجد العلوم ٣/٧.

٧- الاعتماد عليهما، والسير على منوالهما في التأليف. فعول عليهما أبو حاتم السجستاني في كتابه ((المختصر في النحو))^(١)، وأحمد بن جعفر الدينوري (٢٨٩هـ) في كتابه ((المذهب في النحو))^(٢) وابن السراج (٣٦١هـ) في كتابه ((الأصول))^(٣).

* * *

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين .٩٤

(٢) ينظر: طبقات النحويين واللغويين .٢١٥. وإنباه الرواة .٦٩/١

(٣) ينظر: معجم الأدباء .٦/٢٥٣٥. وإنباه الرواة .١٤٩/٢

الفصل الثاني: أثر كتابي المسائل الكبير والصغير لأبي الحسن الأخفش في النحوين:
 عنى النحويون في مؤلفاتهم بآراء أبي الحسن الأخفش وأكثروا النقل عنه، وليس من المبالغة أن أقول: إنه ما من أحد - بعد سيبويه - تردد اسمه في مصادر النحو مثل ما تردد اسم الأخفش الأوسط سعيد بن مساعدة، وقد عولوا في كثير مما ينقلونه عنه على كتابيه ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير)), وبلغت النقول التي نصوا على إحالتها إلى أحد الكتابين - حسب ما اطاعت عليه - سبعة وتسعين نقلأً، منها واحد وخمسون نقلأً عن ((المسائل الكبير))^(١)، وثمانية عشر نقلأً عن ((المسائل الصغير))^(٢)، وهناك ثمانية وعشرون نقلأً أحالها من أوردها إلى ((كتاب المسائل))^(٣)، هكذا، بحذف الصفة، وفاعل ذلك إما أنه يريد ((كتاب المسائل الكبير)), لكونه الأشهر، والأضخم، وإما أنه يرى أن الكتابين يشكلان بمجموعهما كتاباً واحداً يصح أن يطلق عليه عنوان ((كتاب المسائل)), وعلى كل حال فما أحيل إلى ((كتاب المسائل)) هو لاشك من أحد الكتابين، الصغير أو الكبير، وجميع تلك النقول هي نقول ثرة في النحو والصرف والأعارات

(١) تنظر تلك النقول في: إعراب القرآن للنحاس، ٢٢٢/٢، والبغداديات، ١٨١-١٨٠، والمسائل المشكلة للفارقي، ٣٩٢، ٢٧٢، والغرة لأبن الدهان، ٢١٩، ٤٩٤، ٢٤٥، ٣٠٥، ٦٦٣، ٣٠٥، ٢٤٥ (رسالة دكتوراه)، وضرائر الشعر، ٤٠، ٣٩، ٢٥.

وشرح التسهيل، ٣٦٢/٢، وشرح الكافية للرضي، ٤٢٢/١، ٤٢٢/٢، وشرح المقرب المسمى التعليقة، ٣٨٢/١، ٣٧٦، وشرح عمدۃ الحافظ، ٦٨٢/٤، ٣٠٤، وتنکرۃ النحة، ١١، ٥٤٩، والتذیل والتکمیل، ١٤٢، ١٣٨، ٣٨٠، ٥٩٢، ٥٩٣، ٢٠٥٧، ٢٠١٥، ٩٥٢، ١٥٧٩، ٢٠٥٧، ٢٠١٥، ١٩٤، ٢٣٨، ١٤٩، ٧، ١٩٤، والمساعد، ٤٨٢/٢، وتمهید القواعد، ٢٠٢٦٢/٤، وتعليق الفرازد، ٣٠/٣، والسراج المنیر للجامع الصغير، ١٤٥٥ (رسالة)، والهمع، ٣٦٢/٣، والأشبه والناظائر، ٣٨٨، ٣٨٣، وشرح شواهد الشافية، ٣٦١.

(٢) تنظر تلك النقول في: المسائل، المشكلة للفارقي، ١٢٥، ٣٢٢، ١٣٨، والغرة لأبن الدهان، ٥٠٢ (رسالة دكتوراه)، وشرح عمدۃ الحافظ، ٦٦٧/٢، ٧٢٧، وشرح التسهيل، ٧٤/٢، والتذیل والتکمیل، ٩/٦، ١٠٦/٨، والارتیاف، ١٧٥٩، ١٠٨٢، والمقاصد الشافية، ١٩٥/٢، ١٨٥/٦، وشرح أبيات مغني الليبب، والخزانة، ٤٥٤/٨، وحاشية على شرح بانت سعاد، ١١٦/٢، ١٥٢/١، وروح المعانی، ١٦٠/٣، وحاشية الشهاب، ١٨٦/٣.

(٣) تنظر تلك النقول في: المحکم، ٤٣٩/٤، والأزهیة، ٧٧، والغرة لأبن الدهان، ٤٩٥، ٢٥٤ (رسالة دكتوراه)، وشرح الكافية الشافية، ٨٣٠/٢، وشرح التسهيل، ١/١، ٣٧/٢، ٢١٥، ٢٤٥، ٢٤٤/٦، ٢٢٧، ٧١/٢، والتذیل والتکمیل، ١٩٢، ١٩١/٣٢٠١، ١٢٩، ٢٤٥، ٢٤٤/٦، ٢٢٧، ٦٨/٩، ٢٩٩/٨، ٢٤٥، ٢٤٥، ٢٤٤/٦، ٢٢٧، ٧١/٢، ٦٨، والارتیاف، ٢٠١٥/٤، والبحر المحيط، ٣١١/٦، ١٩٧/٢، وتوضیح المقاصد، ٣٧٣/١، وشرح ابن عقیل، ٢٦١/١، والمساعد، ٢٩٨/٢، والدر المصنون، ٤٥٤/١، والباب في علوم الكتاب لأبن عادل، ٧٣٩/٧، والمقاصد الشافية، ٧١٢/٣، والسراج المنیر للجامع الصغير، ١٢٨١ (رسالة)، والخزانة، ٣٥٥/٢.

واللغات والإنشاد، وكثرة هذه النقول تدل بحد ذاتها على تأثر النحويين بكتابي المسائل. على أن ما ذكرته هنا هو فقط في المواقع التي صرحاً فيها باسم أحد الكتابين وهناك نقول كثيرة جداً عن أبي الحسن في المصادر النحوية والصرفية لم تُحَل إلى كتاب معين من كتب الأخفش، ولا أستبعد أن كثيراً منها مأخوذ من أحد كتابي المسائل، لكن لا أستطيع الجزم بمسألة بعينها، لعدم نص تلك المصادر على أنها من أحد الكتابين.

وقد ظهر لي من خلال تبيّن النصوص والمسائل المنسوبة إلى أحد كتابي المسائل للأخفش أنه كان لهما تأثير كبير في النحويين من خلال الأمور الآتية:

اعتمادهم عليهما في إثبات بعض الشواهد أو اللغات:

نقل النحويون مئات الشواهد الشعرية والروايات النثرية التي سمعوها للأخفش عن العرب. أو رواها عنمن سمعها منهم، وتلك الشواهد والروايات أخذها هؤلاء النحاة من كتب أبي الحسن المتعددة. أو من كتب تلاميذه الذين سمعوا تلك الشواهد من شيخهم مباشرة، ومن الشواهد الشعرية التي رواها الأخفش في أحد كتابي المسائل.

واستشهد بها بعض النحويين في تأييد رأي نحوه أو مخالفته ما يلي:

١- استشهد الهروي (١٤١٥هـ) في الأزهية^(١) بما أنسدده للأخفش في المسائل من قول الشاعر:

وَجَدْنَا الْحَمْرَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايا كَمَا الْحَبَطَاتِ شَرِّبْنِي تَمِيمٍ^(٢)

في سياق حديثه عن ((اما)) في قوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَنْمُوسَى أَجْعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا هَمَ إِلَهٌ)^(٣). فقال: ((وأما قوله عزوجل: (فَإِنَّمَا يَنْمُوسَى أَجْعَلَ لَنَا إِلَهًا كَمَا هَمَ إِلَهٌ) فإن ((ما)) بمعنى ((الذى)), أي: الذي هو لهم آلهة. ذكر ذلك الأخفش سعيد في كتاب ((المسائل)), وأنشد:

وَجَدْنَا الْحَمْرَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايا كَمَا الْحَبَطَاتِ شَرِّبْنِي تَمِيمٍ

وقال: معناه كالذين هم الحبطات شربني تميم).

(١) ص ٧٧.

(٢) البيت من الوافر، وهو لزياد الأعجم في ديوانه ٩٧، وشرح أبيات مغني اللبيب ١٢٦/٤.

(٣) من الآية ١٣٨ من سورة الأعراف.

٢- واستشهد الهروي كذلك بما أنسده الأخفش في المسائل من قول الشاعر:
كما راشد تخذن امراً تبَيِّنْ ثُمَّ ارْعَوْيَ أو نَدِمُ^(١)

في سياق حديثه عن زيادة ((اما)) بعد الكاف وعدم كفها عن العمل، فقال ذاكراً
بقية نص الأخفش السابق: ((قال [أي الأخفش في المسائل]: وإن شئت جعلت ((اما))
زائدة، فجررت ((الحبطات)) بالكاف، كما قال الأعشى:))

كما راشد تخذن امراً تبَيِّنْ ثُمَّ ارْعَوْيَ أو نَدِمُ
فجر ((راسداً))^(٢).

٣- استشهد ابن مالك بما أنسده الأخفش في المسائل الصغرى من قول الشاعر:
إذا كانت الهيجاء وانشققت العصا فحسبك والضحاك سيف مهنـد^(٣)

في سياق حديثه عن جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة للجار، كما
هو مذهب يونس والأخفش والковيين^(٤)، فقال: ((وقال الأخفش في المسائل الصغرى
بعد إنشاده قول الشاعر:))

إذا كانت الهيجاء وانشققت العصا فحسبك والضحاك سيف مهنـد
فمنهم من ينصب ((الضحاك)), ومنهم من يجره، ومنهم من يرفعه^(٥)). ثم قال ابن
مالك معلقاً: ((فجواز جر ((الضحاك)) عطفاً على الكاف من ((حسبك)) مع التمكّن من
النصب على أنه مفعول معه ومن الرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر دليل على أنه مختار
لامضطر، وحكاية الأخفش ذلك دون استبعاد مشعر بأنه مطرد^(٦))).

(١) البيت من المقارب، وهو للأعشى في ديوانه ٨٥.

(٢) الأزهية ٧٧.

(٣) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في شرح عمدة الحافظ ٦٦٧/٢، والخزانة ٥٨١/٧.

(٤) ينظر رأيهم ورأي المخالفين في: الإنصاف ٤٦٢/٢، وشرح التسهيل ٢٧٥/٢، وشرح عمدة الحافظ ٦٦٧/٢.

(٥) شرح عمدة الحافظ ٦٦٧/٢.

(٦) شرح عمدة الحافظ ٦٦٧/٢-٦٦٨.

٤- استشهد البغدادي في شرح شواهد الشافية^(١) بما رواه الأخفش في المسائل الكبير

من قول الشاعر:

فقالوا شفاء الحب حب يزيله من آخر وأنأي طويل على هجر^(٢)

في سياق حديثه عن استعمال لفظ ((آخر)) من غير أن يتقدمه شيء من جنسه، والمعنى في البيت: ... من محبوب آخر، ولم يتقدم ذكر المحبوب، وإنما ذكر الحب الدال عليه.

٥- استشهد ابن الدهان في الغرة^(٣) بما رواه الأخفش في كتاب المسائل من قول

الشاعر:

ياعمرُو ويحَكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمْسِلِمًا وَجَبَتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ^(٤)

في سياق حديثه عن مذهب الأخفش والكسائي القاتل بأن ((إن)) المخففة إذا دخلت على الأفعال غير الناسخة فإنها تكون بمعنى ((اما)) و((إن)) بمعنى ((إلا)).

٦- تحدث ابن عصفور في كتابه ((ضراير الشعر))^(٥) عن خلاف النحوين في مسألة مد المقصور في الضرورة الشعرية، فذكر أن الجواز مذهب الكوفيين^(٦) وبعض البصريين^(٧)، وأن المنع مذهب جمهور البصريين^(٨). ثم أورد بعض ما استدل به المجيذون من الشواهد الشعرية، فقال: ((... وأنشد الأخفش في مد ((الرضي)), في الكبير له:

(١) ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) البيت من الطويل. وهو منسوب إلى أمر الضحاك في شرح شواهد الشافية ٢٦٢.

(٣) ٢٤٤ (رسالة دكتوراه). وينظر: معاني القرآن للأخفش ٤٩/٢.

(٤) البيت من الكامل. وهو من قصيدة لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنها ترثي فيها زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه. وتدعى على قاتله عمرو بن جرموز. والبيت في معاني القرآن ٤٩/٢.
واللامات للزجاجي ١٢١، وشرح المفصل ٧١/٨ وشرح التسهيل ٢٧.٢٦/٢.

(٥) ص ٣٤-٤٠.

(٦) ينظر أيهم أيضًا في: ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٠. والإنصاف ٧٤٥/٢. وشرح الجمل ٢٥٨/٢.

(٧) منهم الأخفش. قال السيرافي في ما يحتمل الشعر من الضرورة ١٠: ((وأهل البصرة يجيذون قصر كل ممدود. ولا يفرقون بين بعضه وبعض. ولا يجيز مد المقصور منهم أحد إلا الأخفش ومن تبعه. فإنه كان يجيز مد المقصور...)).

فرضيت عنها بالرضا لـما أنت من دون غيبة صعبها ويسار^(١)).

أما الروايات النثوية التي رواها الأخفش في أحد كتابي المسائل، واستشهد بها بعض النحويين في تأييد رأي نحوي أو مخالفته فمنها ما يلي:

١- استشهد تقى الدين النيلي (من علماء القرن السابع الهجري) في كتابه الصفوية^(٢) بحكاية الأخفش في المسائل الكبير عن العرب قولهم: النصف درهم، والثلث درهم، والربع درهم، في سياق حديثه عن تعريف الأعداد المضافة، بطريق إدخال ((أل)) على المضاف دون المضاف إليه^(٣) فقال: ((... ويوجد في كثير من النسخ "والخمسة" بتعريف "الخمس" وتنكير "المائة"... وقد حكى الأخفش مثل ذلك

عنهم: النصف درهم، والثلث درهم، والربع درهم، في كتاب المسائل الكبيرة)).

٢- قال ابن عصفور في ((ضرائر الشعر)): ((زعم أبو الحسن الأخفش في الكبير له أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع ما لا ينصرف^(٤)). وقد أورد ابن عصفور هذا النص في سياق حديثه عن علة جعل صرف الممنوع خاصاً بالشعر مع أنه وارد عن العرب، فقال: ((فإن قلت: كيف جعلت صرف ما لا ينصرف من قبيل الضرائر، وقد زعم أبو الحسن الأخفش في الكبير له أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع ما لا ينصرف)). ثم قال مجيباً عن هذا السؤال بكلام الأخفش في المسائل الكبير: ((فالجواب أن صرف ما لا ينصرف في الكلام إنما هو لغة لبعض العرب، قال أبو الحسن فكان ذلك لغة الشعراء، لأنهم قد اضطروا إليه في الشعر فصرفوه، فجرت ألسنتهم على ذلك^(٥))).

(١) البيت من الكامل، وهو لكعب بن زهير في ديوانه، ٢٨، ورواية الديوان: بالرضا لـما أنت، ولا شاهد فيها.

(٢) ٦٦٢ / ٤.

(٣) مذهب البصريين في تعريف نحو ((نصف درهما)) يكون بإدخال ((أل)) على المضاف إليه دون المضاف، جاء في التكميلة لفارسي ص ٢٧٨: ((إذا عرفَ مثل مائة درهم، قلت: مائة الدرهم)).

(٤) ضرائر الشعر ٢٥.

(٥) ضرائر الشعر ٢٥. وينظر كذلك الارشاف ٥/٢٢٠، وفيه: ((ونقل الأخفش في الكبير له، والزجاجي في نوادره أن بعض العرب يصرف ما لا ينصرف في الكلام، وسائر العرب لا يعرفونه إلا في الشعر)).

٣- استشهد ابن مالك على مجىء ((رويد)) المضاف ملازماً للنهاية عن ((أرود)) بما رواه الأخفش في مسائله الصغرى من قول العرب: رويد زيد عمرًا، ورويدك عمرًا، فقال بعد أن ذكر أن أسماء الأفعال هي كل اسم لازم النهاية عن فعل دون تعلق بعامل: ((وقولي: دون تعلق بعامل مخرج لـ ((رويد)) المضاف ونحوه من المصادر التي لا تصرف، قال الأخفش في مسائله الصغرى: ومن العرب من يجعل ((رويد)) مصدرًا، فيقول: رويد زيد عمرًا، كقولك: ضرب زيد عمرًا، ورويدك عمرًا، مثل ضربك عمرًا)).^(١)
 واستشهد ابن مالك أيضًا بتلك الحكاية وأتى بنص الأخفش السابق منسوباً إلى المسائل الصغرى في موضع آخر من كتابه شرح عدمة الحافظ^(٢) وذلك في سياق حديثه عن جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة للجار، فقال بعد أن أورد النص السابق: ((فالكاف في موضع جر، تقول في هذا المعنى: رويدك وزيد عمرًا، إن عطفته على الكاف جررتها، فهذا تصريح منه [أي الأخفش] باطراد العطف على الضمير المجرور)).

٤- استشهد ابن مالك^(٣) وأبو حيان^(٤) وابن عقيل^(٥) على حذف حرف الجر مع بقاء عمله بعد ((الو)) مسبوقة بحرف عطف بما حکاه الأخفش في المسائل عن العرب من قولهما: جيء بزيد أو عمرو ولو كليهما، قال ابن مالك: ((... ومثال ذلك مع الفصل بـ ((الو)) ما حک الأخفش في المسائل من أنه يقال: جيء بزيد أو عمرو ولو كليهما، وأجاز في ((كليهما)) الجر على تقدير: ولو بـ كليهما...)).^(٦)
 واستشهدوا^(٧) أيضًا على حذف حرف الجر مع بقاء عمله في الاسم المقررون بهمزة الاستفهام وبـ ((هلا)) بما حکاه الأخفش في المسائل عن العرب، قال ابن مالك: ((ومثال جر المقررون بهمزة الاستفهام وبهلاً على الوجه المذكور ما حک الأخفش

(١) شرح عدمة الحافظ /٢٧٣٧.

(٢) ٢٦٧/٢-٦٦٨.

(٣) ينظر: شرح التسهيل ١٩١/٣-١٩٢.

(٤) ينظر: الارتفاع ٤/١٧٥٩.

(٥) ينظر: المساعد ٢٩٨/٢-٢٩٩.

(٦) شرح التسهيل ١٩١/٣. وينظر: شرح الكافية الشافية ٨٣٠/٢.

(٧) ينظر: المصادر الثلاثة السابقة.

في المسائل من أنه يقال: مررت بزيد فتقول: أَزِيدُ بْنُ عُمَرٍ، ويقال: جئت بدرهم
فيقال: هَلَا دِينارٌ قَالَ أَبُو الْحَسِنِ: وَهَذَا كَثِيرٌ^(١).

٥- استشهد أبو حيان بحكاية الأخفش في المسائل الكبير عن العرب: حَسَنُ الرَّجُلُ
وَلَحَسَنُ زَيْدٍ، في سياق حديثه عن مذاهب النحوين في صيغة ((فَعُل)) إذا استعملت
لمدح أو ذم فقال: ((وَإِذَا اسْتَعْمَلَ ((فَعُل)) هَذَا الْمَدْحُ أَوْ ذَمٌ، فَمَذْهَبُ سَبِيبِهِ وَأَكْثَرِ
النَّحْوَيْنِ إِلَحْاقُهَا بِبَابِ ((نَعَمْ وَبَيْسٌ))، وَذَهَبَ الْأَخْفَشُ، وَالْمُبَرَّدُ أَنَّهُ يَجُوزُ إِلَحْاقُهَا بِبَابِ
الْتَّعْجَبِ، وَحَكَى الْأَخْفَشُ الْأَسْتَعْمَالَ لِهِ فِي الْكَبِيرِ عَنِ الْعَرَبِ تَقُولُ: حَسَنُ
الرَّجُلُ، وَلَحَسَنُ زَيْدٍ، فِي مَعْنَى: مَا أَحْسَنَهُ^(٢)).

٦- استشهد ابن الدهان وأبو حيان لمذهب جمهور الكوفيين^(٣) القائلين بجواز العطف
على اسم ((إن)) بالرفع قبل مجيء الخبر بما حكاه الأخفش في المسائل الكبير من
قول العرب: إِنَّ زَيْدًا وَأَنْتَ ذَاهِبًا فَقَالَا: ((وَحَكَى الْأَخْفَشُ فِي الْمَسَائِلِ الْكَبِيرِ:
سَمِعْتُ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا وَأَنْتَ ذَاهِبًا^(٤))).

٧- تحدث بهاء الدين بن النحاس عن وجوب الرفع بعد ((إذا)) الفجائحة، وعلل لذلك
بكونها لا يقع بعدها إلا الجملة الابتدائية، فلا يجوز إضمار الفعل بعدها، ثم قال: ((ولم
ير أحد من متقدمي النحاة وقوع الفعل بعد ((إذا)) المفاجأة إلا الأخفش فإنه روى في
كتابه الكبير وقوع الفعل بعد ((إذا)) المفاجأة إذا كان مقوًنا بـ((قد)), وعليه رتب
المصنف رحمة الله هذا الاستثناء الذي ذكره^(٥). ومثال ذلك: زيد قائم وإذا عمرو قد
ضربه، وقد ضربت أباه^(٦)).

(١) شرح التسهيل ٢٩٢/٢. وينظر: شرح الكافية الشافية ٨٣٠/٢

(٢) الارتشاف ٤/٢٥٧.

(٣) ينظر: الأصول ١/٢٥٦-٢٥٧، والإنصاف ١/١٨٥-١٨٦، وشرح المفصل ٨/٧١، ونص الأخفش في معاني
القرآن ١/٢٦٢ على جواز العطف، ونُسبَ إلىه أيضًا القول بـجواز في شرح المفصل ٨/٦٩، والارتشاف
٢/٢٨٨، وفي التذليل والتكميل نص أبو حيان على أن للأخفش في المسألة قولين، أحدهما الجواز،
والثاني المنع، ويستدل على الثاني بأن أبا الحسن لما ذكر له أن محمد بن سليمان الهاشمي وكان أميراً
على البصرة قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَلَيَكُمْ كَتَمَّ يَصْلُونَ عَلَى أَلْيَقِ﴾ [الأحزاب: ٥٦] بـرفع ((ملائكته)) مضى إليه فقال له:
هذا الحن، فأعطاه الأمير وحياناً. (ينظر: التذليل والتكميل ٥/٤١-٤٢).

(٤) الغرة ٢٤٥ [رسالة دكتوراه]. والتذليل والتكميل ٥/١٩٤.

(٥) يشير بذلك إلى قول ابن عصفور في المقرب في باب الاشتغال: ((...هذا مالم يفصل بين حرف العطف
وبيان المشتعل عنه ((إذا)) التي للمفاجأة، فلا يجوز الابتداء إلا أن يكون الفعل العامل في الضمير، أو في
السيببي مقوًنا بـقد فإن حكم الاسم إذ ذاك كحكمه لو لم يتقدمه شيء)).

(٦) شرح المقرب المسمى التعليقة ١/٢٨٢-٢٨٣. وينظر: التذليل والتكميل ٦/٢٠٦.

٨- جعل ابن عقيل في المساعد^(١) والسيوطى في الهمع^(٢) وإسماعيل العلوى (٩٤٩هـ) في السراج المنير^(٣) من حروف النداء ((ا)) ممدودة. قال ابن عقيل بعد أن ذكرها في حروف النداء: ((نحو: آزيد، حكاه الأخفش في الكبير)). وقال السيوطى: ((وذكر الأخفش في كتابه الكبير: ((ا)). وقال ابن مالك: ((ولم يذكر مع حروف النداء ((ا))... بالمد إلا الكوفيون روهوا عن العرب الذين يتقون بعربيتهم، ورواية العدل مقبولة^(٤))). وقد اعترض ابن عقيل على ابن مالك حصره لذاكرين لحرف النداء ((ا)) في الكوفيين فقط، فقال: ((قال المصنف: ولم يذكرها إلا الكوفيون، وليس ما ذكر بجيد^(٥))).

٩- استشهد أبو حيان في البحر المحيط والسمين الحلبي في الدر المصنون وابن عادل الحنبلي في اللباب^(٦) بحكایة الأخفش في المسائل عن العرب قولهم: قاموا أنفسهم^(٧). في سياق حديثهم عن قوله تعالى: ﴿وَالْمُتَّقَدِّمُ بِرَبَّصَدٍ إِنَّهُمْ لَكُلُّهُمْ قُرُونٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وأنه يجوز أن يكون ((بأنفسهن)) توكيداً للضمير المرفوع المتصل. وهو النون، والباء في ((بأنفسهن)) زائدة للتوكيد.

اعتمادهم عليهما في نقل مذاهب بعض العرب:

ذكر أبو حيان^(٨) أن للعرب في اسم العدد الواقع بعد ((ما)) و((منذ)) إذا كان بمعنى الأمد ثلاثة مذاهب. الأول: أنه لا يعتد به إلا إذا كان كاملاً. والثاني: أنه يعتد بالأول والآخر وإن لم يكونا كاملين. ثم قال: ((قال أبو الحسن في الكبير له: يجوز أن يقول الرجل يوم الاثنين لمن رأه يوم الجمعة: ما رأيتك منذ يومان. ولا يحتسب بالاثنين ولا بالجمعة.

(١) ٤٨٢/٢.

(٢) ٣٦/٣.

(٣) ١٤٥٥ (رسالة دكتوراه).

(٤) شرح التسهيل ٣٨٦/٣.

(٥) المساعد ٤٨٢/٢.

(٦) ينظر: البحر المحيط ١٩٧/٢. والدر المصنون ١/١٥٤. واللباب في علوم الكتاب ١/٧٣٩.

(٧) فأكذوا الضمير المرفوع المتصل بالنفس من غير توكيده بضمير رفع منفصل. وهذا مخالف لمذهب جمهور النحويين.

(٨) ينظر: التذليل والتكميل ٧/٣٥٠.

لأنه قد رأه فيهما رأيت بعض العرب يذهب إلى هذا، وبعدهم يقول: مذ أربعة، يحتسب الاثنين والجمعة من الأيام التي لم يره فيها لما كان قد ترك رؤيته في بعضها)، ثم قال أبو حيyan: ((المذهب الثالث: أن يعتد بالناقص الأول، ولا يعتد بالأخر، حكى أبو الحسن أيضًا في الكبير له أنه سأله بعض العرب عن قوله (لم أره مذ يومان): متى رأيته؟، فقال: أول من أمس)).

وذكر الفارقي هذا المثال ((أعجبني أن ضَرَبَ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ ضَرَبَ زِيدًا)). ثم قال: ((فإن قيل لك: فهل يجوز أن تجعل ((زيداً)) رفعاً بأنه فاعل الضرب الذي في صلة الألف واللام فقل: نعم، إذا أظهرت هاءً متصلة بالضارب، فقلت: أعجبني ضَرَبَ الضرابه زيد عبد الله، فتكون الهاء من الضاربه تعود إلى الألف واللام، ويكون ((زيداً)) رفعاً بأنه فاعل الضرب الذي في صلتها و((عبد الله)) نصبًّا بأنه مفعول الضرب، فإن حذفت الهاء ونونتها لم يجز إلا على مذهب ضعيف ذكره أبو الحسن الأخفش في مسائله^(١))).

اعتمادهم عليهم في توجيهه بعض ما ورد عن العرب:

نقل أبو حيyan عن المسائل الكبير للأخفش أن ((ما)) و((من)) لا يتقدمهما من الأفعال إلا الأفعال المنافية لفظاً ومعنى، أو المنافية لفظاً، أو الأفعال الموجبة التي تقتضي الدوام، نحو: ما رأيت زيداً مذ يوم الجمعة، وسرت مذ يوم الجمعة، إذا أردت اتصال السير، قال أبو حيyan: ((قال أبو الحسن في الكبير له: ولا يحسن: قدم فلان مذ يوم الجمعة، ولا قدم فلان مذ اليوم إلا أن تكون العرب تجيز هذا، كأنك لم تذكر ((ما))، كما يقولون: رأيته مذ اليوم، وهو يريدون اليوم، قال: وذلك قبيح إلا أن تدوم الرؤبة، قال: وكذلك يقبح: مات زيد مذ اليوم إلا أن يجعل الموت شيئاً دائمًا، وهو قبيح، لأنك لو قلت: مات مذ اليوم إلى الساعة لم يحسن^(٢))).

ونقل أبو حيyan حكاية الأخفش في المسائل الكبير عن بعض العرب قوله: ((المأوه مذ يومان)) متى رأيته؟، فقال: أول من أمس، ثم ذكر أبو حيyan توجيه الأخفش في المسائل الكبير وفيه يقول أبو الحسن موجهًا الكلام ذلك العربي: ((وانما حمل ذلك على الاعتداد بالناقص الأول لا الثاني أنهم لا يكادون يحتسبون بالذي هم فيه إذا كان

(١) تفسير المسائل المشكلة للفارقي .٧٤

(٢) التذليل والتحكيم ٧/٣٤٩

ناقصاً، ألا ترى أنه إذا قال: ما رأيته مذ اليوم، كان قد فقد رؤيته في اليوم، ولم يره في شيء منه، لأن معناه: ما رأيته في اليوم^(١).

وتحدث الفارسي عن اللام الفارقة، وهي الداخلة على خبر ((إن)) المخففة من ((إن)) فارقة بينها وبين ((إن)) النافية، فذكررأي الأخفش القائل بعدم جواز إعمالها، وأنه لا يصح تقدير ضمير الشأن معها، وعزا ذلك إلى كتاب المسائل الكبير للأخفش. ثم نقل قول أبي الحسن في المسائل: (...) ويدخل على من زعم أن هاهنا ضميراً أن يقول له: كيف تصنع باللام إذا أظهرت الضمير في اللفظ هل تقول: إنه عبد الله لمنطلق، وإن كان عبد الله لمنطلقًا. فهو إذا قال ذا، فقد جعل اللام في غير موضع ((إن)). فإن احتج بأن العرب قد تقول: إنْ عبد الله وجَهُه لحسن، فهذا شاذ لا يقاس عليه^(٢).

وتحدث أبو حيان في الارتشاف^(٣) عن مسألة مطابقة الوصف الرافع للاسم الظاهر لما بعده ثم نقل نصاً عن كتاب ((النهاية في شرح الكفاية)) لابن الخباز فقال: ((وفي النهاية: ... ومن قال ((أكلوني البراغيث)) قال: كم ما كثان أخواك. كما تقول: كم مكثنا أخواك. فالسؤال ليس على عدد الأخوين، إنما السؤال عن مرات الفعل، أو زمانه. وهذه المسألة من كلام أبي الحسن في المسائل الصغيرة)).

ونقل أبو حيان وبدر الدين الدمامي توجيه أبي الحسن لقول العرب: هذا حلو حامض وهذا أبيض أسود، وأنه ليس من تعدد الخبر، فقلالاً: ((وقال الأخفش في المسائل الكبير: أعلم أن قولهم: هذا حلو حامض، وهذا أبيض أسود. إنما أرادوا أن هذا حلو فيه حموضة، فينبغي أن يكون الثاني صفة للأول، وليس قولهم إنهم جمِيعاً خبر واحد، وكيف يكون ذلك؟، هذا ليس له مذهب في العربية^(٤))).

اعتمادهم عليهم في تصحيح بعض الشواهد:

ومن ذلك قول الشاعر:

أخاكَ مُطَابُ الْقُلُوبِ جَمْ بِلَبْلَسِهِ^(٥) فَلَا تَلْحِنِي فِيهَا فَإِنْ بِحِبِّهَا

(١) المصدر السابق .٣٥٠/٧.

(٢) البغداديات .١٨١.

(٣) .١٠٨٢/٢

(٤) التذليل والتكميل .٩٢-٩٣/٤. وتعليق الفراتي .١٣٠/٢. وينظر النص منسوب إلى الأخفش وغير معزو إلى كتاب في البديع .٨٥/١ والارتشاف .١٢٧/٢.

(٥) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في الكتاب .١٣٣/٢. والمقاصد النحوية .٨٧/٢. وشرح شواهد المغني .٩٦٦/٢.

فهذا البيت رواه الكوفيون بنصب ((محاب)) على الحال، ومنعوا الرفع، لثلا يقع الفصل بين ((إن)) واسمها. قال الفارسي في المسائل القصرية – فيما نقله عنه البغدادي – بعد أن أنسد البيت: ((ورواه الكوفيون ((محابَ القلب)). وأظنهم هربوا من الفصل، فنصبوا مخافةً أن يجري مجرى ((كانت زيداً الحمى تأخذ))^(١)). ثم قال أبو علي مصححاً رواية الرفع: ((وليس الفصل... بقبيح، لأن أبو الحسن قد أنسد في المسائل الصغير: فإنَّ يحيِّها أخاكَ مُطَابُ القلبِ [برفع مصاب]^(٢))).

وقال الشاعر:

سقِ اللَّهُ أَمْوَاهَا عَرَفْتُ مَكَانَهَا جُرَامًا وَمَلَكُومًا وَبِذَرَ الغَمْرَا^(٣)

واستدل به النحويون على مسألة جمع مياه على أمواه، وعلى منع ((بذر)) من الصرف للعلمية ووزن الفعل، ورواية الديوان ((جراباً)) بالباء، وهي رواية الأخفش في حاشية كتاب سيبويه^(٤)، وقال المتنبئ لما أنسدَ هذا البيت بحضرته برواية ((جراماً)) بالميم: ((هو ((جراباً)) وهذه أمكنة قاتلتها علمًا، وإنما الخطأ وقع من النقلة^(٥))). قال ابن جني مصححاً رواية ((جراماً)): ((هذا البيت أنسدَه أبو الحسن صاحب سيبويه في كتابه ((جراماً)) بالميم، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة^(٦))).

وقال العجاج:

وَالْمَرْءُ يَلِيهِ إِلَاءُ السَّرِيرَالْ تَنَاسُخُ الْإِهْلَالِ بَعْدُ الْإِهْلَالِ^(٧)

(١) العزانة ٨/٤٥٤، وشرح أبيات مغني الليبب ١٠٦/٨

(٢) العزانة ٨/٤٥٤، وشرح أبيات مغني الليبب ١٠٦/٨

(٣) البيت من الطويل، وهو لكثير عزة في ديوانه ٥٠٣، وحاشية الكتاب ٢٠٧/٢٠٧-٢٠٨، وشرح المفصل ٦١/١.

(٤) حاشية الكتاب ٢٠٧/٢ ٢٠٨-٢٠٧

(٥) العزانة ٢/٢٥٥

(٦) ينظر: العزانة: ٢/٣٤٧، ٢/٣٥٥.

(٧) البيت من الرجز، وهو للعجاج في ديوانه، وتهذيب اللغة ١٥/٢٨٠.

وهذا الرجز ورد في عدد من المصادر، منها الزاهر في معاني كلمات الناس^(١). وتهذيب اللغة^(٢) ومعجم مقاييس اللغة^(٣)، والمحكم^(٤)، والمخصص^(٥) برواية ((بَلَاء)) بفتح الباء. قال ابن عصفور: ((رواوه الأخفش في الكبير له: بِلَاء، بِكْسَرُ الْبَاءِ وَالْمَدِ))، وجعله ابن عصفور على هذه الرواية شاهداً على مد المقصور في ضرورة الشعر.

اعتمادهم عليهم في نفي شيء ما عن العرب:

استدل بعض النحويين على بعض المسائل الخلافية بعدم السماع، وهذا مظهر من مظاهر عنايتهم به، وهم يعتمدون في ذلك على نصوص أئمة اللغة والنحو الذين شافهوا الأعراب ونقلوا عنهم. ومن هؤلاء الأئمة الأخفش الأوسط. ومما اعتمدوا فيه على أحد كتابي المسائل للأخفش في نفي شيء ما عن العرب ما يلي:

١- تحدث ابن الدهان وأبو حيان عن مسألة الفصل بين ((إن)) واسمها وذكر رأي النحويين في المسألة. ثم قالا: ((وقد منع الأخفش في المسائل الكبير أن يفصل بينهما بما لا يسمع. فقال: لو قلت: إنَّ بِنَكَ يومن زيداً مقيماً، كان في القياس جائزًا. ولم يسمع. ولا نجيزه إلا في المسموع))^(٦).

٢- ذكر الألوسي والبغدادي أن استعمال آخر وأخرى من غير أن يتقدمهما شيء من جنسهما لا يجوز إلا في الشعر. ثم قال الألوسي: ((وفي المسائل الصغرى للأخفش في باب عقده لتحقيق هذه المسألة أن العرب لا تستعمل آخر إلا فيما هو من صنف ما قبله. فلو قلت: أتاني صديق لك وعدوك آخر لم يحسن لأنَّه لغون من الكلام))^(٧). وقال البغدادي بعد أن تحدث عن مسألة منع استعمال لفظ ((آخر)) من غير أن يتقدمه شيء من جنسه: ((وزعم أبوالحسن في الكبير له أن ذلك لا يجوز إلا في الشعر.

(١) ٢١٧/١.

(٢) ٢٨٠/١١.

(٣) ٢٩٢/١.

(٤) ٤٢٢/١٠.

(٥) ٦٧/٥.

(٦) ضرائر الشعر. ٤٠.

(٧) الغرة ٢١٩ (رسالة دكتوراه)، والتذييل والتمكيل ٢٨٧/٥.

(٨) ١٨٦/٢. وينظر: حاشية الشهاب ١٦٠/٢.

فقال: لو قلت: جاءعني آخر من غير أن يتكلّم بشيء لم يجز، ولو قلت: أكلت رغيفاً وهذا قميص آخر لم يحسن، ثم قال: وهذا جائز في الشعر...^(١)).

٢- قال أبو حيّان بعد أن ذكر مذهب بعض العرب في اسم العدد الواقع بعد ((ما)) و((منذ)): ((وزعم [أبو الحسن في الكبير له] أن أرباب هذه اللغة لا يقولون: ما رأيته منذ يومان، لمن رأه أمس وإنما يقولون: مذ أمس إلى اليوم، وإنما لم يقولوا ذلك، لأنه يقع فيه ليس من جهة أناليومين جميعاً لم يتما، فكل واحد منهمما على المجاز، ولم يحسن لما اجتمعا جميعاً على المجاز^(٢))).

٤- وذكر أبو حيّان أن الأخفش منع في المسائل الكبير العطف على اسم الزمان الواقع بعد ((ما)) و((منذ)) إذا اختلف الأسمان الواقعـان بعدهما بالتعريف والتنكير، فلا يجوز عنده: ما رأيته مذ يوم الجمعة ويومان، ولا: ما رأيته مذ أمسـي ويومان، قال الأخفش: ((لأنك لا تقول: ما رأيته مذ أمس إلا وقد رأيته أمسـي، وكذلك: ما رأيته مذ يومـان وأمسـاـ)). ثم ذكر أبو حيّان رأي ابن السراج^(٣) في المسألة القائل بالجواز، وعلق عليه بقوله: ((قال ابن عصفور: والصحيح ما ذكره أبو الحسن من أن العطف ليس من كلام العرب^(٤))).

٥- وتحدث أبو حيّان أيضـاً عن أن اسم الزمان المختص لا يقع بعد ((ما)) و((منذ)) إذا كان لا يفيد عدة مدة الانقطاع إلا إذا كان بمعنى ((أولـاـ)). نحو: ما رأيته مذ يوم الجمعة. تريـد أن انقطاع الرؤية كان أولـه يوم الجمعة، وإن أفادـ: ((قال ابن عصفور: يجوز في القياس وقوعـه... إذا كان تخصـيـصـه لا يخرجـه عنـ أنـ يـفـيدـ عـدـةـ مـدـةـ انـقـطـاعـ الرـؤـيـةـ،ـ إلاـ أنـ العـرـبـ لـمـ تـكـلـمـ بـذـاكـ قـالـ أـبـوـ الـحـسـنـ قـيـ الـكـبـيرـ لـهـ:ـ وـلـوـ قـلـتـ:ـ مـاـ رـأـيـتـهـ مـذـ شـهـرـانـ تـرـيـدـ:ـ بـيـنـ لـقـائـهـ الشـهـرـانـ الـمـاضـيـانـ،ـ كـانـ جـائزـاـ فـيـ الـقـيـاسـ وـإـنـ كـانـ لـاـ يـتـكـلـمـ بـهـ^(٥)ـ)).

(١) شرح شواهد الشافية .٣٦٢-٣٦١.

(٢) التذليل والتكميل .٣٥٠/٧.

(٣) لم أتعـرـ عـلـيـهـ فـيـ الـأـصـوـلـ.

(٤) التذليل والتكميل .٣٥٢/٧.

(٥) التذليل والتكميل .٣٥٢/٧. وقد تحدـثـ ابنـ عـصـفـورـ فـيـ شـرـحـهـ لـلـجـمـلـ (٢/٥١-٦١) عـنـ مـذـ وـمـذـ وـأـطـالـ.ـ وـلـمـ أـجـدـ هـذـاـ النـصـ وـالـذـيـ قـبـلـهـ الـذـيـ نـقـلـهـماـ أـبـوـ حـيـانـ.ـ وـكـذـلـكـ لـمـ أـجـدـهـمـاـ فـيـماـ اـطـلـعـتـ عـلـيـهـ مـنـ كـتـبـ اـبـنـ عـصـفـورـ الـأـخـرـىـ.

نقل أمثلتها واعتمادها:

تحدث ابن مالك وأبو حيان عن خلاف النحويين في مسألة نيابة المصدر والظرف والجار وال مجرور عن الفاعل مع وجود المفعول، فذكرا أن القول بجواز ذلك هو قول الأخفش والковيين وأن المنع هو قول جمهور البصريين، ثم أوردا عدداً من الأدلة والشاهد تعضد قول المجيزيين وأتبعا تلك الشواهد بقولهما: ((وقال الأخفش في المسائل: تقول: ضرب الضرب الشديد زيداً وضرب اليومان زيداً، وضرب مكانك زيداً. ووضع موضعك المتعار، ومن مسائله: أعطي إعطاء حسن أخاك درهماً مضروباً عند زيد^(١)). وذكر بعض النحويين أن آبا الحسن يشترط في جواز إقامة المصدر والظرف والمجرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به تقدم هذه الأشياء على المفعول، قال أبو حيان: ((وقد أهمل المصنف هذا الشرط، وعليه تمثيل الأخفش المثل المذكورة في المسائل^(٢))).

ونحدث ابن مالك عن ((إن)) المخففة فذكر أنها بالتخفييف يزول اختصاصها بالأسماء فتدخل على الأفعال، وأن الغالب في هذه الأفعال أن تكون من الأفعال الناسخة، ويجوز دخولها على غيرها، ثم ذكر مجموعة من الشواهد ختمها بأمثلة ذكرها الأخفش في كتابه المسائل، قال ابن مالك: ((أجاز الأخفش أن يقال: إن قعد لأن، وإن كان صالحًا لزيد، وإن ضرب زيد لعمراً، وإن طنت عمراً لصالحاً، صرخ بذلك كله في كتاب المسائل^(٣))).

الاستدراك على أمثلتها:

ذكر ابن مالك أنه قد يحذف حرف الجر ويقى عمله في عدد من المواقع، منها أن يقع بعد ((الوا)) مسبوقة بحرف عطف، فقال: ((ومثال ذلك مع الفصل بـ ((الوا)) ما حكى الأخفش في المسائل من أنه يقال: جي بزيد أو عمرو ولو كليهما، وأجاز في ((كليهما))

(١) شرح التسهيل ١٢٩/٢، والتذليل والتكميل ٦/٢٤٤-٢٤٥، والبحر المحيط ٦/٢١، وينظر كذلك السراج المنير للجامع الصغير ١٢٨١ (رسالة دكتوراه).

(٢) التذليل والتكميل ٦/٢٤٥.

(٣) شرح التسهيل ٢/٣٧، وينظر النص نفسه مع عزوته إلى كتاب المسائل في: شرح التسهيل ١/١٥٠، والتذليل والتكميل ٦/١٤٢ وفي التذليل والتكميل ٢/٢٢٧ عزاه أبو حيان إلى كتاب المعاني للأخفش، ولم أجده فيه.

الجر، على تقدير: ولو بكليهما والنصب بإضمار ناصب، والرفع بإضمار رافع، وأجود من هذا المثال الذي ذكره الأخفش أن يقال: جئ بزيد وعمرو ولو أحدهما... لأن المعناد في مثل هذا النوع من الكلام أن يكون ما بعد ((لو)) أدنى مما قبلها في كثرة وغيرها، كقول النبي ﷺ: التمس ولو خاتماً من حديد، وكقولهم: ايتني بدابة ولو حماراً^(١).

اعتمادهم عليهما في نقل آراء بعض النحوين:

ومن ذلك ما نقله الرضي عن المسائل الكبير من أن بعض النحوين يعد حركة ((الطول)) و((إزيد)) في نحو: يا زيد الطويل، وبـ عالم زيد، حركة بناء، والجمهور على أنها حركة إعراب، قال الرضي: ((إإن قيل: لم لم يجز بناء التوابع المفردة، ولا سيما الوصف منها، كما جاز في: لا رجل ظريف، فكنت تقول: يا زيد الظريف، واللام لا تمنع البناء، كما لم تمنع في ((الخمسة عشر)), قلت: إنما جاز ذلك في ((لا)) لأن المنفي في الحقيقة هو الوصف، لا الموصوف فـ كأن ((لا)) باشرت الوصف، وذلك لأن معنى لا رجل ظريف فيها، لا ظرافـة في الرجال الذين فيها، فالمنفي مضمون الصفة، فهي لنفي الظرفاء، لـ لنفي الرجال، فـ كأنه قيل: لا ظريف فيها، بخلاف: يا زيد الظريف، فـ ان المنادي لفظاً ومعنى هو المتبع، فـ بـان الفرق، على أنه أورد الأخفش في مسائله الكبير: إن بعضـهم يقول في الوصف وعطفـ البـيان نحو: يا زيد الطـولـ، وبـ عـالمـ زـيدـ، إنـهماـ بـنـيـانـ عـلـىـ الضـمـ^(٢)).

اعتمادهم عليهما في إثبات آراء لأبي الحسن مخالفة لما تُـسـبـ إلىـهـ:

نقل بعض النحوين^(٣) عن الأخفش القول بالمنع في مسألة حذف مفعولي ((ظن)) وأخواتها اقتصاراً أي من غير دليل، قال أبو حيان بعد أن ذكر هذا الرأي: ((...) فأما قول الأخفش في كتابه المسمى بالمسائل الصغرى: تقول: ضـرـبـ عـبـدـ اللهـ، وـظـنـ عـبـدـ اللهـ، وأـعـلـمـ عـبـدـ اللهـ، إذاـ كـنـتـ تـخـبـرـ عـنـ الـفـعـلـ. اـنـتـهـيـ، فـظـاهـرـهـ مـخـالـفـةـ هـذـاـ النـقـلـ^(٤))).

ونقل بعض النحوين منهم الأبـارـيـ والعـكـبـريـ والـرضـيـ^(٥) عن الأخفش مخالفة سـيـبـويـهـ في مـسـأـلـةـ العـاـمـلـ فيـ الصـفـةـ وـالـتـوـكـيدـ وـعـطـفـ الـبـيـانـ، فـذـكـرـواـ أـنـ سـيـبـويـهـ يـرـىـ أنـ

(١) شـرـحـ التـسـهـيلـ ١٩١/٣.

(٢) شـرـحـ الكـافـيـةـ ٤٣٢/١.

(٣) يـنـظـرـ الـمـسـائـلـ الـحـلـيـاتـ ٧٢ـ، وـشـرـحـ التـسـهـيلـ ٧٤ـ/٢ـ، وـالتـذـيـلـ وـالتـكـمـيلـ ٩ـ/١ـ.

(٤) التـذـيـلـ وـالتـكـمـيلـ ٩ـ/٦ـ.

(٥) تـنـظـرـ كـتـبـهـمـ مـرـتـبـةـ: أـسـرـارـ الـعـرـبـيـةـ ٢٦١ـ، وـالـلـيـابـ ٤٠٦ـ/١ـ، وـشـرـحـ الكـافـيـةـ ٩٦٣ـ/٢ـ.

العامل في التابع هو العامل في المتبوع، وأن الأخفش يرى أن العامل كونها تابعة لما قبلها، وأوردوا عنه مجموعة من الحجج. قال ابن الدهان بعد أن ذكر نسبة القول الثاني للأخفش: ((ووجَدَتْ لَهُ فِي الْمَسَائِلِ الْكَبِيرِ شَيئًا لَطِيفًا طَرِيفًا، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: يَا مُنْطَلِقًا نَفْسَهُ وَإِخْوَتَهُ، إِذَا جَعَلْتَ ((نَفْسَهُ)) تَأْكِيدًا لِلْمُضْمَرِ فِي ((مُنْطَلِقٍ)) عَلَى قِبْحٍ، فَلَوْ لَمْ يَطُلُ لَمَا انتَصَبَ، وَمَا طُولَهُ إِلَّا لِعَمَلِهِ فِي ((نَفْسَهُ)). أَوْ يَكُونُ قَدْ نَظَرَ إِلَى الْمَعْطُوفِ عَلَى الْمُضْمَرِ فِيهِ، فَأَمَّا الضَّمِيرُ الَّذِي فِيهِ فَلَا يَطُولُ بِهِ وَهَذَا يُقْوِي قَوْلَ سِبِيبِهِ^(١))).

ونقل كثير من النحوين^(٢) عن الأخفش القول بجواز العطف على معهمولي عاملين إذا كان أحد العاملين جاراً. وتقدم المعطوف المجرور، نحو: إنَّ فِي الدَّارِ زِيدًا وَالْمَسْجِدِ عَمْرًا. قال أبو حيان بعد أن ذكر المسألة والخلاف فيها: ((أَمَا الأَخْفَشُ فَعَنْهُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: الْجَوَازُ، وَهُوَ الْمُشْهُورُ عَنْهُ... وَالْقَوْلُ الثَّانِي: الْمَنْعُ، ذَكْرُهُ فِي كِتَابِ الْمَسَائِلِ لِهِ^(٣))).

وقال أبو حيان وهو يتحدث عن المصدر المختص بأجل وبالإضافة وبالصلة وأنه لا يجوز أن يقع تأكيداً للفعل: ((ولِكُونِ الْمَصْدُرِ الْمُخَصَّصِ الْمُعْرَفِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقْعُدْ تأكيداً لِلْفَعْلِ مِنْ نَحْنَاهُ: ضَرِبَتْ أَنْ ضَرِبَهُ وَزَعَمُوا أَنْ قَوْلَ النَّاسِ: لَعْنَهُ اللَّهُ أَنْ يَلْعَنَهُ، لَحْنٌ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: امْتَنَعَ فِي مُثْلِ هَذَا أَنْ يُؤكَدْ بِهِ الْفَعْلُ، لَأَنَّ ((أَنْ)) تَخلُصُ الْفَعْلُ لِلْاستِقْبَالِ، وَالتَّأكيدُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَصْدُرِ الْمُبْهَمِ، وَقَدْ حُكِيَّ عَنِ الْأَخْفَشِ إِجازَةً ذَلِكَ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ إِنَّمَا مَنْعِهِ^(٤))). وقال ابن الدهان في حديثه عن المصدر المؤكَد: ((وَالْأَخْفَشُ يُنْفَرِدُ فِي هَذَا الْبَابِ بِمَسَأَلَةٍ لَا يُجِيزُهَا غَيْرُهُ، وَهِيَ: ضَرِبْتُ زِيدًا أَنْ ضَرَبْتُ: وَيَقُولُ: هِيَ فِي تَقْدِيرِ الْمَصْدُرِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَعْرُوفٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُؤكَدَ الْمَصْدُرُ الْمَعْرُوفُ، وَرَأَيْتُهُ فِي كِتَابِ الْكَبِيرِ قَدْ مَنَعَ مِنِ الْمَسَأَلَةِ^(٥))).

(١) الغرة ٦٦٢ (رسالة دكتوراه).

(٢) ينظر: المقتضب ٤/١٩٥، والتعليقة ١/١٠٢، وشرح عيون كتاب سبيويه ٢٣٠، وشرح المفصل ٢/٢٧، واللباب ١/٤٢٢، والبسيط ١/٢٥٣.

(٣) الارشاد ٤/٢٠١٥.

(٤) التذيل والتكميل ٧/١٤٩.

(٥) الغرة ٣٠٥ (رسالة دكتوراه).

إيراد تعليلات الأخفش في أحد كتابي المسائل واعتمادها:

ساق بعض النحوين عدداً من التعليلات النحوية معتمدين فيها على أحد كتابي المسائل، ومن ذلك ما ذكره القارسي في حديثه عن علة دخول اللام في خبر ((إن)) المخففة حيث أتى بتعليق أبي الحسن في المسائل الكبير، وفيه قال الأخفش: ((وإنما دخلت هذه اللام لثلا تلتبس بما تكون فيه ((إن)) إذا كانت بمعنى ((اما)), لأنك لو قلت: إنْ كان لصالحاً، التبس بهذا)). ثم عقب أبو علي على ذلك بقوله: ((إن قول أبي الحسن... صحيح كما قال، وهذا قلت فيه قبل أن أعرفه لأبي الحسن)).

وعد ابن عصفور صرف ما لا ينصرف من الضرورات الشعرية مع أنه سُمع عن بعض العرب صرفة في سائر الكلام، وعلل لذلك بما علل به الأخفش في المسائل الكبير، وهو ((أن صرف ما لا ينصرف في الكلام إنما هو لغة لبعض العرب، فكان ذلك لغة الشعراء، لأنهم قد اضطروا إليه في الشعر فصرفوه فجرت مستهم على ذلك، وأما سائر العرب فلا يجيزون صرف شيء منه في الكلام، فلذلك جعل من قبيل ما يختص بالشعر)).

وتحدد أبو حيان عن مسألة الفصل بين ((إن)) واسمها بعموم الخبر فذكر أن مذهب الجمهور الممنوع، ثم أورد عدداً من الصور التي منعها الجمهور، ومنها ((إن حتى اليوم زيداً مقيماً)) وعلل لمنع التقديم في مثل تلك الصورة بتعليق الأخفش في المسائل الكبير، وهو ((أن ((حتى)) معناها الانتهاء، فلا بد أن يتقدمها كلام)).

وعلل ابن عصفور - فيما نقله عنه أبو حيان وناظر الجيش والسيوطى - لخروج الظرف عن الظرفية إذا دخل عليه حرف الجر بقوله: ((والسبب في خروج الظروف بال/person عن الظرفية إلى الاسمية ما ذكره الأخفش في كتابه الكبير من أنهم جعلوا الظرف بمنزلة الحرف الذي ليس باسم ولا فعل لشبهه به، من حيث كان أكثر الظروف

(١) البغداديات .١٨١-١٨٠.

(٢) المصدر السابق .١٨١.

(٣) ضرائر الشعر .٢٥، وينظر كذلك الارتشاف .٥ / ٢٢٨٠. وفيه: ((ونقل الأخفش في الكبير له، والزجاجي في نوادره أن بعض العرب يصرف ما لا ينصرف في الكلام، وسائل العرب لا يعرفونه إلا في الشعر)).

(٤) الغرة .٢١٩ (رسالة دكتوراه)، ولتنليل والتكميل .٥ / ٣٨.

قد أخرج منها الإعراب، وأكثرها أيضًا لا يثنى ولا يجمع ولا يوصف. قال: فلما كانت كذلك كرهوا أن يدخلوا فيها ما يدخلون في الأسماء^(١)). وتحدث أبو حيان عن مسألة تقديم الحال على صاحبها وتأخيرها. ثم قال: ((أواما (ما جاء راكبا إلا زيد)) فلا يجوز تأخيره، لأن هذه الحال تلتبس بالحال التي ليست مؤخرة. لأنك إذا قلت: ((ما جاء راكبا إلا عبد الله)) فأنت تنفي عن حال الركوب كل شيء إلا مجيء عبد الله راكبا فلم تتف عن الركوب شيئاً. هذا نص أبي الحسن في المسائل^(٢))).

اللجوء إلى أحد كتابي المسائل لجسم الخلاف في بعض القضايا النحوية:

ومن ذلك أن سيبويه قال في باب الاشتغال: ((إإن قلت: لقيت زيداً وأما عمرو فقد مررت به، ولقيت زيداً وإذا عبد الله يضربه عمرو، فالرفع. إلا في قول من قال: زيداًرأيته وزيداً مررت به، لأن ((أاما)) و((إذا)) يقطع بهما الكلام. وهما من حروف الابتداء... إلا أن يُوقع بعدها فعل^(٣))). وقد اختلف النحويون حول نص سيبويه، وذلك لأن سيبويه نفسه ومعه النحويون نصوا على أن ((إذا)) الفجائية لا يقع بعدها فعل البتة، لا ظاهراً ولا مضمراً فكيف يقول هنا: ((إلا أن يُوقع بعدها فعل))؟ وقد ساق أبو حيان تفسير عدد من النحويين لكلام سيبويه منهم السيرافي وابن طاهر وابن خروف والشلوبيين^(٤). ثم ختم نقاشه في المسألة بأن أورد نصاً من المسائل الكبير. فقال: ((وذلك أن أبي الحسن الأخفش حكم عن العرب أن ((إذا)) الفجائية إذا كان الفعل مقووتاً بـ((قد)) جاز أن يليها الفعل، فتقول: خرجت فإذا قد ضرب زيد عمرًا، وإن لم يكن مقووتاً بـ((قد)) فلا يجوز أن يليها الفعل، ووجب أن يليها الاسم^(٥))). قال أبو حيان معلقاً: ((فعلى هذا الذي نقله الأخفش كان حمل كلام سيبويه على ظاهره صحيحاً، وكان معنى قوله: إلا أن يدخل عليها ما ينصب، محمولاً على ما يجوز له أن ينصب، والذي يجوز له أن ينصب في ((إذا)) هو الفعل المقوون بـ((قد)) على ما نقل الأخفش عن العرب...)).

(١) ينظر: النص في: التذليل والتكميل ٨/٩٠. وتمهيد القواعد ٤/٢٠٢٦. والأشباء والنظائر ١/٢٨.

(٢) التذليل والتكميل ٩/٦٨.

(٣) الكتاب ١/٩٥.

(٤) ينظر: التذليل والتكميل ٦/٢٠٣-٢٠٥.

(٥) التذليل والتكميل ٦/٢٠٦. وينظر: شرح المقرب المسمى التعليقة ١/٢٨٢.

وذهب بعض النحويين ومنهم مكي ابن أبي طالب والزمخشري والعكברי^(١) إلى أن جملة ((ولها كتاب معلوم)) من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكَنِي قَرِيبَةً إِلَّا وَهُوَ كَاتِبٌ مَعْلُومٌ ﴾^(٢). صفة ((القريبة)) وذهب الجمهور إلى أنها حال، وصح مجيء الحال من النكرة لتقدير النفي عليها، ورد ابن عقيل ما ذهب إليه الزمخشري ومن معه، وعلل بقوله: ((لأن الواو لا تفصل بين الصفة والموصوف، وأيضاً وجود ((إلا)) مانع من ذلك إذ لا يُعرض بـ((إلا)) بين الصفة والموصوف وممن صرخ بمنع ذلك أبو الحسن الأخفش في المسائل^(٣))).

شرح كلام الأخفش في كتاب المسائل:

وممن قام بذلك ابن مالك في كتابيه شرح التسهيل وشرح عمدة الحافظ، فذكر في شرح التسهيل أن مذهب ابن السراج والسيرافي القول بجواز حذف مفعولي ((ظن)) اقتصاراً، أي من غير دليل، قال: ((وكأن الذي دعاهم لهذا أن الأخفش قال في كتابه المسمى بالمسائل الصغرى: ((قول: ضرب عبد الله، وظن عبد الله، وأعلم عبد الله، إذا كنت تُخبر عن الفعل، هذا نصه والذي عندي أن الأخفش لم يقصد جواز الاقتصر مطلقاً، بل مع قرينة محصلة لذلك، كقولك لمن قال: من ظنني ذاهباً؟: ظن عبد الله، ولمن قال: من أعلمك أني ذاهب؟: أعلم عبد الله ولذلك قال: إذا كنت تخبر فإن الناطق بما لافائدة فيه ليس بمخبر^(٤))).

وفي شرح عمدة الحافظ أورد قول الأخفش في المسائل الصغرى: ((ومن العرب من يجعل ((رويد)) مصدراً، فيقول: رويد زيد عمرأ، كقولك: ضرب زيد عمرأ، ورويدك عمرأ، مثل ضربك عمرأ)). ثم شرح هذا النص بقوله: ((فـ ((رويد)) في مثل هذا الكلام مصدر ملازم للنيابة عن ((أرود)), وهو متعلق بفعل مضمر عمل فيه النصب، ففتحته فتحة إعراب، بخلاف قولك: رويد زيداً بلا إضافة، فإنه اسم فعل ملازم للنيابة عن ((أرود)) دون تعلق بعامل وفتحته فتحة بناء^(٥))).

(١) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: مشكل إعراب القرآن ١/٤٠، والكتشاف ٢/٥٢٤، والتبيان في إعراب القرآن ٢/٤٦.

(٢) الآية ٤ من سورة الحجر.

(٣) شرح ابن عقيل ٢/٢٦١.

(٤) شرح التسهيل ٢/٧٤-٧٥.

(٥) شرح عمدة الحافظ ٢/٧٣٧.

الفصل الثالث: موقف النحوين من آراء الأخفش في كتابي المسائل:

لم يكن موقف النحوين إزاء ما ينقلونه من آراء أبي الحسن في أحد كتابي المسائل واحداً، بل تعددت مواقفهم، فتارة يوافقون الأخفش فيما ذهب إليه، وتارة يخالفونه، وتارة يتزمون الصمت حيال ما ينقلون، دونك البيان:

١- موافقة الأخفش في المسائل في بعض آرائه:

أولاً: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل الكبير:

ذهب الأخفش إلى أن ((إن)) المخفة في نحو: إن زيد لمنطلق، لاتعمل فقال: ((اعلم أن دخولها هاهنا كدخول ((لكن)) ليس لها عمل^(١))). قال أبو علي الفارسي معلقاً: ((قول أبي الحسن صحيح كما قال^(٢))).

وذهب الأخفش أيضاً إلى أن اللام التي بعد ((إن)) المخفة هي لام الابتداء الواقعة بعد ((إن)) المشددة، إلا أنها مع التخفيف والإهمال تلزم فارقة بين المخفة والنافية، ولهذا منع أبو الحسن فتح همزة ((إن)) بعد التخفيف إذا وجدت اللام، فقال بعد أن ذكر ((إن)) المخفة وعلة لزوم اللام بعدها: ((... ولا تكون في هذا الكلام ((إن)) مفتوحة أبداً، إن وقعت على اسم أو فعل، لأن اللام لازمة لهذا، فلا تكون إلا مكسورة^(٣))). قال ابن مالك بعد أن ذكر هذا الرأي وعزاه إلى الأخفش في المسائل الكبير: ((وهو الصحيح عندي^(٤))).

وتحدث تقى الدين النيلي عن خلاف النحوين في قولهم: ليس الطيب إلا المسك، ثم قال: ((والصحيح ما ذكره الأخفش في المسائل الكبير، وعول عليه أبو علي في الحلبيات أن في ((ليس)) ضمير الشأن والقصة، ويرتفع ((المسك)) بأنه خبر خبر المبتدأ الذي هو ((الطيب)) والمبتدأ وخبره جملة في موضع نصب خبر ((ليس))...^(٥))).

وذهب الأخفش إلى أن ((ماذ)) و((منذ)) لا يتقدمهما من الأفعال إلا الأفعال المنافية لفظاً ومعنى، أو المنافية لفظاً، أو الأفعال الموجبة التي تقتضي الدوامر، نحو: ما رأيت زيداً مذ

(١) البغداديات .١٨٠.

(٢) المصدر السابق .١٨١.

(٣) البغداديات .١٨١.

(٤) شرح التسهيل .٣٦/٢.

(٥) الصفة الصفية ٣١-٣٢/٢، ونظررأي الفارسي في الحلبيات ٢١٠ دون تنصيص على كتاب المسائل.

يوم الجمعة، وسرتُ منذ يوم الجمعة، إذا أردت اتصال السير، قال أبو حيان: ((قال أبو الحسن في الكبير له: لو قلت: رأيته مذ يوم الجمعة، وأنت تعني أنك رأيته يوم الجمعة ثم انقطعت الرؤية إلى ساعتك، لم يجز^(١)، ثم ذكر أبو حيان رأياً لابن السراج نقله من كتاب ((الأصول)) وختم بقوله: ((قال ابن عصفور: وال الصحيح ما ذهب إليه أبو الحسن...^(٢))).

وذهب الأخفش في المسائل الكبير إلى أن العامل في الصفة والتوكيد وعطف البيان هو العامل في المتبوع، ووافقه على ذلك ابن الدهان في الغرة، ووصف قوله وتعليقه بالطرافة والظرافة^(٣).

ونقل بعض النحوين منهم ابن الأباري والعكبري والرضي^(٤) عن الأخفش مخالفة سيبويه في مسألة العامل في الصفة والتوكيد وعطف البيان، فذكروا أن سيبويه يرى أن العامل في التابع هو العامل في المتبوع، وأن الأخفش يرى أن العامل كونها تابعة لما قبلها، وأوردوا عنه مجموعة من الحجج، قال ابن الدهان بعد أن ذكر نسبة القول الثاني للأخفش: ((وَوَجَدْتُ لَهُ فِي الْمَسَائِلِ الْكَبِيرِ شَيْئاً لَطِيفاً أَطْرِيفاً، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: تَقُولُ: يَا مُنْطَلِقاً نَفْسُهُ وَإِخْوَتُهُ، إِذَا جَعَلْتَ ((نَفْسَهُ)) تَأْكِيداً لِلْمُضْمَرِ فِي ((الْمُنْطَلِقِ)) عَلَى قَبْحٍ، فَلَوْ لَمْ يَطُلْ لِمَا انتَصَبَ، وَمَا طُولَ إِلَّا لِعَمَلِهِ فِي ((نَفْسَهُ)), أَوْ يَكُونُ قَدْ نَظَرَ إِلَى الْمَعْطُوفِ عَلَى الْمُضْمَرِ فِيهِ، فَأَمَّا الْضَّمِيرُ الَّذِي فِيهِ فَلَا يَطُولُ بِهِ وَهَذَا يُقَوِّي قَوْلَ سِبِّوِيَّهِ^(٥))).

وعبد أبو علي الفارسي قول العرب:رأيتك زيداً ما فعل، دليلاً على أنه لا يجتمع خطابان في كلام واحد، فقال في التذكرة - فيما نقله عنه السيوطي -: ((الدليل على هذا الأصل قولهما:رأيتك زيداً ما فعل، إلا ترى أن كاف الخطاب لما الحقن الفعل خلع الخطاب من التاء والدليل على خلع الخطاب من التاء لدخول الكاف وما يتعلق بها من ثنية وجمع وتأنيث وتذكير أن التاء في جميع الأحوال على صورة واحدة، فلا يجوز على

(١) التنبيه والتمكين ٧/٤٨.

(٢) المصدر السابق، وقد تحدث ابن عصفور في شرحه للجمل (٢/١٥-١٦) عن مذ ومنذ وأطال، ولم أجده هنا والذي قبله اللذين نقلهما أبو حيان، وكذلك لم أجدهما فيما اطلعت عليه من كتب ابن عصفور الأخرى.

(٣) رسالة دكتوراه ٦٦٢.

(٤) تنظر كتبهم مرتبة: أسرار العربية ٢٦١، والباب ٤٠١، وشرح الكافية ٢/٩٦٣.

(٥) الغرة ٦٦٢.

هذا: يا غلامك، لأن الغلام مخاطب والكاف خطاب آخر، وهي غير الغلام، فقد حصل في الكلام خطابان فامتنع لذلك، ولو قال: يا ذاك، كان ((إذا)) قد وقع موقع الخطاب، فإذا وصل بالكاف لم يكن حسناً، وهو أشبه من الأول، لأن ((إذا)) هو الكاف، وليس الغلام الكاف). ثم ختم بقوله: ((وقد عمل أبو الحسن في (المسائل الكبير) أبواباً ومسائل، وهذا أصل تلك المسائل عندي^(١))). وفي هذا إشارة منه إلى مصدر تلك الأشياء التي ذكرها وأنه موافق لأبي الحسن فيها.

وأجاز الأخفش في المسائل الكبير وقوع الجملة الفعلية بعد ((إذا)) الفجائية إذا كانت الجملة مقرونة بـ((قد)), ووافقه على ذلك ابن عصفور في المقرب^(٢).

ثانياً: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل الصغير:

منع الأخفش في المسائل الصغير أن يعرب ((أخاه)) في نحو: ((ظنت الذي الضارب بكرأ أخيه زيد عمرأ)) بدلاً من ((بكر)) الواقع في صلة ((الضارب))، والعائد إلى الموصول هو الهاء في ((أخاه)). ووافقه على ذلك الرمانى. قال الفارقى بعد أن ذكر المثال السابق: ((وانما منع منه أبو الحسن الأخفش، لأنه رأى أن البدل إنما يجيء بعد تمام الاسم، وإذا مض الاسم الموصول بلا عائد منه إلى الأول لم يعتد بالبدل ولم يجز. لأن البدل يجيء مجيء الفضلة، وذلك قوله في الكتاب الصغير من مسائله، وكان شيخنا أبو الحسن على بن عيسى -أيده الله- يرى رأيه في ذلك. سأله فأجاب بموافقته^(٣))).

وتحدد الشاطبى والبغدادى عن وقوع ((أن)) المشددة وما دخلت عليه بعد ((الوا)) الشرطية وذكرا رأى النحويين في إعراب المصدر المسؤول، وأن سيبويه والجمهور يرون أنه مبتدأ محذوف الخبر، كحذفه بعد ((الولا)), وأن المبرد يرى أنه فاعل لفعل محذوف، وذلك لأن وقوع الفعل بعد ((الوا)) لازم ڪلزمـه بعد ((إن)) الشرطية، ثم ذكرا آراء أخرى لبعض النحويين. وختاما المسألة بقولهما: ((ونذهب أبو الحسن في المسائل الصغير إلى أن ((أن)) بعد ((الوا)) زائدة، وكـرر الاسم للتوكيد، كما كـرر في قولهـم: ضربت القوم

(١) الأشباه والنظائر ٣٨٨ / ١.

(٢) ينظر: شرح المقرب المسمى التعليقة ١/٣٨٢-٣٨٣. وقد سبق إيراد نص الأخفش ورأى ابن عصفور في ص ٤٤ من هذا البحث.

(٣) تفسير المسائل المشكلة ١٢٥.

بعضهم، وأعمل ((أن)) وإن كانت زائدة، كما أعملت الحروف الزائدة، واحتاج له الفارسي في التذكرة^(١٤)).

وذهب الجمهور ووافقوهم الأخفش إلى أنه لا يجوز أن يلي ((إن)) وأخواتها إلا اسمها إن تقدم على الخبر أو خبرها إن تقدم على الاسم، وكان طرقاً أو مجروراً، فلو تقدم معمول الخبر، وكان غير ظرف أو مجرور، نحو: إن طعامك زيداً آكل، فالجمع متافق على بطلاه، وإن كان ظرفاً أو مجروراً، نحو: إن عندك زيداً مقيماً، فالجمهور على منعه، وما سمع منه يتأولونه، أما الأخفش فقال في المسائل الكبير: ((ولا نجيزه إلا في المسموع^(١٥))). وجاء من المسموع قول الشاعر:

فَلَا تَلْحِنِي فِيهَا فَإِنْ بِحِبِّهَا أَخَاكَ مُحَابَ الْقَلْبِ جَمْ بِلَبْلُهُ^(١٦)

ووافقه على ذلك الفارسي فقال في المسائل القصرية – فيما نقله عنه البغدادي – بعد أن أنسد البيت: ((ورواه الكوفيون (محاب القلب)، وأظنهم هربوا من الفصل، فنصبوا مخافة أن يجري مجرى ((كانت زيداً الحمى تأخذ)), ثم قال أبو علي مصححاً رواية الرفع: ((وليس الفصل... بقبيح لأن أبي الحسن قد أنسد في المسائل الصغير: فإن بحبيها أخاكَ مُحَابَ الْقَلْبِ [برفع مصاب^(١٧)]). وقال الفارسي في التذكرة – فيما نقله عنه الشاطبي –: ((رأيت أبي الحسن في المسائل الصغير يجيز ذلك في مسائل له يفصل بينها بالطرف المتعلق بالخبر^(١٨))).

وأجاز الأخفش في المسائل الصغرى العطف على الضمير المجرور من غير إعادة للجار^(١٩)، ووفقاً لابن مالك في شرح عمدة الحافظ، حيث قال بعد أن ذكر مجموعة من الشواهد التي عُطف فيها على ضمير مجرور دون إعادة لحرف الجر: ((والعمل بمقتضى هذه الشواهد في النظم والنشر قياساً هو مذهب يونس والأخفش والكوفيين، وهو اختيار الشيخ أبي علي الشلوبين واختياري^(٢٠))).

(١) المقاصد الشافية ٦/١٨٢-١٨٤، وحاشية على شرح بانت سعاد ١/٦٥٢.

(٢) الغرة ٢١٩ (رسالة دكتوراه)، والتذييل والتكميل ٥/٣٨.

(٣) البيت من الطويل، وسبق تعریجه.

(٤) الخزانة ٨/٤٥٤، وشرح أبيات معنى الليبب ٨/١٠٦.

(٥) المقاصد الشافية ٢/٦٩٥.

(٦) ينظر: شرح عمدة الحافظ ٢/١١٨-١١٧، وسبق إيراد نص الأخفش في ص ١٩ من هذا البحث.

(٧) المصدر السابق ٢/٦٦٥.

وذهب الأخفش في المسائل الصغرى إلى أنه لا يوصف بـ ((آخر)) إلا ما كان من جنس ما قبله ليتبين معايرته، فمنع أن يقال: أتاني صديق وعدولك آخر. قال: لأنه لغو من الكلام، ووافقه على ذلك ناقلاً النص وهما الألوسي^(١)، وشهاب الدين الخفاجي^(٢).

ثالثاً: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل ((هكذا)):

أجاز الأخفش في كتاب المسائل حذف حرف الجر مع بقاء عمله بعد ((الو)) مسبوقة بحرف عطف^(٣). وفي الاسم المقربون بهمزة الاستفهام، وبـ ((هلا))^(٤)، ووافقه على ذلك ابن مالك، وأبي حيان، وابن عقيل^(٥)، قال ابن مالك بعد أن ذكر هذا القول: ((ومنعه الفراء... وال الصحيح جوازه))^(٦).

وأجاز كذلك إباتة المصدر والظرف والجار والمجرور مناب الفاعل مع وجود المفعول به^(٧). قال ابن مالك بعد أن نسب هذا الرأي للأخفش والковيين: ((وبقولهم أقول، إذ لا مانع من ذلك، مع أنه وارد عن العرب))^(٨).

وتحدث ابن مالك عن ((إن)) المخفة فذكر أن الغالب في الأفعال التي تليها أن تكون من الأفعال الناسخة، فإن دخلت على غيرها فهو قليل لا يقاس عليه في مذهب جمهور النحويين وأن مذهب الأخفش في كتابه المسائل جواز القياس. قال ابن مالك: ((وبقوله أقول، لصحة الشواهد على ذلك نظماً ونشر))^(٩).

ونص الأخفش في كتاب المسائل على أنه لا يجوز الفصل بين الموصوف وصفته بـ ((إلا)) فقال: ((لا يفصل بين الموصوف والصفة بـ ((إلا)), و نحو: ما جاءني رجل إلا راكب، تقديره: إلا رجل راكب. وفيه قبح، لجعلك الصفة كالاسم))^(١٠). وممن صرخ بعدم جواز

(١) ينظر: روح المعاني ١٦٠/٢.

(٢) ينظر: حاشية الشهاب ١٨٦/٢.

(٣) ينظر: شرح التسهيل ١٩١/٢. وسبق إيراد نص الأخفش في ص ٢٢ من هذا البحث.

(٤) ينظر: شرح التسهيل ١٩٢/٢. وسبق إيراد نص الأخفش في ص ٢٢ من هذا البحث.

(٥) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: شرح التسهيل ١٩١/٢-١٩٢، الارتفاع ٤، ١٧٥٩/٤، المساعد ٢٩٨/٢.

(٦) شرح التسهيل ١٩٢/٢.

(٧) ينظر: شرح التسهيل ١٢٨/٢-١٢٩، والتذليل والتكميل ٦/٢٤٤-٢٤٥. والبحر المحيط ٦/٣١.

(٨) شرح التسهيل ١٢٨/٢.

(٩) شرح التسهيل ٣٦/٢-٣٧. وينظر كذلك: شرح التسهيل ١/١٥٠. والتذليل والتكميل ٥/١٤٢.

(١٠) شرح التسهيل ٣٠١/٢. وينظر: التذليل والتكميل ٨/٢٩٩. وشرح ابن عقيل ٢٦١/٢.

الفصل أيضاً الفارسي في التذكرة^(١)، قال ابن مالك: ((وما ذهبا إليه هو الصحيح، لأن الموصوف والصفة كشيء واحد...)).

وخالف الأخفش الجمھور فأجاز في كتاب المسائل توکید الضمير المرفوع المتصل بالنفس والعين دون توکیده بالضمير المنفصل، فأجاز أن تقول: قاموا أنفسهم، من غير توکید، ووافقه أبو حیان والسمین، وابن عادل الحنبلي^(٢).

وتحدث ابن سیده في المحکم عن ((البهاء)) وهو المنظر الحسن الرائع، ثم قال: ((وبهـوـ بهاء فهوـ بهـيـ، والأـنـشـ بـهـيـ... وـقـالـواـ: اـمـرـأـ بـهـيـاـ فـجـاؤـواـ عـلـىـ غـيرـ بـنـاءـ المـذـكـرـ. ولاـ يـجـوزـ أـنـ يـكـونـ تـأـيـثـ قـولـنـاـ: هـذـاـ الـأـبـهـيـ، لـأـنـ لـوـكـانـ كـذـلـكـ لـقـيلـ، فـيـ الـأـنـشـ: الـبـهـيـ، فـلـزـمـتـهـ الـأـلـفـ وـالـلـامـ، لـأـنـ الـلـامـ عـقـيبـ ((مـنـ)) فـيـ قـوـلـكـ: أـفـعـلـ مـنـ كـذـاـ، غـيرـاـنـهـ قـدـ جـاءـ هـذـاـ نـادـرـ...)). ثـمـ أـيـدـ اـبـنـ سـيـدـهـ كـلـامـهـ بـقـولـهـ: ((وقـالـ أـبـوـ الـحـسـنـ الـأـخـفـشـ فـيـ كـتـابـ الـمـسـائـلـ: إـنـ حـذـفـ الـأـلـفـ وـالـلـامـ مـنـ كـلـ ذـلـكـ جـائزـ فـيـ الشـعـرـ، وـلـيـسـتـ الـيـاءـ فـيـ بـهـيـ وـضـعـاـ، إـنـماـ هـيـ الـيـاءـ تـيـ فـيـ الـأـبـهـيـ، وـتـلـكـ الـيـاءـ وـاـوـفـيـ وـضـعـهـ، وـإـنـماـ غـلـبـتـهـ إـلـىـ الـيـاءـ لـمـجاـوزـتـهـ لـلـثـلـاثـةـ، أـلـأـ تـرـىـ إـنـكـ إـذـاـ تـأـيـثـ الـأـبـهـ قـلـتـ: الـأـبـهـيـانـ، فـلـوـ لـمـ جـاـزوـزـهـ لـصـحـتـ الـوـاـوـ وـلـمـ تـنـقـلـبـ إـلـىـ الـيـاءـ، عـلـىـ مـاـ قـدـ أـحـکـمـتـهـ صـنـاعـةـ الـإـعـرـابـ)).

٢- مخالفة الأخفش في المسائل في بعض آرائه:

أولاً: آراء للأخفش منقوولة من كتاب المسائل الكبير:

ذهب الأخفش والكسائي إلى أن ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ مَأْمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالصَّابِرَى مَنْ مَأْمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَلِيمًا فَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَمُونَ﴾ [المائدة: ١٩]. معطوف على الضمير في ((هادوا)), قال أبو جعفر التحايس: ((وقال

(١) المصادر السابقة.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٣٠٢-٣٠١/٢.

(٣) تنظر كتب هؤلاء مرتبة: البحر المحيط ١٩٧٢/٢، والدر المصنون ١/٥٤، والباب في علوم الكتاب ١/٧٣٩. وفي الغرة ٦٦٢ (رسالة دكتوراه) نقل ابن الدهان نصاً عن المسائل الكبير يحيى فيه الأخفش توکید الضمير المستتر دون توکیده بضمير منفصل. لكن وصفه بالطبع وقد سبق إيراد النص في ص ٣٦-٣٧ من هذا البحث.

(٤) المحکم ٤/٤٣٨.

(٥) المحکم ٤/٤٣٩-٤٣٨.

الكسائي والأخفش ذكره في المسائل الكبير **{وَالصَّدِيقُونَ}** عطف على المضمر الذي في **{هَادُوا}** وقال الفراء: إنما جاز الرفع لأن **{وَالَّذِينَ}** لا يبين فيه الإعراب، قال أبو جعفر: وسمعت أبا إسحاق يقول، وقد ذكر له قول الأخفش والكسائي: هذا خطأ من جهتين: أحدهما أن المضمر المرفوع يقع العطف عليه حتى يؤكده، والجهة الأخرى أن المعطوف شريك المعطوف عليه فيصير المعنى إن الصابئين قد دخلوا في اليهودية وهذا مجال وسبيل ما لا يتبيّن فيه الإعراب وما يتبيّن فيه واحدة^(١)).

وذهب الأخفش إلى أن اللام التي بعد **((إن))** المخفة هي لام الابتداء الواقعة بعد **((إن))** المشددة، إلا أنها مع التخفيف والإهمال تلزم فارقة بين المخفة والنافية، ولهذا منع أبو الحسن فتح همزة **((إن))** بعد التخفيف إذا وجدت اللام، فقال في المسائل الكبير بعد أن ذكر **((إن))** المخفة وعلة لزوم اللام بعدها: ((... ولا تكون في هذا الكلام **((إن))** مفتوحة أبداً، إن وقعت على اسم أو فعل، لأن اللام لازمة لهذا فلا تكون إلا مكسورة^(٢))). وقد خالفه في ذلك أبو علي الفارسي، وذهب إلى أن اللام التي بعد المخفة غير تلك التي بعد المشددة، واستدل بأن ما بعد هذه يتتصب بما قبلها من الأفعال، نحو قوله تعالى **{وَإِنْ كَانَ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِهِنَّ}** [الأنعام: ١٥٦]^(٣). ثم قال أبو علي: ((إذا ثبت أن هذه اللام ليست للابتداء لم يمتنع أن تفتح **((إن))** إذا كانت هذه اللام معها ودخل عليهما يوجب فتحها إذ المانعة من افتتاح **((إن))** غيرها وهي التي للابتداء^(٤)). وختم أبو علي نقاشه في المسألة بقوله معلقاً على قول الأخفش: ((ويدخل على من زعم أن هاهنا ضميراً أن يقول له: كيف تصنع باللام إذا أظهرت الضمير في اللفظ هل تقول: إنه عبد الله لمنطق. وأنه كان عبد الله لمنطقاً، فهو إذا قال ذا، فقد جعل اللام في غير موضع **((إن))**). فإن احتاج بأن العرب قد تقول: إن عبد الله وجهه لحسن، فهذا شاذ لا يقاس عليه^(٥)). قال أبو علي: ((يدل على أنه جعل اللام التي في نحو: إن وجدت زيداً لكاذباً، لام الابتداء،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٢/٢.

(٢) البغداديات .١٨١

(٣) ينظر: البغداديات .١٨٢

(٤) البغداديات .١٨٣

(٥) البغداديات .١٨١

وقد بينا فساد ذلك، وكيف يجوز أن تكون هذه اللام لام الابتداء وقد دخلت في نحو قوله

تعال **﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَسِيقِينَ﴾** [الأعراف: ١٠٢].^(١)

وأورد الفارقي مجموعة من الألفاظ ذكر أنه لا يصح الإخبار عنها ثم قال: ((وكذلك ((عند)) إلا على مذهب أبي الحسن الأخفش، فإني رأيته في مسائله الكبير يخبر عنه، وليس ذلك بشيء، ولا هو موضوع الاحتجاج على المخالفين^(٢)). ثم قال: ((فإن قيل لك أخبر عن ((عند)) فإن ذلك أيضاً لا يجوز، لأنه استبهام استبهام الحروف، فأشبها فلم يرفع ولم يضمر في الإخبار، واستبهامه أنه لا يخص بقعة بعينها... وما لا يضر ولا يرفع لا يصح الإخبار عنه، وقد أجاز ذلك فيه أبو الحسن الأخفش وهو خطأ، لما قدمنا من نصوص تمكنه، حتى امتنع من الإضمار والرفع^(٣))).

وتحدث الفارقي أيضاً عن الخلاف في صحة الإخبار عن خبر ((كان)) في نحو: كان ثوبُكَ المَزِيَّةَ عَلَمَهُ عَبْدَ اللَّهِ مُعْجِبًا. فقال: ((إن قيل لك: أخبر عن ((معجبًا)) الذي هو الخبر، فإن ذلك على الخلاف، فبعضهم لا يجيذه، وبعضهم يجيذه على قوة، وبعضهم يجيذه على قبح، فمن منع منه، فلأن الخبر عنده في معنى ((كان من الأمر كذا وكذا)). وهي في معنى جملة فيها الفائدة، وما هو موضوع للفائدة لا تخبر عنه، فكذلك ما هو في معناه، وإلى مثل هذا رأيت أبو الحسن الأخفش يشير في مسائله الكبير، وعبارته عنه تحتاج إلى تأمل، وفيها إشكال، وممن ضعفه أبو بكر بن السراج ويعتمد على أنه في معنى الخبر، ومن المفعول، فلم يخلص لأحدهما، فضعف الإخبار عنه، ومن أجازه على حسن فلأنه خبر، ولا خلاف في الإخبار عن الخبر إذا كان مفرداً، وإلى هذا كان يذهب شيخنا أبو الحسن علي بن عيسى، وهو عندي الوجه^(٤))).

وأجاز جمهور النحوين^(٥) الإخبار عن المبتدأ المفرد بمتعدد لفظاً لا معنى لقيامه مقام خبر واحد لفظاً ومعنى نحو: هذا حلو حامض، معنى: مُزّ، ف((حلو حامض)) في

(١) البغداديات ١٨٥.

(٢) تفسير المسائل المشكلة ٢٧٢.

(٣) تفسير المسائل المشكلة ٢٧٤-٢٧٣.

(٤) تفسير المسائل المشكلة ٣٨٤-٣٨٣.

(٥) ينظر: الأصول ١/١٥٥، والمفصل ٢٧، وشرح التسهيل ١/٣٢٦-٣٢٧، وتعليق الفرائد ٢/١٢٩، والمقادد الشافية ٢/١٢٩.

الحقيقة خبرٌ واحدٌ عن المبتدأ قبله، وإنما تعدد في اللفظ خاصةً، وخالف في ذلك أبو الحسن الأخفش في كتابه المسائل الكبير^(۱) فذهب إلى أن الثاني ليس بخبر بل هو صفة للأول، وأن المعنى: هذا حلو فيه حموضة.

قال الشاطبي: ((وقد أبطل الفارسي في التذكرة أن يكون الثاني أحد التوابع فقال: إن قلت: إن الثاني تابع للأول فليس يجوز أن يكون الثاني بدلاً من الأول، لأن الأول مراد كما أن الثاني كذلك). قال: ومن ههنا لا يجوز أن يكون الثاني صفة للأول. قال: والصفة أظهر لا تجوز لأنك لا تتصف الحلو بأنه حامض، وإنما تخبر عن الأول أنه جمع الطعمين، يعني في قوله: هذا حلو حامض، ولا مدخل لشيء من باقي التوابع هنا^(۲))).

وتحدث أبو حيان عن مسألة تقديم معمول ما بعد ((إلا)) عليه، نحو: ما زيد طعامك إلا آكل. فقال: ((أجاز ذلك الأخفش، ذكره في المسائل الكبار)، ثم خالفه، وذكر أن مخالفته والقول بالمنع، هو قول السيرافي والفارسي^(۳)).

ونذهب للأخفش في المسائل الكبير إلى أن ((إبراً)) في نحو: هذا قَفِيزْ بُرّاً، منصوب على الحال. قال ابن الدهان: ((ورأيت الأخفش قد ذكر في كتابه: هذا قَفِيزْ بُرّاً، منصوب على الحال لا غير^(۴))) ولم يوافق أحد من النحوين الأخفش فيما ذهب إليه، حيث أوجبوا أن يكون ((إبراً)) في الجملة السابقة منصوباً على التمييز.

ونذهب للأخفش في المسائل الكبير إلى أن صيغة ((فعلاً)) إذا استعملت لمدح أو ذم، فإنها تلحق بباب ((نعم وبئس)) ويجوز إلهاقها بباب التعجب، وخالفه في ذلك الفارسي وأوجب إلهاقها بباب ((نعم وبئس)) فقط^(۵).

وأجاز الأخفش في المسائل الكبير مد المقصور في الضرورة^(۶)، ولم يوافقه عليه أحد من البصريين قال السيرافي: ((وأهل البصرة يجيزون قصر كل ممدود، ولا يفرقون بين بعضه وبعض ولا يجيز مد المقصور منهم إلا الأخفش، فإنه كان يجيز مد المقصور^(۷))).

(۱) شراب مُزّ: بين الحلو والحامض. والمُرّ من الرمان: ما كان طعمه بين حموضة وحلوة. اللسان (مز).

(۲) ينظر: التذليل والتكميل ۹۲-۹۲/۴. وتعليق الفراند ۱۲۰/۲.

(۳) المقاصد الشافية ۱/ لوحه ۱۲۹/۲.۲۳۲ (ط. أم القرى).

(۴) ينظر: الارتفاع ۱۵۲۲/۲.

(۵) الغرة ۴۹۴ (رسالة دكتوراه).

(۶) ينظر: الارتفاع ۲۰۵۷/۴.

(۷) ينظر: ضرائر الشعر ۲۹.

(۸) ما يحتمل الشعر من الضرورة ۱۱۰.

وقال أبو حيان وهو يتحدث عن المصدر المختص بألف وبالإضافة وبالصفة وأنه لا يجوز أن يقع تأكيداً للفعل: ((ولكون المصدر المخصوص المعرف لا يجوز أن يقع تأكيداً للفعل منع النحاة: ضربته أبا ضربه، وزعموا أن قول الناس: لعنة الله أبا يلعنه، لحن، قال أبو إسحاق: امتنع في مثل هذا أن يؤكّد به الفعل، لأن ((أن)) تخلص الفعل للاستقبال، والتأكيد إنما يكون بال المصدر المبهم، وقد حُكِي عن الأخفش إجازة ذلك، والذي ذكره في الكتاب الكبير إنما منعه^(١)). وقال ابن الدهان في حديثه عن المصدر المؤكّد: ((الأخفش ينفرد في هذا الباب بمسألة لا يجيزها غيره، وهي: ضربت زيداً أبا ضربت و يقول: هي في تقدير المصدر، وإنما هو معرفة، ولا يمتنع أن يؤكّد المصدر المعرفة، ورأيته في كتاب الكبير قد منع من المسألة^(٢))).

ثانياً: آراء للأخفش منقوولة من كتاب المسائل الصغير:

منع الأخفش في المسائل الصغير أن يعرب ((أخاه)) في نحو: ((ظننت الذي الضارب بكراً أخيه زيد عمرًا)) بدلاً من ((بكر)) الواقع في صلة ((الضارب))، والعائد إلى الموصول هو الهاء في ((أخاه)). قال الفارقي بعد أن ذكر المثال السابق: ((إنما منع منه أبو الحسن الأخفش، لأنه رأى أن البديل إنما يجيء بعد تمام الاسم، وإذا مضى الاسم الموصول بلا عائد منه إلى الأول لم يعتد بالبدل ولم يجز، لأن البدل يجيء مجيء الفضلة، وذلك قوله في الكتاب الصغير من مسائله... والذى عندي أنه جائز، ووجه جوازه أنه وإن كان يجيء مجيء الفضلة بعد الموصول الذى هو بدل منه- فليس يجيء مجيء الفضلة بعد الموصول، ولا يخرجه ذلك من صلة ما قد اتصل به عائده، وإذا كان كذلك، فهو جائز، لصحة رجوع الذكر منه إلى الأول، وإلى ما نراه من هذا أشار المازني في كتاب الألف واللام^(٣))).

وأجاز الأخفش في المسائل الصغير ونسبه إليه الفارسي في الحلبيات^(٤) وابن جنى في الخصائص^(٥) تقديم خبر ((ليس)) عليها، قال الفارقي: ((لم يجز ((قائمًا ليس زيدًا)), وإن جاز

(١) التذليل والتكميل ١٤٩/٧.

(٢) الغرة ٢٠٥ (رسالة دكتوراه).

(٣) تفسير المسائل المشكّلة ١٢٦-١٢٥.

(٤) ٢٨٠.

(٥) ١٨٨/١.

((قائماً كان زيداً)) إلا على رأي أبي الحسن الأخفش، فإنه أجازه في كتاب مسائله الصغير، وقد بناهذا في كتابنا الموسوم بـ ((استدراك الغلط في شرح سيبويه على بعض المتأخرین)). وهذا من ردیء المذاهب، وقد أغنى ذكره هناك عن تقصی ذكره هنا^(١)).

وأجاز الأخفش إثابة المصدر والظرف والجار وال مجرور مناب الفاعل مع وجود المفعول به^(٢)، وخالفه في ذلك الفارقي فقال: ((... وعلى هذا الحد من التصرف قالوا: أدخل السجن زيداً، وأدخل القبر بحراً، فأقام المفعول بحرف جره الذي يقوم مقام الفاعل والمفعول المطلق بغير حرف منصوباً على ما كان معه، ولا يجوز ذلك في غير ((الدخلت)) إلا على مذهب أبي الحسن الأخفش فإنه أجاز أن يقول: ضرب في الدار زيداً، فتقيم ما اتصل بحرف الجر مقام الفاعل مع وجود فاعل مفعول مطلق، وذلك في الصغير من مسائله، وليس بصحيح، وله موضع نقصاه^(٣))).

وأجاز الأخفش تقديم المستثنى على العامل، إذا كان المستثنى منه مقدماً، فأجاز أن يقول: القوم إلا زيداً قاموا، قال ابن الدهان: ((فإن قلت: القوم إلا زيداً جاؤوا، لم يجز أحد إلا الأخفش، فإنه أجازه في كتاب المسائل الصغير، فقال: القوم إلا زيداً قاموا فقدموا ((إلا)) على العامل^(٤))). قال ابن الدهان راداً هذا القول: ((وهذا الذي ذكره فيه نظر، لأن الفعل ليس له في ((ال القوم)) -أعني الدين يستثنى منهم- عمل، فلا يكون ((إلا)) متعلقه بالفعل، ولو كان الاستثناء من الواو لكان قد تقدمت ((إلا)) على العامل، ولكن ((زيد)) انتصب بوساطة ((إلا)) وهو قد جعله مستثنى من القوم، وال القوم مبتدأ، والإبتداء العامل فيه، والمسألة على هذا فاسدة ولو أراد مثل ذلك لقال: الرجل إلا زيداً ضربت، وبينهما فرق^(٥))).

وتحدث البغدادي عن مسألة العطف على اسم ((إن)) بالرفع قبل مجيء الخبر ورجح القول بالمنع، وعلل بقوله: ((... لأن موضع الاسم بعد ((إن)) لا محزر له، لأن الطالب

(١) تفسير المسائل المشكلة ١٣٨.

(٢) ينظر: شرح التسهيل ٢/١٢٩-١٢٨، والتذليل والتكميل ٦/٢٤٤-٢٤٣، والبحر المحيط ٦/٢١١.

(٣) تفسير المسائل المشكلة ٣٢٢.

(٤) الغرة ٥٠٢ (رسالة دكتوراه).

(٥) الغرة ٥٠٢ (رسالة دكتوراه).

لرفعه، وهو الابتداء قد زال بـ ((إن)) فامتنع العطف عليه بالرفع قبل مضي الخبر وبعده^(١)). ثم قال: ((وبما تقدم يُرد على الأخفش في قوله في المسائل الصغير: وقد يجوز أن تقول: كنتَ وكتابك إلى أحمقين، نصبت الكتاب أورفعته، إلا أنك إذا رفعته كان أبوجود، وإنما قلت: أحمقين على المجاز لأنك تقول: إلى كتاباً أحمقاً ثم قال: الأبوجود: كنت وإياك مصيبة، وهو مفعول معه، فإن قال: مصيبة على المعنى جاز من أجل أن الخبر في الحقيقة عن اثنين، انتهى كلامه، ونقلته من نسخة هي بخط ابن جنی^(٢))).

ثالثاً: آراء للأخفش منقولة من كتاب المسائل ((هكذا)):

منع الأخفش والجمهور^(٣) أن يقال: لي عنده عشرة إلا سِتَّة، فيستثنى بأكثر من النصف واختلفوا في النصف، وذلك نحو: لي عنده عشرة إلا خمسة، فمنهم من يجيزه وبعضهم لا يجيزه^(٤)، وأجازه الجمهور فيما دون النصف، وخالفهم الأخفش، قال ابن الدهان: ((أوأجمعوا على جواز: لي عنده عشرة إلا أربعة، والأخفش قد أباه في المسائل^(٥))), ثم قال ابن الدهان مخالفاً للأخفش: ((... وإنما معنى: لي عنده عشرة إلا أربعة، لي عنده سِتَّة، فالستة ليست بموجودة في اللفظ، وإنما هي موجودة من طريق المعنى^(٦))).

(١) حاشية على شرح بانت سعاد ٢/١٦٦.

(٢) حاشية على شرح بانت سعاد ٢/١٦٦.

(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٥، والارتفاع ٢/٥٠٠، والجن الداني ٥١٢.

(٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٥، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/٤٩، وارتفاع الضرب ٢/٥٠٠، والجن الداني ٥١٢.

(٥) الغرة ٤٩٥ (رسالة دكتوراه).

(٦) الغرة ٤٩٥ (رسالة دكتوراه).

الخاتمة:

وبعد هذه الدراسة الموجزة لكتابي ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير)) لأبي الحسن الأخفش وأثرهما في النحوين، لعل من المفيد تلخيص أبرز ما جاء فيها في النقاط الآتية:

- ١- أبو الحسن الأخفش عالم ثقة فذ، فهو أحد العلماء المشهورين، ومن متقدمي النحوين البصريين، وإمام المدرسة البصرية بعد سيبويه، وكتاباه ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير)), يعدان من أشهر مؤلفاته - مع كتابه ((معاني القرآن)) -، وهما أول كتابين يؤلفان في النحو بعد كتاب سيبويه.
- ٢- ((المسائل الكبير)) و((المسائل الكبيرة)) و((المسائل الكبارة)) و((المسائل الكبار)) أربعة أسماء لكتاب واحد، والاسم الأول منها هو تسمية المؤلف، والبقية من تصرف النحوين الناقلين لبعض نصوص الكتاب، وكذلك الحال في المسائل الصغير، والمسائل الصغرى، والمسائل الصغيرة.
- ٣- كتابا ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير)) لايزالان في عداد الكتب المفقودة.
- ٤- بلغت النقول التي أحالها النحوين إلى أحد كتابي المسائل - حسب ما اطلعت عليه - سبعة وتسعين نقلأً، منها واحد وخمسون نقلأً عن ((المسائل الكبير)). وثمانية عشر نقلأً عن ((المسائل الصغير)). وهناك ثمانية وعشرون نقلأً أحالها من أوردها إلى ((كتاب المسائل)). (هكذا)، بحذف الصفة، وفاعل ذلك إما أنه يريد ((كتاب المسائل الكبير)). لكونه الأشهر والأضخم، واما أنه يرى أن الكتابين يشكلان بمجموعهما كتاباً واحداً يطلق عليه عنوان ((كتاب المسائل)).
- ٥- كتابا ((المسائل الكبير)) و((المسائل الصغير)) - ومن خلال النصوص المنقولة عنهما ووصف بعض النحوين لهما - كتابان في النحو، فجميع ما اطلعت عليه من نصوص ومسائل محللة إلى أحد الكتابين وعددها سبعة وتسعون نقلأً،تناول فيها أبو الحسن مسائل نحوية أو إعرابية ماعدا عدة مسائل صرفية قليلة، ومسألة لغوية واحدة.
- ٦- الوصفان ((الكبير)) و((الصغير)) يظهر أنهما ليسا للمادة أو الأسلوب، وصعوبتهما أو سهولتهما - كما ظن بعض الباحثين - وإنما إلى حجم الكتاب فقط.

- ٧- سبب تأليف ((كتاب المسائل الكبير)) ذكره أبو الحسن بن نفسه، حيث ذكر أنه لما دخل بغداد بعد وفاة سيبويه واتصل بالковيين، ورأى اهتمامهم بالمسائل المتفرقة في النحو والصرف صنع لهم ((كتاب المسائل الكبير)).
- ٨- كان لأبي الحسن تأثير كبير في الكوفيين بسبب تأليفه لهم كتابين من أهم كتبه هما: المسائل الكبير، ومعانى القرآن، وقد اطلع الكوفيين على تفاصيل مذهب البصريين من خلال هذين الكتابين.
- ٩- ذكر بعض النحويين أن أسلوب أبي الحسن في الكتابين أسلوب يميل إلى الصعوبة والتعقيد وما عثر عليه الباحث من نصوص منسوبة إلى أحد الكتابين يخالف ما ذكر، فهي نصوص واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد.
- ١٠- اشتمل الكتابان على العديد من الشواهد الشعرية، والروايات النثانية، التي رواها الأخفش عن العرب مباشرة، أو نقل روایتها عنمن سمعها منهم.
- ١١- عني النحويون بالكتابين عناية كبيرة، وذلك من خلال: دراستهما، ونسخهما والحرص على امتلاكهما، وترتيب أبوابهما، والجمع بين مسائلهما، وشرحهما وتوضيحهما، والاعتماد عليهما، والسير على منوالهما في التأليف.
- ١٢- ظهر لي من خلال تبع النصوص والمسائل المنسوبة إلى أحد كتابي المسائل للأخفش أنه كان لهما تأثير كبير في النحويين من خلال الأمور الآتية:
- اعتمادهم عليهم في إثبات بعض الشواهد أو اللغات.
 - اعتمادهم عليهم في نقل مذاهب بعض العرب.
 - اعتمادهم عليهم في توجيه بعض ما ورد عن العرب.
 - اعتمادهم عليهم في تصحيح بعض الشواهد.
 - اعتمادهم عليهم في نفي شيء ما عن العرب.
 - نقل أمثلتهما واعتمادها.
 - الاستدراك على أمثلتهما.
 - اعتمادهم عليهم في نقل آراء بعض النحويين.
 - اعتمادهم عليهم في إثبات آراء لأبي الحسن مخالفة لما يُنسب إليه.
 - إيراد تعليقات الأخفش في أحد كتابي المسائل واعتمادها.

- اللجوء إلى أحد كتابي المسائل لجسم الخلاف في بعض القضايا النحوية.

- شرح كلام الأخفش في كتاب المسائل.

١٣- لم يكن موقف النحويين إزاء ما ينقلونه من آراء أبي الحسن في أحد كتابي المسائل واحداً بل تعددت مواقفهم، فتارة يوافقون الأخفش فيما ذهب إليه، وتارة يخالفونه، وتارة يتزرون الصفت حيال ما ينقلون.

هذه جملة من أبرز ما جاء في البحث، وهناك أشياء بارزة أخرى تراها منثورة فيه، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصل الله على نبينا محمد وعلى الله وصحبه وسلم تسلیماً كثيراً، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

ثبات المصادر والمراجع:

- ١- أخبار النحوين البصريين. أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ت (٣٦٨هـ): تحقيق د. محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، ط (١) ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.
- ٢- إشارة التعين في تراجم النحاة واللغويين. عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني: تحقيق د. عبدالمجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط ١٤٠١هـ.
- ٣- الأشباه والنظائر في النحو. جلال الدين السيوطي: تحقيق د. عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢٠٠٣هـ - ١٤٢٣هـ.
- ٤- الأصول في النحو. أبو يكرز محمد بن سهل بن السراج: تحقيق د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط (٢) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٥- إعراب القرآن. أبو جعفر النحاس: تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط (٢) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٦- إنباء الرواة على أنباء الرواية. أبو الحسن القفطاني: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط (١) ١٤٠٦هـ.
- ٧- الإنصاف في مسائل الخلاف. أبو البركات الأنباري: تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- ٨- إيضاح المكnoon في الذيل على كشف الظنون. اسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابانى: عن بطبعه: محمد شرف الدين بالتقايا والمعلم: رفعت بيلاكه الكليسي الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٩- البحر المحيط. أبو حيان الأندلسي: تحقيق عادل عبدالموجود. وعلى معرض دار الكتب العلمية، ط (١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ١٠- البديع في علم العربية. مجذ الدين ابن الأثير: (الجزء الأول) تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين، منشورات جامعة أم القرى عام ١٤٢٠هـ.
- ١١- البسيط في شرح حمل الزجاجي. ابن أبي الربيع عبد الله بن أحمد القرشي: تحقيق د. عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط (١) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ١٣- بقية الخاطريات. أبو الفتح بن جني: تحقيق د. محمد أحمد الدالي، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤١٢هـ.
- ١٤- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. الفيروز آبادي: تحقيق د. محمد المصري. منشورات مركز المخطوطات والترا ث بجمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت، ١٤٠٧هـ.
- ١٥- التبيان في إعراب القرآن. أبو البقاء العكברי: وضع حواشيه محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية (بيروت)، ط (١) ١٤١٩هـ.
- ١٦- تذكرة النحاة. أبو حيان الأندلسي: تحقيق د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط (١) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٧- التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. أبو حيان الأندلسي: تحقيق د. حسن هنداوي، ط (١)، دار القلم بدمشق، دار كنوز إسبانيا، في الرياض.
- ١٨- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد. الدماميني: تحقيق د. محمد بن عبد الرحمن المفدي، الطبعة الأولى.
- ١٩- التعليقة على كتاب سيبويه. أبو علي الفارسي: تحقيق د. عوض بن حمد القوزي.
- ٢٠- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد. محب الدين محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش: تحقيق د. علي فاخر وزملاه، دار السلام، القاهرة، ط (١) ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٢١- تهذيب التذكرة. أبو الفتح عثمان بن جني: مخطوطة من إيران، مصورة من نسخة الأستاذ الدكتور صالح بن حسين العايد.
- ٢٢- تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية، مطابع سجل العرب.
- ٢٣- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. المرادي: تحقيق د. عبد الرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، ط (٢).
- ٢٤- الجن الداني في حروف المعاني. الحسن المرادي: تحقيق د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط (١) ١٤١٣هـ.
- ٢٥- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي. أحمد بن محمد الشهاب الحفاجي: دار صادر (بيروت).

- ٢٦- حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام، عبدالقادر البغدادي؛ تحقيق نظيف محمد خواجة، ط.١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٧- الحيوان. الجاحظ: تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار الجيل، دار الفكر، بيروت، ط(١) ١٩٨٨م.
- ٢٨- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبدالقادر البغدادي؛ تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط (٤) ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٩- الخطائص. أبوالفتح عثمان بن جنى؛ تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية.
- ٣٠- الدر المصور في علوم الكتاب المكنون. السمين الحلبي؛ تحقيق علي محمد معوض وزملائه، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط (١) ١٤١٤هـ.
- ٣١- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس. شرح وتعليق د.محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة (بيروت) ط (٧) ١٤٠٣هـ
- ٣٢- ديوان العجاج. رواية عبد الملك بن قريب الأصممي وشرحه. تحقيق د. عزة حسن، مكتبة دار الشرق (بيروت).
- ٣٣- ديوان كثير عزة. تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت) ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٣٤- ديوان كعب بن زهير. تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٩٨٧م.
- ٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. أبوالفضل محمود الألوسي: دار إحياء التراث العربي (بيروت).
- ٣٦- السراج المنير للجامع الصغير. إسماعيل بن إبراهيم العلوي؛ تحقيق د. ناصر محمد كريري، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ٣٧- سر صناعة الإعراب. أبوالفتح ابن جنى: دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم (دمشق)، ط (٢) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٣٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ابن العماد الحنبلي؛ دار الكتب العلمية (بيروت).
- ٣٩- شرح أبيات مغني اللبيب. عبدالقادر البغدادي؛ تحقيق عبد العزيز رياح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث (دمشق)، ط (٢) ١٤٠٧هـ.
- ٤٠- شرح التسهيل. محمد بن عبد الله بن مالك؛ تحقيق د.عبدالرحمن السيد ود.محمد بدوى المختون، هجر للطباعة والنشر، ط (١) ١٤١٠هـ.

- ٤١- شرح جمل الزجاجي. ابن عصفور الإشبيلي: تحقيق د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب (بيروت)، ط (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- ٤٢- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب. رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذى: تحقيق د. حسن بن محمد الحفظى. ود. يحيى بشير المصرى، منشورات جامعة الإمام، ط (١).
- ٤٣- شرح عيون كتاب سيبويه. أبونصر هارون بن موسى المجريطي القرطبي: تحقيق د. عبدربه عبداللطيف، ط (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).
- ٤٤- شرح الكافية الشافية. محمد بن عبدالله بن مالك: تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون، ط (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
- ٤٥- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات. أبوعلي الفارسي: تحقيق صلاح الدين السنكاوى، مطبعة العانى (بغداد).
- ٤٦- شرح المفصل. ابن يعيش: عالم الكتب، بيروت.
- ٤٧- شرح المقرب المسمى التعليقة. بهاء الدين بن النحاس: تحقيق خيري عبدالراضى عبداللطيف، دار الزمان، المدينة المنورة، ط (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).
- ٤٨- الصفوـة الصـفـيـة في شـرـح الـدـرـة الـأـلـفـيـة. تقـيـ الدـيـنـ الـنـيلـيـ (من عـلـمـاءـ الـقـرـنـ السـابـعـ الـهـجـرـيـ)؛ تـحـقـيقـ دـ.ـ مـحـسـنـ سـالـمـ الـعـمـيرـيـ،ـ مـنـشـورـاتـ جـامـعـةـ أـمـ القرـىـ،ـ طـ (١).
- ٤٩- ضـرـائـرـ الشـعـرـ.ـ اـبـنـ عـصـفـورـ الإـشـبـيلـيـ؛ـ تـحـقـيقـ السـيـدـ إـبـراهـيمـ مـحـمـدـ،ـ دـارـ الـأـنـدـلـسـ،ـ طـ (٢)ـ ١٤٠٢ـهـ - ١٩٨٢ـمـ.
- ٥٠- طـبـقـاتـ النـحـوـيـنـ وـالـلـغـوـيـنـ.ـ أـبـوـبـكـرـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـسـنـ الـزـبـيدـيـ؛ـ تـحـقـيقـ مـحـمـدـ أـبـوـالـفـضـلـ إـبـراهـيمـ،ـ دـارـ الـمـعـارـفـ بـمـصـرـ،ـ طـ (٢).
- ٥١- الغـرـةـ فـيـ شـرـحـ الـلـمـعـ.ـ اـبـنـ الـدـهـانـ النـحـوـيـ؛ـ مـنـ أـوـلـ بـابـ (ـإـنـ وـأـخـوـاتـهــ)ـ إـلـىـ آخرـ بـابـ (ـالـعـطـفــ)ـ رسـالـةـ دـكـتوـرـاهـ مـنـ إـعـدـادـ فـرـيدـ الزـاملـ،ـ جـامـعـةـ الإـمـامـ،ـ ١٤٣٠ـهـ - ١٩٧٠ـمـ.
- ٥٢- الفـهـرـسـتـ.ـ مـحـمـدـ بـنـ إـسـحـاقـ بـنـ النـديـمـ؛ـ اـعـتـنـىـ بـهـاـ وـعـلـقـ عـلـيـهـاـ إـبـراهـيمـ رـمـضـانـ،ـ دـارـ الـمـعـرـفـةـ (ـبـيـرـوتـ)،ـ طـ (٢)ـ ١٤١٧ـهـ.
- ٥٣- قـوـاعـدـ الـمـطـارـحةـ.ـ اـبـنـ إـيـازـ النـحـوـيـ؛ـ تـحـقـيقـ عـلـىـ الـفـضـلـيـ،ـ رسـالـةـ عـلـمـيـةـ مـنـ جـامـعـةـ الـقـاهـرـةـ،ـ كـلـيـةـ دـارـ الـعـلـومـ،ـ ١٣٩٢ـهـ - ١٩٧٢ـمـ.

- ٤٥- الكتاب. عمرو بن عثمان بن قنبر "سيبويه": تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة
الخانجي بالقاهرة، ط (٢) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٤٦- الالامات. أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي: تحقيق د. مازن المبارك،
دار الفكر، ط (٢) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٧- الالامات. علي بن محمد الهروي: تحقيق د. أحمد عبد المنعم الرصد، مطبعة حسان
(القاهرة)، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٤٨- الباب في علوم الكتاب. عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي: تحقيق عادل
أحمد عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) ١٤١٩هـ - ٢٠١٤م.
- ٤٩- الباب في علل البناء والإعراب. أبو البقاء العكברי: تحقيق غازي مختار طليمات،
دار الفكر المعاصر (بيروت)، دار الفكر (دمشق) ط (١).
- ٥٠- ما يحتمل الشعر من الضرورة. أبو سعيد السيرافي: تحقيق د. عوض بن حمد
القوزى، ط (٢) ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٥١- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده:
تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٥٢- مراتب النحوين. أبو الطيب اللغوي: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،
دار نهضة مصر، ١٣٩٤هـ.
- ٥٣- مجالس العلماء. أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي: تحقيق عبد السلام
هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط (٢) ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٥٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي: تحقيق محمد أحمد جاد
المولى وزميليه، دار الجيل (بيروت).
- ٥٥- المسائل الحلبيات. أبو علي الفارسي: تحقيق د. حسن هنداوي،
دار القلم (دمشق)، دار المنارة (بيروت)، ط (١) ١٤٠٧هـ.
- ٥٦- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات. أبو علي الفارسي: تحقيق صلاح الدين
السينكاوى، مطبعة العانى (بغداد).
- ٥٧- المساعد على تسهيل الفوائد. بهاء الدين ابن عقيل: تحقيق د. محمد كامل
بركات، دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- ٦٧- المصباح لما اعتم من شواهد الإيضاح. أبو الحجاج بن يسعون: تحقيق د. محمد بن حمود الدعجاني، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٩هـ.
- ٦٨- معاني القرآن. أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء: تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار، دار السرور.
- ٦٩- معاني القرآن. سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط: تحقيق د. عبد الأمير محمد الورد، عالم الكتب (بيروت)، ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٠- معجم الأدباء. ياقوت الحموي: دار المستشرق (بيروت).
- ٧١- معجم البلدان. ياقوت الحموي: تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٧٢- المفصل في علم العربية. جار الله الزمخشري: دار الجيل (بيروت).
- ٧٣- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية. أبو إسحاق الشاطبي: تحقيق مجموعة من الأساتذة، منشورات جامعة أم القرى، ط ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٧٤- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية. بدر الدين العيني: تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٦هـ.
- ٧٥- المقتضب. أبو العباس المبرد: تحقيق د. محمد عبدالخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي في مصر ١٤١٥هـ.
- ٧٦- المنهاج الجلي في شرح القانون الجزوئي. رضي الدين إبراهيم بن أحمد بن جعفر. (من أول الكتاب إلى نهاية باب الفصل): رسالة دكتوراه من إعداد عبد الرحمن بن عبد الله الخضيري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٤١هـ - ١٩٩١م.
- ٧٧- نزهة الأباء في طبقات الأدباء. أبو البركات الأنباري: تحقيق د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار (الأردن)، ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٨- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين. إسماعيل باشا البغدادي: مكتبة المثنى (بغداد).
- ٧٩- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. جلال الدين السيوطي: تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨٠ - الوفي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي: دار النشر فرانز شتايز، جمعية المستشرقين
الألمانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٨١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أحمد بن خلكان: تحقيق د. إحسان عباس،
دار صادر (بيروت).

* * *

المصطلح والشاهد البلاغي في كتاب الكامل للمبرد

د. عبد العزيز بن صالح الدعيلج
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

**المصطلح والشاهد البلاغي
في كتاب الكامل للمبرد**
د. عبد العزيز بن صالح الدعيج
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

حظي كتاب الكامل للمبرد باهتمام، وشهد له بالفضل والتقدم عند العلماء والأدباء والقاد، وكانت له قيمة في بيئة المتعلمين، وبرز كتاباً رائداً في ميدان اللغة والأدب، وملئ بالنصوص الأدبية التي كانت ميدان دراسة في البحث البلاغي، كما كان كتاب الكامل إرهاضاً بميلاً بعض فنون البلاغة وشوادها في لغتنا العربية، وهذا الكتاب وإن كان كتاب لغة في الدرجة الأولى، إلا أنه تخلله ملاحظات بلاغية كثيرة تستدعي الدراسة والتأمل، إذ لا يفوت المؤلف وهو يشرح النصوص الشعرية والثرية أن يلفت إلى ما حوتة من لفظات بلاغية، تسجل تأويله للمصطلح البلاغي، فكانت هذه الدراسة لما في كتاب الكامل من ظواهر بلاغية، ومن ثم انعقدت غاية هذا البحث على استجلاء الأصول وال Shawahed البلاغية في كتاب الكامل، والوقف على أثرها في البحث البلاغي، حتى تأخذ مكانها الحقيق بها في تأصيل البلاغة وتتجديدها، بصفتها رافداً أولياً من تلك الرواوف التي استقت منها بلاغتنا العربية طرائقها في البحث والتحليل.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد:
فإن كتاب الكامل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد من كتب الأدب المشهود لها،
ولقد حظي باهتمام العلماء والأدباء والنقاد، وكان له قيمة في بيئات المتعلمين، وبرز كتابا
رائدا من كتب الأدب واللغة، كما كان له الأثر الكبير في تأليف العلماء من بعده، وكان لهم
إقبال عليه، وعناية به عدته من أصول فن الأدب وأركانه، فأقبل العلماء على الكتاب واعتنتوا
به، فكان منهم من أقرأه، ومنهم من شرحه، ومنهم من نبه على سقطاته، ومنهم من
علق عليه، ومنهم من احتذاه تأليفاً، واحتفى به الأنجلسيون أيام احتفاء.

وصاحبه قد بلغ الشهرة في فنه، وشهد له بالسبق في النحو والعربيّة، شهد له
القاصي والداني والعدو والمصيق بعلمه وفضله وتقديره وحفظه للأخبار، حتى عده ابن جني
جبلًا في العلم.^(١) وتواترت الأخبار على عذوبة لفظه، وفصاحة لسانه، وتربيعه على عرش
مدرسة النحو البصرية في زمانه.

وقد رأيت أن أستجلِّي كتابه الكامل، وأبرز ما تضمنه من لفتات بلاغية، كان لها
عظيم الأثر في تأصيل المصطلح والشاهد البلاغي من بعده، وكيف أن الرجل كان من
روافد البلاغة التي استفاد منها البلاغيون فيما كتبوا؟

لقد كان كتاب الكامل إرهاصاً بمילاد بعض فنون البلاغة وشوواهدها في لغتنا
العربية، وهذا الكتاب وإن كان كتاب لغة يعني في محل الأول بتفسير ما يقع فيه من
لفظ غريب، أو معنٍ مبهم، فإنه تخلله إشارات بلاغية كثيرة تستدعي الدراسة والتأمل،
إذا يفوته وهو يشرح النصوص الشعرية وال-literary شرحًا لغويًا أن يشير إلى ما فيها من
لفتات بلاغية، تسجيلاً تأصيله للمصطلح والشاهد البلاغي.

ولعل الهدف من هذه الدراسة هو استجلاء هذه الجوانب البلاغية المطمورة في
كتاب الكامل للمبرد، والوقوف على أثرها في البحث البلاغي، حتى تأخذ مكانها الحقيق
بها في حركة تأصيل البلاغة وتتجديدها، على أن مرادي الإشارة إلى ما سبق إليه المبرد من
مصطلحات وشوواهد ونصوص بلاغية أفاد منها البلاغيون الذين أطلقوا للبلاغة فيما بعد.

(١) سر صناعة الإعراب: ١٢٠/١

وقد جعلت دراستي مبتدأة بتمهيد عن المبرد وكتابه الكامل، ثم قسمت البحث إلى جملة أمور، أولها: الفصاحة والبلاغة، وثانيها: مسائل علم المعانى، بما فيها الجملة والجمل وتخرير الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وثالثها: البيان، ورابعها: البدىع.

وحسبي أنني اجتهدت في دراسة هذا الكتاب، وتأمل مسائله وشوواهده، وإبراز جهد مؤلفه وأثر ذلك على البحث البلاغي من بعده، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان والحمد لله رب العالمين.

المبرد وكتابه الكامل:

اسميه: محمد بن يزيد بن عبد الأكابر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد بن عبد الله بن يزيد بن مالك ابن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلا بن عوف بن أسلم وهو ثمالة، ثم ينتهي إلى السد بن الغوث وهو الأرد، فهو الثمالي الأزدي البصري أبو العباس النحوي اللغوي الأديب، ولد بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشرة ومائتين^(١). إمام في اللغة والعربية أخذ ذلك عن المازني وأبي حاتم السجستاني^(٢). كما أخذ النحو عن الجرمي والمازني وغيرهما وكان على المازني يقول ويقال: إنه بدأ بقراءة كتاب سيبويه وختمه على المازني، وروى عنه إسماعيل الصفار ونبطويه^(٣). وكان ثقة ثبتا فيما يقلله، وكانت له المعرفة التامة باللغة وكان في نحو البصريين آية، وفي سر تسميته بالمبرد أنه سئل لم سميت المبرد؟ قال: كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة فكرهت الذهاب إليه فدخلت على أبي حاتم السجستاني فجاء رسول الوالي فقال لي أبو حاتم: ادخل في هذا يعني غلاف المزملة فارغ فدخلت فيه وغطى رأسه ثم خرج إلى الرسول فقال: ليس هو عندي! فقال أخبرت أنه دخل إليك، فقال: فادخل الدار ففتتها فدخل فطاف كل موضع من الدار ولم يفطن بخلاف المزملة ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملة: المبرد المبرد وتسامع الناس ذلك فلاهجوا به.^(٤) ولما صنف المازني كتاب الألف واللام، سأله المبرد عن دقيقه وعوبيصه

(١) معجم الأدباء: ٢٦٧٦/٦ - ٢٦٨٨.

(٢) البداية والنهاية: ١١/٨٤، تاريخ العلماء النحوين للقاضي التنوخي: ٥٤.

(٣) بغية الوعاة: ١/٢٦٩ نزهة الأباء في طبقات الأدباء: ١٦٥.

(٤) المنتظم لابن الجوزي: ٣٨٩/١٢، البداية والنهاية: ١١/٨٥.

فأجابه بأحسن جواب، فقال له: قم فأنت المبرد- بكسر الراء- أي: المثبت للحق، فغيره الكوفيون، وفتحوا الراء.^(١)

وكان وسيماً مليح الصورة فصيحاً مفوهاً أخبارياً علامـة نـقة، كما كان حـسن المحـاضـرة، مليحـ الأخـبار، كـثيرـ النـوادر.^(٢) وقد أثـنى العـلـماء عـلـيه وعلـى ثـعلـبـ في عـصـرـهـما وـفيـهـما يـقـولـ بـعـضـ أـهـلـ عـصـرـهـما، وـهـوـ أـبـوـ بـكـرـ بنـ الـأـزـهـرـ. أـبيـاتـ منـ جـمـلـتـهـاـ قولـهـ:

أـيـاـ طـالـبـ الـعـلـمـ لـاـ تـجـهـلـنـ
تـجـدـ عـنـدـ هـذـينـ عـلـمـ الـوـرـىـ
عـلـوـمـ الـخـلـاثـقـ مـخـزـونـةـ
وعـدـ بـالـمـ بـرـدـ أوـ ثـعـلـبـ
فـلـاتـكـ كـالـجـمـلـ الـأـجـرـبـ
بـهـذـينـ فـيـ الـشـرـقـ وـالـمـغـرـبـ

قالـواـ: وـكـانـ المـبـرـدـ يـحـبـ الـاجـتمـاعـ بـثـعـلـبـ لـلـمـنـاظـرـ وـالـاسـكـثـارـ مـنـ ذـلـكـ، وـكـانـ ثـعـلـبـ يـكـرـهـ ذـلـكـ وـيـمـنـعـ مـنـهـ. وـحـكـيـ أـبـوـ القـاسـمـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ حـمـدانـ الفـقيـهـ المـوـصـليـ قـالـ: قـلـتـ لـأـبـيـ عـبـدـ اللـهـ الـدـيـنـوـيـ خـتـنـ ثـعـلـبـ: لـمـ يـأـبـيـ ثـعـلـبـ الـاجـتمـاعـ بـالـمـبـرـدـ؟ فـقـالـ: لـأـنـ المـبـرـدـ حـسـنـ الـعـبـارـةـ، حـلـوـ الـإـشـارـةـ، فـصـيـحـ الـلـسـانـ، وـثـعـلـبـ مـذـهـبـ مـذـهـبـ الـمـعـلـمـيـنـ. فـإـذـاـ اـجـتـمـعـاـ فـيـ مـحـفـلـ، حـكـمـ لـلـمـبـرـدـ عـلـىـ الـظـاهـرـ، إـلـىـ أـنـ يـعـرـفـ الـبـاطـنـ. وـكـانـ المـبـرـدـ كـثـيرـ الـأـمـالـيـ حـسـنـ النـوـادـرـ. وـكـانـ رـجـلـاـ مـتـواـضـعـاـ يـقـدـرـ مـنـ أـمـامـهـ، وـقـدـ حـكـيـ أـنـهـ دـخـلـ عـلـىـ الـمـبـرـدـ رـجـلـ، فـأـرـادـ الـقـيـامـ، فـقـالـ: أـنـشـدـكـ اللـهـ أـبـاـ الـعـبـاسـ، إـنـ قـمـتـ. قـالـ: فـلـمـ أـخـبـيـ قـيـاميـ؟ وـأـنـشـدـ:

إـذـاـ مـاـ صـرـتـاـ بـهـ مـقـبـلاـ
فـلـاتـكـرـونـ قـيـاميـ لـهـ
حـلـلـنـاـ الـحـبـاـ وـابـتـدرـنـاـ الـقـيـامـاـ
فـإـنـ الـكـرـامـ تـجـلـ الـكـرـامـاـ^(٣)

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) نزهة الألباء: ١٦٥.

(٣) مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة حوادث الزمان: ٢/٢١٢.

ومن مكانته العلمية ما ذكره إسماعيل بن إسحاق القاضي وهو أقدم مولداً منه ورأى الناس بالبصرة يقول: ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه. وسمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: ما رأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم. وسمعته يقول: لقد فاتني منه علم كثير لقضاء زمام ثعلب. وسمعت نفطويه يقول: ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسايند منه ومن أبي العباس بن فرات. وكذلك خبرنا أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف وكيع.^(١) ومن شعر أبي العباس وكان مليح الطبع أخبر أبو بكر بن أبي الأزهري قال كتب طاهر بن الحارث كاتب محمد بن عبد الله بن طاهر إليه رقعة في درجها تسبيب له على مصر قد فرغ منه وأحکمه وكان الغلام الموصى للرقعة يسمى نصراً فأجابه عن رقعته وكتب في آخر الجواب.

فألفيته حرأ على العسر واليسر وأحضر منه أحسن القول والبشر وناصر عافيته على كلب الدهر مطالبة شناع ضاق لها صدري كتاب أتاني مدرجاً بيدي نصر غنيت وإن كان الكتاب إلى مصر فقد فلت إحساناً وقصر بي شكري ^(٢)	بنفسي أخ برُشددت به أزري أغيب فلي منه ثناءً ومدحه وما طاهر إلا جمال لصحابه تفردت يا خير الوري فكيفيتي فأحسن من وجه الحبيب ووصله سررت به لما أتى ورأيتها وقلت رعاك الله من ذي مودة
---	---

ولأبي العباس المبرد من التصانيف الكامل في الأدب وهو أشهر كتبه، والمقتضب في النحو وهو أكبر مصنفاته وأنفسها. ومن تصانيفه أيضاً: الروضة، والمدخل في كتاب سيبويه، وكتاب الاشتقاد، وكتاب المقصور والممدوه، وكتاب المذكر والمؤنث، ومعاني القرآن ويعرف بالكتاب التام، وكتاب الخط والهجاء، وكتاب الأنواء والأزمنة، وكتاب احتجاج القراء وإعراب القرآن، وكتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه، وكتاب

(١) أخبار النحويين البصريين: ١٠٢.

(٢) أخبار النحويين البصريين: ١٠٦.

صفات الله جل وعلا، وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى، وشرح شواهد كتاب سيبويه، وكتاب الرد على سيبويه ومعنى كتاب الأوسط للأخفش، وكتاب الزيادة المتنزعه من كتاب سيبويه، ومعنى كتاب سيبويه، وكتاب الحروف، والمدخل في النحو، وكتاب الإعراب، وكتاب التصريف، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب البلاغة، والرسالة الكاملة، والجامع لم يتم، وقواعد الشعر، وكتاب ضرورة الشعر، وكتاب الفاضل والمفضول، والرياض المونقة، وكتاب الوشي، وكتاب شرح كلام العرب وتخلص أفالاظها ومزاوجة كلامها وتقريب مبانيها، وكتاب الحث على الأدب والصدق، وأدب الجليس، وكتاب الناطق، وكتاب الممادح والمقابح، وكتاب أسماء الواهي عند العرب، وكتاب ما اتفقت أفالاظه واحتلفت معانيه في القرآن، وكتاب التعازى، وكتاب قحطان وعدنان، وطبقات النحويين البصريين وأخبارهم وغير ذلك^(١). مات أبو العباس المبرد في شوال، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وثمانين وما تين في خلافة المعتصم.

وأما كتاب الكامل فهو من أشهر كتب المبرد، ذكر ياقوت الحموي مؤلفات المبرد فقال: ”ولأبي العباس المبرد من التصانيف الكامل في الأدب وهو أشهر كتبه“^(٢) ومن أشهر كتب الأدب في المائة الثالثة، وهو أحد أصول علم الأدب وأركانه، وقد حدد ابن خلدون مفهوم علم الأدب حتى أيامه، وذكر أصوله وأركانه عند المغاربة بقوله في مقدمته^(٣)... وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكاتب لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربع فتبع لها وفروع للاحظ، وكتاب النواذر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربع فتبع لها وفروع عنها“ وقد أبان المبرد عن موضوع كتابه ومنهجه فيه بقوله: ”هذا كتاب أفننه يجمع ضروبها من الآداب، ما بين كلام منتشر، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، و اختيار من خطبة شريفة، ورسالة بالغة، والنية فيه أن نفسّر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرعاً وافياً.

(١) معجم الأدباء: ٢٦٨٤ / ٦

(٢) معجم الأدباء: ٢٦٨٤ / ٦

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٢٣٢

(٤) الكامل: ١/٢ - ٢

حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنىًّا. وتلك المنهجية التي رسماها المبرد في مقدمته قد حققتها تحقيقاً بيناً، فجاء كتابه مشتملاً على مختارات أدبية من الشعر والثراث والحكم والأمثال، كما حبى بالإيضاحات اللغوية والتوجيهات النحوية والطرائف النقدية، والتعرifications والتحليلات البلاغية، وذكر الدكتور شوقي ضيف كتاب الكامل، وقال عنه "ونجد للمبرد ملاحظات بيانية تتخلل كتابه الكامل من حين إلى حين، وهو فيه يعرض نماذج أدبية شعرية ونثرية كثيرة، متبعاً لها بالشرح اللغوي، ومشيراً أحياناً إلى ما في الكلام من استعارة أو التفات أو إيجاز أو إطناب أو تقديم أو تأخير، ويدرك أحياناً كلمة المجاز ولكن بالمعنى اللغوي"^(١) والدكتور أحمد مطلوب يصف ما في الكتاب من بلاغة، فيقول: "ونثر في كتابه الكامل كثيراً من فنون البلاغة" وقال الإمام المعافى بن زكريا عن الكتاب: "وعمل أبو العباس محمد بن يزيد النحوي كتابه الذي سماه الكامل وضمنه أخباراً وقصصاً لا إسناد لكثير منها، وأودعه من اشتقاق اللغة وشرحها وبيان أسرارها وفقها ما يأتي به مثله لسعة علمه، وقوه فهمه، ولطيف فكرته، وصفاء قريحته، ومن جلي النحو والإعراب و GAMMA ما يقل وجود من يسدّ فيه مسدّه..." ويقول الدكتور بدوي طباعة عن كتاب الكامل وما تناوله المبرد من موضوعات^(٢): "فكتاب الكامل الذي ألفه محمد بن يزيد المبرد زاخر بفنون الأدب، مع كثير من الشرح والتحليل، وكثير من النقد والموازنة، وقليل من الكلام في عناصر الأدب، والطابع العام لهذا الكتاب هو أدب الرواية، وإن كان يحتوي على كثير من آثار الفطنة والفهم..." ويكتفي أن اختتم بوصف الأستاذ محمد عبد العالق عضيمة لكتاب الكامل "الكتاب صورة صادقة لما انطبع في نفس المبرد من معارف، وما تتفق به من ثقافات: لغوية، و نحوية، وأدبية... وشهرة الكتاب تغنينا عن التعريف به، وبيان طريقة في التأليف..."^(٤).

(١) البلاغة تطور وتاريخ: ٦٠.

(٢) مناهج بلاغية: ٨٩.

(٣) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي: ١٦١/٢.

(٤) البيان العربي: ٩٧.

(٥) المقتضب: ٨١/٥ (مقدمة المحقق).

وقد أقبل العلماء على الكتاب واعتنتوا به وتناولوه بالقراءة والشرح والتعليق، فممن شرحة أبو الوليد الواقشي هشام بن أحمد، وسمى شرحة "نكت الكامل"^(١) وابن السيد البطليوسى، وابن مضاء القرطبي.^(٢) كما كان الكامل مثلاً يحتذى في التأليف، فقد عارضه كثير من الأدباء كـ: إبراهيم بن ماهويه الفارسي^(٣). وفي عصرنا الحديث شرحة وعلق عليه سيد بن علي المرتضى بتوجيهه من الإمام محمد عبد، وذلك في كتابه الذي سماه "رغبة الآمل في شرح الكامل" في ثمانية أجزاء. كما حققه الدكتور محمد أحمد الدالى تحقيقاً رائعاً، يثنى عليه، وتميز جهده بدقته واعتنائه بفهارسه، وتحريج أبياته، وعلى ما قدم اعتمد هذا البحث.

المصطلحات والشوادر البلاعية في كتاب الكامل:

أولاً: الفصاحة والبلاغة:

١. الفصاحة والبلاغة واللفظة المفردة:

أ. عيوب الفصاحة:

الدارس لكتاب الكامل للمبرد يلاحظ أنه اهتم بإبراز عيوب الفصاحة في الكلام وعند المتكلم، وكان من منهجه أن يشير إلى أنع حين يذكر المعيب يتبعه بالمستحسن. وقد أشار المبرد إلى أحد عيوب الفصاحة المتعلقة بالتركيب، وهو التعقييد الناشئ من عدم ترتيب الكلام، ووقف عند قول الفرزدق:

أبو أمّه حي أبوه يقاربه
وما مثله في الناس إلا مملكاً

وعده من أقبح الضرورة، وأهجن الألفاظ. وأبعد المعاني" يعني بالمملك هشاماً أبو أم ذلك المملك أبوهذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبوهذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ بعيد. وهجنه بما أوقع فيه

(١) بغية الوعاة: ٢٢٧/٢

(٢) بغية الوعاة: ٢٧٩/١

(٣) معجم الأدباء: ٢٠٩/١

من التقديم والتأخير.^(١) فالمبرد لاحظ ما في البيت من تعقيد سببه ما فيه من تقديم وتأخير، وانفصال الكلام بعضه عن بعض، فالمبتدأ منفصل عن الخبر، والنعت منفصل عن المعنوت، والمستثنى لم يعقب المستثنى منه، كل هذا واضح من كلام المبرد حين لم يضع الشاعر الكلام في موضعه، وهو التعقيد اللفظي الذي ينشأ بسبب فساد اللفظ، وما فيه من تقديم وتأخير أدى إلى خلل في النظم، وسوء العبارة. وقد استشهد به البلاغيون لتوضيح الفساد في التركيب والعيب الناشئ من الفصل بين الكلمات والتقديم والتأخير في غير محله.^(٢)

إن المبرد لا يرضي بهذا النوع من التعقيد في الكلام ولا يقبله، ولذا فهو يقارنه بضده مما أصبح الكلام فيه واضحاً جلياً تقبله النفس، وتطرّب لسماعه^{*} حتى كان هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تصرم مني ود بكر بن وائل
وما كاد مني ودهم يتصرم
قوارص تأتيني ويحتقرونها
وقد يملاً القطر الإناء فيفعـم

وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

والشيب ينهض في السواد كأنه
ليل يصبح بجانبيـه نهار

فهذا أوضح معنى، وأعرب لفظياً، وأقرب مأخذ.^(٢)
ومن العيوب التي لفت إليها المبرد في جانب الفصاحة عدم مراعاة قواعد النحو، فيعيّب البيت من الشعر والكلام من التثرب بسبب مخالفته لقواعد النحو، وقد دعا هذا الأمر المبرد إلى أن يقف مع بعض الآيات التي لم تراع قواعد النحو من مثل قول أعرابي:

ألا تسأـل ذا العـلم مـا الـذـي
يـحل مـن التـقيـيل فـي رـمـضـان؟
فـقال لـي الـمـكـي: أـمـا الـزـوـجـةـ فـثـمـانـ

(١) الكامل: ٤١/١: ٤٢-٤٣.

(٢) شروح التلخيص: ١: ١٠٤/١.

(٣) الكامل: ٤٢/١: ٤٢.

قال: "وفي هذا الشعر عيب، وهو الذي يسميه النحويون العطف على عاملين، وذلك أنه عطف "خلة" على الامر الخافضة لزوجة، وعطف "ثمانياً" على "سبع"، ويلزم من قال هذا أن يقول: مر عبد الله بزيد وعمرو وخالد، وفيه هذا القبح"^(١). ومسألة العطف على عاملين بحرف العطف من المسائل التي لا يجيزها النحو، لما تؤديه من الضعف والغموض والتعقيد والالتواء، وضعف حرف العطف عن كونه بمنزلة عاملين مختلفين، وقد صرخ بذلك ابن السراج، فقال: "اعلم: أن العطف على عاملين لا يجوز من قبل أن حرف العطف إنما وضع ليتبين عن العامل ويغنى عن إعادة فإن قلت: قامَ زيدٌ وعمروٌ فالواو أغنت عن إعادة (قام) فقد صارت ترفع كما يرفع قامَ وكذلك إذا عطفت بها على منصوب نحو قوله: إن زيداً منطلقٌ وعمراً فالواو نصبت كما نصبت (إن) وكذلك في الحفظ إذا قلت: مررت بزيدٍ وعمروٌ فالواو جرت كما جرت الباء فلوعطفت على عاملين أحدهما يرفع والآخر ينصب لكن قد أحلت لأنها كان تكون رافعةً ناصبةً في حال قد أجمعوا على أنه لا يجوز أن تقول: مَرَ زيدٌ بعمروٍ وبكرٌ خالدٌ فتعطف على الفعل وبالباء ولو جاز العطف على عاملين لجاز هذا..."^(٢).

والبعد عن التكلف من علامات الكلام المفضل الجيد، والوضوح مطلب لفصاحة الكلام، قال المبرد: "ومما يفضل لخلصه من التكلف، وسلامته من التزييد، وبعده من الاستعانة قول أبي حية النميري:

رمتنِي وسْتَرَ اللَّهُ بِيَنِي وَبِيَنِهَا
عَشِيشَةَ آرَامَ الْكَنَاسِ رَمَيْمَ
أَلَّا ربِّ يَوْمَ لَوْرَمَتِنِي رَمِيَهَا
وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّسْطَالِ قَدِيمَ

يقول: رمتنِي بطرفها، وأصابتنِي بمحاسنها، ولو كنت شاباً لرميت كما رمت، وفتنت كما فتنت، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب، فهذا كلام واضح.^(٣)

(١) الكامل: ٣٧٥/١.

(٢) الأصول في النحو لابن السراج: ٦٩٧/٢ وانظر: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب: ٢٣/٤٠ القسم الأول.

(٣) الكامل: ٤٤/١.

إن حسن إخراج الكلام دليل على فصاحة المتكلم، وذلك مما يحمد ويثنى به على الأديب، ليقف بذلك في مصاف المقتدرين” ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه، ويحمد اختصاره قول أعرابي من بني كلاب:

فمن يك لم يفرض فإني ونافقي
بحجر إلى أهل الحمى غرضان
تحن فتبدي ما بها من صباة
وأخفى الذي لولا الأسى لقضاني

يريد: لقضى علي، فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج^(١)
وقد أشار المبرد إلى بعض عيوب النطق تمهيدا لاجتنابها والبعد عنها كالاستعانة
 فهو أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ليصبح به نظماً ”وزناً“ إن كان في
شعر، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام منتور، كنحوماً تسمعه في كثير من كلام
ال العامة قولهم: ألسنت تسمع أفهمت أين أنت وأشباه هذا، وربما تشاغل العيي بقتل
إصبعه ومس لحيته، وغير ذلك من بدنه، وربما تتحجج، وقد قال الشاعر يعيي بعض
الخطباء في شعره:

مليء ببهر والتفاتٍ وسَعْلَةٍ ومسحةٌ عثرونٌ وفتل الأصابع^(٢)

ومن العيوب” التمتمة: التردد في الناء، والافتاؤ: التردد في الفاء، والعقلة: التواء
اللسان عند إرادة الكلام، والحبسة: تعذر الكلام عند إرادته، واللفف: إدخال حرف في
حرف.. والرته: كالربيع تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل، والغمغمة: أن تسمع
الصوت ولا يتبيّن لك تقطيع الحروف، والطمطمة: أن يكون الكلام مشبهًا للكلام
العجم، واللکنة: أن تتعترض على الكلام اللغة الأعجمية... واللغنة: أن يعدل بحرف إلى
حرف، والغنة: أن يشرب الحرف صوت الخيشوم، والخنة: أشد منها، والترخييم: حذف
الكلام^(٣)

(١) الكامل: ٤٦/١: ٤٧-

(٢) الكامل: ٤٥/١: ٤٥-

(٣) الكامل: ٧٦١/٢: ٧٦٢-

ب. البلاغة:

لا يخفى على المبرد ما يعيّب البلاغة، وينقص قدرها من عدم مراعاة مقتضى الحال.
فقصة هشام ابن عبد الملك مع أبي النجم العجلي تجعله يؤكد على مطابقة الكلام
لمقتضى الحال ”قال أبو العباس: وحدثت في إسناد متصل أن أبي النجم العجلي أنسد هشاما:
والشمس قد صارت كعین الأحوال...“

لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام، فأغضبه، فأمر بطرده، فطرد.^(١)
ولذلك ينقل عن العتاي سمات البلاغة، فيقول:^(٢) ”وقيل للعتاي: ما أقرب البلاغة؟
قال: ألا يؤتى السامع من سوء إفهام القائل، ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع.“
٢. التذكير والتأنيث:

كانت للمبرد وقفة عجل مع التذكير والتأنيث بإبراز السر من مجيء اللفظة مؤنثة
في بعض الشواهد التي تناولها بالدراسة والتفسير، من مثل وقوفه على قول الكلابي:

حدَثَتْ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ لِلْغَدْرِ خَاتِنَةً مُغْلِلَ الْإِصْبَعِ

فقد وقف على لفظة (خاتنة) المؤنثة، وتناول سر تأنيتها في البيت ”وقوله: ”ولم تكن
لِلْغَدْرِ خَاتِنَةً“ ولم يقل خاتناً. فإنما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير: ولم تكن ذا
خيانة.^(٣) فال المصدر قد يتحكم في اختيار الكلمة من حيث التذكير والتأنيث. وأما وجه
دخول الهاء في خاتنة فعل المبالغة كما في راوية وعلامة وفهمامة. وقد ذكر أبو عبيدة
في قوله: ﴿عَلَىٰ خَائِنَتِهِ مَنْهُم﴾ [المائدة: ١٢] أي على خائن منهم، والعرب تزيد الهاء في
المذكر كقولهم: هوراوية للشعر، ورجل علامة. وقال الكلابي:

حَدَثَتْ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ . . . لِلْغَدْرِ خَاتِنَةً مُغْلِلَ الْإِصْبَعِ

وقد قال قوم بل (خاتنةٌ منهم) ها هنا الخيانة. والعرب قد تضع لفظ (فاعلة) في
موضع المصدر كـولهم للخوان مائدة. وإنما المائدة التي تميدهم على الخوان، يميده
ويُميجه واحد. وقال:

(١) الكامل: ٩٩٧/٢.

(٢) الكامل: ١٥٠٢/٣.

(٣) الكامل: ٤٦٣/١.

إلى أمير المؤمنين المُمْتَاد.. أي الممتاح.^(١) فذكر المصدر وهو الخيانة كما ذكر المبالغة التي تفيدها الهاء.

وقد يكون التأنيث بالنظر إلى الجنس كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان مجني دون من كنت أتفقى ثلات شخصي كاعبان ومعصر

”وقوله: ”ثلاث شخص“ فالوجه ثلاثة شخص ولكنها لما قصد إلى النساء أنتَ على المعنى، وأبأن ما أراد بقوله: ”كاعبان ومعصر“ ومثله قولُ الشاعر:

فإن كلاب هذه عشر أبوطن وأنت بريء من قبائلها العشر

فقال: ”عشر أبوطن“ لأن البطن قبيلة، وأبأن ذلك في قوله: من قبائلها العشر، وقال الله جل وعز: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] لأن المعنى حسنات.^(٢). فيكون القصد من التأنيث إما النظر إلى المصدر أو المعنى أو الجنس.

٣. الإفراد والجمع:

تناول المفرد السر في جمع بعض المفردات من خلال بعض الشواهد التي درسها وهو في دراسته يبين السر في جمعها، كما في قول عمارنة في الحديث على الأخذ بالثأر:

فأين فوارس السلمات منهم وجعدة والحرirsch ذوو الفضول!

فقد جمع (السلمات) في قوله: ”فأين فوارس السلمات“، يريدبني سلمة الخير، وبيني سلمة الشر ابني قشير بن كعب، وجمع لأنه يريد الحي أجمع، كما تقول: المهلبة والمسامحة، فتجمعونهم على اسم الأب، على المهلب وسمع، وكذلك المنازرة.^(٣) كما تناول السر في التعبير بالمفرد في قول الراعي:

حتى أضاء سراج دونه بقر حمر الأنامل عين طرفها ساج

(١) مجاز القرآن: ١/١٥٨.

(٢) الكامل: ٢/٨٠٢-٨٠١.

(٣) الكامل: ١/٢١٨.

ووقف عند الإفراد في كلمة (طرفها) وسر ذلك، فقال: ”وقوله: ”طرفها ساج“ ولم يقل: ”أطرافها“ لأن تقديرها تقدر المصدر من طرفت طرفاً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ فُلُوْبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧].^(١) فالإفراد بالنظر إلى المصدر الدال على الجنس فيشمل المفرد والمثنى.

ومما تناوله المبرد في هذا الباب التعبير بالجمع عن المفرد والعكس على النحو الآتي:

أ. التعبير بالجمع عن المفرد تضخيمًا وتعظيمًا:

ب. كقول عمير:

قتانَا أخانَا اللوفاء بجارنا
وكان أبو نا قد تجيئ مقاربنا

فقد عبر عن فعله بـ(نا) الدالة على العظمة، فيكون المقصود أنه ”فخر نفسه وعظمها، فذكرها باللفظ الذي يذكر الجميع به، والعرب تفعل هذا ويعد كبراً.“^(٢) فيكون قد عبر بالجمع عن المفرد، ويجوز أن تعييره بالجمع للشمول فيدخل في ذلك عشيرته ”فمعناه أنه له ولمن شابعه من عشيرته.“^(٣) فيكون التعبير على ظاهره.

ب. التعبير بالمفرد عن الجمع:

أشار إلى ذلك عند وقوفه على قول عمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا: تحبه؟ قلت: بهرأ
عدد النجم والحضر والترب

فالنجم في أحد قولين المقصود به: ”النجوم، ووضع الواحد في موضع الجمع، لأنه للجنس، كما تقول: أهلك الناس الدرهم والدينار، وقد كثرت الشاة والبعير، وكما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَنَ لَهُ خُتْرٌ﴾ [العرص: ٢].^(٤) ثانياً: الجملة.

١. الخبر والإنشاء:

سجل للمبرد إشارته إلى تنوع أضرب الخبر والمعنى واحد في قصة الفيلسوف الكندي^(٥)، فكان أول من لاحظ تنوع المعاني بتتنوع الخبر. وقد اتخذ علماء البلاغة من إجابة المبرد هذه أساساً لمبحث في المعاني سموه (أضرب الخبر).

(١) الكامل: ٣٧٠/١:

(٢) الكامل: ٤٦٦/١:

(٣) الكامل: ٤٦٦/١:

(٤) الكامل: ٧٩٥/٢:

(٥) انظر القصة في دلائل الإعجاز: ٢١٥

- كما اعنى المبرد بالخبر دلالة، فقد وقف مع شيء من أغراضه البلاغية، كما في قول المكعبر الضبي:

إني لأرجوكم على بطء سعيكم
كمافي بطون الحاملات رجاء

فقد بين أن غرض الشاعر من إلقاء الخبر عليهم التهكم بهم "يقول: وهذا رجاء غير صادق ولا موقوف عليه، كما أن هذه الحوامل لا يعلم ما في بطونها وليس بميثوس منه، وإنما يتهكم بهم وهو يعلم أن سعيهم غير كائن، ألا تراه يقول:

أخبر من لقيت أن قد وفيتم
ولوشئت قال المخبرون أساواها^(١)

كما قد يأتي الخبر مفيداً للذم والهجاء، كما في قول أعرابي يهجو قوماً من طيء:
ولما أن رأيت بنى جوين
جلوساً ليس بينهم جليس

فـ " قوله: "جلوساً ليس بينهم جليس"، يقول: هؤلاء قوم لا ينطبع الناس معروفهم
فليس فيهم غيرهم وهذا من أভيجة الهجاء".^(٢)
وقد أدرك المبرد أن الجملة تأتي خبراً ويراد بها الإنشاء لتدل على معنى بلاغي
يتحقق من خلال السياق وقرائين الكلام: تأمل وقوته عند قول عبد الله بن رواحة:
ف شأنك فانعمي وخلافك ذم
ولا أرجع إلى أهلي ورائي

" قوله: " ولا أرجع إلى أهلي ورائي" مجزوم لأنه دعاء، فقوله: "لا" يعني الجازمة،
ومعناه: اللهم لا أرجع، كما تقول: زيد لا تغفر له، فهذا الدعاء ينجزمه بما ينجزمه به الأمر
والنهي، كما تقول: زيد ليقم، وزيد لا ييرجح.^(٣) فالمعنى المراد هنا الدعاء لإفادته معنى
الخبر الأصلي.

(١) الكامل: ١١٠/١.

(٢) الكامل: ٢٢٥/١.

(٣) الكامل: ١٦٨-١٦٩.

وفي جانب الإنشاء استطاع المبرد أن يفرق بين الإنشاء الحقيقي والإنشاء المجازي من خلال رصد بعض معاني الإنشاء المجازي في أنواعه:
ففي الاستفهام يشير إلى أحد معانيه التي يخرج إليها، وهو التقرير في قول عبد الله بن معاوية:

أَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ حَاجَةً
فَإِنْ عَرَضْتَ أَيْقَنْتَ أَنْ لَا أَخَالِيَا

فـ "قوله: "أَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً" تقرير وليس باستفهام، ولكن معناه: أني قد بلوتك تظاهر الإباء فإذا بدت الحاجة لم أرم من إهائكم شيئاً وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَأْنَتْ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنْجَدُوكُنْ وَأَنْجَى لِلَّهِيْنِ مِنْ دُونَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] إنما هو توبیخ وليس باستفهام. وهو جل وعز العالم بأن عیسی لم يقله. وقد ذكرنا التقرير الواقع، بلفظ الاستفهام في موضعه من الكتاب "المقتضب" مستقصصاً، وذكر منه جملة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى."^(١)

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةَ شَيْئَتْ ⑧ يَأْتِي دَسْرٌ قُلْتَ﴾ [التکویر: ٨-٩] ذكر المبرد "وقال أهل المعرفة في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةَ شَيْئَتْ﴾ إنما تسأل تبكيتاً لمن فعل ذلك بها، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَأْنَتْ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنْجَدُوكُنْ وَأَنْجَى لِلَّهِيْنِ مِنْ دُونَ اللَّهِ﴾.^(٢)

وفي موضع آخر يشير إلى الإنكار في الاستفهام في قول عمر بن أبي ربيعة:

فَقَالَتْ: أَتَحْقِيقاً لِمَا قَالَ كَاشِحٌ
عَلَيْنَا، وَتَصْدِيقاً لِمَا كَانَ يَؤْثِرُ

"وقوله: فَقَالَتْ أَتَحْقِيقاً؟ أَيْ: أَتَفْعَلْ هَذَا تَحْقِيقاً، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: أَكَلُ هَذَا بَخْلًا؟" وذاك أنه رأه يفعل شيئاً أنكره فقال: أَتَفْعَلْ كُلُّ هَذَا بَخْلًا؟"^(٣)

(١) الكامل: ١/٢٧٧.

(٢) الكامل: ٢/٦٠٩.

(٣) الكامل: ٢/٨٠٠-٨٠١.

إن مبحث الاستفهام قد نال من حديث المبرد نصيباً لا بأس به، وهو وان لم يستوعب مسائله المتنوعة، فإنه قد أدى فيه بدلوه، وفتح للبلغيين من بعده شيئاً من أبوابه ومباحته.

كما وأشار في النداء عن أحد المعاني التي يخرج إليها، وهو الندبة في قول جرير رثى عمر بن عبد العزيز:

يا خير من حج بيـت الله واعـتمـرا	نـعـيـ النـعـاهـ أمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ لـنـا
وـقـمـتـ فـيـهـ بـحـقـ اللـهـ يـأـعـمـرا	حـمـلـتـ أـمـرـأـ جـسـيـمـاـ فـاضـ طـلـعـتـ بـهـ
تـبـكـيـ عـلـيـكـ نـجـومـ الـلـيـلـ وـالـقـمـرـا	فـالـشـمـسـ طـالـعـةـ لـيـسـتـ بـكـاسـفـةـ

قوله: يا عمرا ندبَّة، أراد: يا عمراه! وإنما الألف للندبة وحدتها، والهاء تزاد في الوقف لخفاء الألف، فإذا وصلت لم تزدها، تقول: يا عمرا ذا الفضل، فإن وقفت قلت: يا عمراه: فحذف الهاء في القافية لاستغناه عنها.^(١)

وفي القسم إشارة إلى القسم الوارد في البيت أو الآية دون ذكر السر من وروده، فقول عمر بن أبي ربيعة:

ضـقـتـ ذـرـعـاـ بـهـجـرـهـاـ وـالـكـتـابـاـ	مـنـ رـسـوـلـيـ إـلـىـ التـرـيـاـ بـأـنـيـ
---	--

” قوله: ”والكتابِ“ قسم^(٢). ونقل القول في القسم في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْبِلُ إِلَيْكُنْسٍ﴾ [التكوير: ١٥ - ١٦] وقال ابن عباس في قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَلَا أُقْبِلُ إِلَيْجَوَارِ الْكَنْسِ﴾ [التكوير: ١٦]. أقسام ببقر الوحش لأنها خنس الأنوف؛ والكنس: التي تلزم الكناس. وقال غيره: أقسام بالنجوم التي تجري بالليل وتحنس بالنهار، وهو الأكثر.^(٣) يجمع المفسرون أن الله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأنها دالة على قدرته وليس للمخلوق أن يحلف إلا بالله تعالى. ولكن هل في المعايرة بما يقسم الله تعالى به

(١) الكامل: ٨٢٣/٢.

(٢) الكامل: ٧٩٠/٢.

(٣) الكامل: ٨٦٦/٢.

معنى مقصود أمر لمجرد الذكر وتعدد المقسم به؟ وبعد التأمل ظهر والله تعالى أعلم أنه سبحانه لا يقسم بشيء في موضع دون غيره إلا لغرض يتعلق بهذا الموضع يكون بين المقسم به والمقسم عليه مناسبة وارتباط وقد يظهر ذلك جلياً وقد يكون خفياً وهذا فعلاً ما تقتضيه الحكمة والإعجاز في القرآن... وهنا يقسم بحالات الكواكب على أصح الأقوال في ظهورها واحتفائتها وجريانها^(١).

٢. التقديم والتأخير:

فطن المبرد للتقديم والتأخير، وكانت معالجته لها سطحية تتمثل بالحكم على الأسلوب، أو تقويمه والحكم عليه من خلال ما يلي:

- وصفه التقديم والتأخير بالحسن إذا وقع موقعاً مناسباً، فقد وقف مع قول عروة

ابن الورد:

وإن بعدوا لا يأمنون اقترباهه اقترباهه ت Shawf Ahl al-Gaib al-Mutanazzir

فذكر أن "قوله: وإن بعدوا لا يأمنون اقترباهه... على التقديم والتأخير، أراد: لا يأمنون اقترباه وإن بعدوا، وهذا حسن في الإعراب إذا كان الفعل الأول في المجازاة ماضياً، كما قال زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسألة... يقول: لا غائب مالي ولا حرم^(٢) ولعل سر حسنة أن السامع يستطيع فهمه والوصول إلى معناه دون كلفة ومشقة، فمن صفات هذا الصعلوك أن أعداءه يخافونه ويهابونه حتى إذا بعدوا لا يأمنون رجوعه وعوده فعل أهل الغائب الذي يتربّب عوده ورجوعه.

- وهو في تناوله للتقديم والتأخير يحرص على إعادة التركيب إلى وضعه السليم، كما في قول مرة بن محكان السعدي:

ولست وإن كانت إلى حبيبة^{*} Bi Akī 'Alī al-Dinīya iż-żama-tawla t

(١) أصوات البيان: ٦٩/٩.

(٢) الكامل: ١٧٤/١.

فقد أعاد صياغة البيت، فقال: ”إنما هو تقديم وتأخير، أراد: ولست بيأك على الدنيا وإن كانت إلى حبيبة. ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضم رقب الذكر، ومثله:

إن تلق يوماً على علاته هرماً

وكذلك قول حسان بن ثابت:
قد ثكلت أمه من كنت واحده .. أو كان منتسباً في برثن الأسد
ويقول: من كنت واحده قد ثكلت أمه، وكذلك:

شريوميه وأخزاه لها ركبـت عنـز بـحـدـجـ جـمـلاـ

يقول: ركبـت عنـز بـحـدـجـ جـمـلاـ في شـريـوـمـيـهـاـ.^(١) فاستثنى وإن كانت إلى حبـيـبـةـ استثناء مليحاـ، ونـوـيـ التـقـدـيمـ وـالتـأـخـيرـ، فـلـذـلـكـ جـازـلـهـ أـنـ يـأـتـيـ بالـضـمـيرـ مـقـدـمـاـ عـلـىـ مـظـهـرـهـ^(٢) وفي بـيـتـ حـسـانـ قـدـ ثـكـلـتـ أـمـهـ مـنـ كـنـتـ وـاحـدـهـ. وجـهـ الـاسـتـشـاهـدـ: قـدـمـ الشـاعـرـ الـخـبـرـ، وـهـوـ جـمـلةـ (قدـ ثـكـلـتـ أـمـهـ) عـلـىـ الـمـبـدـأـ الـأـسـمـ الـمـوـصـولـ (مـنـ) مـعـ أـنـ فـيـ جـمـلـةـ الـخـبـرـ ضـمـيرـ، وـهـوـ (الـهـاءـ) فـيـ أـمـهـ يـعـوـدـ إـلـىـ الـمـبـدـأـ الـمـتـأـخـرـ، وـسـهـلـ ذـلـكـ أـنـ الـمـبـدـأـ

إـنـ وـقـعـ مـتـأـخـراـ فـهـوـ بـمـنـزـلـةـ الـمـتـقـدـمـ فـيـ الـلـفـظـ، لأنـ رـتـبـتـهـ الـتـقـدـمـ عـلـىـ الـخـبـرـ.

– وقد فـطـنـ الـمـبـرـدـ فـيـ بـابـ الـتـقـدـيمـ إـلـىـ نـوـعـ مـنـ الـتـقـدـيمـ، وـهـوـ الـبـدـءـ بـالـشـيـءـ وـالـمـقـدـمـ غيرـهـ، فـعـدـ قـوـلـ الصـلـتانـ الـعـبـديـ:

فـمـلـتـتـ أـنـتـاـ الـمـلـمـونـ عـلـىـ دـيـنـ صـدـيقـنـاـ وـالـنـبـيـ

فـقـوـلـهـ: ”وقـوـلـهـ: عـلـىـ دـيـنـ صـدـيقـنـاـ وـالـنـبـيـ...”

فالـعـربـ تـفـعـلـ هـذـاـ، وـهـوـ فـيـ الـواـوـ جـائزـ، أـنـ تـبـدـأـ بـالـشـيـءـ وـالـمـقـدـمـ غـيرـهـ، قـالـ اللهـ عـزـ اـسـمـهـ:
﴿ هـوـ الـلـهـ خـالـقـ كـلـّـ مـوـلـيـعـ ﴾ [التـغـابـنـ: ٢ـ]، وـقـالـ: **﴿ يـمـعـشـ لـجـيـعـ وـالـأـنـسـ ﴾**
[الـأـنـعـامـ: ١٣٠ـ]، وـقـالـ: **﴿ وـأـسـمـجـدـيـ وـأـرـكـعـ مـعـ الـرـكـعـينـ ﴾** [آلـ عـمـرانـ: ٤٢ـ]. وـقـالـ حـسـانـ بـنـ ثـابـتـ:

(١) الكامل: ٢٥٩-٢٥٨/١.

(٢) العمدة لابن رشيق: ٦٤٨/١.

بها ليل من هم جعفر و ابن أمه

علي ومن هم أحب د المتخير

يعني بني هاشم.^(١) والواو هنا لا تقتضي الترتيب بل تقتضي مطلق الجمع، فبدأ الفسط
بجعفر ثم جاء بعده بعلي ثم جاء بعده بالنبي صل الله وسلم عليه وعلى آله أجمعين
وهو المقدم على الحقيقة.

المجاز العقلي:

تعرض المبرد لشيء من علاقات المجاز العقلي، ودلل عليه بأمثلته التي تواتر ذكرها
في مصنفات البحث البلاغي الخالص، بل تکاد تحليلاته التي جاءت تقف بإزاء تحليلات
البلاغيين لذلك النوع من المجاز، وهو وإن لم يذكر له ذلك المصطلح الشائع عندهم، فقد
أجراه إجراء يدل على فهمه له، ويتبين من تحليله للشواهد التي درسها فكرة المجاز
العقلي، والتي تقوم على إسناد الشيء إلى غير ما هو له في الحقيقة.^(٢) وينبغي أن يلاحظ
أن المبرد في دراسته لعلاقات المجاز العقلي ينصّ أحياناً على تلك العلاقات بذكر
أسمائها، وهناك علاقات تفهم من سياق كلامه، ومن العلاقات التي أشار إليها:

أ. علاقة الزمانية:

وقد أشار إليها في تحليله دون تسمية لها، في قول أبي كbir الهذلي:

حملت به في ليلة ممزوجة كرهًا، وعقد نطاقة الممحل

قال المبرد: ”مزوجة: ذات رؤى، وهو الفزع، فمن نصب ”مزوجة“ فإنما أراد المرأة.
ومن خفض فإنه أراد الليلة، وجعل الليلة ذات فزع، لأنّه يفزع فيها، قال الله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ مَكْرُ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٢٢] والممعن: بل مكركم في الليل والنهر؛ وقال جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمّت، وما يليل المطوي بنائم

(١) الكامل: ١٠٢ / ٣

(٢) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٥١. (تحقيق: د. عبد القادر حسين).

وقال آخر:

فَنَامَ لِيلَى وَتَجَلى هُمِي...^(١).

فقد أجرى المجاز العقلي في البيت على رواية الجرف في (مزؤودة) بإسناد الفزع إلى الليلة (ذات فزع) لعلاقة الزمانية، وأكده على ما ذكره بسرد شيء من الشواهد للمجاز العقلي وعلاقته الزمانية.

ومن أمثلة الزمانية في كتاب الكامل قوله: "ومن أمثال العرب إذا طال عمر الرجل أن يقولوا: "لقد أكل الدهر عليه وشرب"، إنما يريدون أنه أكل هو وشرب دهرًا طويلاً، قال الجعدي: أكل الدهر عليهم وشرب...

والعرب تقول: نهارك صائم، وليلك قائم، أي: أنت قائم في هذا وصائم في ذاك، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ أَيَّلٍ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٢٢] والمعنى والله أعلم، بل مكركم في الليل والنهر، وقال جرير:

لقد لمتنا يا أم غilan في السرى ... ونمتم، وما ليل المطى بنائم^(٢).

وأنت تلاحظ من خلال كلام المبرد دقة التحليل ودلالته على المجاز العقلي، مشفوعاً بشيء من الشواهد التي توضحه، وأيضاً تناول علاقة الزمانية بالتحليل في قول يزيد بن حبنا:

فلليس بمهد من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليلاً غير نائم

فقال: "قوله: من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليلاً غير نائم يريد يمسى هو في ليله ويكون هو في نهاره، ولكنه جعل الفعل للليل والنهر على السعة، وفي القرآن: ﴿بَلْ مَكْرُ أَيَّلٍ وَالنَّهَارِ﴾ والمعنى بل مكركم في الليل والنهر، وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص:

أما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في جوف منحوت من الساج الساج

(١) الكامل: ١٧٥-١٧٦.

(٢) الكامل: ٢٨٥/١.

وقال جرير:

لقد لمنا يا أم غيلان في السرى
ونمت وما ليل المطبي بنائم^(١)

وهنا تحليل دقيق من المبرد في إسناد الفعل إلى غير ما هوله بتأول" ولكنـه جعل الفعل لـليل والنـهار عـلى السـعـة" التي يراد بها التـوسع في إـطلاق الـلفـظ واسـتـعـمالـه، وهو ما سـميـ عندـ البـلـاغـيـنـ فيماـ بـعـدـ بالـمجـازـ.

بـ. عـلـاقـةـ المـصـدرـيـةـ:

وقد سـماـهاـ المـبرـدـ باـسـمـهاـ، وـتـعـرـضـ لـهـاـ فـيـ تـحـلـيـلـاتـهـ لـلـشـواـهـدـ الـأـدـبـيـةـ، وـمـنـ ذـلـكـ:

وقـالـ أـعـرـابـيـ أـنـشـدـنـيـهـ أـبـوـ الـعـالـيـةـ:

أـلـاتـسـالـ ذـاـعـلـمـ مـاـذـىـ يـحـلـ مـنـ التـقـبـيلـ فـيـ رـمـضـانـ؟

فـقـالـ لـيـ الـمـكـيـ:ـ أـمـالـزـوـجـةـ فـسـبـعـ،ـ وـأـمـاخـلـةـ فـثـمـانـ

قولـهـ:ـ "خـلـةـ"ـ يـرـيدـ ذاتـ خـلـةـ،ـ وـيـكـوـنـ سـمـاـهـاـ المـصـدرـ،ـ كـمـاـ قـالـتـ الـخـنسـاءـ:

فـإـنـمـاـهـيـ إـقـبـالـ وـإـدـبـارـ

يـجـوزـ أـنـ تـكـوـنـ نـعـتـهـاـ بـالـمـصـدرـ لـكـثـرـتـهـ مـنـهـاـ،ـ وـيـجـوزـ أـنـ تـكـوـنـ أـرـادـتـ ذاتـ إـقـبـالـ
وـإـدـبـارـ،ـ فـحـذـفـتـ الـمـضـافـ وـأـقـامـتـ الـمـضـافـ إـلـيـهـ مـقـامـهـ،ـ كـمـاـ قـالـ عـلـيـهـ:ـ {وـلـكـنـ آـثـرـ مـنـ مـاـمـنـ بـالـلـهـ}ـ
[الـقـرـةـ:ـ ١٧٧ـ]ـ فـجـائزـ أـنـ يـكـوـنـ الـمـعـنـىـ بـرـ مـنـ آـمـنـ بـالـلـهـ،ـ وـجـائزـ أـنـ يـكـوـنـ ذـاـ الـبـرـ مـنـ آـمـنـ بـالـلـهـ،ـ
وـالـمـعـنـىـ يـؤـوـلـ إـلـىـ شـيـءـ وـاحـدـ.^(٢)

وهـنـاـ يـتـضـعـ لـلـنـاظـرـ مـعـرـفـةـ الـمـبـرـدـ بـهـذـهـ الـعـلـاقـةـ،ـ كـمـاـ أـبـرـزـ السـرـ فـيـ اـسـتـعـمـالـ عـلـاقـةـ
المـصـدرـيـةـ مـجاـزاـ،ـ لـكـثـرـةـ الإـقـبـالـ وـإـدـبـارـ مـنـ النـاقـةـ.

وـقـدـ يـوـضـعـ اـسـمـ الـفـاعـلـ مـوـضـعـ الـمـصـدرـ فـيـ جـانـبـ الـمـجـازـ الـعـقـليـ،ـ كـمـاـ أـشـارـ إـلـىـ ذـلـكـ
الـمـبـرـدـ فـيـ قـوـلـ الـفـرـزـدـقـ:

(١) الكامل: ١٣٦/٢.

(٢) الكامل: ٣٧٤/١-٣٧٥.

الْمَرْتَبِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي
لَبَيْنَ رَتَاجِ قَائِمًا وَمَقَامِ
عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا
وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورُكَ لَامِ

”وقوله: ”لَا خارجاً“ إنما وضع اسم الفاعل في موضع المصدر، أراد: لا أشتتم الدهر مسلماً، ولا يخرج خروجاً من في زور كلام، لأنه على ذا أقسام، والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل، يقال: ماء غور، أي: غائر، كما قال الله ﷺ: ﴿إِنَّ أَنْبَعَ مَا تُكَبِّرُ عَوْرًا﴾ [الملك: ٢٠]، ويقال: رجل عدل، أي عادل، ويوم غم، أي: غائم، وهذا كثير جداً فعلى هذا جاء المصدر على فاعل... وجاء على ”مفعول“، نحو رجل ليس له معقول، وخذ ميسوره، ودع معسوروه، لدخول المفعول على المصدر، يقال رجل رضا، أي: مرضي، وهذا درهم ضرب الأمير، أي: مضروب، وهذه دراهم وزن سبعة، أي: موزونة”^(١)

٤. التقيد بالشرط:

اقتصر حديث المبرد على تبيان أصل (لو) ودلائلها الشرطية، مشيرا إلى أن (لو) قد يتسع فيها للتنوب عن (إن) في الدلالة، وهي الدلاللة الشرطية المقيدة بـ (لو) ”فـ ”لو“ أصلها في الكلام أن تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره، تقول: لو جئتني لأعطيك، ولو كان زيد هناك لضربيه، ثم يتسع فتصير في معنى ”إن“ الواقع للجزاء تقول: أنت لا تكرمني ولو أكرمتـك، تريـد ”وان“ قال الله ﷺ: ﴿وَمَا أَنَّتَ يَمْؤُمِنَ لَنَا وَلَأَنَّكُمْ تَنَاصِيَنَ﴾ [يوسف: ١٧] فأما قوله ﷺ: ﴿فَنَّ يُبَكِّلُ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَكَوْفَتَنَّ يَمْهُدَ﴾ [آل عمران: ٩١] فإن تأويله عند أهل اللغة: لا يقبل أن يتبرأ به وهو مقيم على الكفر، ولا يقبل إن افتدى به،^(٢) وقد عقد المبرد مقارنة بين (إن) و(لو) من حيث الدلاللة والعمل، فقال: ”فـ ”لو“ في معنى ”إن“ وإنما منع ”لو“ أن تكون من حروف المجازاة فتجزم كما تجزم“ إن“ أن حروف المجازاة إنما تقع لما لم يقع، ويشير الماضي معها في معنى المستقبل تقول: إن جئتني أعطيتك، وإن قعدت عن زرتـك، فهذا لم يقع.. وإن كان لفظ الماضي لما أحدثـته فيه“ إن“ وكذلك متى أتيـتـك.. و ”لو“ تقع في معنى الماضي، تقول: لو جئتـني أمس لصادـفتـي، ولو ركبتـ إلى أمس لأـفيـتـي، فـ لـذـكـ خـرـجـتـ من حـرـوفـ الـجزـاءـ“^(٣) ومن أحـكامـهاـ أنـ ”لو“ لا يـليـهاـ إـلاـ الفـعلـ مـضـمـراـ أوـ مـظـهـراـ.. لأنـهاـ تـشارـكـ حـرـوفـ الـجزـاءـ فيـ اـبـداـءـ الـفـعلـ

(١) الكامل: ١٥٦/١.

(٢) الكامل: ٣٦١/١.

(٣) الكامل: ٣٦٢-٣٦١/١.

وجوابه، يقول: لو جئني لأعطيتك.. فهذا ظهور الفعل، واضماره. قوله ﷺ: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْكُنُونَ حَرَازِينَ رَحْمَةً رَبِّي﴾ [الإسراء: ١٠٠] والمعنى والله أعلم: لو تملكون أنتم.. فهذا الذي رفع "أنتم" ولما أضمر ظهر بعده ما يفسره. ومثل ذلك: "لوزات سوار لطمتي" أراد لو لطمتي ذات سوار، ومنه:

ولو غير أخواي أرادوا نقاصي... جعلت لهم فوق العرانيين ميسماً
وكذلك قول جرير:

لَوْغَيْرِكُمْ عَلَقَ الْزَبِيرَ بِحَبْلِهِ أَدَى الْجَهَارَ إِلَى بَنْيِ الْعَوَامِ

فنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده. لأنها للفعل. وهو في التمثيل: لو علق الزيبر **غيركم**^(١).

ثالثاً: الجمل:

أ. الإيجاز والإطناب:

أ. الإيجاز:

أولاً: إيجاز القصر:

للمبرد إشارات تدل على قيمة إيجاز القصر، وتحليلات تسجل له في هذا الفن البلاغي، فمن ذلك ما نقله من تعليق العتببي على أول خطبة خطبها عمر بن الخطاب بقلة **اللفظ وكثرة المعنى** "ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العتببي قال: لم أر أقل منها في اللفظ، ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله، وصل على نبيه محمد ﷺ ثم قال: أيها الناس، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه.

ثم نزل^(٢). وقد حلل المبرد وجده جمالها بما اشتغلت عليه من إيجاز واف وبديع أحسن فيه انتقاء الألفاظ الدالة على المعنى، إضافة إلى ما اتخذ فيها من الألفاظ المتضادة **المشكلة المستحسنة** وإنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار، بما عضده به من الفعل المشاكل له^(٣).

(١) الكامل: ١/٣٦٤-٣٦٢.

(٢) الكامل: ١/١٨.

(٣) الكامل: ١/١٩.

إن المبرد يستحسن الإيجاز الدال في الكلام ويعده من البلاغة، وشخصية عمر بن الخطاب تمثل عنده أحد الأفذاذ الذين تميزوا بالإيجاز في القول، وحسن اختيار الكلام، واستحق في خطبته عن القضاة أن يوصف كلامه بالإيجاز المحمود ” ومن ذلك رسالته في القضاة إلى أبي موسى الأشعري وهي التي جمع فيها جمل الأحكام، واختصرها بأجود الكلام، وجعل الناس بعده يتخذونها إماماً. ولا يجد محق عنها معدلاً، ولا ظالم عن حدودها محيطاً، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس. سلام عليك. أما بعد، فإن القضاة فريضة محكمة، وسنة متّعة، فافهم إذا أدلني إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. آس بين الناس بوجهك، وعدلك، ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا يتأسى ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً. لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك، وهديت فيه لرشدك، أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديمٌ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنةٍ، ثم اعرف الأشباه والأمثال، فقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أقربها إلى الله، وأشبهاها بالحق، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينةً أبداً ينتهي إليها فإن أحضر بيتها أخذت له بحقه وإنلا استحللت عليه القضية، فإنه أ乃是 للشك، وأجل للعمي، المسلمين عدولٌ بعضهم على بعض إنما مغلوداً في حد، ومجرياً عليه شهادة زور، أو ظنيناً في ولاء أو نسب. فإن الله تولى منكم السرائر، ودرأ بالبيانات والأيمان. وإياك والغافق والضجر، والتأندي بالخصوم والتتكبر عند الخصومات، فإن الحق في مواطن الحق ليعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر، فمن صحت نيته، وأقبل على نفسه كفاح الله بينه وبين الناس، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله، فما ظنك بثواب غير الله عزوجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام.”^(١)

ومما ذكره من بلاغة عمر بن الخطاب في إيجاز القصر، قوله: ” قال عمر بن الخطاب: قد أللنا وإيل علينا، تأويل ذلك: قد ولينا وولي علينا. وهذه كلمة جامعة، يقول: قد ولينا

.(١) الكامل: ٢٠-٢١

فعلمـنا ما يـصلـحـ الـوـالـيـ، وـولـيـ عـلـيـنـاـ فـعـلـمـنـاـ ماـ يـصلـحـ الرـعـيـةـ.”^(١) فـقـولـهـ: “كـلـمـةـ جـامـعـةـ” تـبـينـ ماـ حـوـتـ هـذـهـ الجـمـلـةـ مـنـ أـفـاظـ وـجـيـزةـ وـمـعـانـ كـثـيرـةـ. كـمـاـ نـقـلـ عـنـ السـلـفـ مـاـ يـؤـكـدـ ثـنـاءـهـمـ عـلـىـ إـيـجازـ الـقـصـرـ” وـقـالـ مـعـاوـيـةـ لـعـبـاسـ بـنـ صـحـارـ الـعـبـديـ: مـاـ أـقـرـبـ الـاختـصـارـ؟ فـقـالـ لـمـحـةـ دـالـةـ وـقـيلـ: خـيـرـ الـكـلـامـ مـاـ أـغـنـىـ اـخـتـصـارـهـ عـنـ إـكـثـارـهـ.”^(٢)

ثانياً: إيجاز الحذف:

تـتـسـمـ لـعـتـنـاـ بـإـيـجازـ، وـيـدـوـ أـنـ السـرـ فـيـ اـهـتـمـامـ الـعـرـبـ الـقـدـمـاءـ بـهـ” رـاجـعـ إـلـىـ ظـرـوفـ مجـتمـعـهـمـ، فـقـدـ كـانـ مجـتمـعـاـ تـشـيـعـ فـيـهـ الـأـمـيـةـ. وـتـنـدـرـ فـيـهـ الـكـتـابـةـ، وـلـهـذـاـ كـانـ عـلـيـهـمـ أـنـ يـعـتـمـدـوـ عـلـىـ ذـاـكـرـتـهـمـ مـنـ نـاحـيـةـ الإـبـقاءـ عـلـىـ أـدـبـهـمـ الـذـيـ يـصـورـ حـيـاتـهـمـ، وـعـلـىـ تـنـاقـلـهـ عـنـ طـرـيقـ الـرـوـاـيـةـ جـيـلاـ بـعـدـ جـيـلـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـيـ.”^(٣)

إـنـ مـدارـ إـيـجازـ قـائـمـ عـلـىـ الـحـذـفـ” لـأـنـ مـوـضـعـهـ عـلـىـ الـاـخـتـصـارـ، وـذـلـكـ إـنـمـاـ يـكـونـ بـحـذـفـ مـاـ لـيـخـلـ بـالـمـعـنـىـ، وـلـاـ يـنـقـصـ مـنـ الـبـلـاغـةـ، بـلـ أـقـولـ: لـوـظـهـ الـمـحـذـفـ لـنـزـلـ قـدـرـ الـكـلـامـ عـنـ عـلـوـبـلـاغـتـهـ، وـلـصـارـ إـلـىـ شـيـءـ مـسـتـرـكـ مـسـتـرـذـلـ وـلـاـ بـدـ مـنـ الدـلـالـةـ عـلـىـ ذـلـكـ الـمـحـذـفـ، فـإـنـ لـمـ يـكـنـ هـنـاكـ دـلـالـةـ عـلـيـهـ قـدـ يـكـونـ لـغـواـنـ الـحـدـيـثـ، وـلـاـ يـجـوزـ الـاعـتـمـادـ عـلـيـهـ، وـلـاـ يـحـكـمـ بـكـونـهـ مـحـذـفـاـ بـحـالـ.”^(٤) وـقـدـ قـالـ الـمـبـرـدـ: ”مـنـ كـلـامـ الـعـرـبـ الـاـخـتـصـارـ الـمـفـهـمـ، وـالـاطـنـابـ الـمـفـخـمـ.”^(٥)

وـقـدـ اـعـتـنـىـ الـمـبـرـدـ بـالـحـذـفـ فـيـمـاـ يـمـرـ عـلـيـهـ مـنـ شـوـاهـدـ، فـيـحـرـصـ عـلـىـ إـبـرـازـ الـمـحـذـفـ فـيـ التـرـكـيـبـ، ذـلـكـ أـنـ إـيـجازـ عـنـدـهـ يـحـتلـ مـكـانـةـ مـحـمـودـةـ، وـمـنـزـلـةـ رـفـيـعـةـ، وـشـوـاهـدـ ذـلـكـ كـثـيـرـةـ فـيـ جـانـبـ الـحـرـفـ وـالـكـلـمـةـ وـالـجـمـلـةـ وـالـجـمـلـ.

فـمـنـ شـوـاهـدـ حـذـفـ الـحـرـفـ: قـولـهـ: ”وـمـاـ يـسـتـحـسـنـ لـفـظـهـ وـيـسـتـغـرـبـ مـعـنـاهـ، وـيـحـمـدـ اـخـتـصـارـهـ قـولـ أـعـرـابـيـ مـنـ بـنـيـ كـلـابـ:

(١) الكامل: ٢/٩٢.

(٢) الكامل: ٢/٨٤.

(٣) في تاريخ البلاغة العربية. عبد العزيز عتيق: ٨٠٦-٨٠٩.

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حفاظ الإعجاز: ٢/٩٢.

(٥) الكامل: ١/٤٠.

فمن يك لم يفرض فإني وناقتي
بحجر إلى أهل الحمى غرمان

تحن فتبدي ما بها من صابة
وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

يريد: لقضى على، فأخرج له لفطاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج، قال الله تعالى:
﴿وَلَذَا كَالُوْمُمْ أَوْ زَنْوُهُمْ يَعْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٢] والممعن إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم، ألا ترى
أن "أول الآية ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى الْأَنْوَافِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] فهو لاءً أخذوا منه ثم
أعطوه لهم، وقال الله تعالى: ﴿وَأَخْنَادُ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لَمْ يَعْلَمُنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي: من
قومه، وقال الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به
فقد تركت ذامال وذا نشب

أي أمرتك بالخير، ومن ذلك قول الفرزدق:
ومنا الذي اختير الرجال سماحة
وجوداً إذا هب الرياح الزعازع

أي: من الرجال. فهذا الكلام الفصيح.
وتقول العرب: أقمت ثلاثة أنا ذوقهن طعاماً ولا شراباً، أي: ما أذوق فيهن، وقال الشاعر:
ويوماً شهدناه سليماً وعاصراً... قليلاً سوى الطعن النهال نوافله^(١) فاستعمال
الحذف الذي لا يزعزع الأسلوب له عند المبرد قيمة، وقد وصفه بالكلام الفصيح.
وفي قول الحارث بن خالد المخزومي:

فر بعد العزيز إذ راء عبسا
وابن داود نازلا قطرى

عاهد الله إن نجا ملمنيا
ليع دون بعدها حرمى

أشار المبرد إلى حذف الحرف "وقوله: ملمنيا يريد من المانيا، ولكنه حذف النون
لقرب مخرجها من اللام، فكان تأكالحرفين يتقيان على لفظ فيحذف أحدهما، ومن
كلام العرب أن يحذفوا النون إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة، فيقولون فيبني الحارث وبيني

(١) الكامل: ٤٦١-٤٤٩.

العنبر وما أشبه ذلك: بلحارت وبلعنبر وبلهجيم كما يقولون: علماء بنو فلان فحذفون إحدى اللامين.^(١)

إن المفرد لا يكتفي بالإشارة إلى المحذوف، بل يذكر الغرض من الحذف والسر البلاغي منه وأما قوله: "لقطاني" فإنما يريد: لقضى على الموت، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا قَضَيْتَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤] فالموت في النية، وهو معلوم بمنزلة ما نطق به، فلهذا ناسب قوله تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُؤْسَى قَوْمَهُ﴾ وكذلك قوله: ﴿كَأُولُهُمْ﴾ فالشيء المكيل معلوم، فهو بمنزلة ما ذكر في اللفظ. ولا يجوز: مررت زيداً وأنت تريده: مررت بزيد، لأنه لا يتعدى إلا بحرف جر، وذلك أن فعل الفاعل في نفسه، وليس فيه دليل على المفعول نفسه، وليس هذا بمنزلة ما يتعدى إلى مفعولين، فيتعذر إلى أحدهما بحرف جر، وإلى الآخر بنفسه، لأن قوله: اخترت الرجال زيداً، قد علم بذلك زيداً أن حرف الجر محذف من الأول.^(٢). فحذف لأجل العلم به. ومن ذلك: قول أعرابي منبني سعد في خلاف الدماماة:

ولما التقى الصفان واحتلف القنا
نهالاً وأسباب المنايا نهالها

تبين لي أن القـماءة ذلة
وأن أشـداء الرجال طوالها

دعوا: يالسعـد وانتـمنـا لطـيء
أسـود الشـرى إـقدـامـها وـنـزالـها

"والشـرى: موضع كـثير السـبـاع، وإنـما يـريدـ: كـإـقامـ أـسـدـ الشـرى إـقدـامـها، ثـمـ حـنـفـ
لـعـمـ السـامـعـ.^(٣)

وقد يقصد إلى الحذف طلبـ للـخفـفةـ فيـ النـطقـ، خـاصـةـ إـذـا كانـ السـامـعـ لـديـهـ عـلـمـ بماـ
سيـقـولـ القـائلـ، كـماـ فيـ قـصـةـ الفـرـزـدقـ معـ منـ اـسـتـجـارـ بـقـبـرـ غالـبـ جـدـ الفـرـزـدقـ"ـ وـمـنـهـ
مـكـاتـبـ لـبـنـيـ منـقـرـ، ظـلـعـ بـمـكـاتـبـهـ، فـأـتـيـ قـبـرـ غالـبـ فـاسـتـجـارـ بـهـ، وـأـخـذـ مـنـهـ حـصـياتـ فـشـدـهـنـ
فيـ عـمـامـتـهـ، ثـمـ أـتـيـ الفـرـزـدقـ فـأـخـبـرـهـ، وـقـالـ: إـنـيـ قدـ قـلـتـ شـعـراـ، فـقـالـ: هـاـتـهـ، فـقـالـ:

(١) الكامل: ١٢٩٥/٢.

(٢) الكامل: ٥٠/١.

(٣) الكامل: ٨٢٧/١.

خشيت الردى أو أن أرد على قسر
 بقبر ابن ليلي غالب عذت بعدها
 ولم يك غالباً ميّتْ يقرى
 بقبر امرئ تقرى المئين عظامه
 فكاككَ أَن تلقى الفرزدق بال مصر
 فقال لي استقدم أمامك إنما

فقال له الفرزدق: ما اسمك؟ قال: ل Heidi، قال: يا Heidi، حكمك مسمطاً، قال: ناقة
 كوماء سوداء الحدقـة، قال: يا جارية، اطرحـي إلينا حبلاً، ثم قال: يا Heidi اخرـج بنا إلى
 المريدـ، فألقـه في عنـق ما شئتـ، فـتخـير العـبد عـلـى عـيـنهـ، ثـم رـمى العـبـل فـي عنـق نـاقـة وـجـاء
 صـاحـبـهاـ، فـقال لـهـ الفـرزـدقـ: اـغـدـ عـلـيـ فـي ثـمـنـهاـ، فـجـعـلـ لـهـاـ يـقـوـدـهاـ وـالـفـرـزـدقـ يـسـوقـهاـ
 حتـىـ إـذـاـ نـفـذـ بـهـاـ مـنـ بـيـوـتـ إـلـىـ الصـحـراءـ، صـاحـ بـهـ الفـرزـدقـ: يا Heidiـ، قـبـحـ اللـهـ أـخـسـرـنـاـ!ـ!^(١)
 فقد وقف المبرد عند قول الفرزدق: "يا Heidi، حـكمـكـ مـسمـطاـ" فقال: "وـأـماـ قولـهـ
 "حـكمـكـ مـسمـطاـ"ـ فإـعـرـابـهـ أـنـهـ أـرـادـ: لـكـ حـكمـكـ مـسمـطاـ"ـ، وـاسـتـعـملـ هـذـاـ فـكـثـرـ،ـ حتـىـ
 حـذـفـ اـسـتـخـفـافـاـ،ـ لـعـلـ السـامـعـ بـمـاـ يـرـيدـ القـاتـلـ،ـ كـقـولـكـ:ـ الـهـلـالـ وـالـلـهـ،ـ أـيـ:ـ هـذـاـ الـهـلـالـ،ـ
 وأـغـنـيـ عـنـ قـولـهـ:ـ هـذـاـ،ـ الـقـصـدـ وـالـإـشـارـةـ،ـ وـكـانـ يـقـالـ لـرـؤـيـةـ:ـ كـيـفـ أـصـبـحـتـ؟ـ فـيـقـولـ:ـ خـيـرـ
 عـافـاـكـ اللـهــ،ـ فـلـمـ يـضـمـرـ حـرـفـ الـحـفـضــ،ـ وـلـكـنـهـ حـذـفـ لـكـثـرـةـ الـاستـعـمالــ!^(٢)ـ فـكـثـرـةـ
 الـاستـعـمالـ طـلـبـاـ لـلـخـفـةــ أـحـدـ أـسـبـابـ الـحـذـفــ عـنـ الـمـبـرـدــ،ـ وـفـيـ ذـكـرـ الـقـصـدـ وـالـإـشـارـةـ دـلـيلـ
 عـلـىـ الـمحـذـوفــ.

ومن حذف الحرف عند العرب طلباً للخفة جاء تعليق المبرد على قول إسحاق بن
 خلف البهراني:

تـرـيـكـ الـمـنـاـ بـرـؤـوسـ الـأـسـلـ
 ولـبـسـ الـعـجـاجـةـ وـالـخـافـقـاتـ

بـقولـهـ:ـ "ـقـولـهـ:ـ تـرـيـكـ الـمـنـاـ"ـ يـرـيدـ الـمـنـاـ وـهـذـهـ كـلـمـةـ تـخـفـ عـلـىـ أـلـسـنـتـهـمـ فـيـحـذـفـونـهــ،ـ
 وـزـعـمـ الـأـصـمـعـيـ أـنـهـ سـمـعـ الـعـرـبـ تـقـولـ:ـ درـسـ الـمـنـاــ،ـ يـرـيدـونـ الـمـنـاـلــ،ـ وـجـاءـ فـيـ التـخـفـيفــ
 أـعـجـبـ مـنـ هـذـاــ،ـ حـدـثـاـ بـعـضـ أـصـحـابـناـ عـنـ الـأـصـمـعـيــ وـذـكـرـهـ سـيـبـوـيـهـ فـيـ كـتـابـهـ وـلـمـ يـذـكـرـ

(١) الكامل: ٢/٦١٢.

(٢) الكامل: ٢/٦١٦-٦١٧.

قائله، ولكن الأصمعي قال: كان أخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي. فيقول أحدهما للصاحبه: ألا ت؟ فيقول الآخر: بل فا، يريد: ألا تنهمض؟ فيقول الآخر: بل فانهض. وحكي سيبويه في هذا الباب:

بـالـخـيـرـ خـيـرـاتـ إـنـ شـرـ إـلـأـنـ تـسـ

يريد: وإن شرًا فشر، ولا أريد الشر إلا أن تريده.^(١)

ومن أسرار الحذف عند المفرد: الحذف للمبالغة^(٢) والعرب تحذف مثل هذا، فيقول القائل: مررت بالفيل أو أعظم، فإنه كالبقة أو أصغر^(٣)

ومن الحذف حذف الفعل للاختصاص، كما في قول أبي مخزوم النهشلي يفخر بقومه:

إـنـ اـبـنـيـ نـهـشـلـ لـاـ نـدـعـيـ لـأـبـ

"ونصب "بني" على فعل مضمر للاختصاص، وهذا أمدح، ومثله:

نـحـنـ بـنـيـ ضـبـةـ أـصـحـابـ الـجـمـلـ

أراد نحن أصحاب الجمل، ثم أبان من يختص بهذا، فقال: أعني بني ضبة^(٤) وقد يشير المفرد إلى الفعل المحذوف دون ذكر سبب الحذف، كما في قول الفرزدق:

عـلـىـ حـيـنـ أـلـهـيـ النـاسـ جـلـ أـمـوـرـهـمـ

فقد وقف عند المصدر (ندا) فقال: "ونصب" ندلاً بفعل مضمر وهو "أندلي" وهذا في الأمر، تقول: ضرباً زيداً، وشتاماً عبد الله، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فكان الفعل فيه أقوى. فلذلك أضمرته، ودل المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبراً لم يجز فيه الإضمار، لأن الخبر يكون بالفعل وغيره، والأمر لا يكون إلا بالفعل. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَيْسَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

(١) الكامل: ٢/٣٢-٣٣.

(٢) الكامل: ٢/٨٧٦.

(٣) الكامل: ١/١٤٦.

فَضَرِبَ الرِّقَابُ [محمد: ٤]. فكان في موضع "اضربوا". حتى: كان القائل قال: فاضربوا، ألا ترى أنه ذكر بعده محضاً في قوله: **حَقٌّ إِذَا أَخْتَمْتُهُ فَنَثَرُوا الْوَتَاقَ** [محمد: ٤] ولو نون منون في غير القرآن لنصب "الرِّقَاب" وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى.^(١) وفيه إشارة صريحة من المبرد على دليل الحذف، وهو المصدر (ندا) الذي دل على الفعل المضمر.

ومن حذف الفعل لعلم المخاطب به ما أشار إليه المبرد في قول يزيد بن حبنا:

فلليس بمهد من يك ون نهاره جلاداً ويمسي ليله غير نائم

"أراد من يكون نهاره يجالد جلاداً، كما تقول: إنما أنت سيراً، وإنما أنت ضرباً تريد تسيراً، وتضرب ضرباً، فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيراً"^(٢)
والمبرد حريص على ذكر ما يدل على المحذوف حتى يكون الحذف مقبولاً، فقد أشار إلى حذف الفعل

وذكر دليل الحذف في شعر الأعشى الذي يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيباني، وهو

قوله: هريرةً ودعها وإن لام لائمُ
غداةً غدِّ أم أنت للبين واجمُ
لقد كان في حولٍ ثوابٍ ثوبته تقض لباتٍ ويسأم سائمُ

فقوله: "هريرةً ودعها وإن لام لائمٌ" منصوب بفعل مضمر، تفسيره ودعها كأنه قال: ودع هريرة، فلما احتزل الفعل أظهر ما يدل عليه، وكان ذلك أجود من ألا يضمر، لأن الأمر لا يكون إلا بفعل، فأضمر الفعل إذ كان الأمر به أحق "^(٣) كما أشار أهمية وجود ما يدل على الحذف بقوله: "ولو قال: رأيت زيداً أو شبيهاً لجائز، لأنّ في الكلام دليلاً، ولو قال: رأيت الجمل، أو راكباً، وهو يريد: "عليه": لم يجز لأنّه لا دليل فيه، والأول إنما قرب شيئاً من شيء"^(٤).

(١) الكامل: ٢٤١/١: ٢٤٢-٢٤١.

(٢) الكامل: ١٣٥٦/٢:

(٣) الكامل: ٨٢١/٢:

(٤) الكامل: ٨٧٦/٢:

ومن الحذف: حذف المضاف، كما قال العجاج:

نَاجٌ طَوَاهُ الْأَيْنَ مَا وَجَفَ طَبِّ الْلِيَالِيِّ: زَلْفًا فَزَلْفًا

”ناج: سريع، والأين: الإعياء، والوجيف: ضرب من السير، ونصب ”طبي الليلي“ لأنه مصدر من قوله: ”طواه الأين“، وليس بهذا الفعل، ولكن تقديره: طواه الأين طيباً مثل طبي الليلي، كما تقول: زيد شرب الإبل، إنما التقدير يشرب شرباً مثل الإبل، ”فمثلك“ نعت، ولكن إذا حذفت المضاف استغنى بأن الظاهر يبينه، وقام ما أضيف إليه مقامه في الإعراب، من ذلك قول الله تبارك تعالى: ﴿وَسَلَّى لِلنَّارِيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] نصب لأنه كان: ”واسأل أهل القرية“. وتقول: بنو فلان يطؤهم الطريق، تريد أهل الطريق فحذفت ”أهل“ فرفعت ”الطريق“ لأنها في موضع مرفوع، فعلى هذا فقس إن شاء الله.^(١) فهنا إشارة من المبرد إلى أن المضاف حذف من هذه الشواهد وأقيم المضاف إليه مقامه، وقوله ”استغنى بأن الظاهر يبينه“ فيه إشارة إلى الدليل الممحوف وقرينة الحذف التي لا بد منه فيما حذف، وربما أورد المبرد الشاهد وما فيه من حذف دون ذكر السر من حذفه، كما في قول الشاعر:

وَمَا هِيَ إِلَّا فِي إِزَارَةٍ وَعَاقِةٍ مَغَارَابَنْ هَمَامَ عَلَى حَيِّ خَثْعَمَا

” يريد زمان إغارة ابن همام.“^(٢)

ومن حذف المضاف: ”وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية في خمسة عشرة رجلاً من أله في سجن عارم:

تَخْبِرُ مَنْ لَاقِيتَ أَنْكَ عَائِذَ بَلَ العَائِذَ الْمُحْبُوسَ فِي سِجْنِ عَارِمٍ

وَفَكَاكَ أَعْنَاقَ وَقَاضِيَ مَغَارِمَ وَصَيِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنَ عَمِّهِ

أراد ابن وصي النبي، والعرب تقييم المضاف إليه في هذا الباب مقام المضاف، كما قال الآخر:

(١) الكامل: ١٩٧/١. ١٩٨-١٩٧.

(٢) الكامل: ٢٦٢/١.

يحملن عباس بن عبد المطلب

صبن من كاظمة الخص الخرب

يريد ابن عباس عليه السلام.

وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك:

عن ابني مناف: عبد شمس وهاشم

ورثتم ثياب المجد فهي لبوسكم

يريد ابني عبد مناف.^(١)

ومن إشارات الحذف عند المبرد: حذف المبتدأ، فقد أشار إليه في قول ذي الرمة:

عليهم ولكن هيبة هي ماهيـا

وما الخرق منه يرعبون ولا الخنـى

”إذا رفعت هيبة“ فالمعنى: ولكن أمره هيبة، كما قال الله ﷺ: ﴿أَتَيْلَبْنُوا لَا سَاعَةً مِنْ تَهَبْرَ بَلْغُ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، أي: ذلك بلاغ، ومثله قوله ﷺ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١]، يكون رفعه على ضربين: أحدهما: أمرنا طاعة وقول معروف، والوجه الآخر: طاعة وقول معروف أمثل. ومن نصب هيبة أراد المصدر، أي: ولكن يهاب هيبة.^(٢) فقد وجه المبرد الإعراب في بيت ذي الرمة على حذف المبتدأ، ومثله آية الأحقاف، أو على حذف الفعل ويكون المصدر قد ناب عنه في محله وفي الشاهد الثالث ذكر الأوجه الجائزة فيه بأن يكون على حذف المبتدأ أو على حذف الخبر. ومن حذف الخبر، قول مهلل بن ربعة:

فلونـشـر المقابر عنـ كـلـيـبـ

فتحـرـبـالـذـنـائـبـ أي زـيرـاـ

”فلما أدرك مهلل بثار كليب، قال أي زيرا فرفع أيًا بالابداء، والخبر محذف، فكانه

قال: أي زير أنا في هذا اليوم!^(٣)

(١) الكامل: ١٢٥ / ٢.

(٢) الكامل: ٥٧٣ / ٢ - ٥٧٤.

(٣) الكامل: ٧٤٠ / ٢.

ومن الحذف: حذف الجار والمجرور، فقد أشار إليه المبرد مبيناً الغرض من الحذف في قول الفرزدق:

إن الذي سـمـك السـمـاءـ بـنـى لـنـا
بيـتـاـ دـعـائـهـ اـعـزـ وـأـطـ وـلـ

فقال: "جائز أن يكون قال للذي يخاطبه: من بيتك، فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة. وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة فأما قول مالك بن نويرة في ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتبة بن الحارث بن شهابٍ، وفخر بن أسدٍ بذلك، مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم:

فخررت بنو أسدٍ بمقتل واحدٍ صدقـتـ بـنـوـ أـسـدـ عـتـبـةـ أـفـضـلـ

فإنما معناه أفضل ممن قتلوا، على ذلك يدل الكلامُ. وقد أبان ما قلنا في بيته الثاني بقوله:

فخرروا بمقتله ولا يوفي به... مثنى سراتهم الذين نقتل^(١) فقد حذف الجار والمجرور بعد اسم التفضيل، وهو جائز عند النحاة إذا وجد دليل يدل على الحذف.^(٢)

ومن حذف المفعول قوله تعالى: ﴿إِنَّا ذَلِكُمُ الْشَّيْطَنُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥].^(٣) مجاز الآية أن المفعول الأول ممحوظ، ومعناه: يخوفكم من أوليائه.^(٤)

ب. الإطناب:

١. التكرار:

للمبرد إشارات وتحليلات في التكرار سواء المعنوي منه أو اللفظي: فمن التكرار المعنوي: "وقال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيمة؟ أحسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجالس يوم القيمة؟ الثراثون المتفيهقون".

(١) الكامل: ٢/٨٧٧-٨٧٨.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك: ٣/١٥٢-١٥٣.

(٣) الكامل: ٢/١٥٣.

فقد وقف المبرد عند لفظة (المتفيهمون فأبرز صلتها بما سبقها من لفظ). فقال: ”**المتفيهمون إنما هو بمنزلة قوله: ”الثثارون“ توكيده، ومتفهّم متفيعل، من قولهم: فهق الغدير يفهق إذا امتلاً ماء فلم يكن فيه موضع مزيد، كما قال الأعشى:**

نفي الذم عن رهط المحلق جفنةٌ كجابية الشیخ العرّاقی تفهّق^(١).

ويلاحظ أنه أطلق على التكرار توكيدا، وكأنه يشير إلى الغرض الذي من أجله أعيدت اللفظة. وفي موضع آخر وقف عند قوله تعالى: وقال تعالى: ﴿بَعْثَرْتُ مَكَذِّبَهُ، صَبَّقْتُهُ حَرْجَهُ﴾ [الأعراف: ١٢٥] وقرئه ”حرجاً“، فمن قال: ”حرجاً“ أراد التوكيد للضيق، كأنه قال: ضيق شديد الضيق. أي: بقراءة الكسر.^(٢) ونستطيع القول إن من أبرز الأغراض التي يحققها التكرار المعنوي التوكيد، وقد أبرزه المبرد جلياً فيما تناول من شواهد. وربما استفدنا من المبرد أنه يضيق الاتباع إلى التكرار المعنوي المفيد توكيدا في الكلام ”قوله“:

قبح الإله وجوه قوم رضع... وقوم يقولون: هو توكيد للثيم، كما يقولون: جائع نانع،
وحسن بسن، وعطشان نطشان، وأجمع أكتع، وقوم يقولون: الراضع هو الذي يرتضع
من الضرع لثلا يسمع الضيف والجار صوت الحلب فيطلب منه.”^(٣) ويقال: عفرية نفرية،
على التوكيد^(٤)

وقد وقف المبرد مع بيت ذي الرمة:

ورمل كأوراك العذاري قطعته

مشيراً إلى التوكيد المعنوي في عجز البيت ”الحنادس: الشديد الظلمة، وهو توكيد لها، يقال: ليل حندس، وليل أليل، ويوم يم كما يقال: ليل مظلم.“^(٥) وهو في تحليله يبين الهدف من اقتران اللفظين ومعناهما واحد.

(١) الكامل: ٩/١.

(٢) الكامل: ٢٨٢/١.

(٣) الكامل: ٧١٤/٢.

(٤) الكامل: ١٠١٠/٢.

(٥) الكامل: ١٠١٣/٢.

ومن التكرار اللفظي تناول المبرد قول الفرزدق، وقد نزل به ذئب فأضافه:

رأفت لناري موهناً فأتسألي
وأطلس عسالٍ وما كان صاحباً

وايـاكـ فـي زـادـي لـمـشـترـكـانـ
فـلـمـاـ دـنـاـ قـلـتـ أـدـنـ دـونـكـ إـنـيـ

”وقوله: ”فلما دنا قلت أدن دونك“ أمر بعد أمر، وحسن ذلك لأن قوله: ”أدن“ للتقرير.
وفي قوله: ”دونك“، أمره بالأكل، كما قال جرير لعياش بن الزيرقان:
أعياش قد ذاق القبيون مواسمي... وأوقدت ناري فادن دونك فاصطل^(١) وهنا وقف
المبرد مع التكرار اللفظي في (أدن دونك) وبين وجه الحسن فيه، وكأنه يشير إلى أن
التكرار كله ليس مستحسنا، وإنما الحسن منه ما وقع موقعاً مصيناً وأفاد فائدة حسنة.
ومن التكرار اللفظي:

قول مخيس بن أرطأة الأعرجي لرجل من بني حنيفة:

فـقـلـتـ لـهـ تـجـنـبـ كـلـ شـيـءـ
يـعـابـ عـلـيـكـ،ـ أـنـ الـحـرـ حـرـ

”وقوله: ”إن الحر حر“ إنما تأويله أن الحر على الأخلاق التي عهدت في الأحرار، ومثل ذلك:

أـنـاـ أـبـوـ النـجـمـ وـشـعـريـ شـعـريـ

أي: شعري كما بلغك، وكما كنت تعهد، وكذلك قولهم: الناس الناس، أي الناس كما
كنت تعهدهم. قال أبو الحسن: ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَعَيْشُهُمْ مِنْ أَلْيَمْ مَا عَيْشُهُمْ﴾ [طه: ٢٨]^(٢)
فهذا تفسير وتوضيح للتكرار اللفظي الوارد في هذه الشواهد، وأنه ليس معيبا.

٢. الإيضاح بعد الإبهام:

وعلاقة المبرد بهذا المبحث تتضح في تحليلاته التي أجرى فيها الإيضاح والإبانة بعد
الإبهام. ومن ذلك: ”ومثله: نحن بني ضبة أصحاب الجمل... أراد نحن أصحاب الجمل. ثم
أبان من يختص بهذا، فقال: أعني ببني ضبة وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةٌ﴾

(١) الكامل: ٤٧٦/١.

(٢) الكامل: ٦٢٧/١.

الْحَطَبِ [المسد: ٤] أراد وامرأته: **فِي جَيْدِهَا حَبَلٌ مِّنْ مَسَدٍ** [المسد: ٥] ثم عرفها بحملة الحطب..^(١) فالضمير (نحن) يحمل إيهاماً أوضحته ما بعده.
وفي قول أغراي منبني سعد بن زيد مناة تميم:

تقول وصكت صدرها بيمينها أبعلي هذا بالرحي المتقاعس

أبرز ما يكتنف جملة (بالرحي المتقاعس) من بيان بإقحام لفظة الرحي، فـ "جعل المتقاعس" اسماً على وجهه، وجعل قوله: "بالرحي" تبييناً بمنزلة "بك" التي تقع بعد قوله: "سقياً، وبمنزلة" بك " التي تقع بعد قوله: "مرحباً"^(٢)

٢. التتميم:

فطن المبرد لشاهد التتميم في قصة الكسائي ويونس بن حبيب، ورجع البيت على ذلك "ويروى أن يونس بن حبيب قال لأبي الحسن الكسائي: كيف تنشد بيت الفرزدق؟ فأنسده:

غداة أحلات لابن أصرم طعنةٌ حسين عبيطات السدائف والخمر

فقال الكسائي لما قال:

"غداة أحلات لابن أصرم طعنةٌ" حسين عبيطات السدائف.."

تم الكلام. فحمل الخمر على المعنى، أراد: وحلت له الخمر، فقال له يونس: ما أحسن ما قلت ولكن الفرزدق أنسدنيه على القلب، فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب، والذي ذهب إليه الكسائي أحسن في محض العربية، وإن كان إنشاد الفرزدق جيداً.
فأخرج الكلام على التتميم دون أن يسميه، وإنما أشار إليه بقوله: تم الكلام.

(١) الكامل: ١٤٧-١٤٦/١.

(٢) الكامل: ٥١/١.

(٣) الكامل: ٤٧٦/١.

٣. الزيادة:

أبرز المفرد الزيادة الواردة في بعض التراكيب، مثل وقوفه على قول الشاعر:

كأن ظبية تعطوا إلى وارق السلم ويوماً توافينا بوجيه مسم

فقال: "ومن قال: "كأن ظبية" جعل "أن" زائدة، وأعمل الكاف: أراد: كظبية.
وزاد "أن" كما تزيدها في قوله: لما أن جاء زيد كلمته، والله أن لو جئتني لأعطيك".^{١٦}
والزيادة المراد بها هي الزيادة في الحرف. وأما الزيادة في اللحظة فقد تطرق إليها من
خلال تحليله لقول جرير يمدح هشام بن عبد الملك:

إذا بعض السنين تعرقتنا كفس الأيتام فقد أبدى اليتيم

"وقوله: إذا بعض السنين تعرقتنا... يفسر على وجهين: أحدهما: أن يكون ذهب إلى
أن بعض السنين يؤنث، لأنها سنة وسنون. كما قال الأعشى:

كم اشرقت صدر القناة من الدم وتشرق بالقول الذي قد أذعنه

لأن صدر القناة قناء، ومن كلام العرب: ذهبت بعض أصابعه، لأن بعض الأصابع إصبع.
فهذا قول.

والأجود أن يكون الخبر في المعنى عن المضاف إليه، فأقحم المضاف توكيداً، لأنه
غير خارج عن المعنى، وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَمَّا حَضَرُوهُ﴾ [الشعراء: ٤] إنما
المعنى: فظلوا لها خاضعين، والخاضع بين في الأعناق، فأخبر عنهم، فأقحم الأعناق
توكيداً. وكان أبو زيد الأنباري يقول: أعناقهم جماعاتهم. تقول: أتاني عنق من الناس.
وال الأول قول عامة النحوين. وقال جرير:

لما أتى خبرُ الزبير تواضعتْ سورُ المدينةِ والجبالُ الخشوعُ

.١٦) الكامل: ١٢/١)

وقال أيضاً:

رأت مَرْ السَّنِينَ أَخْذَنَ مِنِي
كَمَا أَخْذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهَلَالِ

وقال ذو الرمة:

مشينَ كَمَا اهْتَزَتْ رِمَاحُ تِسْفَهَتْ
أَعْالِيهِ امْرُ الْرِيَاحِ النَّوَاصِمِ

ومثل هذا كثير، وعلى مثل هذا القول الثاني تقول: "يا تيم تيم عدي" لأنك أردت:
"يا تيم عدي"، وأقحمت الآخر توكيدا، وكذلك: لا أبا لك، لأن الألف لا تثبت في الأب في
النصب إلا في الإضافة، أولا بدلاً من التنوين، فإنما أراد لا أباك ثم اقحم اللام توكيدا
للإضافة، وأنشد المازني:

وقد مات شِمَاخ ومات مَزَرْد
وأَيْ كَرِيم لَا أَبَاك يَحْلَدَا

وقال آخر:

أَبَ الْمَوْتُ الَّذِي لَا بَدَ أَنْي
مَلَاقِ لَا أَبَاك تَخَـ وَفِينِي! ^(١)

ففي بيتي جرير وبيت ذي الرمة برزت الزيادة في (مرأ) وسورا للتحقق المعنى، إذ لما
كانت السنون لا تكون إلا بمصر أخبر عن السنين، ولا معنى للسنين إلا مرها، وفي قوله:
(تسفهت الرياح...) أنت الفعل (تسفهت) ببناء التأنيث مع أن فاعله (مرأ) مذكر، وذلك
لأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه

(الرياح) وجاز ذلك لصحة الاستغناء عن المضاف بالمضاف إليه. قال سيبويه: "كانه
قال تسفهتها الرياح" ^(٢) ومثله: (سور المدينة)، لأن سور من المدينة لم أضافه إلى المؤنث
جعل له حكمه، وكانت الزيادة تأكيدا للخبر الملقي.

وقدتناول المبرد ثلاث صور من الزيادة تتمثل في إفحام المضاف إليه، والمنادي،
والحرف مبينا الغرض من الزيادة فيما ذكر، وهو التوكيد.

(١) الكامل: ٦٦٨/٢.

(٢) كتاب سيبويه: ٦٥/١.

ومن إفحام المضاف إليه وقال رجل من طيء، أنسده أبو زيد الأنباري:

يَا قِرْطَ قِرْطَ حَيْبَ لَا أَبَالَكُمْ يَا قِرْطَ إِنِّي عَلَيْكُمْ خَائِفٌ حَذَرْ

قوله: "يَا قِرْطَ قِرْطَ حَيْبَ" نصبهما معاً أكثر على السنة العربية، وتأويله: أنهم أرادوا
"يَا قِرْطَ حَيْبَ فَأَقْحَمُوا" قرطاً الثاني توكيداً، وكذلك:

يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيَ لَا أَبَالَكُمْ لَا يَقِنُوكُمْ فِي سَوْءَةِ عَمَرٍ

ومثله:

يَا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الْذَّبْلِ تَسَاوِلُ الْلَّيْلَ عَلَيْكَ فَانْزَلْ^(١)

٢. الوصل والفصل:

ثبت نصوص ساقها المبرد تدل على فهمه لهذا الفن بوجه من الوجوه فهما فطرياً
تذوقياً، قد يكون له مدخل في الفصل والوصل البلاغي على الرغم من أن المبرد لم يشر
إلى الفصل والوصل بوصفهما مصطلحين بل كان اهتماماً منصباً على عطف
المفردات، وبيان أدوات العطف ومعانيها.

ومن إشاراته: وقوفه مع قول الفرزدق:

فَبَتْ أَقْدَدَ الْزَادَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارِ مَرَةٍ وَدُخَانٍ

والنظر في العطف الجاري بين ضوء نار ودخان وسر ذلك ^١ وقوله: على ضوء نار مرة
ودخان... يكون على وجهين: أحدهما على ضوء نار، وعلى دخان أي: على هاتين الحالتين
ارتفاع النار أو خبت. وجائز أن يعطف الدخان على النار، وإن لم يكن للدخان ضياءً،
ولكن للاشتراك كما قال الشاعر:

يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَادِ مَتَّقَلَ دَأْسَ يَفَا وَرْمَحَ

(١) الكامل: ١١٣٩ / ٢ - ١١٤٠.

لأن معناهما الحمل، وكما قال:

شراب ألبان وتمر وأقط

فأدخل التمر في المشروب لاشتراك المأكول والمشروب في الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا: ﴿يَرْسُلُ عَيْنَكُمَا شَوَّاظٍ مِّنْ نَارٍ وَّحَمَّاسٍ﴾ [الرحمن: ٢٥] والشواط: اللهب لا دخان له والنحاس: الدخان، وهو معطوف على النار، وهي مخفوضة بالشواط لما ذكرت لك.^(١) ويبدو أنه يريد بالاشتراك المعنوي بين اللفظتين في طبخ الزاد. وإذا كان الأمر كذلك فإن الواو عند المبرد تجمع بين اللفظتين ومعناهما مختلف لكن لفائدة بلاغية كال المجاورة مثلاً كما في (متقداً سيفاً ورمحاً) (شراب ألبان وتمر وأقط) (شواط من نار ونحاس).^(٢) ويبين المبرد سر العطف في النب والجزر مع أنهما صفتان للإبل وبمعنى واحد في قول الشاعر:

لـه جفنة تشـقـى بـهـاـ النـبـ والـجـزـ
أـلـاـ لـيـتـهـ يـعـطـيـ الـجـمـالـ بـدـيـةـ

”وقولها: ”تشـقـى بـهـاـ النـبـ والـجـزـ“ وإنما عـطـفـتـ أحـدـهـمـاـ عـلـىـ الـآـخـرـ لأنـ مـنـ الإـبـلـ ما يكون جـزـورـاـ لـلنـجـرـ لـلـغـيرـ.”^(٢) ومن أحـكامـ الواـوـ العـاطـفةـ التي ذـكـرـهـاـ المـبـرـدـ، أـنـ إـذـاـ كـانـ العـطـفـ بـالـواـوـ فـإـنـ الـعـربـ تـقـدـمـ أوـ تـؤـخـرـ، أـمـاـ إـذـاـ كـانـ العـطـفـ بـ(ـثـمـ)ـ أـوـ (ـفـاءـ)ـ لـمـ يـصـحـ إـلـاـ تـقـدـيمـ المـقـدـمـ“ قال حسان بن ثابت:

ومازال في الإسلام من آل هاشم
دعائم عـزـ لـاتـرـامـ وـمـفـحـرـ
عليـيـ وـمـنـهـمـ أـحـمـدـ المـتـخـيـرـ
بهـالـيـلـ مـنـهـمـ جـعـفـ رـاـبـنـ أـمـهـ

(١) الكامل: ٤٧٦/٤٧٧.

(٢) انظر ما قاله تعالى في فقه اللغة: ٢١١ وما بعدها.

(٣) الكامل: ٦٨١/٢.

فقال: منهم كما قال هذا من نفره. من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم. وأما قول حسان: منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخيز فإن. العرب إذا كان العطف بالواو قدّمت وأخرت. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَّمَّ كَافُرُ وَمَنْكُرُ مُؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]. وقال: ﴿ يَنْعَشِرُ الْجِنُونُ وَالْإِلَانِينُ ﴾ [الأنعام: ١٢٠]. وقال: ﴿ وَاسْتَجِرِي وَأَزْكِنِي مَعَ الرَّكَبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣]. ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدم، ثم الذي يليه واحداً فواحداً.^(١) ولعلنا نأخذ من هذا النص الإشارة إلى دلالة الواو في الجمل المعطوفة على مطلق الجمع، بعكس الفاء وثُمْ فإن دلالة كل منها محدودة مخصوصة.

أما جملة الحال، فهناك إشارة من المبرد توحى بتناوله لأحد مواضعها. في قول ابن جعيل:

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ أَهْلَ الْعَرَاقِ
وَأَهْلَ الْعَرَاقِ لَهُمْ كَارِهِينَا

ونص تحليله كما يلي: وقول ابن جعيل: وأهل العراق لهم كارهينا... محمول على "أرى" ومن قال: وأهل العراق لهم كارهونا... فالرفع من وجهين: أحدهما قطعٌ وابتداءٌ، ثم عطف جملة على جملة بالواو، ولم يحمله على أرى. ولكن كقولك كان زيدٌ منطلاقاً، وعمرو منطلقٌ الساعية، خبرت بخبر بعد خبر، والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالاً، فيكون معناها "إذ" كما تقول رأيت زيداً قائماً وعمرو منطلق، تزيد إذ: عمرو منطلق. وهذه الآية تحمل على هذا المعنى، وهو قول الله عزوجل: ﴿ يَنْشَئُ طَبِيعَةَ مِنْكُمْ وَطَبِيعَةَ مَذَادَهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. والمعنى والله أعلم: إذ طائفه في هذه الحال وكذلك قراءة من قرأ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَمُهُ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْخَرٍ ﴾ [لقمان: ٢٧] أي والبحر هذه حالة، وإن قرأ ﴿ وَالْبَحْرُ ﴾ فعل "أن" ^(٢) والوجه الآخر الذي ذكره المبرد يمثل فهمه للجملة الحالية، فقد أجرأها بما يبين هيئة الحال في البيت والآية والمثال.

رابعاً: تحرير الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

١. اللفّات:

فطن المبرد لالتفاتات، وذكر أن العرب تستعمله في كلامها، كما أشار إلى صورة من الالتفاتات، وهي الالتفاتات من المؤنث إلى المذكر في قول ذي الرّمة:

(١) الكامل: ٢/٥٢٩.

(٢) الكامل: ١/٤٢٥.

أَزُورُ فَتَنْ نَجَدًا كَرِيمًا يَمَانِيَا
كَأَنَّهُمُ الْكَرْوَانُ أَبْصَرُنَّ بَازِيَا

ولَكُنْتِي أَقْبَلْتَ مِنْ جَانِبِي قَسَا

مِنْ آلِ أَبِي مُوسَى تَرِي الْقَوْمُ حَوْلَهُ

"وقوله: من آل أبي موسى ترى القوم حوله..."

فقال: ترى، ولم يقل ترين، وكانت المخاطبة أولاً لامرأة، ألا تراه يقول:

أَرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْخِيرِ قاضِيَا
وَمَا كُنْتَ مَذْ أَبْصَرْتِنِي فِي خَصُومَةٍ

ثُمَّ حَوَّلَ الْمَخَاطِبَةَ إِلَى رَجُلٍ، وَالْعَرَبُ تَفَعَّلُ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كَثُرَ فِي الْأَنْفُلِ
وَجَرَّبَنَّ إِلَيْهِمْ بِرِيحَ طَيْبَةٍ﴾ [يوسوس: ٢٢]، فَكَانَ التَّقْدِيرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ لِلنَّاسِ، ثُمَّ حَوَّلَ
الْمَخَاطِبَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادَ:

عَسْرًا عَلَيْ طَلَابِكَ ابْنَةَ مُخْرَمٍ
شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ

وَقَالَ جَرِيرٌ:

أَصْمَمْنَ أَمْ قَدَمَ الْمَدِي قَبْلِنَا
مَا لِلْمَنَازِلِ لَا يَجِدْنَ حَزِينَا
إِذَا أَرْدَنَ سَوَى هـ وَاكْ عـ صِينَا
وَتَرِي الْعَوَادِلِ يَتَدَرَّنَ مَلَامِتِي

فَقَالَ أَوْلًا لِرَجُلٍ، ثُمَّ قَالَ: سَوَى هَوَاكَ، وَقَالَ آخَرُ:

فَدَى لَكَ وَالْدِي وَسَرَّاهُ قَوْمِي
وَمـ إـلـيـ إـنـهـ مـنـهـ أـثـانـيـ

علَى تحويلِ الْمَخَاطِبَةِ." (١) ولنا في هذا التَّحْلِيلُ وَقَفَاتٌ، مِنْهَا: أَنَّ مَفْهُومَ الالْتِفَاتِ عِنْدِ
الْمَبْرُدِ يَتَسْعَ لِيُشْمَلُ صُورًا كَثِيرَةً تَدُورُ حَوْلَ الْاِنْتِقَالِ مِنْ أَسْلُوبٍ إِلَى أَسْلُوبٍ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ
الْاِنْتِقَالَ مِنَ الْمَذَكُورِ إِلَى الْمَؤْنَثِ وَمِنَ الْمَفْرَدِ إِلَى الْجَمْعِ يَدْخُلُ تَحْتَ مَفْهُومِ الالْتِفَاتِ عِنْدِ
الْمَبْرُدِ، وَشَيْءٌ أَخْرَى يُؤْسِسُ وَجُودَ الالْتِفَاتِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَهُ فِي
كَلَامِهِمْ، وَمَا ذَكَرَهُ الْمَبْرُدُ مِنْ شَاهِدِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ كَانَ أَحَدُ الشَّوَاهِدِ الَّتِي اعْتَدَ عَيْهَا

(١) الكامل: ٥٧٣-٥٧٤/٢.

البلاغيون في صور الالتفات في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، وإن كان المبرد يجري الآية في الانتقال من الجمع إلى المفرد.

إن المبرد يذكر لنا من صور الالتفات ما يدل على فهمه لهذا المصطلح البلاغي الذي تناوله البلاغيون بصورةه السط، وفي كلامه الآتي رسم لشيء من صور الالتفات، وهي: الالتفات من الغائب إلى الشاهد، والالتفات من الشاهد إلى الغائب، وقد جاء تحليله لقول الأعشى:

فأبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْذَ حَامِداً
وَأَمْتَعْنَيْ عَلَى العَشَابِوليَّةِ

” وأما قوله:

فَأَبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْذَ حَامِداً
وَأَمْتَعْنَيْ عَلَى العَشَابِوليَّةِ

فإنه كان يتحدث عنه، ثم أقبل عليه يخاطبه، وترك تلك المخاطبة.
والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب. قال الله ﷺ: **﴿حَتَّىٰ إِذَا كُتُبَتِ فِي الْقَارِئِ وَجَرِيَّتِ بِهِمْ بِرِيحٌ طَيْبَةٌ﴾** [يونس: ٢٢]. كانت المخاطبة للأمة، ثم صرفت إلى النبي ﷺ إخباراً عنهم. وقال عنترة:

عَسْرًا عَلَى طَلَابِكَ ابْنَةَ مُحْرَمٍ
شَطَّتْ مَزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ

فكان يحدث عنها ثم خاطبها. ومثل ذلك قول جرير:

فَإِذَا أَرْدَنْ سَوْيَ هَوَاكَ عَصِينَا
وَتَرَى الْعَوَادِلَ يَتَدَرَّنْ مَلَامِتِي

وقال الآخر:

فَدِلِكَ وَالَّذِي وَسَرَّةَ قَوْمِي
وَمَالِي إِنْهَ مِنْهَ أَتَانِي

وهذا كثير جداً.^(١) وتأمل (وهذا كثير جداً) وما يعطيه من تأكيد لورود الالتفات كثيراً في كلام العرب مما يعطيه تأصيلاً في لغتنا العربية.

(١) الكامل: ٩٠ / ٢.

٢. التغليب:

أشار المبرد إلى التغليب، وبين مفهومه وهو ينافق قول الفرزدق:

عشية سال المريدان كلاهما عجاجة موت بالسيوف الصوارم

" وقوله: عشية سال المريدان كلاهما... يريد المبرد وما يليه مما جرى مجرى،
والعرب تفعل هذا في الشيئين إذا جريا في باب واحد، قال الفرزدق:

أخذنا بأفاق السماء عليكم لتقراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر، لأنهما قد اجتمع في قوله، "النيران"، وغلب الاسم المذكور، وإنما يؤثر في مثل هذا الخفة، وقالوا: "العمران" لأبي بكر وعمر، فإن قال قائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، فلم يصب، لأن أهل الجمل نادوا بعلي بن أبي طالب رحمة الله عليه: أعطانا سنة العمررين، فإن قال قائل: فلما لم يقولوا: أبي بكر، وأبو بكر أفضلهما فلأن عمر اسم مفرد، وإنما طلبوا الخفة، وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة لجرير:

وما التغلب إن عدوا مساعيهم نجم يضيء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضي رسول الله فعلهم والعمران أبو بكر ولا عمر

هكذا أنشدنيه، وقال آخر: قدني من نصر الخبيبين قدي.. يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير، وإنما أبو خبيب عبد الله^(١)

والفائدة التي يتأنى لها التغليب طلب الخفة والإيجاز في العبارة كما أشار إلى ذلك المبرد، ويكون التغليب في أمور كثيرة، منها: تغليب المذكر على المؤنث، وتغليب الكثير على القليل، وتغليب المعنى على اللفظ، وتغليب المخاطب على الغائب، وتغليب أحد المناسبين أو المتشابهين أو المتجاورين على الآخر، وتغليب العقلاء على غيرهم، إلى غير ذلك من أمور، أشار إليها المبرد في شواهدة.

(١) الكامل: ١٨٦/١، ١٨٨.

٣. القلب:

القلب من المباحث التي فطن لها المبرد وحللها في شواهده، وسمى القلب باسمه أو المقلوب، وذكر متى يجوز استعمال القلب في الكلام؟ وذلك عند قول الفرزدق يصف ذئباً:

رأي موهبة فأنا
وأطلس عسائل وما كان صاحبا

”وقوله: ”رفعت لناري“، من المقلوب، إنما أراد رفعت له ناري والكلام إذا لم يدخله لبسٌ جاز القلب لاختصار، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا مِنَ الْكُوْزِ مَا إِنَّ مَقَاتِهِ لَتَنْتَوْ إِلَى الْعُصْبَةِ أَوْلَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]. والعصبة تنوع بالمفاتيح، أي: تستغل بها في تقليل، ومن كلام العرب: إن فلانة لتنوع بها عجيزتها، والمعنى لتنوع بعجزتها، وأنشد أبو عبيدة للأخطل:

أما كلب بن يربوع فليس لها
عند التفاصير إلا راد ولا صدر

مخلفون ويقضى الناس أمرهم
وهم بغيب وفي عماء ما شعروا

مثل القنافذ هداجون قد بلغت
نجران أو بلغت سوءاتهم هجر

فجعل الفعل للبلدين على السعة.^(١) والمبرد يشير في هذا النص إلى أن العرب تفعله اتساعاً، أي: من باب المجاز والتتوسيع في اللغة التي تتسع لهذا الاستعمال، كما أن الغرض من القلب الاختصار في الكلام.

وطريقة المبرد في إجراء القلب بإعادة الكلمة إلى أصلها، كما في وقوفه مع قول عويف القوافي:

بحرك عذب الماء ما أعده
ربك والمحروم من لم يسقه

^(١) الكامل: ٤٧٥/١

"وقوله: بحرك عذب الماءِ ما أعقه... مقلوب، إنما هوما أقעה ربك. يقال: ماء قعاع، وماء حراق. فالقوع: الشديد الملوحة، يقول: ما أملحه ربك، والحراق: الذي يحرق كل شيء بملوحته، والماء العذب يقال له: النفاح، وما دون ذلك شيئاً يقال له: المسوس. أنسد أبو عبيدة:

لوكنت ماءً كنست لا عذب المذاق ولا مسوساً^(١)

كما اجرى القلب بتقديم بعض الحروف على بعض في قول الحارث بن خالد المخزومي:

فرعبد العزيز إذ راء عبسا وابن داود نزا لاقطريا

"قوله: إذ راء عبسا، الأصل رأى ولكن قلب فقدم الألف وأخر الهمزة، كما قال كثير:

وكل خليل راءني فهو قائل من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

والقلب كثير في كلام العرب^(٢) وفي هذا النص إشارة إلى كثرة استعمال القلب في كلام العرب، مما يؤكّد تأصل جذوره في لغة العرب.

رابعاً: البيان:

١. التشبيه:

إذا كان التشبيه يحتل مكانة كبرى في أساليب البلاغة والبيان، ذلك أنه شيء مرکوز في طباع البشر، يلتجئون إليه لإبراز المعنى وتوكيده في نفس المتلقى، فلا غرو أن يلتفت المفرد إلى تحليله، والاهتمام بإبرازه، ودراسة كثير من شواهده. ولا أبالغ إذا قلت إن أبرز مجهد شخصي بذلك المفرد فيما يتعلق بالبلاغة العربية، ذلك الباب الطريف الذي عقد للتشبيه، فهو في هذا الباب كله لم يعتمد على أسلافه من علماء البلاغة والنحو واللغة. وإنما اعتمد على استقرائه في الشعر العربي، وجمع الشواهد الشعرية التي تحقق له إفراد باب بأكمله في موضوع واحد، وهو التشبيه^(٣) والمفرد في هذا الباب يورد

(١) الكامل: ٢/٨٤٣-٨٤٤.

(٢) الكامل: ٣/١٢٩٤-١٢٩٥.

(٣) أثر النهاة في البحث البلاغي: ٢٣٠.

أمثلاً لا تنتهي، وشواهد لا حصر لها من شعر العرب في كل لون من ألوان التشبيه على تنوعها، وشدة اختلافها، وذلك لإيمانه بسعة هذا الباب "حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد"^(١) وقد بربزلي من أسرار عناية المبرد بالتشبيه:

– أنه كان يفسر وجه الشبه الجامع بين المشبه والمشببه به، فقد وقف المبرد عند بيت الأعشى الذي احتوى على تشبيه في قوله:

نفي الذم عن رهط المحلق جفنة^٣ كجایة الشیخ العراقي تفھق

"كذا ينشده أهل البصرة، وتأويله عندهم أن العراقي إذا تمكّن من الماء ملأ جابيته لأنه حضري فلا يعرف موقع الماء ولا محالة. قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنشد قال أبو الحسن: هي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق، وهي راوية أهل الكوفة: "كجایة السیح" تزيد النهر الذي يجري على جابيته، فما ذرها لا يقطع لأن النهر يمده. ومثل قول البصريين فيما ذكروا به "العربي الشیخ" قول الشاعر قال أبو الحسن: "هو ذو الرمة":

لها ذتب ضاف وذفرى أسليلة وخد كمرأة الغريبة أسلح

يقول: إن الغريبة لا ناصح لها في وجهها، وبعدها عن أهلها، فمراتها أبداً مجلولة، لفطر حاجتها إليها.^(٢) فالمبرد يعقد العلاقة بين المشبه والمشببه به ليتضخم التشبيه وهو الجلاء والصفاء والوضوح، بل هو هدف من أهدافه عند تحليل التشبيه، لأن المرأة الغربية تتنهد مراتها من الجلاء بما لا يتعهد غيرها وتتفقد من محاسن وجهها مالا يتتفقده سواها فمراتها أبداً مجلولة.

ومما أبرز فيه وجه الشبه قوله السليمي يرثي فرسه، وكان يقال له النحام، فقال:

کأن قوائم النحام لما تحمل صحبتي أصلاماً محار

(١) الكامل: ٩٩٦/٢.

(٢) الكامل: ١٠٩/١.

" قوله: كأن قوائم النحام محار... المحارة: الصدفة، يزيد الملاسة، وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت."^(١) فوجه الشبه بين قوائم المحار والملاسة، أي: كأنها صدف تمر على كل شيء.

وفي قول أمروء القيس في طول الليل:

كأن الثريا علقت في مصامها

"فهذا في ثبات الليل وإنقاصه. والمصام: المقام. وقيل للممسك عن الطعام: صائم، لثباته على ذلك، ويقال: صام النهار: إذا قامت الشمس."^(٢) والمعنى أنه يصف طول الليل بقوله: " كأن النجوم مشدودة بحبال إلى حجارة، فالصورة فيه بدعة وحقيقة. وفي موطن آخر نراه يجري التشبّيّه في البيت الشعري إجراءً دقيقاً يبرز صورة التشبّيّه الجميلة، كما في قول طحيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة:

معي كل فضفاض القميص كأنه إذا ما سرت فيه المدام فنيق

" وأما الفنيق فإنه الفحل من الإبل، وإنما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء، فتشبّه الرجل من هؤلاء إذا انتشى بالفحل، وهو إذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشأمة"^(٣) وهو تشبّيّه تمثيلي وإن لم يسمّه المبرد، تجلّى فيه صورة التركيب بين الطرفين: الرجل المتمايل بكبريائه وخيلائه في بدنـه وحركـته والـفـحل الـذـي يـتمـاـيل بـذـنـبـهـ يـمنـةـ وـيـسـرـةـ. إن صورة التشبّيّه تتضح كثيراً في ذهنـ المـبرـدـ، وفيـ الـبيـتـ القـادـمـ يـبرـزـ المشـبـهـ والمـشـبـهـ بـهـ دـاخـلـ تـحـلـيـلـهـ لـلـبـيـتـ.

قال جميل معمر:

**ما صاب من نابل قذفت به يد، وممر العدة دتين وثيق
له من خوافي النسر حرم نظائر وصل كنصل الزاعبـيـ فـتيـقـ**

(١) الكامل: ٩٧٠/٢.

(٢) الكامل: ٩٩٢/٢.

(٣) الكامل: ٦٠/١-٦١.

”وقوله: كنصل الزاعبي، شبّه نصل السهم بنصل الرمح الزاعبي، وهو منسوب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعبٌ. كان يعمل الأسنة، هذا قول قوم، وأما الأصمعي فكان يقول: الزاعبي: الذي إذا هز فكأنّ كعوبه يجري بعضها في بعضٍ للينه وتثنية، يقال مر يزعب بحمله إذا مربه مراً سهلًا^(١). وجّه الشبه ما يجري من استقامة أولين وتثنٍ في الطرفين يجعل الصفة المشتركة بينهما مترادفة.

إن المبرد في تحليله للتشبيه ييرز المحفوظ الذي جرى في التشبيه كما في قول العجاج:

نـاج طـواهـ الـأـيـنـ مـمـاـ وـجـفـاـ طـيـ الـلـيـالـيـ زـلـفـاـ

فقد أبرز المحفوظ (مثل) وهي أدلة التشبيه مبيناً لم نصب المصدر (طي الليلي)؟
ونصب ”طي الليلي“ لأنّه مصدر من قوله: ”طواه الأين“. وليس بهذا الفعل، ولكن تقديره طواه الأين طيًا مثل طي الليلي. كما تقول: زيد شرب الإبل، إنما التقدير: يشرب شريًّا مثل الإبل، ”فمثُل“ نعمت^(٢). واضح أنّ المصدر المشبه به جاء لتقرير صورة التشبيه لدى السامع.

وقد ييرز المبرد وجه الشبه بين الطرفين لهدف تقرير المعنى، ولا يكتفي بذلك، بل يبين لماذا أوثر المشبه في البيت الشعري؟ وأثر هذا الاختيار على صورة التشبيه في قول الشاعر:

وـجـمـعـ كـمـثـلـ الـلـيـلـ مـرـتـجـسـ الـوـغـ وـجـمـعـ كـثـيـرـ تـوـالـيـهـ سـرـيـعـ الـبـوـادرـ

”وقوله: ”كمثل الليل“ يقول: كثرة، فيكاد يسد سواده الأفق، ولذلك يقال: كتبة خضراء، أي: سوداء، وكانت كتبة رسول الله ﷺ التي هو فيها والمهاجرون والأنصار
يقال لها: الخضراء^(٣).

ومن ذلك إشارته إلى المثل وسر اختيار المشبه به فيه، كما في قوله أبي بكر ”ولتألمن النوم على الصوف الأذري كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان...“^(٤)

(١) الكامل: ٩٧/١.

(٢) الكامل: ١٩٧/١.

(٣) الكامل: ٧٣٧/٢.

(٤) الكامل: ١١/١.

وقوله: "على حسک السعدان"، فالسعدان بنت كثیر الحسک تأكله الإبل فتسمن عليه، ويغذوها غذاءً لا يوجد في غيره. فمن أمثال العرب: "مرعى ولا كالسعدان "تفضيلاً له"^(١) وفي قول قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقري بن عبيد:

وَاجِرْفَاجِرْجَاءِ إِلَهِ بَهِ
كَأْنَ عَثُونَهِ أَذْنَابِ أَجْمَالِي

"قال ذلك، لأن ذنب البعير يضرب إلى الصحبة، وفيه استواء، وهو يشبه اللحية."^(٢)
وقد درج المفرد على توضيح العلاقة بين الطرفين في التشبيه، كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

أَبْرَزُوهَا مَثَلُ الْمَهَأَةِ تَهَادِي
بَيْنَ حَمْسَ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ

"المهأة، البقرة في هذا الموضع، وتشبه المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينيها ولمشيتها، والبقرة يقال لها: العيناء، والجماع العين، وكذلك يقال للمرأة، وتكون المهاة الببلورة في غير هذا الموضع. وقوله: "تهادي" أي: يهدى بعضها بعضاً في مشيتها، ومشية البقرة تستحسن، قال ابن أبي ربيعة:

أَبْصِرْتَهَا غَدَوَةً وَنَسْوَتَهَا
يَمْشِينَ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ

يَمْشِينَ فِي الرِّيَطِ وَالْمَرْوَطِ كَمَا
تَمْشِي الْهَوَيْنِ سَوَاكِنُ الْبَقَرِ^(٣)

وللمفرد اهتمام بتشبيهات المرأة عند العرب "قال الله جل وعز: ﴿كَأَئِنَّ يَعْنَى مَكْوُنٌ﴾ [الصفات: ٤٩]، والعرب تشبة النساء ببيض النعام، تزيد نقاءه ورقه لونه، قال الراعي:

كَأَنَّ بَيْضَ نَعَامَ فِي مَلَاحِفَهَا
إِذَا جَتَاهُنَّ قَيْظَلِيَّاً وَمَدِ

وقيل للأوسية - وهي امرأة حكيمة في العرب - بحضره عمر بن الخطاب رحمه الله: أي منظر أحسن؟ فقلت: قصور بيض، في حدائق خضر، فأنسد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد:

(١) الكامل: ١/١٣.

(٢) الكامل: ٢/٧١١.

(٣) الكامل: ٢/٧١١.

كدمي العاج في المحاريب

أوكالبيض في الروض زهره مستنير

وقال آخر:

كالبيض في الأدحى يلمع بالضحى

فالحسن حسن والنعيم نعيم

وقال جرير:

ما استوفف الناس من شيء يروقهم

إلا رأوا أم نوح فوق ماء الصوفوا
كأنه مازنة غراء رائحة أودرة ما يواري ضوءها الصدف

المزننة: السحابة البيضاء خاصة، وجمعها مزن. قال الله جل وعز: ﴿أَمْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَزِيلَةِ مَنْ هُنْ الْمَزِيلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩] والمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها. قال الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها

مر السحابة لا ريث ولا عجل

الريث: الإبطاء، فهذا ما تلحقه العين منها، فأما الخفة فهي كأسرع مار، وإن خفي ذلك على البصر. قال الله جل وعز: ﴿وَتَرَى لِبَالَّا تَحْسِبَهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ أَسْعَابٍ﴾ [النمل: ٨٨]. والعرب تشبه المرأة بالشمس، والقمر، والغصن، والكتيب، والغزال، والبقرة الوحشية، والسحابة البيضاء، والدرة، والبيضة، وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء. قال ذو الرمة:

ومية أحسن النقلين جيداً

وسالفه وأحسنهم قد زالا

فلزم أرهانظراً وعيناً

ولا أمر الغزال ولا الغزالا

تريكي بياض غرتها ووجهها

كقرن الشمس أفتقد ثم زالا

أصاب خصاصة فبداكليلاً

كلا وانغل سائره انغللا

الجيد: العنق، والسلافة: ناحية العنق، والقدالان: ناحيتا القفا من الرأس.
وقوله: أفتق ثم زالا، يقال: أفتق السحاب، إذا انكشف انكسافه فكانت منه فرجة
يسيرة بين السحاب. تقول العرب: دام علينا الغيم ثم أفتنا، وإذا نظر إلى الشمس
والقمر من فتق السحاب فهو أحسن ما يكون وأشد استنارة. وقوله: كلا يريد في
سرعة ما بدا ثم غاب. وقال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ أَيَّاقُثُ الْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨]، وقال تبارك
وتعالى: ﴿كَأَنَّهُ الْقُلُوبُ الْمَكُونُ﴾ [الواحة: ٢٢].
والمحكون: المصنون، يقال: كنت الشيء، إذا صنته. وأكنته، إذا أخفيته، فهذا
المعروف، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ أَكَنْتُمْ فِي أَفْسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] وقد يقال:
كنته، أخفيته.
وقد قال جرير في يزيد بن عبد الملك، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن سفيان:

على يزيد أمين الله فاحتلوا
الحزم والجود والإيمان قد نزلوا

كالبلد ليلة كاد الشهر يتصف
ضخم الدسيعة والإيمان، غرته

وقال ذو الرمة:
في اظبية الوعسae بين جلاجل

وقال ابن أبي ربيعة:
أبصرتها ليلة ونسوتها

يمشين بين المقام والحجر
يرفلن في الريط والمروط كما

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة.^(١) وفي قوله: (وانما تقصد من كل شيء إلى
شيء) تنبئه على أن العرب لا تعمد إلى التشبيه إلا ولها هدف وغرض منه. ويلاحظ أن
المفرد يهتم اهتماماً كبيراً بإيجاد الجامع بين المشبه والمشبه به كما في أبيات ذي الرمة

^(١) الكامل: ٩٤٨ / ٢ .٩٥٢

أنفة الذكر، ومفهوم الغرابة الذي أطلقه المبرد على بعض التشبيهات يعطي معنى التدرة في الصورة التشبيهية، فهي تشبيهات نادرة الاختيار صورها غير مكرورة ولا مطروقة. ومما سبق يبرز فهم المبرد للتشبيه باستخدام عبارات البلاغيين في إجراء التشبيه: (شبـهـ تـشـبـهـ يـشـبـهـ...) ويدرك المبرد أن العرب تشبه المرأة بتشبيهات منوعة "والمرأة تشبه بيضة النعامة كما تشبه بالدرة، قال الله تعالى ﴿كَاتِنَّ بَيْضَ مَكْتُونٍ﴾ والمكتون: المحسون، والمكتون: المستور، يقال: أكنت السر، قال الله تعالى ﴿أَوْ أَكَنْتَ شَمْسَ فِي أَقْسِكُمْ﴾ وقال أبو دهبل، وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسان:

اص ميزت من جـوهـرـ مـكـنـونـ وهي زـهـراءـ مـثـلـ لـؤـلـؤـةـ الـغـوـ

وقال ابن الرقيات:

لـهـ اـفـيـ النـسـاءـ خـلـقـ عـمـيمـ وهي زـهـراءـ مـثـلـ لـؤـلـؤـةـ الـغـوـ

ومن تشبيهات المرأة التي ذكرها تشبيهها بالبردية والقصبة وقد أبرز العلاقة بين المشبه والمشبه به، قال أعرابي:

جـيـدةـ سـرـيـالـ الشـيـابـ كـانـهـاـ أـبـاءـةـ بـرـديـ سـقـنـتـهاـ غـيـولـهـاـ

"وقوله: "أباءة بريدي" الأباءة: القصبة، وجمعها الأباء، يا فتى... وإنما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون."^(١)

وقد رأيت المبرد يهتم كثيراً بتوضيح المشبه أو المشبه به، فمن ذلك:

ما قاله متمن بن نويرة:

ترـاهـ كـنـصلـ السـيـفـ يـهـتـزـ لـلـنـدىـ إـذـ الـمـ تـجـدـ عـنـدـ اـمـرـىـءـ السـوـءـ مـطـمـعاـ

"وتأويل ذلك أنه يتحرك سرور لفعل الخير."^(٢) وقوله تعليقاً على قول أعرابي:

(١) الكامل: ٢٨٦/١ - ٢٨٧.

(٢) الكامل: ٨٥٩/٢.

(٣) الكامل: ٢٤٥/١.

ترى القوم منها مطرقين كأنما

تساقوا عقارا لا يلسع ليها

"وقوله: "تساقوا عقارا" يريد: كأنهم سكارى لما نالهم من تلك العجة والعقار، اسم من أسماء الخمر،

وإنما سميت عقارا لمعاشرتها الدين.^(١) وقوله: "وقال المفسرون في قول الله تعالى: ﴿فَأَضَبَّتْ كَالصَّرِيع﴾ [القلم: ٢٠] قوله: قال قوم: كالليل المظلم، وقال قوم: كالنهار المضيء، أي: بيضاء لا شيء فيها، فهو من الأضداد. ويقال: لك سواد الأرض وبياضها، أي: عاصمها وغامرها، فهذا ما يحتاج به لأصحاب القول الأخير، ويحتاج لأصحاب القول الأول في السواد بقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَعَمَّلَهُ غَنَمَةً أَتَوْنَ﴾ [الأعلى: ٥]، وإنما سمي السواد سوادا لعمارته، وكل خضرة عند العرب سوادا^(٢).

وفي تشبيه التمثيل للمبرد مشاركات حية في التحليل، كما في قول الشاعر:

إن ابن بيضاء وترك الندى
كالعبد إذ قيد أجماله

"العبد إذ قيد أجماله... يريد أنه غير مكترث لاكتساب المجد والفضل، وذلك أن العبد الراعي إذا قيد أجماله لف رأسه ونام حجرة، وهذا شبيه بقوله: واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي..."

وقوله: فدخلوا المرء وسر باله...^(٣) ويشم من هذا التحليل أن المبرد يرمي على الغرض من التشبيه وهو الذم والقبح.

والمبرد يجري مقارنات بين بعض التشبيهات، ويفضل بعضها على بعض كما في قول إسحاق بن خلف البهاراني، ونسبه في بني حنيفة لسباء وقع عليه، يقوله لعلي بن عيسى بن مريم بن موسى بن طلحة الأشعري المعروف بالقطبي:

وجاءت تهادى وأبناؤه
كأن عليهم شروق الطفل

(١) الكامل: ١٤٤/١.

(٢) الكامل: ٣٠٥/١.

(٣) الكامل: ٤٧١/٦ - ٤٧٢.

”وقوله: كأن عليهم شروق الطفل يrides: تألق الحديد. كأنه شمس طالعة عليهم.
وإن لم تكن شمس وأحسن من هذا قوله سلامه بن جندل:

كأن النعام باض فوق رؤوسهم
وأعینهم تحت الحديد جواحم

فهذا التشبيه المصيب.^(١) ويفهم من هذا أن التشبيه المصيب ما أجاد صاحبه في اختيار أجزاءه وصورته. أو هو الذي لا يتجاوز الواقع. وإنما يصيب به القول دون إفراط.^(٢) وإذا كان هذا هو فهم المبرد للتشبيه المصيب فلديه شواهد من كلام العرب تؤيد ذلك. فقد عقد بابا طريفا عن التشبيه المصيب. وقال: ”قال أبو العباس: وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب، وللمحدثين بعدهم.“^(٣) وكان أول ما استشهد به بيت امرئ القيس. حيث عده من أحسن ما جاء في جماع الرواة ”فأحسن ما جاء في جماع الرواة: ما مر لامرئ القيس في كلام مختصر. أي: بيت واحد، من تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين، وهو قوله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وكرها العناب والخشاف البالي

فهذا مفهوم المعنى. فإن اعترض معترض فقال: فهلا فصل فقال: كأنه رطباً العناب وكأنه يابساً الخشاف! قيل له: العربي الفصيح الفطن اللقن يرمي بالقول مفهوماً. ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا. قال الله جل وعز. قوله المثل الأعلى: ﴿وَنَرْحَمَتْهُ، جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْنَ وَالنَّهَارَ لِتَشْكُوُا فِيهِ وَلِتَبْغُوَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٢]. علمًا بأن المخاطبين يعلمون وقت السكون ووقت الاكتساب.^(٤) فكان بذلك أول من فطن لهذا النوع من التشبيه (تشبيه شيء في حالتين مختلفتين بشيئين مختلفين) أو التشبيه الملفوف وإن لم يسمه. وقد أفضى المبرد في استطراد فيما يستجاد من التشبيه في شعر القدامي والمحدثين وحلل ما أتى به ذاكراً كثيراً من أصول التشبيه.

(١) الكامل: ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) ينظر: آثر النهاة في البحث البلاغي: ٢٣٢.

(٣) الكامل: ٩٢٢-٩٢٣.

(٤) الكامل: ٩٢٢-٩٢٣.

كما يستحسن المبرد لونا آخر من التعدد جاء على طريقة الجمع، فيقول: "ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار بن برد العقيلي:

وَكَانَ تَحْتَ لِسَانَهَا هَارُوتَ يَنْفَثُ فِي هَرَاءٍ حَرَاءٍ

وَتَخَالَ مَا جَمِعَتْ عَلَيْهِ بَأْوَاعَ طَرَا بَنَاهَ سَاهَةٍ

وهذا التشبيه الجامع.^(١) وبذا يكون أول من وضع مصطلح (تشبيه الجمع) الذي يحيط بكثير من أحوال الموصوف عن طريق تعدد المشبه به، وإن كان يفهم من كلامه أن التشبيه المتعدد المحتوي على جمع وترتيب لف أربع صور التعدد، وهو كذلك عند النقاد والبلاغيين.^(٢)

ومما زاد في كتاب الكامل أن المبرد ذكر أبياتاً عدها من أعجب التشبيه" ومن أعجب التشبيه قوله النابغة:

فَإِنَّكَ كَاللَّيلَ الَّذِي هُوَ مُدْرِكٌ وَإِنَّكَ خَلَتْ أَنَّ الْمُنْتَأِيَ عَنْكَ وَاسْعَ

فتتشبيه النعمان بالليل بلغ من حيث المعنى" وإنما قال: كالليل الذي هو مدركي ولم يقل: كالصبح، لأنَّه وصفه في حال سخطه، فتشبيهه بالليل وهو له، فهي كلمة جامعة لمعنى كثيرة.^(٣) ولأنَّه أوضح في بيان الهول الذي كان يكتنف الشاعر، وفي الليل دليل على النكتة التي قصدها من أنه لا يفوته وإن أبعد في الهرب، وصار إلى أقصى الأرض، لسعة ملْكِه وطول يده، وأنَّ له في جميع الآفاق عاملًا وصاحبَ جيشٍ ومطيناً لأوامرِه يرددُ الها رب عليه ويسوقه إليه.

ومثله في القدرة قوله:

خَطَاطِيفَ حَجَنَ فِي حِبَالِ مُتَبِّنَةٍ تَمَدَّبَهَا أَيْدِي إِلَيْكَ نَوَاعِزُ

(١) الكامل: ٢/٥٢-٥٣.

(٢) ينظر: بيان التشبيه (د. عبد الحميد العيسوي): ٤٧.

(٣) عيار الشعر: ٨٠.

لأنه أراد: أنت في قدرتك على خطاطيف عقفي يمد بها، وأنا كذلك متعدد بالخطاطيف، فيتجلى المشهد الذي أراده الشاعر من إبراز هول الموقف الذي يمر به والنعما يطارده.

وقوله:

إِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ
إِذَا طَلَعْتَ لَمْ يَدْمِنْهُنَّ كَوَاكِبٌ

فقد شبه الممدوح والملوك بالشمس والكواكب، وأضاف على جملة التشبيه: (إذا طلعت لم يدمنهن كوكب) التي وقعت وصفاً للمتشبه بهما، فأنبأت عن وجه الشبه المحذوف ودللت عليه، وهو: القوة الكبيرة التي تستر ما عدتها، وهذا مدح له من باب التعظيم والتكرير.

ومن عجيب التشبيه قول ذي الرمة يصف أرضًا قطعها:

وَرَدَتْ اعْتِسَافًا وَالثَّرِيَا كَأَنَّهَا
عَلَى قَمَةِ الرَّأْسِ ابْنَ مَاءِ مَحْلِقٍ

والدقة تبدو جلية في اختيار المتشبه به، وتحليل الطائر: ارتفاعه في طيرانه واستدارته في الهواء، استعداداً للتقاط سمكة.

وقوله يصف داراً:

فَجَاءَتْ بِنْسَجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهَا
عَلَى عَصَوِيهَا سَابِري مَشْبِرِقٍ

فتشبه نسج العنكبوت بالثوب الرقيق الممزق، والعصا: عرقوة الدلو والإثنان عصوان، وتأويله: أنه يصف ماء قدماً لا عهد له بالوراد، فقد اصفر واسود فقال:

وَمَاءُ قَدِيمِ الْعَهْدِ بِالنَّاسِ أَجْنَانٌ
كَأَنَّ الدَّبَابَ مَاءَ الْغَضَاظِ فِيهِ يَصْقِ

والأجنان: الماء المتغير من طول العهد والقدم أجن يأجن ويأجن أجونا يقال كأن الدباصق في الماء مما أكمل من الغضا أحضر أسود والدب جراد صغار لم يطر، ومن التشبيه العجيب قول ذي الرمة في صفة الظليم:

شخت الجزارة مثل البيت سائره

من المسوح خدب شوقب خشب^(١)

والشخت: الضئيل اليابس الضعيف، والجزارة: القوام قوله: مثل البيت سائره من المسوح: يعني إذا مد هذا الطائر جناحيه، وأراد سائره مثل البيت من المسوح يريد بيتأ من شعر شبهه به لسواده. وخدب: ضخم، وشوقب: طويل. قال ابن قتيبة: "هودقيق القوائم، وسائر خلقه كييت مسوح، خدب ضخم، شوقب طويل، خشب جاف، مسمما كان عودان، صقبان طوبلان"^(٢)

وهنا نتساءل لم عد هذه الأبيات من التشبيه العجيب والأعجوب؟ ما ميزان العجب عنده؟ وعند النظر فيما فضل من أبيات نجد أن ميزان العجب عنده فيما تحويه الصورة التشبيهية عنده من اكتمال، ووفاء المشبه به بالدلالة على تقريب المشبه، واتحاد المشبه به والمشبه.

ويتعجب المبرد من دقة الصورة البينانية في قول ذي الرمة:

على عصويها سابري مشبرق

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه

"يريد أن الفجر قد نجم فيه. فجاءت - يعني الدلو - بنسج العنكبوت، كأنه على عصويها سابري مشبرق. والسابري: الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق: الممزق".^(٣) ويغوص كتاب الكامل بالكثير من التشبيهات الجيدة والمستحسنة عند المبرد من مثل: قول قيس بن ذريح:

إِلَيَا مِنْ الْعَامِرِيَّةِ أُوْبِرَاجُ	كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةً قِيلَ يُغَدَى
تُجَازِبُهُ وَقَدْ عَرَقَ الْجَنَاحُ	قَطَاهُ عَزَّهَا شَرَكْ فَبَاتَ
فَعُ شَهْمَاتُ صَفَقَهُ الرَّيَاحُ	هَمَافَرْخَانِ قَدْ تَرَكَابِوَكْ
وَلَا فِي الصُّبْحِ كَانَ لَهَا بَرَاجُ	فَلَا فِي الْلَّيلِ نَالَتْ مَا تَمَنَّتْ

(١) الكامل: ٩٢٦-٩٢٣/٢

(٢) المعاني الكبير لابن قتيبة: ٣٤٦/١ الآيات في النعام.

(٣) الكامل: ٩٢٥/٢

والمعنى أنني لما أحسست بالليلة التي همت ليلي بالفارق في صبيحتها أو في وقت الروح من عشيتها صار قلبي في الخفقان كقطاعة وقعت في شرك فبقيت ليلتها تجاذبه والجناح قد علق لا متخلص له.

وتصفيق الرياح تحريكها وهبوبها، أي: وحال القلب حين أحس بما ذكر كحال القطة المذكورة وقد تركت خلفها فرخين لها فإذا سمعا صوت الريح في عشهما ظنا أنه صوت جناح أحدهما.. وجمال الصورة الترثيكية في الطرفين ودقة التصوير هما اللذان دعوا المبرد إلى جعل هذه الأبيات من المستحسنات في التشبيه، فقال: "وقد قال الشعراء قبله فلم يبلغوا هذا المقدار".^(١)

ومن التشبيه محمود قول الشاعر:

طليق الله لم يمنن عليه أبو داود وابن أبي كثير
ولا الحجاج عيني بنت ماء تقلب طرفه حذر المصور

"وهذا غاية في صفة الجبان".^(٢) وكان الحجاج منسلق الجفان ولذلك شبه بطير الماء، ووجه المحمدة ما روعي في الطرفين من الدقة في الوصف.
وقول الآخر:

تشكوا الخشاش ومجرى النسعتين كما أن المريض إلى عواده الوصب
وشكوى الناقة ما يتبعن عليها من هملان عينها وكثرة صريفها، فشبّهه بالمريض الذي يشكّو ويثنّ أعينا من فرط ما يجد.
وقال الشماخ - وهذا من التشبيه العجيب:

فقربت مبرأة تخال ضلوعها من الماسـ خيات القسي المؤـ طرا
وذلك بتشبّيه ضلوع ناقته بتلك الأقواس الصلبة المتينة المتثنية.

(١) الكامل: ٩٢٩/٢.

(٢) الكامل: ٩٣٠/٢.

وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي:

وكانما انتطحت على أثاجها فدر بشابة قد يم من وعولا

أراد: كأن أضلاع هذه الإبل فوق هذه الرمال، وعول انتطحت، فاجتمعت رؤسها وقرونها.

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة:

كأن إبريقهم ظبي على شرف مقدم بسبا الكتان ملائم

والفدام واللثام واحد وهو ما شدته على فم الإبريق أو فم الإنسان ومن ذلك قيل رجلٌ
فدمٌ كأن على فمه غطاءً وملثوم بلثام وكانت أباريقهم قديماً بأرجلٍ فلذلك شبهاً شبهوها

بالظباء لطول عناقها وقوائمها، وقد نعت المبرد ذلك بالحسن، "فهذا حسن جداً."^(١)

ويصل المبرد بعد ذكر هذه التشبيهات إلى أن التشبيه بباب واسع ومفصل "والتشبيه
كثير، وهو باب كأنه لا آخر له، وإنما ذكرنا منه شيئاً لثلا يخلوه هذا الكتاب من شيء من
المعانى."^(٢) وقال: "والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر

كلامهم، لم يبعد."^(٣)

كما تحدث عن وجه الشبه بين الأشياء والجامع بين الطرفين عند العرب ممثلاً بما
استخدموه من تشبيهات "فاعمل أن للتشبيه حداً، لأن الأشياء تشبه من وجوهه، وتبين
من وجوهه، فإنما ينظر إلى التشبيه من أين وقع، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر فإنما
يراد به الضياء والرونق، ولا يراد به العظم والإحراق. قال الله جل وعز: ﴿كَانُوا يَقُولُونَ
مَكْنُونٌ﴾، والعرب تشبه النساء ببعض النعام، تزيد نقاهه ورقه لونه، قال الراعي:

كأن بعض نعام في ملاحها إذا جلتاهن قيظ لياله ومد^(٤)

(١) الكامل: ٩٣٤/٢

(٢) الكامل: ١٠٥٧/٢

(٣) الكامل: ٩٩٦/٢

(٤) الكامل: ٩٤٨/٢

فالتشبيه في حقيقته يفيد المغایرة بين الطرفين، كما يقتضي الإلحاد والقياس والاشراك في بعض الوجه، مع بقاء حقيقة كل من الطرفين مستقلة بذاتها، متميزة بصفاتها الأخرى التي تميّزها عن الطرف الآخر.

وقد رأيت للمفرد مشاركات نقديّة فيما يعرض من صور التشبيه، فنراه ينقل من العلماء توجيهاتهم في أبيات التشبيه، ويعقبها بالتوجيه وإبداء الرأي، كما فعل حين وقف على بيت امرئ القيس:

كَانَ أَبَا نَاسٍ فِي أَفَانِينَ وَدَقَّهُ كَبِيرُ أَنَّاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمْلٍ

فقال: ”وقوله: كَبِيرُ أَنَّاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمْلٍ... يزيد مزملًا بثيابه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرَّمُ ۖ ۚ قُوَّىٰ أَيَّلَ لِأَقْتَلَا﴾ [المزمول: ٢ - ١] وهو المتزمل بثيابه، والباء مدغمة في الزاي. وإنما وصف امرؤ القيس الغيث. فقال قوم: أراد أن المطر قد خنق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل. وقال آخرون: إنما أراد ما كساه المطر من خضرة النبت. وكلاهما حسن. وذكر الودق لأن تلك الخضرة من عمله.^(١) وكانت إضافته رائعة في بيان سر اختيار الودق ومناسبته لما ورد في البيت.

ومن مشاركاته المعللة في تقييم التشبيه قوله في بيت زهير:

كَانَ فَتَاتَ الْعِهْنَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلَنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَالِمِ يُحَطَّمُ

”الفناء: شجر بعينه، يثمر ثمرةً أحمر ثم يتفرق في هيئة النبق الصغار، فهذا من أحسن التشبيه. وإنما وصف ما يسقط من أنماطهن إذا نزلن.“^(٢) وكأنه يشير إلى سبب إطلاقه الحسن على هذا البيت، وفيه كما ترى إشارة إلى دقة التشبيه، ووجه الدقة بتشبيهه ما يناثر من فتات الأرجوان بحب الفنا الذي لم يحطّم، لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن، فإذا لم يحطّم لم يظهر فيه بياض البتة، وكان خالص الحمرة.^(٣)

(١) الكامل: ٩٩٤/٢.

(٢) الكامل: ٩٩٥/٢.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وأدبها: ١٥٧/١.

والتشبيه الوهمي حاضر في كتاب المبرد ”وقال: ﴿ طَلَعُهَا كَانَهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصفات: ٦٥] وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين، في هذه الآية. فقال: إنما يمثل الغائب بالحاضر، ورؤوس الشياطين لم نرها، فكيف يقع التمثيل بها! فهو لاء في هذا القول كما قال الله جل وعز: ﴿ إِنَّ كَذَّابًا إِمَّا تُحْيِطُوا بِعِلْمِهِ، وَإِنَّمَا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يوسوس: ٢٩]. وهذه الآية قد جاء تفسيرها على ضربين: أحدهما، أن شجراً يقال له الأستن، منكر الصورة يقال لنثره ”رؤوس الشياطين“، وهو الذي ذكره النابغة في قوله:

تحيد عن أستن سود أسافله ...

وزعم الأصممي أن هذا الشجر يسمى الصوم.

والقول الآخر - وهو الذي يسبق إلى القلب -: أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد. فكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة مما تنفر منه كل نفس.”^(١) فكان المبرد بهذه الإشارة من أسبق من تحدث عن التشبيه الوهمي وإن لم يسمه بما اصطلح عليه البلاغيون فيما بعد.^(٢)

ويدخل المبرد في التشبيهات المستحسننة التشبيهات التي ينص فيها على قيد خاص في أحد الطرفين أو فيهما، يكون له مدخل فيإصابة وجه الشبه، إدراكا منه لأهمية القيد في اكتمال وصحة المراد من الصورة. يقول: ”ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله:

كأن عيون الوحش حول خبانا
وارحلنا الجزع الذي لم ينقب“^(٣)

وفي جانب تقسيم التشبيه فإن المبرد يعدّ من أوائل من قسم التشبيهات إلى تقسيمات متعددة، بدأها بالتشبيه المصيب، وجعله أهم أقسام التشبيه، وعني به التشبيه ”الذي لا يتتجاوز الواقع، وإنما يصيب القول دون إفراط، وهو ما اتفق الناس على صدقه وعدم تجاوزه الحدود المتعارف عليها.“^(٤)

(١) الكامل: ٢/٩٩٦.

(٢) انظر: الإيضاح: ٤٥٤؛ شروح التلخيص: ٢/٣٤٤ و ٢/٣٤٥، وقد عرفه الخطيب” وهو ما ليس بمدرك بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها.“

(٣) الكامل: ٢/٩٢٣.

(٤) المختصر في تاريخ البلاغة: ٦٧.

ويمكن أن نصل من خلال أبياته التي طرحتها إلى ما كان يطلبه من التناسب بين الطرفين، وإصابة الأديب في الجمع بينهما. وبهذا المفهوم نحكم بأن المبرد من خلال أبياته كشف لنا عن هذا المفهوم.

والنوع الثاني من التشبيه هو التشبيه المتجاوز المفترط الذي: يتحقق المبالغة في الصفة التي تجمع بين طرفين التشبيه، وباختياره لتشبيه النساء لأنها صخراً وتعلقه عليه يتضح ذلك المفهوم. قالت النساء:

وَانْصَارًا لِتَائِمِ الْهَدَاءِ بِهِ ... كَانَتْ عَالَمًا فِي رَأْسِهِ نَارٌ

فبالغت في الوصف أشد مبالغة، وأوغلت إيجالاً شديداً بقولها "في رأسه نار" بعد أن جعلته علمًا، وهو الجبل العظيم. قال المبرد: "فجعلت المهدى يأتى به، وجعلته كنار في رأس علم"^(١)

ومن إفراط التشبيه قول أبي خراش الهذلي بصف سرعة ابنه في العدو: **كَانُوهُمْ يَسْعُونَ فِي إِثْرِ طَائِرٍ ... خَفِيفُ الْمَشَاشِ عَظِيمُهُ غَيْرُ ذِي نَحْضٍ**

يُسَارِدُ جَنَاحَ اللَّيلِ فَهُوَ مَهَابٌ ... يَحْثُرُ الْجَنَاحَ بِالْتَّبَسْطِ وَالْقَبْضِ

فالقوم الذين يعدون خلف خراش كأنهم في سرعتهم يتعلّقون بطار خفيف قليل اللحم. يسرع حين يقبل الليل عليه، ويحثّ جناحه ببساطهما وقبضهما. ويفقد المبرد من هذا النوع من التشبيه موقف الإعجاب، ويرى من حق الشاعر أن يتناوله في شعره، فيقول مثلاً: "وَمَنْ تَشَبَّهُمْ مَتَّجَازُ الْجَيْدَ النَّظَمَ مَا قَدْ ذَكَرَنَا، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيِّ":
آضَاءَتْ لَهُمْ أَخْسَابَهُمْ وَوْجُوهُهُمْ ... دُجِّيَ اللَّيلُ حَتَّى نَظَمَ الْجَزْعَ ثَاقِبَهُ"^(٢)

فالمعنى تم للشاعر لما انتهى في بيته إلى قوله: (دُجِّي الليل) ولكنه زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب في قوله: (حتى نظم الجزء ثاقبها). خزانة الأدب: ذكر المبالغة: قوله: نظم الجزء ثاقبها. يريد أنهم لو استضاء بضيائهم في غياب الظلام من ينقب الخرز الذي هو أشد شيء لأبصر ذلك فكيف بما هو أظهر؟

(١) الكامل: ٩٤١/٢

(٢) الكامل: ١٠٣٤/٢

والمعنى: أن أحسابهم ووجوههم أضاءات لهم ظلام الليل حتى حملت في ضمن ذلك نظام الجزع على نظمه يشير بهذا البيت إلى أنه من ذوي الجاه والحسب. والنوع الثالث من التشبيه: التشبيه المقارب، وهو التشبيه الصريح الذي يقوم بنفسه ولا يحتاج إلى تفسير أو تأويل، لأنه ظاهر واضح بسيط.^(١) وممثل له المبرد بقول الشماخ في صفة الفرس:
مُفِّج الحَوامي عن نسورٍ كأنها ... نوى القسبٍ تَرَت عن جريمٍ مُلْجَاج^(٢)

فالتشبيه هنا واضح إذ شبه الشاعر نسور الفرس بالبنى الصلبة. والنوع الرابع من التشبيه البعيد وهو التشبيه الذي يبعد فيه الشاعر والأديب بفهمه عن فهم الناس فيتناول صورة تشبيهية بعيدة عن أفهم الناس، وقد تناول المبرد فيه قول الشاعر:
بل لورأتهي أخت جيراننا ... إذ أنا في الحَيِّ كأنني حمار

قال المبرد: ”فإنما أراد الصحة فهذا بعيد، لأن السامع إنما يستدل عليه بغيره“^(٣) والذي جعل التشبيه بعيداً أن قصد الشاعر يختلف عن فهم الناس، فالسامع يتدار إلى ذهنه ولأول وهلة أن القصد من التشبيه تشبيه نفسه بالحمار في البلادة والغباء وسوء التصرف، ولا يتطرق إلى ذهنه أن الشاعر كان يقصد من ذلك: أنه في غاية الصحة وكمال القوة. ولا شك أن الوصول إلى هذا المقصود يحتاج إلى تفسير وتأويل، لأنه غير بين وغير واضح بنفسه والسامع يستدل عليه بغيره.

والنوع الخامس من التشبيه الملحوظ، وهو نوع من التشبيه مقبول وطريف لما يشتمل عليه من طرافة وجدة. ومن ملحوظ التشبيه عند المبرد قوله القائل:
لعيناكَ يومَ البَيْنِ أسرعَ وَاكِفًا ... من الفَنَنِ المَمْطَورِ وَهُوَ مَرِيجٌ

ووجه ملاحظته عند المبرد: أن الشاعر شبه دموع عيني محبوبته يوم الفراق بالغضن الذي يقع المطر على ورقه، ثم تهب الريح فيتتساقط ماء المطر من الورق قطرات، وهي صورة رائعة. وذاك أن الغصن يقع المطر في ورقه فيصير منها في مثل المداهن، فإذا هبت به الريح لم تلبثه أن تقطره.^(٤)

(١) انظر: المختصر في البلاغة: ٦٧.

(٢) الكامل: ٢/١١٢.

(٣) الكامل: ٢/١٠٣٦.

(٤) الكامل: ٢/١٠٣٩.

والنوع السادس التشبيه الجيد وهو ما وصفه المبرد بقوله: "وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه، وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة، ونبه فيه بفطنته على ما يخفي عليه"^(١) وقد قدم المبرد قول طرفة:

تَرَى النَّاسَ أَفواجاً إِلَى بَابِ دَارِهِ ... كَانُهُمْ رِجَالَ دَبَّاً وَجَرَادِ

في يوماً لِإِلْحاقِ الْفَقِيرِ بِذِي الْغِنَى ... وَيَوْمَا رَقَابُ بُسْوَكَتُ بِحَصَادِ

وهنا شبه الشاعر ازدحام الناس أمام دار ممدوحه بازدحام الجراد ودبب الأرجل، ليصل من ذلك إلى كثريتهم، واستيعاب ممدوحه لهم.

والنوع السابع من التشبيه الحسن، ولعل هذه التسمية لأن تلك الأبيات نالت استحسان الناس، لحسن اختيار الشاعر صورة التشبيه فيها، وتناسب الطرفين، وقد مثل له بقول عنترة:

وَغَادَرْنَ تَضْلَةً فِي مَعْرَكَةِ يَجْرِيُ الْأَسْنَانَةَ كَالْمُحَاطِبِ

وبسبب استحسان المبرد لبيت عنترة حسن التشبيه بين المطعمون بالرماح وهو يغادر المعركة وحامل الخطب، ووجه الشبه الحمل في كل "يقول: طعن وغودرت الرماح فيه، فظل يجرها، كأنه حامل خطب."^(٢) إلى غير ذلك من أنواع التشبيه كالعجب والمحمد التي حكم عليها المبرد بذاته النقدية، وأبدى رأيه فيها.

ونخلص من ذلك إلى أن المبرد قد أطلق التشبيه كثيراً من الأسماء التي تدل على حسنها وملاحتها، ثم أرجعها إلى أربعة أضرب، فقال: "والعرب تشبيه على أربعة أضرب: فتشبيه مفرط، وتشبيه مصبيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه: وهو أحسن الكلام."^(٣)

ولكن دراسته لها كانت دراسة مهتمة بإطلاق النعوت والأحكام الموظفة للجمال المتحقق في النص الأدبي، وحظه من الحسن وفضل تشبيه على آخر، ومدى قرب التشبيه أو بعده، أو مقارنته أو إفراطه أو قبحه، والذي يحسب له أن جمع تلك مكان

(١) الكامل: ١ / ٣٨٥.

(٢) الكامل: ٢ / ٩٤١.

(٣) الكامل: ٢ / ٣٢٠ وما بعدها.

واحد و خص كل قسم بشوahد شعرية تعين على فهم مراده، فكانت أول دراسة أدبية اعنت بالتشبيه، وميّزت وجهه وأشكاله.

٢. المجاز المرسل:

تناول المفرد المجاز المرسل في موضع متفرقة من كتابه الكامل دون أن يفرد له باباً أو يسميه باسمه الاصطلاح المعروف أو يقصد إليه قصداً، وإنما ذكره استطراداً، ومن العلاقات التي تناولها المفرد:

- علاقة المجاورة:

وكان تناوله لها عن طريق التفسير والتحليل للشاهد البلاغي في قول رجل منبني تميم:

زاد يُمَنْ عَلَيْهِمُ الْأَمَانٌ
إنَّ الَّذِينَ يَسْوَغُونَ أَعْنَاقَهُمْ

"وقوله: "يسوغ في عناقهم" يريد حلوقهم لأن العنق يحيط بالحلق، ويشبه هذا في الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القطامي:

لم تر قوماً هم شر لإخوتهم
من أعشية يجري بالدم الوادي
تقريهم له نذمات نقد بهما
ما كان خاطعاً لهم كل زراد

لأن الخليطة تضم خرق القميص، والسرد يضم حلقة الدرع، فضريه مثلاً جعله خليطة^(١) فالاتساع في اللغة يسوغ هذا الاستعمال، ولكن العنق يحيط بالحلق جاز الاستعمال من باب المجاورة. وقد صرخ المفرد بعلاقة المجاورة وهو يتناول قول عبيد بن أيوب العنبري:

أهابوا به فازداد بعدها وصده
عن القرب منهم ضوء برقٍ ووابله

"وقوله: "ضوء برق ووابله"، أراد صده عنهم ضوء برقٍ ووابله، فأضاف الوايل من المطر إلى البرق، وإنما الإضافة إلى الشيء على جهة التضمين، ولا يضاف الشيء إلى الشيء إلا وهو غيره أو بعضه، فالذي هو غيره: غلام زيدٍ دار عمرو، والذي هو بعضه: ثوب خز،

(١) الكامل: ٨٢/١.

وختام حديد، وإنما أضاف الوابل إلى البرق، وليس هوله، كما قلت: دار زيد، على جهة المجاورة، وأنهما راجعان إلى السحابة.

وقد يضاف ما كان كذا على السعة، كما قال الشاعر:

حتى أنخت قلوصي في دياركم بخير من يحتذى نعلًا وحافيهما

فأضاف الحافي إلى النعل، والتقدير: حافٍ منها.^(١) فالمسوغ لهذه العلاقة هو الاتساع في اللغة.

- علاقة السببية: كما أشار إلى علاقة السببية دون تسميتها في تحليله لقول الكلابي:

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خاتمة مغلل الإصبع

"يقال: لفلان عليك يد، وفلان عليك إصبع، وكل جيد، وإنما يعني هنا النعمة."^(٢) تزيد باليد والاصبع النعمة، لأنها سبب فيها.

- علاقة ماسينيول إليه: أشار إليها في تحليله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَرْبَعَ أَعْصُرَ حَمَرَ﴾

[يوسف: ٢٦] أي: أعرص عنناً فيشير إلى هذه الحال.^(٣)

الواطئين على صدورِ نعالهم يمشون في الدفني والأبراد

- علاقة الجزئية: هناك إشارة منه إلى هذه العلاقة عن طريق تحليله لقول الأعشى:

"يريد السود والنعمة ولم يخص الصدور، وإنما أراد النعال كلها." ^(٤) فذكر الجزء وهو الصدر وأراد النعال كلها.

٢. الاستعارة:

من خلال دراستنا لكتاب الكامل وجذنا للمفرد إشارات تحليلية ومصطلحية في الاستعارة. متنوعة تنظيراً وتطبيقاً، على النحو التالي:

(١) الكامل: ٤٤٤/١.

(٢) الكامل: ٤٦٥/١.

(٣) الكامل: ٩٩٥/٢.

(٤) الكامل: ٧٩/١.

- وقوفه مع قول المصطفى ﷺ: "ألا أخبركم بأحبحكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيمة؟ أحسنكم أخلاقاً، الموطأون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم مني مجالس يوم القيمة؟ الثرثرون المتفيهقون". فقد أطلق على قوله عليه الصلاة والسلام "الموطأون أكنافاً" أنه مثل، وحقيقة أن التوطئة هي التذليل والتمهيد، يقال: دابة وطيء، يا فتى، وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره، وفراس وطيء إذا كان وثيراً لا يؤذني جنب النائم عليه، فأراد القائل بقوله: "موطاً الأكناfa" أن ناحيته يمكن فيها صاحبها غير مؤذن، ولا ناب به موضعه.^(١) وأول ما يستوقفنا في هذا النص إطلاق المثل الذي عرف فيما بعد بـ"الاستعارة التمثيلية" وثانياً: الإشارة إلى الحقيقة والأصل في المعنى المجازي وأن هناك لفظاً ينقل من معناه الموضوع له إلى معنى آخر، أي: أن اللفظ المنقول، أو ما يطلق عليه المستعار يجب أن يكون له أصل أو حقيقة يدل عليها بأصل وضعه، وثالثاً: حسن التحليل فيما تناوله في الحديث من استعارة، بحيث يستطيع القارئ أن يميز بين المعنى الحقيقي للفظة والمعنى المجازي وعلاقة المشابهة القائمة بين طرفي الاستعارة، ثم تأمل كيف أجريت الاستعارة في موطاً الأكناfa عند المبرد، باستعارة الفراش الوثير لصاحب الخلق في أن كليهما" غير مؤذن، ولا ناب به موضعه" ولا يلبي المبرد إلا أن يقف مع لفظة (الثرثرون) مبيناً دلالتها المجازية" وقوله ﷺ: "الثرثرون" يعني الذين يكثرون الكلام تكلافاً وتتجاوزاً، وخروجاً عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء، يقال: عين ثرثرة، وكان يقال لنهر بعينه: الثرثار، وإنما سمي به لكتلة مائه^(٢) فيهتم بإرجاع المعنى المجازي إلى أصل حقيقته، ليبين جمال الاستعارة وحسن اختيارها، أو بمعنى آخر: الحرص على إبراز العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي من خلال تحليلاته.

ويكترأن نجد اهتماماً من المبرد بإرجاع اللفظة المجازية إلى أصلها، ليعيها القارئ ويعي العلاقة القائمة بين المعنين، كما في تعليقه على رسالة عمر في القضاء، ومنها "الفهم الفهم فيما تجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة..."^(٣) فيجري الاستعارة

(١) الكامل: ٦/١.

(٢) الكامل: ٧/١.

(٣) الكامل: ٢٠/١.

في لفظة (تلجلج)، وإجراء الاستعارة يعني إيجاد العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ”وقوله: ”فِيمَا تَلْجَلَ فِي صُدُرِكَ“ يقول: تردد وأصل ذلك المضفة والأكلة يرددتها الرجل في فمه فلا تزال تتردد إلى أن يسيغها أو يقذفها، والكلمة يرددتها الرجل إلى أن يصلها بأخرى، يقال للعيي: لجلج، وقد يكون من الآفة تعترى اللسان، قال زهير:

تلجلج مضفة فيها أنيضٌ...
أصلت، فهـي تحت الكشح داء”^(١)

لقد كان المبرد على علم بمصطلح الاستعارة، فنراه يستخدمها في تحليلاته كما كان يجري الاستعارة بإجراء البلاغيين لها، ومن ذلك:

وقوفه عند قول رجل من طيء:

لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوى
وقد جاوزت حبي جديس رعالها
وتحت نحور الخيل حرشف رجلة
تتاح لحبات القلوب وبالهـا

قال: ”والعجز مؤخر العسكر هنا، وهو مستعار... والحرشف: نبت يكثر في البدية، وإنما شبه النبل به في الكثرة“^(٢) ”لفظة“ وهو مستعار ”تدلنا دالة قوية على معرفة المبرد للاستعارة وفهمه لها، والتعبير (شبه) في إجراء الاستعارة دليل آخر على فهمه البلاغي للاستعارة، كما أن من أهداف المبرد في دراسة الاستعارة إبراز الجامع بين الطرفين ” وإنما شبه النبل به في الكثرة“. ومن ذلك قوله معلقاً على قول جرير يرثي ابنه سوادة:

هذا سوادة يجلو مقلتي لحمٍ
باز يصرصر فوق المرقب العالى
فارقته حين غض الدهر من بصرى
وحين صرت كعظم الرمة البالى

” قوله: ”يجلو مقلتي لحم“، شبه مقلتيه بمقلتي البازى، ويقال: ”طائر لحم“ يريد الحر من أحراز الطير وسباعها، وهي التي تصيد الطير وتأكل اللحم، ويقال: صائد لحم من هذا.

(١) الكامل: ٢٢/١.

(٢) الكامل: ١٢٦/١ - ١٢٧.

وقوله: "يصرص" يعني يصوت، يقال: صرص البازي والصقر، وما كان من سباع الطير.
ويقال: صرص العصفور؛ وأحسبه مستعاراً لأن الأصل فيه أن يستعمل في الجوارح من

الطير، قال جرير:
وقال آخر:

باز يصرص بالسهمي قطاً جونا كما صرص العصفور في الرطب الثعد.^(١)

ونلاحظ أن المفرد لا يكتفي بذكر رأيه مجرداً، بل يورده معللاً ببيان السر في جعله لفظ (يصرص) مستعاراً، ثم لاحظ فهمه للاستعارة باستخدامه الإطلاق البلاغي لأحد أركان الاستعارة (وأحسبه مستعاراً).

وفي تعليق ثالث على قول لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي

لو كنت من هاشم أو منبني أسدٍ أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصيد

أو منبني نوفل أورهط مطلبٍ لله درك لم تهمـم بتهـديـدي

أو في الذؤابة من قوم ذوي حسبٍ لم تصبح اليـوم نكسـاً ثـانيـ الجـيد

أو منبني زهرة الأخيـار قد عـلمـوا أو منبني جـمـعـ البيـضـ المناـجـيدـ

أو في السـرارـةـ منـ تـيمـ رـضـيـتـ بهـمـ أو منبني خـلفـ الخـضرـ الجـلاـعيـدـ

"وقوله: "الخضر الجلاعيـدـ" يقال: فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم، كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهبٍ
أـخـضـرـ الجـلاـعـدـ فـيـ بـيـتـ الـعـربـ

فهـذـاـ هوـ القـولـ الأولـ.ـ وـقـالـ آخـرـونـ:ـ شـبـهـهـمـ فـيـ جـوـدـهـمـ بـالـبـحـورـ"^(٢)ـ وـالـقـولـ الأولـ
يـصـرـفـ الـكـلـامـ إـلـىـ الـكـنـايـةـ عـنـ سـوـادـ جـلـودـهـمـ،ـ وـالـقـولـ الثـانـيـ يـصـرـفـ الـكـلـامـ إـلـىـ
الـاسـتـعـارـةـ،ـ وـقـدـ أـجـرـاهـاـ دـوـنـ أـنـ يـسـمـيـهـاـ هـنـاـ..ـ

(١) الكامل: ٢٨٧/١-٢٨٨.

(٢) الكامل: ٣٢٩/١.

وقد يجري المفرد الاستعارة بالنص على ذكر الطرفين كما في قول الكميت " وقال
الكميت:

دوالح وافقن النجم الواجه سا وفقاً فيها الغيث من سايائه

فشباه ماء الغيث بماء السايابيء ^(١)

ومما يؤكّد فهم المفرد للاستعارة تصريحه بها في تعليقه على قول الراعي:

داع دعا في فروع الصبح شجاج! يانعمهاليه حتى تخونها

"وقوله: "شجاج". إنما هو استعارة في شدة الصوت، وأصله للبلغ، والعرب تستعير من بعض لبعض. قال العجاج ينعت حماراً:

عواداً دوين الله وات موجاً كأن في فيه إذا ما شحجا

وقال جرير:

إن الغراب بما كرهت لمولع بنوى الأحبة دائم التسحاج

فأشار إلى الاستعارة وذكر وجه الشبه (شدة الصوت) بين المشبه والمشبه به. فالعلاقة بين الداعي والشجاج (البلغ) شدة الصوت. كما أن المفرد أسس قاعدة تبين لنا جذور هذا المصطلح البلاغي عند العرب، فالعرب تستعير من بعض كلامها لبعضه.

وشاهد آخر يؤكّد لنا فطنة المفرد للاستعارة، وفهمه لها، وهو هو يجريها بتحديد "اللفظ المستعار" والمغل الذي عنده غلول، وهو ما يختان ويحتاجن، ويستعمل مستعاراً في غير المال. يقال: غل يغل كقول الله عزّل: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

[آل عمران: ١٦١] ^(٢)

(١) الكامل: ٣٥٢/١

(٢) الكامل: ٣٧١/١

(٣) الكامل: ٤٦٤/١

ومن شواهد الاستعارة في كتاب الكامل وقوفه عند قول جرير وقد نزل بقوم من بنى العنبر بن تميم فلم يقروه حتى اشتري منهم القرى فانصرف وهو يقول:

هل أنتم غير أو شابٍ زعافٌ
ريش الذباب وليس الرأس كالذنب

فقد ذكر المفرد " وأما الزّعاف فأصلها أجنحة السمك، سمي بذلك الأدعية، لأنهم التصقوا بالسميم كما التصقت تلك الأجنحة بعظام السمك، قال أوس بن حجر:

ومازال يفرى الشد حتى كأنما
قوائمـهـ فيـ جـانـيـهـ زـعـافـ (١)

فالزعاف مستعار للأدعية.

وقد تحدث المفرد عما سمي فيما بعد عند البلاغيين بالاستعارة الحرفية، وفطن للتوسيع الذي يجري في الحروف، فيخرجها عن معناها الأصلي في الوضع اللغوي " ومثل هذا قولهم: فلان على الدابة، وعلى الجبل، أي: فوق كل واحد منهما ثم تقول: فلان عليه دين تمثيلاً وكذلك ركبته دين، وإنما يريد أن الدين علاه وقهره، وكذلك فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها، وكذلك: علا فلان القوم، إذا علاهم بأمره وقهراهم، أو جعل في هذا الموضع." (٢) والحرف المذكور (على) وكأنه بتفسيره يشير إلى دلالة الاستعارة فيه، وأنه يتناول جانبي، أحدهما: حسي يتحقق في الأشياء المادية، مثل المفرد لها بالجبل والدابة، ووردت فيه (على) على أصل معناها. والجانب الآخر: معنوي، فالمال كالهم على المدين، وكأنه يركبه ويعلوه ويهزه كما ترکب الدابة، وفلان على الكوفة، كأنه يعلو على الرعية بسلطانه، وهذا هو معنى الاتساع الذي يحقق إجراء الاستعارة في هذا الحرف.

وقد عرف المفرد الاستعارة التمثيلية، وسماتها مثلاً. وفي تحليلاته يتضح هذا النسخ لديه من مثل قول نظلة السلمي في يوم غول:

ولم يخشوـاـ مـطـالـتـهـ عـلـيـهـ
وتحـتـ الرـغـوةـ اللـبـنـ الصـرـيجـ

(١) الكامل: ٥٧٧-٥٧٨/٢.

(٢) الكامل: ٥٢/١.

" قوله: وتحت الرغوة اللبن الصريح... يقول: إذا رأيت الرغوة وهو ما يرغو كالجلد في أعلى اللبن لم تدر ما تحتها. فربما صادفت اللبن الصريح إذا كشفتها. أي: أنهم رأوني فازدروني لداماتي. فلما كشفوا عنى وجدوا غير ما رأوا. والصريح: الممحض الحالص، من ذلك قولهم: عرب صريح أي: حالص، ومولى صريح.^(١) ومن خلال هذا التحليل لهذا المثل يتضح كيف يربط المبرد بين المثل واستعماله من خلال بيان الحال التي عليهما المتكلم. تحت ما يسميه البلاغيون بالاستعارة التمثيلية. وهو وإن لم يسمها إلا أنه اجراها في المثل بما يدل على فهمه لها. وفي شاهد نبوي آخر ويروى أن رسول الله ﷺ قال: "من كان آمناً في سريه، معافٍ في بدنـه، عنده قوت يومـه، كان كمن حيزـت له الدنيـا بـحـذا فـيرـها".^(٢) يقول المبرد: "قوله ﷺ: في سريـه" يقول: في مسلـكهـ، يـقالـ: فـلانـ واسـعـ السـربـ وـخـليـ السـربـ، يـرـيدـ المسـالـكـ والمـذاـهـبـ، وإنـماـهـوـ مـثـلـ مـضـرـوبـ للـصـدـرـ وـالـقـلـبـ، يـقالـ: خـلـ سـريـهـ، أيـ: طـرـيقـهـ حتـىـ يـذـهـبـ حـيـثـ شـاءـ، وـيـقـالـ ذـلـكـ لـلـإـبـلـ، لأنـهـ تـنـسـرـبـ فـيـ الـطـرـقـاتـ، وـيـقـالـ: سـربـ عـلـيـ الإـبـلـ، أيـ: أـرـسـلـهـاـ شـيـئـاـ بـعـدـ شـيـئـ،"^(٣) يـيرـزـ لـلـقـارـئـ وـضـوـحـ المـثـلـ وـاجـرـاءـهـ عـنـدـ المـبـرـدـ بـمـنـ جـمـعـ اللـهـ لـهـ بـيـنـ عـافـيـةـ بـدـنـهـ وـأـمـنـ قـلـبـهـ حـيـثـ تـوـجـهـ وـكـفـافـ عـيـشـهـ بـقـوـتـ يـومـهـ وـسـلـامـةـ أـهـلـهـ، وـفـيـ قـوـلـ عـمـارـةـ:

أـمـاـفـيـهـمـ كـرـيمـ مـثـلـ نـصـرـ
يـورـعـ عـنـهـمـ سـنـنـ الـفـحـولـ

تناول المبرد هذه الاستعارة. فقال: "قوله: يورع عنهم سنن الفحول... إنما هو مثل ضربه، فجعلهم لإمساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل."^(٤) كما تناولها في قول لقمان لابنه: يا بني، إذا أتيت مجلس قوم فارتهم بسهم إسلام ثم اجلس فإن أفاضوا في ذكر الله: فأجل سهمك مع سهامهم، وإن أفاضوا في غير فخلهم وانهض.

(١) الكامل: ١٢٠/١.

(٢) حسن. ((السلسلة الصحيحة)) (٢٣١٨): سنن الترمذى: ٣٤، الزهد، ٣٤، بـ حدثنا عمرو بن مالك. ابن ماجه: ٣٧، الزهد، ٩، بـ القناعة، حـ ٤١٤١ البخارى: الأدب المفرد: بـاب من أصبح آمناً في سريـهـ. قال الترمذى: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاذ. ولفظة (بـحـذا فـيرـها) زيادة لم ترد في كتب الأحاديث.

(٣) الكامل: ٢٠٦/١.

(٤) الكامل: ٢١٥/١.

ووقف عند قوله: (فاجل سهمك مع سهامهم) فقال: "يعني السلام. وقوله: "فأجل سهمك مع سهامهم" يعني أدخل معهم في أمرهم، فضربه مثلاً، من دخول الرجل في قدح الميسر."^(١) وقول أبي زيد الأسالمي:

مدحت عروقاً للندي مصّت الثرى
حديثاً فلم تهمم بـأن تزعزعـا

نقائـذ بـؤس ذاقت الفقر والغنى
وحـلـبت الأـيـام والـدـهـرـ أـضـرـعا

"وقوله: وحلـبت الأـيـام والـدـهـرـ أـضـرـعاـ... فإـنهـ مـثـلـ، يـقـالـ لـلـرـجـلـ الـمـجـرـبـ لـلـأـمـورـ: فـلـانـ قدـ
حلـبـ الـدـهـرـ أـشـطـرـهـ، أيـ: قدـ قـاسـىـ الشـدـةـ وـالـرـخـاءـ، وـتـصـرـفـ فـيـ الـفـقـرـ وـالـغـنـىـ، كـمـاـ قـالـ الـقـائـلـ:

قد عـشـتـ فـيـ النـاسـ أـطـوـارـاـ عـلـىـ طـرـقـ
شـتـىـ، وـقـاسـيـتـ فـيـهـاـ الـلـيـنـ وـالـفـظـعـاـ

كـلـابـلـوتـ، فـلـاـ النـعـمـاءـ بـطـرـنـيـ
وـلـاـ تـخـشـعـتـ مـنـ لـأـوـاهـاـ جـزـعـاـ

لاـ يـمـلـأـ الـهـوـلـ صـدـريـ قـبـلـ مـوـقـعـهـ
وـلـأـضـيـقـ بـهـ ذـرـعـاـ إـذـاـ وـقـعـاـ^(٢)

واستخدام المفرد للمثل كثير في تناوله، ولعله ما كان يسميه عبد القاهر الجرجاني بالتمثيل الكائن على حد الاستعارة.^(٣) أو المجاز المركب أو التمثيل عند الفزويين.^(٤) ولعلي اختتم بهذا الشاهد لبيان كيف كان تحليل المفرد للمعنى المجازي عن طريق المثل أو فيما سمي بعد بالاستعارة التمثيلية؟
قال أبو زيد الأسالمي:

مدحت عروقاً للندي مصّت الثرى
حديثاً فلم تهمم بـأن تزعزعـا

نقائـذ بـؤس ذاقت الفقر والغنى
وحـلـبت الأـيـام والـدـهـرـ أـضـرـعا

(١) الكامل: ٢٢٩/١.

(٢) الكامل: ٢٤٨/١: ٢٤٩-٢٤٩.

(٣) دلائل الإعجاز: ٤٣٠.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٤٧.

فالسجل في الأصل الدلو، وإنما ضربه مثلاً لما فاض عليها من ندى أقاربها. يقال للدلو وهي مؤنثة: سجل وذنوب، وهما مذكران، والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة، ويقال: فلان يساجل فلاناً، أي: يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر، وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحدٍ منها في سجله مثل ما يخرج الآخر، فأيهمان كل فقد غالب، فضربيته العرب مثلاً للمفاخرة والمسامة.^(١) وهنا ربط وثيق بين الطرفين، وإبراز العلاقة القائمة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. ومنهج المبرد في ذلك أن يمهد للفظة بإبراز معناها الأصلي والوضعي ليقربها للقارئ، ثم يربط بينها وبين استعمال الأديب في كلامه، وذكر بعض الرواية أن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملاً على بن أبي طالب على اليمن، فشخص إلى علي، واستخلف على اليمن عمرو بن أركة الثقفي، فوجه معاوية إلى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة، أحدبني عامر بن لؤي، فقتل عمرو بن أركة، فجزع عليه عبد الله أخوه جزاً شديداً، فقال أبوه:

لعمري لئن أتبعت عينيك مامض
به الدهر أو ساق الحمام إلى القبر

لتسنفدن ماء الشؤون بأسره
ولو كنت تمريhen من ثيج البحر

فتتأمل المبرد استخدام الشاعر للفظة (تمريhen) وأبرز المعنى الاستعاري فيها بعد أن أبرز صلتها بالمعنى اللغوي المستعمل لها” قوله: تمريhen فإنما هو مثل، يقال: ”مريت الناقة“ إذا مسحت ضرعها للتدر، فإنما هو استخراج اللبن، ويقال: ”مريت برجل الأرض“ إذا مسحتها، والأصل ذلك، فإنما أراد: ولو كنت تستخرج الدموع من ثيج البحر.”^(٢)

٣. الكناية:

تناول المبرد الكناية وفطن لها، وستتعرف كيف كان المبرد يتعامل مع مصطلح الكناية وشواهدها؟ وهل كان يصرح بها في تحليلاته؟
لقد كانت تحليلات المبرد وإشاراته في مبحث الكناية تقوم على تحليل الكناية دون تسميتها فيما طرحه في بعض الشواهد، بينما نجد أنه يصرح بها في شواهد أخرى، على النحو الآتي:

فمما حلل فيه الكناية دون ذكر اسمها: قول أبي بكر الصديق: إنني وليت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه. وقد علق المبرد على قوله: (فكلكم ورم أنفه) ”وقوله: ”فكلكم ورم أنفه“ يقول: امتلاً من ذلك غضباً، وذكر

(١) الكامل: ٢٥٠/١.

(٢) الكامل: ١٣٨٦/٢.

أنفه دون السائر كما يقال: فلان شامخ بأنفه، يريد رافعه رأسه، وهذا يكون من الغضب
كما قال الشاعر:

ولا يهاج إذا مَا أَنْفَهُ وَرَمَ

أي: لا يكلم عند الغضب، ويقال للمايل برأسه كبراً: متشاوس، وثاني عطفه، وثاني
جيد، إنما هذا كله من الكبراء. قال الله تعالى: ﴿لَأَنِّي عَطَفْتُهُ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٩]

وقال الشمامخ:

نبئت أن ربيعاً أن رعن إبلأ
يهدي إلى خناه ثانى الجيد^(١)

وقد جاء تحليله للكنایة هنا تفسيراً أو دلالة على المعنى الكنائي المقصود، فورم
الأنف كنایة عن الغضب، والمتكبر: متشاوس وثاني الجيد.
وفي شاهد آخر يبرز المفرد الكنایة عن صفة بالإشارة إلى المعنى الكنائي، كما في
قول القتال الكلابي يفخر بنفسه وقومه:

طوال أنضية الأعناق لم يجدوا
ريح الإماماء إذا راحت بأزفار

”وقوله: ”طوال أنضية الأعناق“ فالنضي مركب النصل في السنخ، وضربه مثلاً، وإنما
أراد طوال الأعناق، كما قال الأعشى:

الواطئين على صدورِ نعالِهم
فِي السُّدُونِيَّةِ رَادِ

يريد السودد والنعمة^(٢). فطول النضي علامة على طول العنق. والوطء على صدور
النعال، يعني من الترف، أي: هم ملوك لا يمشون حفاة. والدفع ضرب من الثياب. والأبراد
عصب اليمين.

وقول الشمامخ:

إذا مارا ية رفعت لمجد
تلقاهـا عـارـبـةـ بـالـيمـينـ

(١) الكامل: ١١/١.

(٢) الكامل: ٧٩/١.

” قوله: تلقاها عراية باليمين، قال أصحاب المعاني: معناه بالقوة“^(١)
وقول حسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمي
أو منبني خلف الخضر الجلاعيـد
أوفي السرارـة من تيم رضيت بهـم

” قوله: ”الخضر الجلاعيـد“ يقال: فيه قولان: أحدهما أنه يريد سواد جلودهم، كما
قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهبٍ:

أـخـضـرـ الـجـلـدـةـ فـيـ بـيـتـ الـعـرـبـ^(٢)
وـأـنـاـ الـأـخـضـرـ مـنـ يـعـرـفـنـيـ

وهـذـاـ القـوـلـ يـحـقـقـ الـكـنـايـةـ عـنـ صـفـةـ السـوـادـ فـيـ الـبـيـتـ المـذـكـورـ.
وـفـيـ قـوـلـ حـارـثـةـ بـنـ بـدـرـ فـيـ زـيـادـ بـنـ أـبـيـهـ:

كـانـمـاـ نـفـخـتـ فـيـهـاـ الـأـعـاصـيرـ
الـنـاسـ بـعـدـكـ قـدـ خـفـتـ حـلـومـهـمـ

” قوله: كـانـمـاـ نـفـخـتـ فـيـهـاـ الـأـعـاصـيرـ...هـذـاـ مـثـلـ، وـإـنـمـاـ يـرـادـ خـفـةـ الـحـلـومـ. وـالـإـعـصـارـ
فـيـمـاـ ذـكـرـ أـبـوـ عـبـيـدـةـ: رـيـحـ تـهـبـ بـشـدـةـ فـيـمـاـ بـيـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ. وـمـنـ أـمـثـالـ الـعـرـبـ:
” إـنـ كـنـتـ رـيـحـاـ فـقـدـ لـاقـيـتـ إـعـصـارـاـ“، يـضـرـبـ لـلـرـجـلـ يـكـوـنـ جـلـداـ فـيـصـادـفـ مـنـ هـوـأـجـلـدـ مـنـهـ.
قال الله تعالى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَأَحْرَقَتُهُ﴾ [القراءة: ٢٦٦]^(٣) ومع إـشـارـتـهـ لـلـكـنـايـةـ فـيـ
الـبـيـتـ عـنـ خـفـةـ الـحـلـومـ. فـقـدـ أـشـارـ إـلـىـ ماـ يـوـجـدـ فـيـ الـبـيـتـ مـنـ اـسـتـعـارـةـ تـمـثـيلـيـةـ بـاطـلـاقـ لـفـظـةـ
(ـمـثـلـ) وـتـفـسـيـرـهـاـ مـنـ خـلـالـ الـمـذـكـورـ(ـإـنـ كـنـتـ رـيـحـاـ فـقـدـ لـاقـيـتـ إـعـصـارـاـ). وـمـنـ
جمـالـ هـذـاـ الـبـيـتـ اـجـتمـاعـ الـكـنـايـةـ وـالـمـثـلـ وـالـتـشـبـيـهـ فـيـ فـاقـتـ صـورـتـهـ كـلـ صـورـةـ.
وـمـنـ الـكـنـايـةـ عـنـ صـفـةـ أـشـارـ المـبـرـدـ إـلـىـ قـوـلـ السـلـيـكـ بـنـ السـلـكـةـ:

فـلـاـ تـصـلـيـ بـصـلـوـكـ نـؤـومـ
إـذـ أـمـسـىـ يـعـدـ مـنـ الـعـيـالـ

(١) الكامل: ١٦٧/١.

(٢) الكامل: ٣٢٩/١.

(٣) الكامل: ٤١٥/١.

"وقوله: "نئوم" يصفه بالبلادة والكسل. وكانت العرب تمدح بخفة الرؤوس عن النوم، وتذمّ النومة"^(١)

ومما أطلق فيه لفظ الكنية صراحة ما ذكره في قول علي بن عبد الله بن العباس:

هم منعوا ذماري يوم جاءت كتائب مسرف وبنو الكنية

"وقوله: "بنو الكنية"، فهي اللثيمة، ويقال في النداء للثيم: يا الكع، وللأنثى: يا الكاع، لأنه موضع معرفة، كما يقال: يا فسوق ويا خبث، فإن لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل: يا الكع، وللأنثى يا الكاع، وهذا موضع لا تقع فيه النكرة، وقد جاء في الحديث والأصل ما ذكرت لك: "لا تقوم الساعة حتى يلي أمر الناس لكة بن لكة"، فهذا كناية عن الثيم بن الثيم"^(٢) فقوله: ثيم بن ثيم أي: رديء النسب دنيء الحسب، كناية عن هذا النوع الذي يلي أمر الناس في آخر الزمان، أو العبيد والسفلة.

ومن اهتمام المبرد بهذا المبحث أنه عقد له بباب سماه من ألفاظ الكنيات، حشد فيه مجموعة كبيرة من الألفاظ التي تستعملها العرب في كنياتها، بدأها بلفظة النكاح "ويكون النكاح الجماع، وهو في الأصل كناية، قال الراجز:

إذا زينت فأجدد نكاحاً وأعمل الفدو والرواحاً

والكنية تقع عن هذا الباب كثيراً، والأصل ما ذكرنا لك، وفالرسول ﷺ: "أنا من نكاح لامن سفاح"^(٣). ومن خطب المسلمين: "إن الله ﷺ لا أحل النكاح وحرم السفاح". والكنية تقع على الجماع، قال الله ﷺ: ﴿أَعْلَمُ لَكُمْ لِيَلَةَ الْقِيَامِ أَرَأَتُ إِنْ يَسِّرُكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فهذه كناية عن الجماع، قال أكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى:

(١) الكامل: ٦٤٤/٢.

(٢) الكامل: ٢٨٨/١.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣٩٩/١٠، رقم ١٠٨١٢، والبيهقي في السنن الكبرى ١٩٠/٧، كتاب النكاح: باب نكاح أهل الشرك وطلاقهم، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٧/٨، كتاب علامات النبوة: باب في كرامة أصله ﷺ، وقال: رواه الطبراني عن المديني عن أبي الحويرث، ولم أعرف المديني ولا شيخه وبقية رجاله وثقوا.

﴿أَوْلَمْ سِمِّ الْإِسَاءَ﴾ [النساء: ٤٢] قالوا: كناية عن الجماع.... قوله ﴿كَانَا يَأْكُلُونَ أَطْعَمَ﴾ [المائدة: ٧٥] كناية بإجماع عن قضاء الحاجة، لأن كل من أكل الطعام في الدنيا أنجى، يقال: نجا وأنجى، إذا قام لحاجة الإنسان. وكذلك: ﴿وَقَالُوا لِجُنُودِهِمْ لَمْ شَهَدْتُمْ عَيْنَنَا﴾ [فاطمة: ٢١] كناية عن الفروج، ومثله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنَ الْفَاقِطِ﴾ [المائدة: ٦] . فإنما الغاطط كالوادي، وقال عمرو بن معدى كرب:

وكم من غاطط من دون سلمى قليل الإنس ليس به كتيع^(١)

ومن الكناية عن موصوف قول ابن نمير الثقيفي:

كأن على الطعافن يوم بانوا نعاجاً ترتعي بقل البراث

ـ قوله: نعاجاً ترتعي بقل البراث... فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية، وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة، وحكم الطيبة عندهم حكم الماعز، والعرب تكتن بالنعجة عن المرأة وبالشاة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخْيَرَ لَهُ تِسْعَ وَسَعْنَ تِسْعَ﴾ [ص: ٢٢] وقال الأعشى:

فرميته غفلة عينه عن شاته فأصببت حبة قلبها وطحالها

يريد المرأة^(٢)

وقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة:

ليُتَشَعَّرِي هَلْ أَقُولَنْ لِرَكْبِي بِفَلَاهِ هُمْ لَدَيْهَا هُجُونُ

طالما عرسْتُمْ فاركبوا بي حانَ مِنْ نَجْمِ الثَّرِيَا طَلْوَعُ

ـ قوله: حان من نجم الثريا طلوع: كناية، وإنما يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهو العبلغات.^(٣)

(١) الكامل: ٢٦٦-٦٥٧.

(٢) الكامل: ٢٧٨-٢٨٧.

(٣) الكامل: ٢٧٩-٢٧٧.

إذا تأملت تحليلات الكناية عند المبرد وجدتها واضحة في ذهنه تصل إلى الملزوم بكل سر وسهولة، كما في قول طحيم بن أبي الطخماء الأستدي يمدح قوماً من أهل الحيرة:
 إذا ماسرت فيه المدام فنيق
 معي كل فضفاض القميص كأنه

”وقوله: ”معي كل فضفاض القميص“ يريد أن قميصه ذو فضولٍ، وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيال، كما قال زهير:

حُمَيْمَا الْكَأْسِ فِيهِمْ وَالْغَنَاءِ
 يجرون الزيول وقد تمشت

ويقال: إن تأويل قول رسول الله ﷺ: ”فضل الإزار في النار“^(١) إنما أراد معنى الخيال^(٢)
 وقول الحاجاج في أهل العراق: يا بني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماماء...“ وقوله:
 ”عبيد العصا“ يريد أنهم لا يقادون إلا بالإذلال، كما قال ابن مفرغ الحميري:

العَبَدِيَّةِ رَكْفِيَّةِ الْمَلَامِهِ
 والحر تكفيه العصا

وقال جرير يهجو التيم:

أَلَا إِنَّمَا تَيَّمْ لِعَمْرُو وَمَالِكَ
 عَبِيدُ الْعَصَالِمِ يَرْجُ عَتْقًا قَطِينَهَا^(٣)

وقد يشعر المبرد بالكناية بالتعبير بكلمة (يصف)، كما في قول رجل من بنى سعد
 يرثي رجلاً:

وَرَثَتْ سَلَاحَهُ، وَرَثَتْ ذُودَهُ
 وَحَزَنَ أَدَائِمًا أَخْرِيَ الْلَّيَالِي

(١) لم أجده بنص المبرد، إنما الوارد (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) وقوله فضل الإزار في النار يريد جره خياله وأن يفضل منه عن قدرة حتى يجره كما جاء مفسراً في حديث آخر من جر إزاره بطراء الكتاب: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١٢٢٢ فضل في الاختلاف والوهم. وهو حديث صحيح: البخاري: باب ما أسفل من الكعبين في النار، أبو داود: باب في قدر موضع الإزار، ابن ماجه: باب موضع الإزار أين هو؟ النسائي: ما تحت الكعبين من الإزار وعلق عليه الألباني بقوله: صحيح، مسنداً حمداً: مسنداً عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٢) الكامل: ٥٩/١.

(٣) الكامل: ٣٤٤/١.

"ورثت سلاحه وورثت ذودا يصف قرب نسبه منه"^(١)
أو بقوله: (أراد) كما في قول سُحِيمَ بنَ وَيْلِ الرياحي:

أَنَا ابْنُ جَلَّا وَطَلَاعَ الثَّنَائِيَّا
مَتَسْ أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

" قوله: "أنا ابن جلا"، إنما يريد المنكشف الأمر.. قوله: "وطلاع الثناءي" .. وإنما أراد أنه جلد يطلع الثناءيا في ارتفاعها وصعوبتها، كما قال دريد بن الصمة يعني أخي عبد الله:

كَمِيشُ الإِزارِ خارِجٌ نَصْفُ سَاقِهِ
بَعِيدٌ مِنَ السَّوَاءِاتِ طَلَاعُ أَنْجَدٍ

ومما قدمه المبرد للكنایة أن جعلها تدور في ثلاثة أغراض يستخدمها المتكلم لأجلها: التعمية والتغطية، والرغبة عن اللفظ الحسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره، والتخفيم والتعظيم، والدارس لهذه الأضرب الثلاثة يتبين له أنه أراد أغراض الكنایة وأهدافها في الكلام.

فأول هذه الأغراض التعمية والتغطية، وقد استدل له بما يدل على التغطية "كقول النابغة الجعدي:

أَكِنِّي بِغَيْرِ اسْمِهِ وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ
خَفِيَّاتِ كَلِيلٍ مَكْتَمٍ

وقال ذو الرمة، استراحة إلى التصريح من الكنایة:

أَحَبُّ الْمَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنْنِي
بِهِ أَتَغْنَى بِاسْمِهِ غَيْرِ مَعْجَمٍ^(٢)

والثاني: الرغبة عن اللفظ الحسيس. وهو أحسن أهداف الكنایة التي ترد لأجله، ويكون من الكنایة - وذاك أحسنها - الرغبة عن اللفظ الحسيس المفحش إلى ما يدل على معناه من غيره. قال الله - ولله المثل الأعلى: ﴿أَعْلَمُ لَكُمْ لَيْلَةَ الْصِّيَامِ أَرَقَّ إِلَى شَأْنِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال جل ثناؤه: ﴿أَوْ لَنَسْمَمُ أَنْسَاءَ﴾ [النساء: ٤٢] ... وكذلك قولهم في قطاء

(١) الكامل: ٩٤ / ١

(٢) الكامل: ٨٥٥ / ٢

الحاجة: جاء فلان من الغائط كناء عن الحدث، وإنما الغائط الوادي، وكذلك المرأة، قال عمرو بن معدى كرب الزيدي:

فكم من غائطٍ من دون سلم
قليل الأنفس ليس به كتيعٌ

وقال الله جل وعز في المسيح ابن مريم وأمه صل الله عليهما: ﴿كَانَا يَأْكُلُانِ
اللَّئَكَامُ﴾ [المائدة: ٧٥]، وإنما هو كناء عن قضاء الحاجة. وقال: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لَمْ
شَهَدُوكُمْ عَيْنَاهُ﴾ [فصلت: ٢١]، وإنما هي كناء عن الفروج، ومثل هذا كثير.^(١)

والثالث من أغراض الكناء التعبير والتخييم” ومنه اشتقت الكنية وهو أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه، وووقدت في الكلام على ضربين: ووقدت في الصبي على جهة التفاؤل، بأن يكون له ولد فيدعى ولد كناء عن اسمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانته لاسميه، وإنما يقال: كني عن كذا بكتنا، أي ترك كذا إلى كذا، بعض ما ذكرنا.^(٢) ”إذا أردنا أن نضع عنوان الكل ضرب من هذه الأضرب الثلاثة التي ذكرها المبرد لأمكننا القول بـان الضرب الأول الذي جاء للتعمية والتغطية إنما هو نوع من الكناء اللغوية، والضرب الثاني الذي نلحظ فيه العدول عن اللفظ الخسيس إلى غيره مما يدل على معناه إنما هو من نوع الكناء الاصطلاحية. أما الضرب الثالث الذي اشتقت منه الكنية فهو كناء من باب التسمية ولا أكثر من ذلك.^(٣) وكما ذكرت فإن هذه الأقسام لا ترجع إلى تقسيم الجنس إلى أنواعه، وإنما هي في الحقيقة ضروب لما تؤديه الكناء من فائدـة في صناعة الكلام.

وفي الـكناء عن الغضب يذكر المبرد” ويقال في الغضب: تركت فلاناً بصرف نابه عليك ويحرق ويحرق. ورأيته بعض عليك الأرم، قال زهير في مدحه حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى:

أبي الضيم والنعمان يحرق نابه
عليه فأفضى والسيوف معاقله

(١) الكامل: ٢/٨٥٦-٨٥٧.

(٢) الكامل: ٢/٨٥٨.

(٣) أثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٢٨.

وقال آخر:

بئس أسماء سليمي إنما ظلوا غضاباً يعلوكمون الأرما^(١)

وفي الكناية عن الطول يذكر المفرد "النجاد": حمائل السيف، وأزهاءه: رفعه وأعلاه، والرجل يمدح بالطول، فلذلك يذكر طول حمائله. قال مروان بن أبي حفصة يمدح المهدى:

قصرت حمائله عليه فقلصت ولقد تأنق قينه فأطالها

وقال الحسن بن هانى يمدح محمدأ الأمين:

سبط البنان إذا احتبس بنجادة غمر الجمامجم والسماط قيام^(٢)

وفي قول النساء:

طويل النجاد رفيع العماد دساد ع شيرته أم ردا

"قولها: طويل النجاد، النجاد: حمائل السيف، تزيد بطول نجاده طول قامته، وهذا مما يمدح به الشريف، قال جرير:

فإنى لأرضى عبد شمس وما قشت وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

... وقولها: رفيع العماد إنما تزيد ذاك، يقال: رجل محمد، أي: طويل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا دَأَتِ الْمَيَاد﴾ [الفجر: ٧] أي: الطوال. وقولها: ما عالهم أي ما نابهم ونزل بهم، تقول العرب: ما عالك فهو عائلي، أي: ما نابك فهو نائي^(٣) والخلاصة فيما ذكره المفرد عن الكناية أنه تطرق لمفهوم الكناية، وبين شيئاً من أهدافها في الكلام، وقد عثر على نصوص وتفسيرات له في ثنايا الكتاب توحى بعد

(١) الكامل: ١٠٢٣-١٠٢٤/٢

(٢) الكامل: ١٠٤٣/٢

(٣) الكامل: ١٤١٣-١٤١٥/٣

تحليلها وتوجيهها بلاغيا باقترباه من المفهوم البلاغي للكناية، ويؤكد ذلك ما تمثل به المبرد من مسموع العرب شعرا ونثرا، وتبين أن دالة الكناية عند المبرد تنطوي على معنيين، لغوي يعني الستر والخفاء عندما يريد المتكلم أن يقول بكلام وهو يريد غيره، وبلامي يتناول إطلاق اللفظ وإرادة لازمه. كما أن المبرد قد أدرك ما ينطوي عليه فن الكناية من معانٍ تعد في الغالب من لوازם المعاني الأولى أورفالها.

رابعاً: البديع:

١. التضاد:

نقل المبرد خطبة لعمر بن الخطاب أبان عن إعجابه بها وما اشتغلت عليه من حسن بسبب ما جرى فيها من مشاكلة، "ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العتبى قال: لم أر أقل منها في اللفظ، ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وأهله، وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال: أيها الناس، إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه. ثم نزل. وإنما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار، بما عرضه به من الفعل المشاكل له"^(١) وبالتأمل في تعليق المبرد، نجد في هذا النص ما يعده فهمه لمدلول التضاد في الألفاظ، بأن أطلق عليها المشاكلة وجعلها حسنة برفع القول، فالمعنى بالمشاكلة هي ما يمكن أن يسمى بالألفاظ المتضادة والتي تكسو الكلام جملا، وتزيد بهاء وروanca، وهذا ما رأينا يرد في خطبة عمر بن الخطاب من اختيار تلك الألفاظ المتضادة (أقوى، أضعف، الضعيف، القوي، له، منه). إذن ففهم المبرد يقترب من الطلاق المعنوي، والذي يرى حسن أثره في الكلام بما يرفع من حسن القول.

٢. التجريد:

فطن المبرد للتجريد إما عن طريق الشاهد الذي يمثل به والذي أصبح فيما بعد نوأة لشواهد البلاغيين في هذا الفن، وكان كثير من شواهده معالم لمن بعده من البلاغيين في الاستنارة والاهتداء بها، أو عن طريق تحليله للشاهد، فمن شواهده في التجريد:

قول القتال الكلابي:

لأرْضِعَ الدَّهَرَ إِلَّا ثُدِّيَ وَاضِحَّةٌ ... لواضِحَّ الخَدِ يَحْمِي حَرْفَةَ الجَارِ

(١) الكامل: ١٨/١٩.

”وقوله: لا أرضع الدهر إلا ثدي واضحة ... يقول إنما ترضعني أمي. وليس غير كريمة.“
كما قال الأعشى:

يشرب كأساً بكف من بخلا ياخير من يركب المطي ولا

يقول: إنما تشرب بكفك. ولست ببخيل، ومثل هذا قول التميمي لنجدة بن عامر
الحنفي الخارجي:

وعباداً ية ود الدارعينا متى تلق الحريش حريش سعد

ولم ترضع أمير المؤمنين (١) تبين أن أم كلمتورك

يأبى الظلامة منه التوفل الزفير وقول أعشى باهله:

آخر غائب يعطيها ويُسألهَا

قال المبرد: ”إنما يريده بعينه، كقولك: لئن لقيت فلاناً ليقينك منه الأسد.“ (٢)

٣. المبالغة:
أشار المبرد إلى أثر(كاد) و(كرب) في الكلام، ودلالتهما على المقاربة في جانب
المبالغة وهو يتناول قول أبي زيد الأسلمي:

سقاها ذوا الأرحام سجلأً على الظما وقد كربت أعناقها أن تقطعا“

يقول: سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشاً. وكرب في معنى
المقاربة. يقال: كاد يفعل ذلك. وجعل يفعل ذلك. وكرب يفعل ذلك. أي: دنامن ذلك.
ويقال: جاء زيد والخيال كاريته. أي: قد دنت منه وقربت. فأما أخذ يفعل. وجعل يفعل.
فمعناهما أنه قد صار يفعل. ولا تقع بعد واحدة منهما: ”أن“ فاما(كاد) و(كرب)(أن) لا
تستعمل بعد واحدة منها إلا أن يضطر شاعر، قال الله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدِيرَهَا﴾

(١) الكامل: ٧٧-٧٨/١.

(٢) الكامل: ٨٠/١.

[النور: ٤٠] أي: لم يقرب من رؤيتها، وايضاً: لم يرها ولم يكُن، وكذلك: **يَكُادُ سَنَابِرْقَمِيَّهُبُّ**
بِالْأَبْصَرِ [النور: ٤٢] وكذلك: **كَادَ يَرَيْعُ قُلُوبَ فَرِيقَتَهُمْ** [التوبة: ١١٧] بغير "أن". ومن
 أمثال العرب: كاد النعام يطير، وكاد العروس يكون أميراً، وكاد المنتعل يكون راكباً وقد
 اضطر الشاعر فأدخل "أن" بعد "كاد"، كما أدخلها هذا بعد "كرب" فقال: "وقد كربت أعناقها
 أن تقطعها" وقال رؤبة: "قد كاد من طول البلى أن يمصحا" ^(١) وهو ما سماه البلاغيون بالغلو
 المقبول، إذا اقترب به ما يقرره إلى الصحة والإمكان للفظ كاد ونحوها.^(٢)
 كما فطن المبرد لبعض الأبيات المتتجاوزة الحد في معناها، فسمها (الإفراط).
 وكان استخدامه لمصطلح الإفراط للدلالة على الشيء المتتجاوز فيه، فعد بيت:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتِ مِنِي مُعَلِّقٌ
 بَعْدِ ثُمَامٍ مَا تَأْوِدُ عُودُهَا

من الإفراط. علق عليه بقوله: "الثمام: نبت ضعيف، واحدته ثمامنة، وهذا متتجاوز
 كقول القائل:
 وينعها من أن تطير زمامها..." ^(٢) وسر الإفراط فيه: أنه بالغ في ذكر صفة النحول،
 لأن الثمام من أضعف النبات وأدقه عوداً.
 ومن شواهد الإفراط التي أوردها المبرد: "وقد أكثروا في هذا، فمن الإفراط في
 السرعة قول ذي الرمة:

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عَفَرِيَّةٍ
 مَسُومٌ فِي سَوَادِ الْلَّيلِ مَنْقُضٌ

وَمِنْ إِفْرَاطٍ قَوْلُ الْحَطَيْثَيَّةِ:

إِلَى عِلْمِ بِالْغُورِ قَالَتْ لَهُ أَبْعَدٌ
 وَإِنْ نَظَرْتَ يَوْمًا بِمُؤْخِرِ عَيْنِهَا

وَمِنْ إِفْرَاطٍ قَوْلُهُ:

بِأَرْضِ تَرَى فَرَخَ الْجَبَارِيَّ كَأَنَّهُ
 بِهَا رَكِبٌ مَوْفَّ عَلَى ظَهْرِ قَرَدٍ

(١) الكامل: ٢٥٢-٢٥٣/١.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٤١٣.

(٣) الكامل: ٢٨٥/١.

ومن ذلك قوله:

تساقطني والرحل من صوت هدهد
وكادت على الأطواء أطواء ضارج

وقال آخر:

ويمنعها من أن تطير زمامها
مروح برجليها إذا هي هجرت

وقال الشماخ:

تكاد تطير من رأي القطيوع
مروح تغلي في البيد حرف

وكلذك الأعرابي الذي يقول:

لو ترسل الريح لجتنا قبلها...^(١) فالعبرة في التشبيه ليست من حيث الكمية أو القوة أو الضعف، بل بما في الطرفين من وجه شبه بأي حال من الأحوال كثراً أم ضعف، عظم أو صغر، فالإفراط في التشبيه ليس كذلك، وإنما هو قول صدق موشى بزينة المبالغة، تلك هي التي لاحظها المبرد وأعجب بها أيضاً إعجاب.^(٢)

وقد توارد مصطلح المبالغة عند المبرد بلفظه ومفهومه المرادف لمعنى الكثرة والإجاده والتکثير والتکثيد في عمل الفعل ”يقال: رجل ضارب للذى يضرب، كثيراً كان منه ذلك أو قليلاً، فإذا قلت: ضراب.“^(٣) وقتل، فإنما يکثر الفعل، ولا يكون للقليل.“ وفي قول عماره:

تنوخهم نمير كل يوم
كفعل أخي العزازة بالذليل

ذكر المبرد” والعزازة: العز، والمصادر تقع على ”فعالة“ للمبالغة، يقال عز عزاً وعزازة. كما تقول: الشراسة والصرامة. قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَقُولُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٧]
وفي موضع آخر: ﴿قَالَ يَنَقُولُ لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ﴾ [الأعراف: ٦١].^(٤)

(١) الكامل: ١٠١٠/٢.

(٢) أثر النحاة في البحث البلاغي: ٢٢٢.

(٣) الكامل: ١٠٢٥/٢.

(٤) الكامل: ٢١٧/١.

وفي قول حسان:

أوْمَنْ بْنِي جَمْحَ الْبَيْضِ الْمَنَاجِيدِ أَوْمَنْ بْنِي زَهْرَةَ الْأَخْيَارِ قَدْ عَلِمُوا

"وقوله: "المناجيد" مفاعيل، من النجدة، والواحد منجاد، وإنما يقال ذلك في تكثير الفعل، كما تقول: رجل مطعان بالرمج، ومطعم للطعام."^(١)
 وأشار المبرد إلى بعض صيغ المبالغة اللغوية، والتي لم يعرها البلاغيون اهتمامهم والتي تفيد الكثرة، ومنها: "قوله: كيف دليلاً" فهي كثرة الدلالة، وـ"الفعلي" إنما تستعمل في الكثرة، ويقال: القتيري لكثرة النمية، ويقال: الهجيري لكثرة الكلمة المتعددة على لسان الرجل، يقال: ذكر هجيري، أي: هو الذي يجري على لسانه، وفي الحديث: "كان هجيري أبي بكر الصديق رحمه الله بلا إله إلا الله" ويقال: كان بينهم رمياً لكثرة الرمي، وكذلك كل ما أشبه هذا".^(٢)

٤. السجع:

فطن المبرد للسجع، وسجل تعريفه، وربطه بالمعنى اللغوي" والسجع من الكلام: أن تأتلف أو آخره على نسقٍ، كما تألف القوافي، وهو في البهائم: موالة الصوت، قال ابن الدmine:

أَنْ سَجَعْتُ وَرَقَاءُ فِي رُونَقِ الضَّحْى عَلَى فَنْزِ غَضْنِ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ

وأشعار إلى شيء من سجع المختار بن أبي عبيد الثقفي الكهنية، والتي ذكرها ابن الرقيات:

وَالَّذِي نَفَصَ ابْنَ دُومَةَ مَاتَوْ حَبِ الشَّيَاطِينِ وَالسَّيُوفِ ظَمَاءَ

فَأَبَاحَ الْعَرَاقَ يَضْرِبُهُمْ بِالسَّيْفِ صَلَّتَا وَفِي الْضَّرَابِ غَلَاءَ

"فإنما يريد بابن دومة المختار بن أبي عبيد الثقفي، والذي نفصه مصعب بن الزبير... وقوله: "ما توحى الشياطين"، فإن المختار كان يدعى أنه يلهم ضرباً من السجاعة لأمور تكون، ثم يحتال فيوقعها، فيقول للناس: هذا من عند الله تعالى. فمن ذلك قوله ذات

(١) الكامل: ٣٢٦/١.

(٢) الكامل: ٧١٤/٢.

(٣) الكامل: ٧٨٨-٧٨٧/٢.

يوم: لتنزلن من السماء نار دهماء. فلتحرقن دار أسماء. فذكر ذلك لأسماء بن خارجة.
فقال: أقد سجع بي أبو إسحاق! هو والله محرق داري! فتركه والدار وهرب من الكوفة.
وقال في بعض سجعه: أما والذي شرع الأديان، وجنب الأوثان، وكره العصيان. لأنقتلن أزد
عمان. وجل قيس عيلان، وتميمًا أولياء الشيطان، حاشا النجيب ظبيان! فكان ظبيان
النجيب يقول: لم أزل في عمر المختار أقلب آمناً.^(١) وبذلك يكون المبرد قد سجل في
تأليف البحث البلاغي ما يفيد فهمه الدقيق لمدلول السجع في البلاغة. مضيفا إلى ذلك
معيبه في سياق الكلام.

* * *

(١) الكامل: ١١٩٢-١١٩١/٣

الخاتمة:

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد انتهى بنا البحث عن المصطلح والشاهد البلاغي في كتاب الكامل للمبرد إلى مجموعة من النتائج التي أبرزت أثر هذا الكتاب في تراثنا اللغوي والبلاغي، ليكون رافداً من الرواقد المتعددة التي استقى منها البحث البلاغي مشاربه دلالة المصطلحات وتحليل النصوص، ووضع المعايير المناسبة لقيمها الفنية والجمالية، فخرجت من ذلك بنتائج، أبرزها وأهمها:

- ملاحظة أن بيئته اللغوية والنحوية المتقدمين كانت التربية التي نمت فيها البذور الأولى للبحث البلاغي، وعلى الرغم من أنها كانت مجرد براعم متبايرة وردت كالتعليق والتفسير لمتجهاتهم، فقد أتيح للاحقين جمعها وصياغتها في قواعد علمية مقررة.
- التأكيد على وجود الصلة الوثيقة بين علوم اللغة العربية، ولا سيما تلك الصلة بين النحو والبلاغة، والتي تمثلت في اعتماد البلاغة على مقاييس النحو ومعطياته، وكانت بوادر تلك العلاقة قد بدت واضحة فيما تضمنه كتاب الكامل من لفقات وتفسيرات بلاغية وأسلوبية.
- تباهي المبرد لأبرز عيوب الفصاححة في جانب التركيب، والتي جعلت البلاغيين يضعونها في مقدمات كتبهم، وهم يدرسون مسائل البلاغة، كما تباهى إلى ما تقوم عليه البلاغة من مراعاة مقتضى الحال في الكلام.
- فطن المبرد لشيء من أسرار الكلمة مذكرة كانت أو مؤنثة، مفردة كانت أو مجموعة.
- شارك المبرد في إبراز شيء من أسرار الإنشاء الظاهري، كما في الاستفهام والنداء والأمر.
- توغل المبرد في تناوله لمبحث الحذف والإضمار، وفوجد في تحليلاته رصد الصور الحذف في الحرف والكلمة والجملة والجمل، إضافة إلى فطنته للوصول إلى صحة شرط الحذف.
- أدرك المبرد كثيراً من الصور التي يخرج إليها الكلام خروجاً عن مقتضى الظاهر، فتناول القلب والتغليب و شيئاً من صور الالتفات.
- كانت دراسة المبرد للتشبيه من أمنع الدراسات التي فاض بها هذا الكتاب، وكانت شواهد وفيرة في هذا الجانب الذي استفاد منه البلاغيون فيما بعد.

- بُرِزَ مِنْ خَلَالْ هَذَا الْبَحْثُ مَعْرِفَةُ الْمِبْرَدِ لِلْمَجَازِ بِنَوْعِيهِ الْعُقْلَى وَاللُّغُوِيِّ وَبَعْضِ عَلَاقَاتِ الْمَجَازِ، كَمَا سُجِّلَ هَذَا الْبَحْثُ إِلَمَامِ الْمِبْرَدِ بِمُصْطَلِحِ الْاسْتِعَارَةِ وَأَرْكَانِهَا، وَمَعْرِفَتِهِ بِالْاسْتِعَارَةِ التَّمْثِيلِيَّةِ.
 - كَمَا كَانَ لِلْكَنَاءِيَّةِ مَكَانٌ وَافِرٌ مِنْ حِيثِ الشَّاهِدِ وَالتَّقْسِيمِ لِأَهْدَافِهَا وَدَلَالَاتِهَا.
 - إِضَافَةً إِلَى مَا سُجِّلَ مِنْ تَحْلِيلَاتٍ مُمِيزَّةٍ فِي بَعْضِ أَبْوَابِ الْبَدِيعِ.
- وَأَخِيرًا فَإِنْ مَا سُجِّلَ فِي هَذَا الْبَحْثُ يَشَهِدُ لِصَاحِبِ الْكِتَابِ بِسَبِقِهِ إِلَى إِدْرَاكِ كَثِيرٍ مِنَ الْفَنَّونَ الْبَلَاغِيَّةِ، وَالشَّوَاهِدِ الْأَدِيبِيَّةِ الَّتِي أَفَادَ مِنْهَا الْبَلَاغِيُّونَ فِي مَوْلَفَاتِهِمُ الْبَلَاغِيَّةِ.
- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلًا وَأَخِيرًا وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

* * *

ثبات المصادر والمراجع:

- أثر النحاة في البحث البلاغي، د. عبد القادر حسين، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر، ط١٩٨٦، ٢٠١.
- أخبار النحوين البصريين، أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، اعتنى بنشره وتهذيبه فرتيس كرنكوا، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٦م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السراج البغدادي، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٧ـ١٥٤٦م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٣ـ١٩٩٢م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق ودراسة: د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١١، ١٤١٦ـ١٩٩٦م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وزملاؤه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٩ـ١٩٨٩م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥.
- بيان التشبيه: دراسة تاريخية فنية، د. عبد الحميد العيسوي، ط١٤٠٨ـ١٩٨٧م.
- البيان العربي، د. بدوي طبابة، دار المنارة، جدة، ط٧، ١٤٠٨ـ١٩٨٨م.
- تاريخ العلماء النحوين من البصريين والковفيين وغيرهم، القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد التنوخي المعري، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١ـ١٩٨١م.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩ـ١٩٨٩م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافعي، أبو الفرج معافى بن زكريا النهررواني الجريري، تحقيق: د. محمد مرسي الخولي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣ـ١٩٨٢م.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة
الخانجي، القاهرة.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
لبنان، ط٢، ١٤٩٩ هـ، ١٩٧٩ مـ.
- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- سنن الترمذى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- شرح ابن عقيل لأفيف ابن مالك، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٢ هـ.
- شروح التلخيص، دار السرور، بيروت، لبنان.
- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي.
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٩٣ هـ، ١٩٩٢ مـ.
- صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوى،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ مـ.
- العمدة في محاسن الشعر وأدابه، ابن رشيق القميرواني، تحقيق: د. محمد قرقزان.
دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ مـ.
- عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن طباطبا العلوى، تحقيق: د. عبد العزيز المانع.
دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ مـ.
- فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور الشعالي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
- في تاريخ البلاغة العربية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة
الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ مـ.
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد
هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله) كاتب
جلبي)، اعنى به: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ مـ.

- المبرد: أديب النحاة، أحمد حسنين القرني وعبد الحفيظ فرغلي علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م.
- مجاز القرآن، صنعة أبو عبيدة معمر بن المثنى، عارضه بأصله وعلق عليه د. محمد فؤاد سرزيكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١٢٠٨٥١٤م.
- المختصر في تاريخ البلاغة، د. عبد القادر حسين، دار الشروق بيروت، ط١٢٥٤٨٢١م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢٠١٣٩٠هـ ١٩٧٠م.
- مشارق الأنوار على صاحب الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى البحصبي، المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة.
- معجم الأدباء [إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب]، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١٩٩٣م.
- المقتضب، صنعة: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١٤١٢، ١١٩٩٢م.
- مناهج بلاغية، د. أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١٢٩٣هـ ١٩٧٣م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- نزهة الأباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

* * *

**المنهج الأسلوبي في الدراسة الأدبية الحديثة
مطبقاً على همزية فخر الدين بن مكانس (٧٤٥-٧٩٤ هـ)**

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

**المنهج الأسلوبي في الدراسة الأدبية الحديثة
مطبقاً على همزية فخر الدين بن مكائنس (٧٤٥-٧٩٤هـ) :**

د. محمد بن إبراهيم الدوخي
قسم الأدب - كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

النقد الأدبي مجال واسع تسبر من خلاله أغوار النص الأدبي، ومن أبرز مناهجه الحديثة الأسلوبية. يهدف هذا البحث إلى التعامل مع المنهج الأسلوبي والبحث في مكوناته لتطبيقها على نص من الشعر العربي القديم، نصته القدماء بالجودة والنفاسة وهو همزية فخر الدين بن مكائنس (٧٤٥-٧٩٤هـ) التي مطلعها:
يَاسِرْحَةِ الشَّاطِئِ الْمُسَابِكَ وَرَأْهُ

عَلَى الْيَوَاقِيْتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

والبحث بهذا الأمر يحاول تعميق صلة الشعر العربي القديم بالنقد الأدبي الحديث.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد...
فالنقد الأدبي مجال واسع تسبر من خلاله أغوار النص الأدبي، ومن أبرز مناهجه
الحديثة الأسلوبية التي تعد منهجا علميا دقيقا في تعامله مع النصوص.
وقد عمدت إلى تطبيق هذا المنهج على قصيدة ^{أُثني} عليها في غير موضع، وهي
همزية فخر الدين بن مكائس (٧٤٥-٧٩٤هـ) التي مطلعها:

يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوَافِرُ

عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصَبَاءٍ^(١)

فابن حجة يقول: «من التشابيه البديعة التي لم تدرك في هذا الباب تشابيه الصاحب
فخر الدين بن مكائس في قصيده المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح»^(٢).
ورود في مقدمة ديوانه أنه قال قصيده: «يصف شجرة سرح بشاطئ النيل المبارك
بالروضة، وهي قصيدة بديعة، مشهورة، كلها غرر ودرر»^(٣).

ووقف د. محمود رزق سليم أمام القصيدة وقفه سريعة قال في آخرها: «قلعلنا وفقنا
إلى التنويه بهذه القصيدة، ولو بعض التوفيق، وظفرنا بلفت النظر إلى شيء من نفاستها
ولو بعض التوفيق»^(٤).

إذن فالباحث يقصد إلى التعامل مع المنهج الأسلوبى والبحث في مكوناته لتطبيقها
على نص من الشعر العربي القديم، نعته القدماء بالجودة، وهو بهذا يحاول تعميق صلة
الشعر العربي القديم بالنقد الأدبي الحديث.
يبتدئ البحث بتعریف المنهج الأسلوبی. فيعرض لذلك لغة واصطلاحا، وبين اختلافه
باختلاف زوايا النظر إليه.

(١) ديوان فخر الدين بن مكائس. مخطوط في دار الكتب المصرية تحت رقم: ١١٩٦. ووردت القصيدة كلها
من الورقة (٢٢-١٥).

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجة الحموي. قدم له وضيبله وشرحه ووضع فهرسه د. صلاح الدين
الهواري: ٣٩٠/١. المكتبة العصرية. ط. ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٦ م. صيدا. بيروت.

(٣) ديوان فخر الدين بن مكائس: ق ٢/ ب.

(٤) مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم. مجلة الرسالة والرواية. العدد ٧٨٤-٧٨١: ٧٨٢-٧٨١. رمضان. ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م. مصر.

ثم ينتقل البحث إلى أهم المصطلحات الإجرائية في المنهج الأسلوبي فيعرف بها ويقترب منها أو يحاول الاقتراب منها.

ثم يأتي الفصل الثاني وهو القسم التطبيقي معنيا بالنظام اللغوي الشعري الذي يمثل شكل القصيدة، فيبين خصوصية التشكيل الفني في النص، فينطلق البحث من النص الأدبي بصفته بناء لغويًا قبل أن يكون حقيقة مرجعية، وهو معنى ملائم للمنهج الأسلوبي. فيدرس البحث البناء العام للقصيدة عارضاً أساليب الخطاب التي تنهض عليها القصيدة، ثم يقف البحث أمام اختيار الشاعر لنوع خاص يبني به نسخة، عارضاً بعد ذلك لأمور وسمات تختص بها القصيدة مركزاً على المفاصل التي مثلت مميزات للنص. وينتقل البحث بعد ذلك لعرض نسبة الفعل إلى الصفة في القصيدة كما يقف على الحقول الدلالية.

وبعد ذلك يستخلص البحث الأنساق كأنساق الصور ويستخلص منها نظام التمثيل، أي: كيف بني الشاعر نظامه؟ ثم ينتقل إلى النظام اللغوي الذي يمثل شكل القصيدة (خصوصية التشكيل الفني في النص من حيث التركيب العام للأبيات وللمقاطع واللوحات).

وفي هذا القسم سأعرض لنظام التمثيل مبيناً أهميته للنص ومنطلاقاً من النص لتوضيح الصورة.

ولا أنسى تعالق النص مع غيره، واشتراكه مع سابقيه فخصصت ذلك بحديث طويل، مع الإشارة إلى إفادة المتأخر من المتقدم من عدمها.

وتشمل الفصل مسائل متعددة عن الصورة كالعدول والتقييد ثم عرض للون البارز بين وسائل التصوير فركّز عليه لأنه يمثل سمة ظاهرة.

ثم درس البحث النظام الصوتي في القصيدة ممثلاً في الإيقاع الذي يكون سمة صوتية في النص، سواء أكان في إيقاع الإطار أم إيقاع الحشو، فالشاعر يوزع - بقدرته الشعرية - الكلام في النص على نظام يراه ملائماً لمبتغاه، فيسعى البحث لبيان ذلك واستجلاء ما فيه.

وبعد ذلك تأتي الخاتمة التي كانت إجمالاً لما عرضت له في البحث ويليها مسرد المصادر والمراجع.

وقد بذلت جهدي في الرجوع إلى مصادر البحث الأساسية وتطبيق معايير المنهج
الأسلوبية بقدر ما أستطيع.

وبعد فأسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأخر دعوائي أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

الفصل الأول:

القسم النظري:

الأسلوبية:

قبل الولوج في دراسة المنهج الأسلوبي يحسن العرض لتعريف الأسلوب لغة واصطلاحا، فالأسلوب لغة ”السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، فالأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء... والأسلوب الطريق تأخذ فيه والأسلوب الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي: في أفنان منه“^(١).

ويقول الزمخشري في مادة (سلب): ”سلبه ثوبه وهو سلبي، وأخذ سلب القتيل وأسلاب القتل، ولبس الثكلى للسلام وهو الحداد وتسلبت وسلبت على ميتها فهي سلبي، والإحداث على الزوج والتسليب عام وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة، ومن المجاز: سلبه فؤاده وعقله واستبه، وهو مستلب العقل، وشجرة سلبي: أخذ ورقها وثمرها، وشجر سلب، وناقة سلوب، أخذ ولدها، ونوق سلائب. ويقال للمتكبر: أنه في أسلوب إذا لم يلتفت يمنة ولا يسرة“^(٢).

وعند المحدثين الأسلوب متصل بنظرية الإبلاغ أو الإخبار، فلا بد لأي عملية تخاطب من مخاطب ومخاطب وخطاب (مرسل ومرسل إليه ورسالة)^(٣)، مما جعل تعريف الأسلوب مختلفا عند النظر إليه من إحدى الزوايا السابقة:

١. الأسلوب باعتبار المخاطب:

هو الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه إذ يعبر تعبيرا كاملا عن شخصيته ويعكس أفكاره وصفاته الإنسانية، ويبين كيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته وغير ذلك مما يؤكد الذاتية أساسا للأسلوب^(٤).

(١) لسان العرب: (سلب).

(٢) أساس البلاغة: ٤٥٢.

(٣) انظر: الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي: ١٢٣، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧هـ ١٣٩٧م، ليبيا، تونس.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٦٤، والبلاغة والأسلوبية، هنريش بليث، ترجمة وتعليق محمد العمري: ٥٢، أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، وانظر: اللغة والأسلوب، عدنان بن ذريل: ١٣٤، مراجعة وتقدير حسن حميد، مجلداوي للنشر والتوزيع، ط٢٧، ٢٠١٦هـ ٢٠٠٦م، عمان، الأردن، والأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، فرحان الحربي: ١٧، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣هـ ٢٠٢٤م، بيروت، لبنان.

٢. الأسلوب باعتبار المخاطب:

يدل على أن الأسلوب مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل عن طريقها إلى إقناع القارئ وإمتعاه وشد انتباهه وإثارة خياله^(١)، فالحدث الأسلوبي كما أنه يكشف عن بواطن صاحبه يؤثر في حساسية متلقيه^(٢).

٣. الأسلوب باعتبار الخطاب:

يدل على: "العلاقة المميزة لنوعية مظهر الكلام داخل حدود الخطاب، وتلك السمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض، ومن ذلك كله تكون البنية النوعية للنص وهي ذاتها أسلوبه"^(٣).

الأسلوبية:

علم لغوي حديث يبحث في تحديد / وصف الظواهر اللغوية المميزة للخطاب الأدبي. وعرفها ريفاتير بقوله: "علم يعني بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية وهي لذلك تعنى بالبحث عن الأساس القاراء في إرساء علم الأسلوب وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية السننية تتحاور مع السياق المضمني تحاوراً خاصاً"^(٤).

مناهج الأسلوبية^(٥):

ترتبط الأسلوبية تاريخياً بالبلاغة فهي الوريث الشرعي لها^(٦) بعد أن عجزت البلاغة عن مجاؤزة دراسة الخصائص العامة للأدب إلى خصائص الجنس والنص والأثر، وبدا عقدها يظهر، فجاءت الأسلوبية لتكمل هذا النقص الذي عجزت البلاغة عن سداده. مهما اختلفت مناهج الأسلوبية فإنها تسعى لكشف جوانب النص وسبر أغواره وكلها تعامل النص معاملة علمية صارمة.

(١) انظر: البلاغة والأسلوبية. هنريش بليث: ٥٣ واللغة والأسلوب: ١٣٥١٣٤. والأسلوبية في النقد العربي الحديث: ١٨.

(٢) انظر: الأسلوبية. عبد الله صولة: ١٦. بحث مكتوب على قرص مرن. صادر عن جامعة تونس الافتراضية. ٢٠٠٥. م.

(٣) الأسلوبية والأسلوب: ٨٦. وانظر: اللغة والأسلوب: ١٣٥. والأسلوبية في النقد العربي الحديث: ١٩. علم الأسلوب مبادئه واجراءاته. صلاح فضل: ٢٢٢ وما بعدها. النادي الأدبي الثقافي بحدة. ط٢٠٨. ٢٠٠٨هـ ١٤٠٨هـ.

(٤) محاولات في الأسلوبية الهيكيلية. مجلة الموقف الأدبي عبد السلام المسدي. العدد ٧١: ١١١. آذار. ١٩٧٧م.

(٥) للأسلوبية مناهج كثيرة ولكنني سأقف أمام أهمها.

(٦) راجع: علم الأسلوب مبادئه واجراءاته: ٢٠٢. مدخل إلى علم الأسلوب. د. شكري عياد: ٥. ط٤. أصدقاء الكتب. ١٩٩٨م. الجيزة.

وتستمد الأسلوبية مقولاتها من آراء فردينان ديسوسيير اللسانية بما هي أسس الدراسات اللغوية الحديثة، وبعد شارل بالي أول من قدم للأسلوبية بمنهجية منظمة^(١).

١. الأسلوبية البنوية (أسلوبية اللغة، الأسلوبية الوظيفية):

بدأت هذه الأسلوبية مع جون كوهين ورومان جاكبسون، وهي تركز على الأسلوب بوصفه أمراً مترابطاً أو صيغة أو مجموعة أو بناء متناغماً، وتعنى عناية خاصة بمصطلح البنية "كي تُظهر أن القيمة الأسلوبية تتعلق بمكانها ضمن النظام"^(٢). فالمنابع الحقيقة للظاهرة الأسلوبية ليست في اللغة وجهازها الثابت في المعاجم وكتب النحو والصرف والمعاني فقط بل في وظيفتها وفي مختلف مظاهر تصرفها في الخطابات والنصوص؛ لأن الأسلوبية منها الأسلوب بمعنى تفرد داخل اللغة، فلا يمكن للأسلوبية أن تدرس اللغة إلا باعتبارها أسلوباً.

٢. الأسلوبية التعبيرية:

تعنى بعلاقة الشكل مع التفكير^(٣)، وترتजع على الحدث الكلامي، وفق التمييز الذي قدمه ديسوسيير بين اللغة والكلام^(٤)، وشارل بالي أحد اثنين جمعاً محاضرات دي سوسيير التي نشرت إثر وفاته، وهو الذي أنشأ الأسلوبية التعبيرية.
فرق شارل بالي بين أسلوبين أحدهما يروم التأثير في القاري والآخر ينصب اهتمامه على إيصال الأفكار بدقة، وأسهم طلابه من بعده في تنمية هذا الاتجاه من خلال توسيع دائرة الدراسة للتعبير الأدبي، فالكاتب لا يفصح عن إحساسه الخاص إلا إذا أتيحت له أدوات ملائمة، وما على الأسلوب إلا البحث عن هذه الأدوات^(٥). وعن قيمها التعبيرية في النص.
يرى (شارل بالي) أن اللغة سواء نظرنا إليها من زاوية المتكلم أم من زاوية المخاطب حين تعبّر عن الفكرة فمن خلال (موقف وجداً) بمعنى أن الفكرة حين تصير بالوسائل اللغوية كلاماً تمرّ لا محالة بموقف وجداً مثل الأمل والترجي ونحوه^(٦).

(١) انظر: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث. د. سامي عياينة: ١١٦. عالم الكتب الحديث. ط. ٢٠١٠. ٢٠١٠ م. إربد. الأردن.

(٢) الأسلوب والأسلوبية. بيير جورو. ترجمة منذر عياشي: ١١٥. مركز الإنماء. الحضاري. حلب. ط. ٢. ١٩٩٤.

(٣) انظر: الأسلوب والأسلوبية: ٤٥.

(٤) انظر: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري: ١٦١.

(٥) انظر: اللغة والأسلوب: ١٣٥ وما بعدها وراجع: البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ١٧٥. مكتبة لبنان ناشرون. ط. ١. ١٩٩٤. المشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان. مصر.

(٦) انظر: اللغة والأسلوب: ١٣٥.

فالأسلوبية التعبيرية تدرس علاقات الشكل مع التفكير، وتنظر إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي فاهتمامها متصل بالتأثير.

٣- أسلوبية الفرد (التكوينية، الحدسية):

تدرس علاقات التعبير مع الفرد أو المجتمع الذي أنشأها واستعملها. فهي تتناول الحديث اللساني إزاء المتكلمين وتحدد الأسباب. وبهذا تنسب إلى النقد الأدبي وتبتعد عن المعيارية أو التقريرية^(١).

وعلمهما (ليوسبيتزير) وهي أسلوبية "مؤسسة على البحث عن الخاصية الملزمة لأسلوب كاتب ما"^(٢) وتعتقد هذه الأسلوبية الصلة بين المؤلف وعمله، وهي متأثرة بما قدمه (فرويد) من نظريات حول (اللاشعور)^(٣).

٤- الأسلوبية الإحصائية:

تقوم على دراسة ذات طرفين. أولهما: هو التعبير بالحدث، والثاني هو التعبير بالوصف. ويعني بالأول الكلمات أو الجمل التي تعبر عن حدث ومن ثم الكلمات التي تعبر عن صفة. ويتم احتساب عدد التراكيب والقيمة العددية الحاصلة تزيد أو تنقص بعًا لزيادة أو نقص عدد الكلمات الموجودة في هذه التراكيب. وتستخدم هذه القيمة في الدلالة على أدبية الأسلوب والتفريق بين أسلوب كاتب وكاتب.

وتعتمد الإحصاء الكمي لتحديد الملامح المسيطرة على النص. ويبتعد هنا الحدس لصالح القيم العددية، ومن أهم مزاياها أنها توكل أمر تحديد الظاهرة إلى منهج موجود. محاولة قدر الإمكان أن تكون قريبة من الموضوعية ومتعددة عن الذاتية والانطباعية^(٤) لتحقيق الانضباط المعرفي^(٥).

وفي الأخير أقول:

إن الأسلوبية بمختلف أجيالها يجمعها مبدأ واحد هو أنها كلها تهدف لهدف واحد هو تفسير أنظمة الخطاب وبنائه وأنساقه تفسيراً ينزع إلى العلمية. والفرق بين الأسلوبيات من بدايتها إلى نهايتها أن اللاحقة تضيف إلى السابقة وتفاعل وتنفتح وتعطي رأيها وتختلف.

(١) انظر، اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري: ١٦٣.

(٢) لسانيات الخطاب، صابر الحباشة: ١١٩. دار الحوار. ط. ٢٠١٠م، اللاذقية، سوريا.

(٣) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ١٧٧-١٧٦.

(٤) البلاغة والأسلوبية، هنريش بليت: ٣٨-٦٠.

(٥) راجع في الأسلوبية الإحصائية (الأسلوب دراسة لغوية إحصائية)، د. سعد مصلوح، دار البحوث العلمية، الكويت، مطبعة حسان، القاهرة، ط. ١٤٠٠هـ ١٩٨٢م.

الأسلوبية والمعارف الأخرى:

سبق للأسلوبية "أن تفاعلت مع اللسانيات باعتبارها الأصل الذي تفرّعت عليه، ومع البنية بصفتها تفرّعت على اللسانيات تماماً كالأسلوبية ومع البلاغة وقد قامت الأسلوبية على أنقاضها ومع النقد الأدبي باعتبار الأسلوبية أهم راشف من روافده"^(١) يجمع الأسلوبية بمختلف أجيالها واتجاهاتها مبدأ واحد هو أنها كلها تهدف لتفسير أنظمة الخطاب وبنائه وأنساقه تفسيراً ينبع إلى العلمية نظراً إلى اعتمادها علوماً دقيقة كإحصاء وعلم النفس وعلوم اللسان التطبيقية كعلم الأصوات وغيرها.

المصطلحات الإجرائية في الأسلوبية:

مبدأ الإفادة:

من أهم المبادئ في الدراسة الأسلوبية، وقد استخدم قبل ذلك في اللسانيات الوظيفية ضمن التمفصل الثاني^(٢) للدلالة على وجود سمة مفيدة، فنقول مثلاً: صار وسار، شتركان في الأصوات، الكلمية الصوتية، مستوى المخارج والصفات، حتى تصل إلى ما يميز السين (س) عن الصاد (ص) من الترقيق والتخفيم، فإذا وصلت إلى هذا الأمر تكون قد وصلت إلى السمة المفيدة في التمييز بين الكلمتين. (هطل، هتل) هنا الجهر والهمس.

الإفادة: السمة التي بها تتحذذ الوحدة الصوتية خاصية مميزة لها مما يشبهها من الوحدات.

الأسلوبية تنظر إلى الكلمة في سياقاتها، فقد طورت الأسلوبية النظر إلى النص عنها في اللسانيات فصارت تنظر إلى الكلمة في سياقاتها، فاللسانيات البنوية تقف عند الجملة وتدخل في سلم صوتي في حين أن الأسلوبية تدخل مجالات أخرى، أنساق أخرى غير النسق اللساني أو النسق الصوتي، فتدخل النسق الأدبي فاللسانيات لا تصلح مدخلاً لتحليل الأدب وإنما هي مجرد مدخل لتحليل السلسلة الكلامية فقط.

ممكناً تدخل في سياق التناص سياق العلاقات الداخلية في المفردات، فقد يستخدم الأديب مفردتين مثل (سد، صد) فتصبح مدخلاً لدراسة التطابق غير التام بين الوحدات اللغوية في سياق خطاب أدبي، وليس في سياق خطاب لساني، وإن كان الأدب خطاباً لسانياً لكن يختلف هنا التوظيف، فممكناً أن يصدر متكلماً أصواتاً لكن لا تدلّ على

(١) أسلوبية الوصف والحوار، عامر الحلواني: ١١، مطبعة التسفير الفني، ط١٠٣. م.

(٢) وهو تأليف الكلام يعني التمفصل الأول تأليف الأصوات.

معنى، أما في الأدب فالسياق الأدبي هو الذي تسعى الأسلوبية لإبرازه وليس فقط نظام الأصوات (نظامها، تعاقبها، وظائفها) تستعين بهذه الخواص حتى تتبيّن ما يميّز الخطاب الأدبي عن غير الأدبي^(١).

تتميز اللغة الطبيعية بازدواجية التمفصل (التأليف) فحين تقول: كتب الولد الدرس، هنا مستوىان من التركيب.

١. تركيب الكلمات:

كتب الولد الدرس.

يمكن تغييره فتقول: الولد كتب الدرس.

وهذا يمكن تغييره فتقول: كتب الدرس الولد. هذا يسمى التمفصل الأول للغة، فاللغة تعطيك مرونة، فأنت تقدم وتؤخر بحسب مقامات التكلم وبحسب الوظائف (وظائف اللغة) فـ(كتب الولد الدرس) تجيب عن سؤال: ماذا حدث؟
كتب الدرس الولد. تجيب عن سؤال: من كتب الدرس؟ وهكذا..

٢. داخل ماسبق ثم أمر آخر مثل:

درس الولد الحكتب. أخذنا الحروف وغيرها، فلم نزد شيئاً من الخارج، التغيير هنا حدث على مستوى الحروف لا على مستوى الكلمات، نحينا من الدرس حرفين وأضفناها إلى الكتب^(٢).

العدول:

من أهم المصطلحات الإجرائية في الدراسة الأسلوبية، وقبل الخوض فيه أعرض تعريفه، فالعدول لغة "عدل عنه يعدل عدلاً وعدولاً حاد وإليه عاد ورجع، والطريق مال، والفحل ترك الصراب والجمال الفحل نحاه وفلاناً بفلان سوى بينهما، وما له معدل ولا معدل مصرف، وإنعدل عنه، وعادل أعوج، والعدال ككتاب أن يعرض أمران فلا تدرى لأيهما تصر فأنت تروي في ذلك"^(٣).

(١) راجع: معجم (تحليل الخطاب) باتريك شارودو - دومينيك منغنو. ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صموه. مراجعة صلاح الدين الشريف: ٤١٩-٤٢٠، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ٢٠٠٨م. تونس.

(٢) راجع: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية. محمد الشاوش: ٤٩٣/١، وما بعدها. المؤسسة العربية للتوزيع، ط١٤٢١هـ، ٢٠٠١م. بيروت. جامعة متوبة. كلية الآداب. تونس.

(٣) القاموس المحيط: عدل.

وفي لسان العرب: ”عدل عن الشيء يعدل عدلاً وعدولاً حاداً وعن الطريق جار وعدل إليه عدول رجع، ولا معدول أي مصرف، وعدل عن الطريق مال، والعدل أن تعدل الشيء عن وجهه، تقول عدل فلاناً عن طريقه وعدلت الدابة إلى موضع كذا، فإذا أراد الاعوجاج نفسه قيل: هو ينعدل أي: يعوج وانعدل عنه وعادل اعوج“^(١).

فالكلام منه ما هو مألف يسير صاحبه فيه على قواعد النحو لا يخرقها وهو النمط التعبيري المتعارف عليه، ونوع آخر يعتمد (العدول) عن الكلام الأول بغية تحقيق أمر ما وهو النمط الإبداعي، وهو ما يؤمه الدارسون^(٢).

فالعدول من أبرز المباحث الأسلوبية أهمية، فبـه تُدرك الظاهرة الأسلوبية في نص ما، وذاك أن اللغة قائمة على مستويين، مستوى مثالي وهو القواعد الذهنية وال محلات الإعرابية الموجودة في الذاكرة اللغوية الفردية، ومستوى إبداعي وهو فرعان أحدهما داخل اللغة في المشتقات وفي البنى الإعرابية وفرع داخل الكلام يعتمد على خرق النسق العام^(٣)، لتحقيق اللغة في الأدب وخارج الأدب.

تعددت مصطلحات العدول^(٤) ومن أسبابه ”تحطيم اللغة العادية وخلق لغة سامية شعرية“^(٥) وأخذ القارئ مما يسبق أن العدول مهتم بالحديث ومنحاز إليه، ومتصل به، لا بد أن يحمل العدول بين طياته ما يميز الكلام عن الكلام العادي والمألف: ”ذلك أن المخالفة وحدتها غير كافية لتوليد الشاعرية، ولابد إذن من أن تكون وراء المخالفة قيم فنية وجمالية إذ ليس بالضرورة أن تكون المخالفة حبّاً للتميز أو تفرد فحسب وإنما يكون وراءها غاية فنية تعبر عن شيء في النفس“^(٦).

(١) لسان العرب: عدل.

(٢) البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ١٠٣-١٠٤.

(٣) راجع: المرجع السابق: ٢٦٨.

(٤) انظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. د. عبدالله صولة: ٢٥٠. دار الفارابي. ط٢. بيروت. لبنان ٢٠٠٧ م. والإنزياح من منظور الدراسات الأسلوبية. د. أحمد محمد ويس: ٢٩ وما بعدها. مجـد المؤسـسة الجـامـعـية لـلـدـرـاسـاتـ وـالـنـشـرـ وـالتـوزـيعـ طـ١٤٢٦ـ هـ ٢٠٠٥ـ مـ. بيـرـوـتـ. الإنـزـياـحـ الشـعـريـ عـنـ الـمـتـنـبـيـ. قـرـاءـةـ فـيـ الـتـرـاثـ الـقـدـيـ. دـ. أـحمدـ الـخـطـيـبـ: ٣٠ـ وـمـاـ بـعـدـهـاـ. دـارـ الـحـوارـ. طـ١ـ. مـ٢٠٠٩ـ مـ. الـلـاذـقـيـةـ. سـورـيـةـ.

(٥) في سيمياء الشعر القديم: د. محمد مفتاح: ٥٠-٥١. دار الثقافة الجديدة. الدار البيضاء. ١٩٨٢. م. دط.

(٦) الإنزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٢٥.

المصطلحات المستعملة بديلاً عن العدول:

اختلف دارسو الأسلوبية في استعمال هذا المفهوم وقد استعرض د. أحمد محمد ويس ذلك في كتابه (الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية) كثيراً من المصطلحات وحلّلها وبين مصادرها واختار مصطلح الانزياح دون مسوغ موضوعي مقنع، ومن تلك المصطلحات:

١. الانحراف^(١).

٢. الكسر(كسر المألف، كسر البناء، التكسير، انكسار النمط)^(٢).

٣. الانتهاك^(٣).

٤. الخرق^(٤).

٥. الغرابة (التغريب، الغريب، الإغراب)^(٥).

وأنما أثر العدول لأنّه أولاً مصطلح تراثي بنفس المعنى وأكثر دلالة على المعنى الأسلوبى لأن العدول (من جملة معانيه الخروج من شيء إلى شيء) وفيه معنى عقلي، عدل عن الشيء عدلاً، أما المصطلحات الأخرى فليس فيها الخروج العقلي الدال على الخروج عن القاعدة إلى نسق آخر.

كيف يُدرك العدول:

من الوسائل المعينة على إبراك العدول في النص النظرة الكلية الشاملة إلى النص، فمن شأنها أن تكشف عن ظواهر غير عادية من مثل توزيع بعض العناصر الأسلوبية توزيعاً يختلف عن المعدل العادي لتوزيع الأصوات في اللغة مما يلفت النظر إليه وإلى دلالته.^(٦) مثل أن يتكرر الصفير في جزء وينعدم في آخر، يخرق الأسلوب العادي في استعمال الأصوات.

(١) انظر: المرجع السابق: ٣٤ - ٤٤.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٥٩ - ٦٠.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٦٠ - ٦٢.

(٤) انظر: المرجع السابق: ٦٢ - ٦٣.

(٥) انظر: المرجع السابق: ٦٢ - ٦٤.

(٦) انظر: علم الأسلوب مبادئه واجراءاته: ١٩٩.

ويمكن أن تبدأ خطوات التحليل الأسلوبي بـ”مراقبة مثل هذه الانحرافات كتكرار صوت أو قلب نظام الكلمات أو بناء تسلسلات متشابكة من الجمل، وكل ذلك مما يخدم وظيفة جمالية كالتأكيد أو الوضوح أو عكس ذلك كالغموض أو الطمس المبرر جمالياً للفرق“^(١).

من فوائده:

يؤدي إلى خرق ذلك المأنوس وكسر حاجز الألفة والتابع اليومي، ورجّ وعي المتقبل بما لم يألفه في رصيده الثقافي^(٢).

ولا يخفى أثر الجمال وعمقه في قلب المعايير بما يعزّز شحنة التخييل^(٣). وهو بمنزلة منبهات فنية يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنية مميزة^(٤). وفيه ”إيقاظ للسامع وتطريمه له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر لأن السامع ربما مل من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر تنشيطاً له في الاستماع واستعماله له في الإصغاء“^(٥).

و”لا يعد كل انحراف أسلوباً، إذ لا بد أن يصاحبه وظيفة جمالية وتعبيرية“^(٦) أو إقناعية أو نحوها من وظائف الكلام المتسم بمعالمات أسلوبية مخصوصة.

العدول نوعان:

كمي كالتكرار (الحرف أو اللفظ أو جملة ونحوها) وبها يخرج الأديب عن المألوف والمعهود من الكلام إلى استعمال مختلف لسمة ما.

(١) نظرية الأدب. رينيه ولك. أوستن وارين: ٢٢٢-٢٢١. ترجمة محب الدين صبحي ومراجعة د. حسام الخطيب. مطبعة خالد الطراibiشي. ط ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م. وراجع الطفيرة والذهب. إبراهيم خليل: ٦٠ وما بعدها. ط ١. أمانة عمان الكبرى. عمان.

(٢) انظر: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي مقاربة أسلوبية في جمالية القبح. د. عامر الحلوي: ٧٧. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ط ١٢٠٠٢ م. صفاقس.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٧٨.

(٤) انظر: البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ٢٧٢-٢٧١.

(٥) المرجع السابق: ٢٧٩.

(٦) الأسلوبية والصوفية. دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج. أمانى سليمان داود: ٢٩. مجداوى. ط ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م. عمان.الأردن.

ونوعي: يتصل بالخروج عن قاعدة لغوية إلى استعمال فردي خاص^(١). ويعد الأديب إلى العدول النوعي الذي يكون له أسلوب داخل الأسلوب العام، وليكسر ما يهدد الجنس الأدبي من مظاهر التشبيح الأسلوبي، وبه يتحقق مظاهر مهم من مظاهر الأدبية في النص.

مجالات العدول: في مختلف أجزاء الكلام بدءاً بالحرف. استعمال حرف جر مكان آخر، مروراً بالكلمة اسمياً أو حرفياً ووصولاً إلى التراكيب النحوية وإلى المجاز وغيره^(٢). وهذا يدل على المخزون الدلالي لطائق الأداء الأسلوبي والقدرة الكامنة لمستوياته التي تعجز عنها البنى اللفظية المألوفة^(٣).

هل توجد قاعدة يعدل الأديب عنها؟

ما الذي يقنعني أن الأديب عدل عن أمر راسخ في اللغة؟

هناك من يرى استحالة تحليل مفهوم العدول عن قرب. وهذا يكشف أنه مفهوم

إشكالي. هناك صعوبة بل استحالة في تحديد قاعدة حيادية غير مرسومة^(٤).

إن العدول عن اللغة يبقى محل نظر لأن التعبير في اللغة اليومية مضبوط بقواعد وقوانين غير القواعد الفصيحة. فعندما يقول، إن هذا الشاعر عدل عن اللغة العادلة، فما الدليل على أن اللغة العادلة كانت القاعدة. لا ندري، لكن العدول ليس له قيمة إلا داخل الأدب، من صيغة أدبية لصيغة أدبية أخرى. فمثلاً العدول من التشبيه العادي إلى التشبيه المقلوب، فلدينا في الأدب مثال عدل عنه، أما في اللغة فلا يمكن أن تثبت في العدول فهي شيء مشابع ومتحوال ومتغير فلا يمكن لنا أن نثبت. ولذا فالعدول داخل اللغة لا معيار له قبل أن تتطور اللسانيات التداولية التي أثبتت أن اللغة نفسها عدول.

(١) انظر: الحاج في القرآن: ٢٥٢ وما بعدها، ٣٨٧ وما بعدها، والعدول، أسلوب تراثي في نقد الشعر. السعدني: ٨٤. منشأة المعارف. الإسكندرية. ١٩٩٠م. وراجع: اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث: ١٦٥-١٦٤. وهو يرى للعدول ثلاثة إشكال هي:

١. الانحراف الكمي بتكرار حدوث الظاهرة.

٢. الانحراف النوعي من خلال الخروج عن قواعد اللغة.

٣. الانحراف عن نموذج موجود في النص.

والصواب أن رقم (٢) المذكورين آنفًادخلان في العدول النوعي، فيكون العدول نوعين كما ذكرت.

(٢) انظر: البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ٢٧٠-٢٨٨.

(٣) راجع: جمالية العدول في التراث البلاغي. خيرة حمرة العين: ٣١١. مجلة جذور. رجب، ١٤٢٤هـ سبتمبر ٢٠٠٣م.

(٤) للاستزادة: انظر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. أوزوالد بيكر وجان ماري سشفاير. ترجمة د. منذر عياشي: ١٧١. المركز الثقافي العربي. ط٢. ٢٠٠٧م. الدار البيضاء. المغرب.

إن قَيْسَ العدول في حد ذاتها قضية خلافية منذ ريفاتير في كتابه محاولة في الأسلوبية البنوية.

ما الذي يجعل القارئ لنص يصنف هذه الظاهرة على أنها عدول؟
بالنسبة لجون كوهين الجواب واضح لأنّه يقابل اللغة الأدبية باللغة العلمية يقول:
كل ما من شأنه أن يخرج الكلام من اللغة العلمية فهو عدول ويقسم الكلام ثلاثة مراتب:

١. الكلام العلمي (العادي)
٢. الكلام الأدبي أو الشعري القديم البنياني.
٣. الشعر الحديث.

فالقضية خلافية.

ريفاتير يجيب عن السؤال قائلاً كل عصر أدبي أو كل سياق أدبي يصنع القواعد يعرفها القارئ بحكم انتتمائه إلى ذلك الفضاء الأدبي نسميه معانٍ المدح أو استعمال البديع أو..

فكل عصر أدبي يصنع مجموعة من القواعد يعرفها القارئ فالعدل ليس عدولاً في المطلق.
بل عدول عن القواعد الأدبية الموجودة في ثقافة القارئ فالعدل هو رد فعل القارئ، استجابة القارئ، فعندما تقرأ نصاً ينبغي لك أن تكون متسبعاً بالثقافة التي ينتمي إليها النص وأنت حينئذ ستتحسس بالعدل لأنك تجد ما يصادمك داخل النص فأنت تقيسه بالنسبة لما تعرف. العدول بالنسبة للقارئ وليس بالنسبة للشاعر فالقارئ حين قرأ الصورة له في ذهنه سجل من الصور عليها هي بنية قوله (١).

الاختيار (الجدولية):

يجب أن تكون لغة النص الأدبي مميزة، وهذا التمييز يبين للقارئ أن الأدب قد اختار من المعجم اللغوي الضخم مجموعة من الكلمات ليستطيع تبليغ الأثر المرجو منها. فلاغة النص الأدبي لغة منتقاة، فنمطام اللغة يقدم للمبدع إمكانات هائلة (٢). فالنص الأدبي يتكون عن طريق سلسلة من الاختيارات داخل الجمل.

(١) للاستزادة: انظر: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية: ١٥١-١٢٩.

(٢) انظر: الأسلوبية، الرؤية والتطبيق يوسف أبو العروس: ١٦٧. دار المسيرة. ط١. عمان. ١٤٢٧هـ.

ومن الركائز المهمة التي تقوم عليها الدراسة الأسلوبية الاختيار، فال محلل الأسلوب يعلل اختيار الأديب تعبيراً مكان آخر^(١) أو تعويضه بعنصر آخر . فالإبداع يستبدل من بين مجموعة من الألفاظ المتراوحة في الرصيد المعجمي^(٢). ويتم ذلك "على أساس التعادل أو التشابه أو الاختلاف أي: على أساس الترافق أو التخالف"^(٣) يمارس المبدع استبدال لفظ مكان لفظ آخر في مكان محدد من الكلام، وتقع عملية الاستبدال ضمن محور الاختيار^(٤)، والأسلوب على ما سبق تقريره هو "اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية بعينها من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة"^(٥)

فعنصر الاختيار هو الذي يحدد ما يصح وما لا يصح من التعبيرات أو التراكيب. ليصل إلى نوع معين من التأثير في المتلقى^(٦).

يدخل الاختيار في مجال المعجم ضمن محور العلاقات الرئيسية (محور الاختيار)^(٧) وهذه العلاقات هي مجال الاختيار أمام المبدع من بين أحد البدائل المتاحة حيث يختار كلمة بدلاً من أخرى لأن هذه الكلمة تلائم التنظيم الذي يدور فيه الكلام^(٨). وما سبق يسميه ديسوسير العلاقات الإيحائية. وبعض اللغويين يسمونه العلاقات الاستبدالية^(٩).

(١) انظر: البحث الأسلوبى معاصرة وتراث. د. رجاء عيد: ١١٥. منشأة المعارف. الإسكندرية. مطبعة أطلس القاهرة. ١٩٩٣م.

(٢) انظر: شعر أبي ذؤيب الهذلي. دراسة بلاغية أسلوبية. محمد اللويسي: ٤٤. رسالة ماجستير مخطوطة مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ١٤٢٤-١٤٢٤هـ.

(٣) علم الأسلوب وطنه بعلم اللغة. صلاح فضل: ٥٦. مجلة فصول. مج. دع. أكتوبر. نوفمبر. ديسمبر. ١٩٨٤م.

(٤) انظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٢٥.١٣٤. وانظر: لسانيات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد خطابي: ١٩٤. المركز الثقافي العربي. ط. ٦٠٢م. الدار البيضاء. المغرب. وشعر أبي ذؤيب الهذلي: ٤٤.

(٥) في النص الأدبي. دراسات أسلوبية إحصائية. د. سعد مصلوح: ٢٥. دار عالم الكتب. القاهرة. ط. ٢٢٣٥١٤٢٢هـ.

(٦) المعجم الأدبي. جبور عبد النور: ٢٠٠. وما بعدها. دار العلم للملايين. بيروت. ط. ٢٠١٩٨٤م.

(٧) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث. د. أحمد درويش. دار غريب. ٤٤. القاهرة. ١٩٩٨م.

(٨) انظر: البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ٢٠٥.

(٩) انظر: نظرية البنائية في النقد العربي. صلاح فضل: ٣٥.٣٦.٢٠١٩٨٠م. القاهرة.

فإذا أخذنا أي كلمة من أي سلسلة سياقية لوجدنا أنها تثير كلمات أخرى بالتداعي والإيحاء خارجة عن القول ولكنها تشرك معها في علاقة ما بالذاكرة ومن هنا تكون مجموعة من الكلمات تقوم بينها علاقات متعددة^(١).

مفردات الاختيار "مقرها الذهن حيث تمثل جزءاً من الكنز الداخلي الذي تتكون منه لغة أي فرد"^(٢).

وتحب العناية باختيار العنصر الذي يسد الثغرة في النص^(٣) فذاك يمكن الأسلوب في النص.

ويوفر للنص التماسك والتناسق والترابط^(٤). فيكون اللفظ المختار أكثر تعبيراً عن تجربة الأديب وموقعه ورؤيته^(٥). مما يدل على أن الأديب انتخب بطريقة واعية الكلمة الأكثر تعبيراً عن تجربته.

والاختيار متصل بالتلاقي فلكل مقام مقال، فمخاطبة العامة غير مخاطبة الخاصة. وهو عملية أساسية في بناء الأسلوب سواء كان ذلك على مستوى اللفظ أم الجملة أو البناء الكلي للنص^(٦).

وهو عنصر محوري وجوهري في عملية الإبداع^(٧). وما يدل على أهميته أن البلاغة عرفت أنها تخير اللفظ في حسن إفهام^(٨) ويقول أبو هلال العسكري: "وقال بعضهم: خير الشعر الحولي المنقح، وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها. وكان أبو نواس يعمل القصيدة ويتركها ليلة، ثم ينظر فيها فيلقى أكثرها ويقتصر على العيون منها، فلهذا قصر أكثر قصائده. وكان البحترى يلقى من كل

(١) انظر: المرجع السابق: ٣٥، ٣٦. بتصرف يسيراً.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٣٥، ٣٦.

(٣) انظر: لسانيات النص: ٢٠.

(٤) انظر: الأسلوبية. الرؤية والتطبيق: ١٤٦.

(٥) انظر: المرجع السابق: ١٦٣.

(٦) انظر المرجع السابق: ١٦٢.

(٧) انظر المرجع السابق: ١٦٢.

(٨) كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري. تحقيق علي محمد البحاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم: ١٤١٩هـ صيدا. بيروت.

قصيدة يعملها جميع ما يرتاد به فخرج شعره مهذباً و كان أبو تمام لا يفعل هذا الفعل . وكان يرض بأول خاطر فنعني عليه عيب كثير و تخيير الألفاظ ، وإبدال بعضها من بعض يوجب التثاءم الكلام ، وهو من أحسن نعوته وأزين صفاتة ، فإن أمكن مع ذلك منظماً من حروف سهلة المحاجج كان أحسن له وأدعي للقلوب إليه ، وإن اتفق له أن يكون موقعه في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه ، وأحق بالمقام والحال كان جاماً للحسن ، بارعاً في الفضل ، وإن بلغ مع ذلك أن تكون موارده تنبك عن مصادره ، وأوله يكشف قناع آخره . كان قد جمع نهاية الحسن ، وبلغ أعلى مراتب التمام .^(١)

ومما سبق يبين أن الاختيار يشكل عنصراً أسلوبياً بارزاً في الإبداع اللغوي والأدبي . وهي عنصر يمكن فحصه والتأكد من أهميته من خلال إبدال كلمة بأخرى .

تزاحم الكلمة غيرها من الكلمات اللائي هن من جدولها المعجمي ، تنشأ بين الألفاظ منافسة وتدب في صفوفهن حركة من أجل أن تظفر إحداهن بمكان لها في الملفوظ عوضاً عن سائر الكلمات الأخرى ، ويساعدتها على الاستعمال أن المقام يقتضيها أكثر من غيرها^(٢) .

النسقية (محور التأليف) :

إذا كان محور (الاختيار) يمثل محوراً للعلاقات الرئيسية فإن النسقية (محور التأليف) تمثل محوراً للعلاقات الأفقية .

إن اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبه لها تركيباً تقتضي بعضه قوانين النحو و تسمح ببعضه الآخر سُبُل التصرف عند الاستعمال أي: عرضه مبدأ التعامل في محور الاختيار على محور التركيب وبه تتحدد أدبية النص أو وظيفته الشعرية^(٣) .

إن محور (التأليف) الذي يتضمن تعالق الكلمات والجمل في سياق الكلام كظواهر العطف والوصل والإضافة ... و تقوم بين الأدوات اللغوية التي تقع ضمن هذا المحور (علاقات ركنية) لأنها تخضع لقانون التجاوز^(٤) ، و تقوم هذه العلاقات الأخيرة على رصف

(١) انظر: الأسلوبية. الروبة والتطبيق: ١٦٢.

(٢) انظر: الحجاج في القرآن الكريم: ١٦٩.

(٣) انظر: شعر أبي ذؤيب الهمذاني: ٧٢.

(٤) انظر: النقد والحداثة. عبد السلام مسدي: ٥٢. دار الطليعة. ط١. بيروت. ١٩٨٣.

هذه الأدوات وتركيبها حسب قوانين النحو ومجالات التصرف^(١)، ويتعامد المحوران ليتشكلّ منها الكلام وقد عرّف جاكبسون الأسلوب بكونه: "إسقاط محور الاختيار على محور التوزيع"^(٢)

فتتألّف النص الإبداعي خاصة يلزم الأديب أن يتحرّى تأليفاً جديداً في تركيب الجمل، من خلال إبداع تراكيب غير معتادة، وهذا أمر مهم جداً لأن النص الأدبي قائم على صدر القارئ جمالياً بالشيء الجديد الذي يقدمه له، ولذا يقول جون إنّه: "لا يتحقق الشعر إلا بقدر تأمل اللغة وإعادة خلقها مع كل خطوة. وهذا يفترض تكسير الهياكل الثابتة للغة وقواعد النحو"^(٣).

ويقول عبد القاهر الجرجاني: "الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافعه التي هي الدلالات على المقاصد إلا بمراعاة أحكام النحو فيه من الإعراب والترتيب الخاص، ومما سبق يبين أنه يمكن تعريف الأسلوب بأنه" تطابق لجدول الاختيار على جدول التأليف"^(٤).

* * *

(١) انظر: الأسلوبية والأسلوب: ١٣٦.١٣٥.

(٢) المرجع السابق: ١٣٧.

(٣) بنية اللغة الشعرية. جون كوهن. ترجمة محمد الولي. ومحمد العمرى: ١٧٦. دار توپقال للنشر، ط١٩٨٦م.

(٤) الأسلوبية والأسلوب: ٩٢.

الفصل الثاني:

القسم التطبيقي:

البناء العام للقصيدة^(١):

سبقني إلى الاهتمام بهذا النص د. محمود رزق سليم إلى أهمية النص، ونبه إلى موضع من نفاسته^(٢). ولكنه لم يهتم به من زاوية فنية أسلوبية.

بني ابن مكานس قصيده على منوال همزيات سابقة تشبه همزيته، وأفاد من معجمها، فقد سار على منوال قصيدة الحسين بن الضحاك التي مطلعها:

بدلت من نفحات الورد بالاء ومن صبوحك در الإبل والشاء^(٣)

وتوجد قصيدة أخرى عارضت همزية الحسين بن الضحاك هي لابن المعتز، وأفاد منها ابن مكานس، ومطلعها:

أمكنت عازلي من صمت أباء ما زاده النهي شيئاً غير إغراء^(٤)

ومن العجيب ما ورد في إحدى نسخ ديوان ابن مكานس أن ناسخها كتب عن ابن مكานس أنه قال قصيده: "يصف شجرة سرج بشاطئ النيل المبارك بالروضة، وهي قصيدة بدعة، ومشهورة، كلها غرر ودرر، نسجها على منوال أبي الطيب المتنبي"^(٥). ولم يبن لي مراده بـ"نسجها على منوال أبي الطيب المتنبي" فإن كان مراد الناسخ أن ابن مكานس يعارض المتنبي فقد أخطأ، إذ ليس لأبي الطيب قصيدة همزية على بحر

(١) قبل البدء في تحليل النص يجب أن أعرض تعريفاً موجزاً بالشاعر فهو عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطي، فخر الدين، أبو الفرج، وزير دمشق، ولد منصب ناظر الدولة بمصر، أبي فاضل شاعر فصيح بلية، أحد فحول الشعراء، لا يعرف في أبناء جنسه الأقطاب من يقاربه أو يداريه، شعره في غاية الرقة. مات في ذي الحجة سنة ٧٩٤هـ. انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي: ١٣١/١٢، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. وانظر: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطى. تحقيق علي محمد عمر: ٢٠٠٧هـ /٢٤٣. نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط. ١٤٢٨، ٢٠٠٧هـ.

(٢) مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم، مجلة الرسالة والرواية، العدد ٧٨٤: ٧٧٩-٧٨٢.

(٣) ديوان الحسين بن الضحاك، تحقيق د. جليل العطية، ٣١، منشورات العمل، ط. ٢٠٠٥، م. كولونيا، ألمانيا.

(٤) شعر ابن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي، دراسة وتحقيق يونس السامرائي، ٥/٢، منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م، الجمهورية العراقية، وزعم محمد عزام أن القصيدين معارضه لهمزية أبي نواس التي مطلعها:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

النص الغائب، تحليلات التناقض في الشعر العربي، ١٤١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، وكلامه ليس على إطلاقه، إذ بين النصوص اختلاف في حركة حرف الروي.

(٥) ديوان فخر الدين بن مكأنس: ١/٧.

البسيط، والصواب أنه بناها على منوال الحسين بن الضحاك وابن المعتز، وفي قصيدة نقل لبعض الأبيات من النصين ولتراكيب عديدة منها، وإن كان مراده الأسلوب الشعري عاملاً فكلامه يظل غامضاً.

وي بيان مما سبق أن موسيقا الإطار قديمة، وليس من ابتداع ابن مكانتس، ولا غرابة في أن يكون ابن مكانتس معارضًا فقد كثرت المعارضات في الشعر المملوكي كثرة بينة^(١).

تنهض القصيدة على ثلاثة أساليب خطاب كبرى هي:

١. الخطاب والحوار. يتمثل في النداء والمخاطبة، وفي الأفعال المسندة إلى مخاطب حاضر، وفي التلهف والتحسر، في الدعاء.

ويبرز في الأبيات التالية:

عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصَبَاءِ

١- يَا سَرُّحةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوْثَرُ

نَوْءُ الْتَّرَيَا اسْتَهَلتُ دَّاتَّ أَنْوَاءِ

٢- حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابِ إِذَا

سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَاءِ

٣- وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيْكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلِ

لَنَّا بِظَلَّكِ مِنْ أَهْوَأَ وَأَهْوَاءِ

٤- رَحْمَاكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ

هَجِيرٌ إِذْ حَيَثُ لَا مَرَآى لِحِرْباءِ

٥- وَكَمْ نَزَلَنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْ(م)

مِنَ الْغَمَامِ يَقِينًا كُلُّ ضَرَاءِ

٦- نَظَلُّ مِنْ قَيْئِكِ الْفَضَّاضِ فِي ظَلَلِ

أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدَيِ الرَّمْضَانِ الدَّاءِ

٧- يَا طَبَّةَ بِدَوَاءِ الْقَيْطِ عَالَمَةَ

عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونَ الْوَدْقِ سَوْدَاءِ

٨- لَا صَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكِ الزَّهْرَ وَأَنْجَسَتْ

وهذه الأبيات تدل على حاضر الشاعر، فهو يتلفظ بهذا الكلام في الزمن الحاضر ثم يلتفت إلى الماضي فيكون لدينا سرد ووصف.

(١) راجع كتاب (تأهيل الغريب) للنواجي. وستجد فيه نصوصاً كثيرة جداً قالها الشعراء المملوكيون معارضة لنصوص قديمة، فمنها مثلاً، ٩٠٩، ٩١٤، ٩١٢، ٩١٣، ٩١١، ٩٠٩، ٩١٥، وغيرها كثير جداً.

٢- السرد: الجمل الفعلية التي ترسم ماضيها، وترسم ما في السرحة من عناصر كالطيور والزهور والمياه وغيرها.
ومنه قول ابن مكานس:

- ١٢- قَرِيرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْقَلْبِ الَّذِي لَمْ تَنَلْهُ غَيْرُ سَرَاءِ
كِنَاسُ أَرَامَ بَلْ أَفْنَاءُ دَرَمَاءِ
فَهَا يَعَادِلُ فِيهِ طِلْبَ مَشْتَاءِ (مر)
فَهِيَ الْعَجُوزُ تَهَادِي هَدِيَ مَرَاهِءُ
حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءِ
فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ ذَكَنَاءِ
مُسَبِّحٌ فِي سَوَادِ اللَّيلِ دَعَاءِ
مِقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنِي حَمَائِمَ بَلْ
لَهَا مَطَارِفُ ظِلْ سَجْسَاجَ فَمَصِيدِ
قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَرَّتَهَا الصَّبَا فَصَبَتِ
لَا يُدْرِكُ الطَّرُفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلِ
وَصَوتُ بَلْبَلَهَا الرَّاقِي ذَرَى غُصْنِ
كَقْرُعَ نَاقْوُسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفِ

٣- الوصف: يلتفت الشاعر هنا إلى الماضي فيكون كلامه سرداً ووصفاً ويغدو الشاعر كأنه في حلم اليقظة فهو يصف ويسرد أحوال السرحة في الماضي.
ومنه:

- ١١- فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْهَهَا الْمُخْضَلُ وَافْتَرَشَتْ
زَهْرَ الْرِبَا وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ
وَمِنْهُ أَيْضًا:
١٦- لَا يُدْرِكُ الطَّرُفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلِ
حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءِ
عَلَى الْهَوَاءِ وَاحْتَثَهَا عَلَى الْمَاءِ
وَأَيْضًا:
٢٠- تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا
لِلْهُوكُمُ أَرْجُ مَابَيْنَ أَرْجَائِي
وَقَامَ عَنْهَا لِسَانُ الزَّهْرِ يُنْشِدُنَا
لِلْهُوكُمُ أَرْجُ مَابَيْنَ أَرْجَائِي

٢٣- كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرِيًّا فَنَقَطَتْ هُبَيْدَةَ ضَاءً وَصَرَاءً

يتناظر الأسلوبان (الوصف والسرد) فالشاعر يصف ويسرد في الماضي.
إن البناء العام للنص الشعري اختيار من اختيارات الشاعر، فليس بناؤه بناء نهائيا،
فيتمكن لابن مكانس مثلاً في هذا النص الذي درسه أن يغير ترتيب الأبيات، فلا يوجد ما
يلزمه بالبدء البيت الأول، الموجود أمامنا.

١- يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

إن الشاعر ليس مجبراً على أن يكون وصف النهر في هذا المكان من القصيدة،
فيتمكنه أن يقدم وأن يؤخر، يمكنه البدء بالبيت الخامس، العاشر، وهكذا... فمفهوم الوحدة
العضوية في القصيدة كما يقرره نوري القيسي ليس معناه أن الشاعر ملزم بأن يرتب الأبيات
بيتاً بيتاً، وليس معناها أن الأبيات ليست مستقلة استقلالاً تاماً^(١)، فمثلاً البيت:

٢١- بَرِيعَةُ الْحُسْنِ قَدْ فَازَ الْجِنَاسُ لَهَا مِنَ الْمَعَانِي بِأَفْتَانِ وَفْتَاءِ

يمكن أن يستقل بنفسه دون أن تتأثر القصيدة، ولا يتأثر المعنى، أو النظام، ويمكن
أن نضعه في مكان آخر، فالوحدة العضوية لا تعني أن الأبيات مشدودة إلى بعضها البعض
شدةً نحوياً، صرفاً، تركيبياً، سردياً^(٢). بل يعني أن للشاعر قدرة على التقدّم في القصيدة
في منطق تدرجٍ، فالشاعر اختيار خطوة قول لكي يرسم السرحة في مختلف مظاهرها،
المظهر المائي، مظهر الظل، الأزهار، السفينة، مجلس الخمرة، أي أن يكون بين أجزاء
القصيدة نظام /منطق تخضع له القصيدة، يأخذ فيها كل بيت أخيه، لكن يمكن للأبيات
أن تستقل من الداخل وأن تنقل من مكان آخر، ويمكن أن تستقل في مقاطع على
الأقل مثل البيتين (١٧-١٨) وهذه وحدة مستقلة، وإن (٢٦-٢٧-٢٩) لا محالة كل بيت
بلاغياً مستقل لكن نوعياً الأبيات تمثل وحدة، فالشاعر حين قال البيت الأول تداعى به
البيت الثاني والبيت الثاني تداعى به البيت الثالث والبيت الثالث تداعى به الرابع.

(١) انظر: دراسات في الشعر الجاهلي، نوري القيسي: ١٩٧٢م، دمشق.

(٢) والوحدة العضوية مفهوم لا ينطبق دائماً على الشعر لأنه مأخوذ من مجال علوم الأحياء.

ولك أن تمثل الأبيات الأربع بهذه الطريقة:

١	كأنها	٢٦
٢	كأن	٢٧
٢	كأن	٢٨
١	كأنها	٢٩

وهي أبيات تمثل انتقالا من العام إلى الخاص:

٢٦. كأنها من جنان العدل قد كملت حسناً وحسبك من خضراء لفاء

هذا البيت عام، ثم دخل الشاعر وخصص فقال:

٢٧. كأن أغصانها اللدن الرشاق إذا هصرت أفنانها أعطاف وطفاء

ثم أمعن في التخصيص فقال:

٢٨. كأن صمعتها الحمرا يقشرها (م) دكتاء قرص على أukan سمراء

ثم عاد إلى العام فقال:

٢٩. كأنها فوق دعص الموج إذا هضابه سفح وادرب أفياء

ولك تمثيل الأبيات السابقة هكذا:

عام.	٢٦
خاص.	٢٧
خاص.	٢٨
عام.	٢٩

إذن فالوحدة العضوية في الآن نفسه تشابك مخطل، مصمم من لدن الشاعر، ولكن في الوقت نفسه فالشاعر حرية التصرف في الوحدات الداخلية للقصيدة، ولذلك فكل بناء هو اختيار وليس اضطرارا، فليس الشاعر مضطرا للاختيار.

ما سبق قيل لكي يبين أن لكل اختيار مسوغاته وغاياته في بناء القصيدة، فالقصيدة يمكن أن نفهم بناءها في ضوء فهمنا للاختيار، لماذا اختار الشاعر أن يرتّب قصيده بهذا النحو؟

ماذا نلاحظ على القصيدة؟

١. تنزع القصيدة لأن تكون مطولة (٦١) بيتاً، ليست مطولة، ولكنها تنزع لأن تكون.
لماذا؟

ارتبطت المطولات عادة بالشعر الاحتفالي، المراسمي مثل المدح والرثاء، الشعر الملحمي، شعر الفتوح، ونحوها.

لمن نعتد في تقاليد الشعر العربي أن يكون وصف الطبيعة مطولاً، فالعادة أن يكون في مقطوعات، أو أجزاء من قصائد.

قصيدة ابن مكานس تنزع لأن تكون مطولة في غرض واحد هو (وصف السرحة).
لماذا؟

لأن الشاعر ينزع فيها إلى أن يجعل داخل وصف الطبيعة أغراضًا متعددة، ففي القصيدة أغراض متعددة.

الغرض ليس معنى فقط، ليس مضموناً فقط، بل الغرض هو البنية التي تحمل المضمون، فالشاعر حينما يصمم القصيدة في ذهنه قبل قولها، أو القصيدة وهي تتمحض، تتخلق في ذهن الشاعر، فالشاعر هنا ينطلق من بنية أغراضية، من أنه سيصف، سيخاطب السرحة، سيصفها وصفاً عاماً، سيتحدث عن نزوله بها، سيصف الروض، سيصف الأصوات، سيصف الماء، الموج الأنهر، سيصف.....

إن الشيء الذي يتبارد إلى مسودة الشاعر الشعرية، الشيء الذي يتبارد إليه في البداية هو الذي سيحمل بنية القصيدة، وهذا أمر يسميه جون كوهين (خطاطة القصيدة)^(١) ومراده بـ (خطاطة القصيدة) الوعاء المعنوي، وعاء قائم على منازع معنوية هي التي ترفع البناء العام للقصيدة، وهي كال قالب الفارغ، هي بالنسبة للباس كالهيكل الذي يفضل عليه الخياط للباس، فهو حين يريد أن يتذكر لباساً، أو يصنع ثوباً يصنع له طرازاً

(١) انظر: بنية اللغة الشعرية، جون كوهين. ترجمة محمد الولي ومحمد العمري: ٤٦. دار توبقال.. ط١. ١٩٨٦م. الدار البيضاء.

يعدّله بحسب ذوقه، وبحسب الحاجة وبحسب ذوق الناس حتى يستوي ذلك الطراز على النحو الذي يريد، الشاعر كذلك في القصيدة، فالقصيدة لها طراز بنوي، وهذا الطراز البنوي فيه مدخل القصيدة (كيف يدخل الشاعر إلى القصيدة؟).

المدخل ليس بالضرورة البيت الأول الذي هبّ بخاطر الشاعر، فلسنا نعلم بالضبط من أي بيت بدأ الشاعر، فالذي نراه هو النظام النهائي الذي وصل إلينا، فقول ابن مكานس:

أ. يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوْثَرٌ
عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصَبَاءٍ

ليس بالضرورة أن يكون أول بيت نظمه⁽¹⁾.

وهنا سؤال، لماذا وضع ابن مكานس البيت السابق في مطلع القصيدة؟ إن النداء الذي يستهل به الشاعر القصيدة يعدّ عنصر عقد صلة بالغرض، ويتميز البيت السابق بأنه وصف عام، وصف طائري، لأن الشاعر على طائرة، فقد بدأ من خارج القصيدة، ثم عرّف السرحة بـ(الشاطئ) عن طريق التعريف بالإضافة، وأمعن في التعريف فعرّف (الشاطئ) بأنه (المنساب كوثره) فوصف (الشاطئ) بالنعت السببي، والنعت من المعارف. لقد أحدث النداء تباعداً بين المتكلم والمخاطب دالاً على الشوق، كما أضفى على النص طابع الشفوية.

(يا سرحة....) = (بينها وبين الشاعر تباعد).

فهنا: متكلم حاضر
مخاطب غائب

(1) مما له صلة بما أتحدث عنه ما رأاه الشيخ محمود شاكر في كتابه المتنبي حين قال عن قصيدة المتنبي في رثاء خولة أخت سيف الدولة "والرأي عندنا أن هذين البيتين (وهما)
طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بأمالى إلى الحذب
حتى إذا لم يدع لي صدقة أملأ شرقت بالدموع حتى كاد يشرق بي
هما أول ما قاله أبو الطيب من القصيدة حين بلغه خبر موت خولة وهو بالكاففة، ففزع قلبه واضطرب
أمره، وانتشرت عليه عواطفه...".
المتنبي، محمود شاكر: ٢٤٠، نشر مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، دار المدني.
جدة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م. دط. وسوق المؤلف في الحاشية صفحات رأى فيها أن الشاعر لم يبدأ النص
بالبيت الذي وضعه فيما بعد أولاً.

لماذا نادى الشاعر السرحة؟

لأن بينهما تباعدة.

سعى الشاعر إلى تعريف (السرحة) بشاشتها وعرف الشاطئ بكوثره، والنتيجة أن
الشاعر عرف السرحة بـ(كوثره) لماذا؟

لأن أصل الحياة في هذه السرحة هو الماء، فالشاعر دخل إلى القصيدة من العنصر الذي
يمثل جوهر القصيدة، ولذلك سترى أن العنصر الغالب على القصيدة هو عنصر الماء^(١).

تدور القصيدة حول الماء فأكثر العناصر التي صورها الشاعر إما أنها من أصل الماء
مثل: (الكوثر، نوع، نيل، الموج، النهر، القطر، نهر الأبلة، عين، الندى) أو من معنى قريب
من الماء أو مجاور له، مثل (الغمام، الغيم، هتون الودق).

هذا الأمر فيما يتصل بمدخل القصيدة، فالشاعر لم يصف الشيء بذاته بل وصفه
بمصدر حياته.

وتوجد علاقة قوية جداً بين حشو البيت الأول والقصيدة برمته، فقول الشاعر
(سرحة الشاطئ) يمثل عاملاً رئيساً في الإعلان عن الموصوف، ومدخلاً أساساً للضبط
علاقة الموصوف بالأبيات الواسعة^(٢)، فلئن كان البيت الأول موسوماً بمسمى الجمع
والتأليف فإن النشاط الوصفي قادر على التجزئة والتفصيل، وتلك وظيفة الأبيات التالية
للمطلع^(٣)، فقد أعلن الشاعر عن غرضه من البيت الأول.

وينتقل الشاعر إلى البيتين الثاني والثالث قائلاً:

٢- حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيَّهَا السَّحَابُ إِذَا
نَوَّءُ الثَّرِيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاعِ

٢- وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيْكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ
سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَاءٍ

٤- رُحْمَاكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ
لَنَسَابِطَلَّا كِ مِنْ أَهْوَأَ وَاهْوَاءٍ

هذه الأبيات تمثل وحدة أسلوبية سردية وتعبيرية وفيها وصف لأثر الماء في السرحة.

(١) انظر: الحديث عن معجم القصيدة في هذا البحث.

(٢) انظر: أسلوبية الوصف وال الحوار .٤٠

(٣) المرجع السابق:٤١

لدينا وحدة أولى قبل أن يدخل الشاعر في الوصف، وهي وضع الإطار المكاني العام أو الإطار الجمالي العام لهذه السرحة، وهي السرحة التي سقاها الغيث. يمكن أن تمثل الأبيات الأربع الأولى وحدة أسلوبية معنوية متميزة وهي السرحة قبل ولو جها، قبل أن يدخلها الشاعر (سرحة سُقِيت بالغمام). وبصل الشاعر ما سبق بالبيتين الخامس والسادس قائلاً:

٥. وَكَمْ نَزَّلَنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْ (أ) هَجِير إِذْ حَيَثُ لَامْرَأٍ لِحِرَباءٍ

٦. نَظَلَ مِنْ فَيْئِكِ الْفَضَاضِ فِي ظَلَلِ مِنَ الْعَمَامِ يَقِينًا كُلَّ ضَرَاءٍ

هذا البستان يصلان ما سبق الذي هو الوصف العام بالوصف الخاص، أو يصفان ما قبل نزول الشاعر بالسرحة وما بعد نزوله بها. فابن مكانتس يفعل كما يفعل ابن الرومي الذي يتخير أبيات الوصل بين الأبيات ليجعل منها موقع استراتيجية تبشر بمشاهد وصفية منتظرة^(١). وفي قول الشاعر:

٥. وَكَمْ نَزَّلَنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْ (أ) هَجِير إِذْ حَيَثُ لَامْرَأٍ لِحِرَباءٍ

استعمال للتكرير للربط بين عناصر الوصف، ومهمته التمهيد للإقناع بأن الوصف وصف عارف بهذه السرحة، فهو لم ينزلها مرة أو مرتين، ثم هو لا يتحدث عن النزول، فالتكثير يفيد إجمال الخبر في الخطاب، فالشاعر لا يتحدث عن فعل بل عن حركة استمرت في الزمن فأصبحت ظاهرة، فهو يقول مرة واحدة ما حدث مرات كثيرة، فالخطاب واحد والمضمون متعدد.

وفي البيت السادس:

٦. نَظَلَ مِنْ فَيْئِكِ الْفَضَاضِ فِي ظَلَلِ مِنَ الْعَمَامِ يَقِينًا كُلَّ ضَرَاءٍ

يحول الشاعر الأحداث إلى أوصاف أحوال، فكأن الشاعر نفسه أصبح جزءاً من جمال هذه الطبيعة، أو كان جمال هذه الطبيعة يوصف لنا من خلال حركة الشاعر في هذه الطبيعة أو في هذه السرحة.

(١) انظر: المرجع السابق: ٣٩

فالبيتان يربطان بين المقدمة الأولى وهي السرحة التي سقاها الغيث فأينعت، وجاء الشاعر فأخذ يصفها، وبين الوصف الخاص.
إذن الأبيات السابقة ليست الوصف بل مقدمة للوصف وهذا التقديم الغاية منه جلب السامع إلى وصف هذه السرحة.

يقول بعد ذلك:

- ٧- يَا طَبَّةً بِدَوَاعِ الْقِيَظِ عَالِمَةً
- ٨- لَا صَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكِ الرَّزَّهُرَ وَأَنْجَسَتْ
- ٩- عِصَابَةُ الشَّرَبِ أَمْوَأْ رَوْضَ رَاهِرَةً
- ١٠- خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمَرْضِعُهَا
- ١١- فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا الْمُخْضَلَ وَافْتَرَشَتْ
- ١٢- قَرِيرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْأَرْضِ

يعود الشاعر من جديد إلى نداء السرحة والدعاء لها، وفي الأبيات من (٩-١٢) تركيز من الشاعر على العشب وفي ذلك إشارة إلى خضراء دائمة.

الأمر الثاني من مميزات البناء العام:

٢. لازمة التكثير: وذلك في قول ابن مkanس:

- ٤- رَحْمَكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ لَنَـا يُظْلِكِ مِنْ أَهْوَأْ وَآهْوَاءِ
- ٥- وَكَمْ نَزَلَنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْأَرْضِ هَجِيرًا إِذْ حَيَثُ لَامْرَأٍ لِحِرْسَاءِ
- ٢٣- كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَرْهَارَهَا طَرَبًا فَنَفَطَتْ تَهْبِي ضَاءِ وَصَفَرَاءِ
- ٢٤- وَكَمْ طَرَبَتْ لِمَا أَبْدَتْهُ مِنْ مُلْحَ يَصْبُولَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَأَرَاءٍ
- ٢٦- وَكَمْ شَدَّدْنَا حَمَامَاتُ الْأَرَاكِ عَلَى أَغْصَانِهَا فَأَرْتَتْ سَارَقَصَ هَيْفَاءِ شَمْطَاءَ تُجْلِي عَلَى الْجُلَاسِ عَذْرَاءِ
- ٤٨- كَمْ قَدْ تَعْمَنَّا بِهَا عَيْشَا بِصَافِيَةِ

٥- حَمْرَاءُ صِرْقَا وَصَفْرَا إِنْ مَرَجْتَ لَهَا
كَمْ مِنْ يَدِ فِي سَوَادِ اللَّيلِ بَيْضَاءُ

٥٥- كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلَ النَّسِيمِ بِهَا
عَلَى اعْتِدَالٍ وَحَدْبَاعٍ وَزَوْرَاءٍ

هذه لازمة أسلوبية دالة على أن منطق التكثير، التفخيم، الكلم، أداة من أدوات الإقناع بجمل الروضة وغيرها.

وهذه لازمة كبيرة تتغير زوايا النظر إلى هذه الروضة وتتغير المشاهد ولكن باستخدام الأداة نفسها.

٣. لازمة الصفة المشبهة في تركيب إضافي مسند إلى الروضة أو غيرها:

٨- لَا صَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكِ الْزَّهْرَ وَأَنْجَسْتَ
عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونَ الْوَدْقِ سَوْدَاءُ

١٢- قَرِيرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْ
قَلْبِ الْذِي لَمْ تَنْلُهُ غَيْرُ سَرَاءِ (م)

١٤- قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَرَّتْهَا الصَّبَابَقَبَتْ
فَهِيَ الْعَجُوزُ تَهَادِي هَدِيَ مَرْهَاءِ

٢١- بَرِيعَةُ الْحُسْنِ قَدْ فَازَ الْجِنَاسُ لَهَا
مِنَ الْمَعَانِي يَأْفَنَانِي وَأَفْنَاءِ

٢٤- نُوحِيَّةُ الصُّنْعِ وَالْإِحْكَامِ مُنْشَأَةٌ
تَسِيرُ مَا سَيَرَتْ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءِ

٥٥- كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلَ النَّسِيمِ بِهَا
عَلَى اعْتِدَالٍ وَحَدْبَاعٍ وَزَوْرَاءٍ

٤. المراوحة بين الوصف والسرد:

أي بين الإطار وتوظيفه، أي الروضة بدون فعل ثم الروضة بفعل، مثل:
الروضة بدون فعل:

١٢- قَرِيرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْ
قَلْبِ الْذِي لَمْ تَنْلُهُ غَيْرُ سَرَاءِ (م)

والفعل يبين في قول الشاعر:

١٣- مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنَى حَمَائِمَ بَلْ
كَنَاسُ أَرَامَ بَلْ أَفْنَاءُ دَرْمَاءِ

ومثل ما سبق (الروضة بدون فعل):

١٥- قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَرَّتْهَا الصَّبَابَقَبَتْ
فَهِيَ الْعَجُوزُ تَهَادِي هَدِيَ مَرْهَاءِ

والفعل يبين في قول الشاعر:

١٦- لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَيلٍ

وغير فعل الطبيعة فعل الخمرة وأثرها، كما في قول ابن مakanis:

٥٠- حَمْرَاءُ صِرْفًا وَصَفْرًا إِنْ مَرْجُتْ أَهَا
كَمْ مِنْ يَدٍ فِي سَوَادِ اللَّيلِ بَيْضَاءٍ

٥١- رَاحَأْ إِذَا رَكَعَ الإِبْرِيقُ يَمْزُجُهَا
سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيحَ فَأَفَاءَ

٥٢- أَمْ السُّرُورُ الَّتِي أَبْقَى الزَّمَانَ بِهَا
جُزْءَ الْحَيَاةِ وَقَدْ الْوَى بِأَجْزَاءِ

٥٣- فَعَانِيْهَا عَلَى طَلْلِ النَّدَى سَحَراً
فَإِنْ تَرْشَافَهَا مَوْتِي وَاحْيَائِي

فالآيات الثلاثة الأولى تبني جانب الموصف أما الأثر فيبين في الشطر الثاني من البيت

. الرابع.

ويتبع ما سبق: السمة الأسلوبية في مستوى اختيار البنية الصرفية:

أشاع الشاعر صيغة (فعلاء) في كثير من النص ومنه: (حصباء، لمياء، حولاء، مرهاء، درماء، حمراء، صفراء، خضراء، دكاناء، ورقاء، جرداء، سوداء، شمطاء، قوراء، حدباء).

١- ياسرحة الشاطئ المنساب كوثير
عَلَى الْيَوْاقيْتِ فِي أَشْكَالِ حَصَبَاءٍ

٨- لَا صَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكِ الْزَّهْرَ وَأَنْجَسْتَ
عَيْكِ كُلُّ هَتْوُنَ الْوَدْقِ سَوْدَاءٍ

١٢- قَرْبَرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْمَلِكِ
قَلْبُ الْذِي لَمْ تَنْلِهِ غَيْرُ سَرَاءِ

١٣- مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنَى حَمَائِمَ بَلْ
كِنَاسُ أَرَامَ بَلْ أَفْنَاءُ دَرْمَاءٍ

١٥- قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَتْ
فَهِيَ الْعَجُوزُ تَهَادَى هَدَى مَرْهَاءٍ

١٦- لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَيلٍ
حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءٍ

١٧- وَصَوْتُ بُلْبِلِهَا الرَّاقِي ذَرَى غُصْنٍ
فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءٍ

١٩- خَلَيَّةٌ حِينَ أَحْنَيْتُ الظُّلُوعَ عَلَى
نَارِ بِشَجُونِي بِهَا لَا حُبَّ لَمِيَاءٍ

- ٢٣- كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَرْهَارِهَا طَرَّاً
- ٢٤- كَانَهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلُدِ قَدْ كَمَّتْ
- ٢٥- كَانَ أَغْصَانَهَا الْلُّدُنُ الرَّشَاقِ إِذَا
- ٢٦- كَانَ صَمْعَتَهَا الْحَمْرَا بِقِسْرَتِهَا الدُّ
- ٢٧- كَانَمَا النَّهَرُ مِرَاهْ وَقَدْ عَكَفَتْ
- ٢٨- كَانَهُ شَبَكُ مِنْ لُؤْلُؤٍ نَظَمَتْ
- ٢٩- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا
- ٣٠- وَكَمْ شَدَّدْنَا حَمَامَاتُ الْأَرَاكِ عَلَى
- ٣١- مِنْ كُلِّ وَرْقَاءِ فِي الْأَفْنَانِ صَارِحةٌ
- ٣٢- وَرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتِ رَقَبَنَ عَلَى
- ٣٣- بَاكِرَتْهَا فِي سَرَاهٍ مِنْ أَصَاحِبِنَا
- ٣٤- يَسْعَى إِلَيْهَا عَلَى جَرْدَاءَ جَارِيَةٍ
- ٣٥- سَوْدَاءَ تَحْكِي عَلَى المَاءِ الْمُصْنَدَلِ شَا
- ٣٦- سَاجِيَّةَ الْبَسَّةِ الْمَطَانِعُونَ لَهَا
- ٣٧- غَرِيبَةَ ذَاتُ الْلَّوَانِ وَأَجْنِحَةٍ
- ٣٨- كَمْ قَدْ نَعِمْنَا بِهَا عَيشًا بِصَافِيَةٍ
- ٣٩- مِمَّا تَحِيرَهَا كِسْرَى وَادِعَهَا
- ٤٠- حَمَرَاءَ صِرْفًا وَصَفْرًا إِنْ مَرَجْحُتْ لَهَا
- (م) فَنَقَطَتْهُ بَيْضَاءَ وَصَفْرَاءِ
حُسْنَا وَحَسْبَكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَاءِ
هَصَرَتْ أَفَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ
دَكْنَاءَ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمَرَاءِ
عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلَلَاءِ
أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ
رَقَرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءِ
أَغْصَانِهَا فَارْتَأَرْقَصَ هَيْفَاءِ
بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ
عِيدَانَهَا فَالْهُ فِي مَغْنَى وَغَنَاءِ
لَا يَنْطَوُونَ عَلَى حِقْدٍ وَشَحْنَاءِ
مِنْ أَيْكَهَا كَهْلَلُ الْأَفْقِ حَدَباءِ
مَهَةَ عَلَى شَفَةِ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ
مِنَ التَّدَابِيجِ مَا يُزْرِي بِصَنْعَاءِ
لَمْ ادْرِ تَعْزِي لِرَوْضَى أَوْ لَعْنَاءِ
شَمْطَاءَ تُجَلِّى عَلَى الْجَلَاسِ
رَبُّ الْخَوَرَنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوَفَاءِ
كَمْ مِنْ يَدِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ

٥١— راحاً إذا ركع الإبريق يمزجها

٤٥— واستجلّها بنت مصر تستطيل على

٥٥— كم بين من قام معتل النسيم بها

سمعت من صوته تسريح فأقام

بغداد والموصى الحدباء وسوراء

على اعتدال وحدباء وزوراء

وعدد المرات التي وردت فيها (فعلاء) في نهاية البيت (٣٣) مرة ونسبة ذلك من النص (٥٤,٩٪) وهي نسبة كبيرة، تؤخذ في الاعتبار.

لقد أدرجت (فعلاء) في منازل لها أهمية عروضية، والمقطع مركز النقل في البيت، وهنا تفاعل بين البنية الصرفية والإيقاعية^(١)، ولبنية الدلالية الصرفية قيمة تمييزية أو مفيدة وهي اكتمال جمال الأنوثة فـ(فعلاء) صيغة أنثوية، وهي بحد ذاتها دال وفيها مدلول هو الأنوثة، وفي توادر صيغة (فعلاء) في الأبيات إضفاء قيمة أنثوية على النص، وترسيخ لها فيه، وهي صفة تتردد في الشعر العربي^(٢).

أشاع الشاعر في حشو الأبيات وأخر كثير منها تركيب (أفعال) ومنه:

٩— عِصَابَةُ الشَّرْبِ أَمْوَارُ رَوْضَ زَاهِرَةٍ
تُعْزِّي لَا كُرْمٌ أَخْ— وَالِ آبَاءُ

١٠— خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهًا وَمَرْضِعُهَا
ضرع النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَأَنْوَاءِ

وقوله:

٢١— بَدِيعَةُ الْحُسْنِ قَدْ فَازَ الْجِنَاسُ لَهَا
مِنَ الْمَعَانِي بِأَفْنَانٍ وَأَفْنَاءِ

٢٢— وَقَامَ عَنْهَا إِلْسَانٌ الزَّهْرَيُّ شِيدَنَا
لِلْهُوكُمْ أَرْجَ مَابَيْنَ أَرْجَائِي

وعدد المرات التي وردت فيها (أفعال) في نهاية البيت (١٤) مرة ونسبة ذلك من النص (٢٢,٩٪).

(١) انظر: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي، ٧٦.

(٢) (فعلاء) محببة لدى الشعراء أكثر من (فعيلة) والسبب لأن فعيلة مؤنث فعل إما فعلاء هي صيغة أنثوية

وليس تأنيثاً لصيغة ذكرية، فالصيغ ثلاثة أنواع:

١. صيغ مشتركة قائمة على التكامل: (فعيل) يقابلها (فعيلة)، جميل = جميلة.

٢. صيغ ذكرية محضة: (أفعال). (فعلان).

٣. صيغ أنثوية محضة: (فعلاء) (فعل).

أشاع الشاعر في حشو الأبيات وأخر كثير منها التركيب الإضافي ومنه:

عَلَى الْيَوْمِيَّتِ فِي أَشْكَالِ حَصَبَاءِ
نَوْءُ الْثَّرَيَا اسْتَهَلَتْ ذَاتَ آنَوَاءِ
سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَاءِ
مِنَ الْغَمَامِ يَقِينًا كُلُّ ضَرَاءِ

- ١- ياسرحة الشاطئ المنساب كونه
- ٢- حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَّالِهَا السَّحَابُ إِذَا
- ٣- وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيْكِ النُّورُ مِنْ جَذَلِ
- ٤- نَظَلَ مِنْ فَيْنِكِ الْفَضَّاضِ فِي ظَلَلِ

وقوله:

كِنَاسُ آرَامَ بَلْ أَفْتَاءُ دَرَمَاءِ
فُهَا يَعَادِلُ فِيهِ طَيْبَ مَشْتَاءِ (م)
فَهُيَّ الْعَجُوزُ تَهَادِي هَدِيَ مَرْهَاءِ
حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءِ
نَارٌ يُشَجُّوْيِ بِهَا لَحْبَ لَمِيَاءِ
لِلْهُوكُمُ أَرْجَ مَا بَيْنَ أَرْجَانِي
هَصَرَتْ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ
دَكْنَاءُ قَرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

هَظَابَهُ سَفْحُ وَادِ رَبَّ أَفِيَاءِ
نَهْرُ الْأَبَلَّةِ يُزْرِي أَيِّ إِزْرَاءِ
فِرِندُ سَيْفٍ نَسْطَهَ كَفْ جَلاءِ
أَوْ جَوَهَرَ السِّتِّ أَوْ تَجَلِّيلَ رَقْشَاءِ

- ٥- مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنِي حَمَائِمَ بَلْ
- ٦- لَهَا مَطَارِفُ طَلْ سَجْسَاجَ فَمَصِيدِ
- ٧- قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَرَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَتْ
- ٨- لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلِ
- ٩- حَلَّيَّةٌ حِينَ أَحْنَيْتُ الظُّلُوعَ عَلَى
- ١٠- وَقَامَ عَنْهَا السَّانُ الزَّهْرَيُّ نَشِيدُنَا
- ١١- كَانَ أَغْصَانَهَا الْلَّدُنَ الرَّشَاقَ إِذَا
- ١٢- كَانَ صَمْعَنَهَا الْحَمْرَا بِقِشْرَتْهَا الدُّ
- ١٣- كَانَهَا فَوْقَ دِعْصِيَ الْمَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ
- ١٤- ذُو شَاطِئِ رَاقَ غَبَّ الْقَطْرُ فَهُوَ عَلَى
- ١٥- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيَكِ النَّسِيمِ لَهُ
- ١٦- كَانَهُ شَبَكِ مِنْ لَوْلَؤٌ نَظَمَتْ

وغير ذلك من الشواهد، وتبرز بالإضافة في آخر البيت، ومن أسباب ذلك أن الروي مجرور، وعدد المرات التي أتى فيها آخر البيت مكوناً من تركيب بالإضافة (٢٢) مرة ونسبة ذلك من النص (٣٦٠٦%).

ومن الأمور التي تشد النص بعضه إلى بعض:

أ. حفل الماء فهو متناثر في النص كله، أوله وهو يتحدث عن السرحة وأوسطه وهو يعرض للسفينة، وآخره وهو يتحدث عن الخمرة.

بـ. الثنائيات: الطلاق: تسممـ. بكاء، سواد الليلـ. بيضاء أبيقيـ. الوليـ.

التكرار: مالت - مالت

الجنس: أرجاء — أرجاء

الإفراد والجمع: نوع - أنواع

التذكير والتأنيث: شاد - شادية

لوجات الصور، وقد اختار الشاعر التشبيه التمثيلي في صوره، فأكثر القصيدة قائم على التشبيه التمثيلي، والقسم الأول منه هو:

ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَأَنْوَاءِ

١٠- خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمَرْضِعُهَا

زَهْرَ الْرِّبَا وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ

١١ فَاسْتَعْفُ عَنْهُمْ وَمَنْ يَعْلَمُ مُخْضًا وَافْتَشَتْ

قَلْبُ الَّذِي لَمْ تُنْلِهِ غَيْرُ سَرَّاءٍ

١٢- قبة العين بالأنواع باردة الـ ()

كِنَاسُ آرَامَةِ، أَفْنَاءُ دَمَاءُ

١٣- مَقْرَأُونَ دُعَانَاتٍ، مَغْنَ حَمَائِمَاتٍ

فَهَا يَعْدَاداً فِي هَذِبَ مَشْتَاءً

١٤ آهَ أَهَبَ لِي فُرْظَ الْمُسْكَنِ سَجَقَةَ

فَهُوَ الْعَجَزُ مِنْ تَحْكَمِ الْأَيَّلَاتِ

١٢- قرآن و آیت‌الله برهان‌الدین حنفی صفت

حَتَّى تَعْلَمَ مَا يَأْخُذُكَ إِنَّهُ مُلْكٌ

١٣- لَا يُنْهَىُ الْحَالُ فِي أَقْدَامِهِ حَمَّادٌ

مَكَانٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ مَا يَشَاءُ وَمَا يَعْمَلُ لَهُ بِهِ شُفَّاعًا

— 1 —

1. *Alouatta palliata* (Linnaeus) 2. *Alouatta seniculus* (Linnaeus)

نَارٍ بِشَجْوِيْ بِهَا لَا حُبَّ لَمِيَاءِ
عَلَى الْهَوَاءِ وَاحْتَنَّهَا عَلَى الْمَاءِ
مِنَ الْمَعَانِي بِأَفْتَانِ وَآفَنَاءِ
لِلْهُوكُمْ أَرْجُ مَا بَيْنَ أَرْجَانِي
فَنَقَطَتْ هُبَيْضَاءِ وَصَفَرَاءِ
يَصْبُو لَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَارَاءِ

- ١٩- خَلِيلٌ حِينَ أَحْنَيْتُ الظُّلُوعَ عَلَى
- ٢٠- تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا
- ٢١- بَدِيعَةُ الْحُسْنِ قَدْ فَازَ الْجِنَاسُ لَهَا
- ٢٢- وَقَامَ عَنْهَا سَانُ الرَّهْرِيْنُ شِدَّنَا
- ٢٣- كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَبًا
- ٢٤- وَكَمْ طَرَبْتُ لِمَا أَبْدَنَهُ مِنْ مَلْجٍ

وهذه الأبيات فيها ما أنت فيه الصورة وقد غالب عليها:

١. المجاز العقلي. أي، تصوير عناصر الطبيعة وهي متحركة، وهي فاعلة.

٢. التشبيه التمثيلي. ويفيد في:

حُسْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ خَطْرَاءَ لَفَاءِ
هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ
دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ
هِظَابَهُ سَفَحُ وَادِرَبُ أَفْيَاءِ
كَانَهَا أَذْنُ مَالَتْ لِإِصْغَاءِ
عَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنِ وَلَاءِ
نَهْرِ الْأَبْلَأَةِ يُزْرِي أَيْ إِزْرَاءِ
فِرْنَدُ سَيْفِ نَضْتَهُ كَفْ جَلَاءِ
أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ
رَقَرَاقُ عَيْنِي بِوَجْهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءِ

- ٢٦- كَانَهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ قَدْ كَمْلَتْ
- ٢٧- كَانَ أَغْطَانَهَا اللَّدْنَ الرَّشَاقَ إِذَا
- ٢٨- كَانَ صَمْغَتَهَا الْحَمْرَا بِقِسْرَتِهَا الدُّ (م)
- ٢٩- كَانَهَا فَوْقَ دِعْصِ الْمَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ
- ٣٠- مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاَشَ الْخَرِيرِيَّهِ
- ٣١- كَانَمَا النَّهْرُ مِرَأَهُ وَقَدْ عَكَمَتْ
- ٣٢- نُوشَاطِرِ رَاقَ غِبَّ الْقَطْرِ فَهُوَ عَلَى
- ٣٣- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيَكِ النَّسِيمِ لَهُ
- ٣٤- كَانَهُ شَبَكُ مِنْ لُؤْلُؤَ نَظِمَّتْ
- ٣٥- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَّا

لقد بني الشاعر قصيده على المشهد، وهو مشهد طبيعي، يبنيه على مجموعة من وسائل الإدراك، لأنه لا يبني سرحة حقيقة بل يبني سرحة شعرية، يبني مثلاً شعرياً، نموذجاً شعرياً وقد نظر إليه من خلال:

١- استعمال الجموع (اللياقية، أشكال، السحاب، أنواء، ظلل، الغمام، الزهر، عصابة، أخوال، آباء، خمائن، حمائن، مطارات، لحظات، الريش، الضلوع، أضالعها، المعاني، ملح، اللدن، الرشاق) وهي تغلب على المفردات بل ربما اتخذ الشاعر من المفرد أداة للإتيان بالجمع كما في قوله:

نَوْءُ الثَّرِيَّا اسْتَهَلَتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ

حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَّالِيْهَا السَّحَابِ إِذَا

لِلْهُوكُمْ أَرْجُ مَا بَيْنَ أَرْجَانِي

وَقَامَ عَنْهَا سَانُ الزَّهْرِ يُنْشِدِنَا

جُزْءَ الْحَيَاةِ وَقَدْ أَلَوَى بِأَجْزَاءِ

أَمْ السُّرُورُ الَّتِي أَبْقَى الزَّمَانَ بِهَا

ومما سبق يبين أن الجموع تتواجد من المفردات.

٢. يستعمل الشاعر مختلف أنواع الحواس .

وسائل الإدراك:

١- وصف الأحجام (أحجام الشيء): (الوارف، الفضاض، هيقاء، قرص (١)، فيحاء).

٢- الشكل (وطفاء، حدباء، قوراء، جوفاء)

٣- اللون (دكنا، سواد الليل، بيضاء، صفراء، خضراء، الحمرا، سمراء، لؤلؤ، جوهر السنت، رقشاء، زرقة، شهلاء، سوداء، ألوان).

٤. الصوت: (صوت بلبلها، قرع ناقوس، ينشدنا، الخير، لإصغاء، شدتنا، صادحة، تغنت، مغني، وغناء، صوت العود والناء، تشدو).

٥. الشم: (المصندل، تنفحنا، نشر الخزاماء).

٦. الذوق: (الشهد، ترشافها).

٧. الحركة: (هزتها، أحنيت، صفق، هصرت، مالت (مرتين)، عكفت) (٢).

(١) القرص: من الحلبي المقرص أي المستدير، القاموس المحيط (قرص).

(٢) تكون سريعة وبطيئة. راجع: البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر: ٢٢٤-٢٢٦. علي علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث. ١٩٩٦هـ ١٤١٦م.

ومما يتصل بالبناء (شيوخ الضمائر):

يغلب على القصيدة الربط بالضمائر، فقد شاعت الضمائر التي تحيل على السرحة في القصيدة وقد تصل إلى ثلاثة ضمائر محيلة على السرحة في البيت الواحد مثل:

٤- رَحْمَاكِ بِالوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ لَنَا بِطَلْكِ مِنْ أَهْوَأَ وَاهْوَاءِ

فتكرار الضمير هنا يدل على التعلق وهو سمة مميزة، وعند آخر بيت متصل بالسرحة لم يرد إلا ضمير واحد يحيل عليها وكان الشاعر يمهد بذلك ل نهاية الحديث عنها:

٣٩- بَاكَرْتُهَا فِي سَرَّاًةِ مِنْ أَصَاحِبِنَا لَا يَنْطَوُونَ عَلَى حِقْدِ وَشَحْنَاءِ

مانع الوصف:

ولعل الشاعر آخر ختام وصف السرحة بالبيت:

٤٠- بَاكَرْتُهَا فِي سَرَّاًةِ مِنْ أَصَاحِبِنَا لَا يَنْطَوُونَ عَلَى حِقْدِ وَشَحْنَاءِ

والمانع عن الإكمال هو أن الشاعر وصل إلى غاية يريدها هو ومن معه وهي اللهو في المغني والغناء الذي سيساعد على اللهو الذي سيأتي في الأبيات القادمة^(١).
التواصل بين الشاعر والسرحة:

يبدأ الشاعر قصيدته بالخطاب وهو أعلى درجات التواصل بين اثنين، فيخاطب شيئاً أمامه قائلاً:

عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

١- يا سرحة الشاطئ المناسب كوثره

نَوْءُ الثُّرَى اسْتَهَلتُ ذَاتَ أَنْوَاءِ

٢- حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابَ إِذَا

سَقَائِكِ مِنْ كُلِّ غَيمٍ كُلُّ بَكَاءِ

٣- وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيَكِ النُّورُ مِنْ جَذَلِ

لَنَا بِطَلْكِ مِنْ أَهْوَأَ وَاهْوَاءِ

٤- رَحْمَاكِ بِالوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ

هَجِيرٌ إِذْ حَيَثُ لَا مَرَأَيٌ لِحِرَباءِ

٥- وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْ(أ) هَجِيرٌ إِذْ حَيَثُ لَا مَرَأَيٌ لِحِرَباءِ

(١) انظر: أسلوبية الوصف والحوار: ٥٢.

- ٦- نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الْفَضْفَاضِ فِي ظَلَّلٍ
- أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدَى الرَّمْضَانِ الدَّاءِ
- عَيْنِكِ كُلُّ هَنْوَنٍ الْوَدْقُ سَوْدَاءُ

ثم يلتفت إلى الغيبة فيتحدث الشاعر عن السرحة محيلاً عليها بضمير الغيبة، بعد أن عقد العلاقة القوية معها من خلال الخطاب.

سار الشاعر في حديثه عن الخمرة حتى وصل إلى طلب المعاطة فأتي بالخطاب قائلاً:

٥٣. فَعَاطَنِيهَا عَلَى طَلِّ النَّدَى سَحَراً

ليفيد فرط تعلقه بها، وأن كلامه عنها في الأبيات السابقة كان ينمّي شوّقه إليها حتى نفذ صبره.

ومن خلال ما سبق يبين أن ترابط مشاهد القصيدة الوصفية ومقاطعها السردية فيما بينها بما يناسب التجربة الشعرية المعبّر عنها العدول في البناء:

من مظاهر العدول في البناء أن الشاعر جعل الحديث عن الطلل وفضيل البدء بالخمرة عليه في نهاية القصيدة، على عكس من شُهر بذلك وهو أبو نواس الذي يجعله في بداية القصيدة، وسبب ذلك أن الأمر لا يناسب الذوق الحضري وهو يشير إلى ذلك محترقاً حين قال:

٥٨- أَمَّا أَنَا لَسْتُ تَوَاحِدًا عَلَى طَلَّلٍ

عَنِ الْمُدَامِ بِدَرِ الإِبْلِ وَالشَّاءِ

لَمْ يَرْفَقْ وَابْنَ إِيْطَاءِ وَقْوَاءِ

كَانَهُ وَاصِلٌ وَالشِّعْرُ كَالرَّاءِ

٥٩- تَرَكْتُهُ لِأَنَاسٍ كَالْتِيوُسِ غَنَوْا

٦٠- يُعْزُونَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَاتِهِمْ

٦١- مِنْ كُلِّ الْكَنَّ عِنْدَ الْبَحْثِ مُنْقَطِعٌ

ولا سيما البيت (٥٩) الذي يفيد كون ذلك الأمر من دلائل الbadia حين ذكر الإبل والشاة.

واستعمال ابن مكานس صيغة المبالغة (فعّال) (نواح، ندّاب) الدالة في أصل وضعها على الحرفة بيان براءته من فعل يعيب على العرب صنعه.

وفي قول ابن مكأنس:

٢٥- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَّا
رَقْرَاقُ عَيْنِ بِوْجِهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءٍ

هنا عدول فهو لا يهدي الزرقة والصفاء لكنه عبر بها للدلالة على راحة القوم الذين يجلسون.

أساليب الهيكل الداخلي للكلام:

من أبرز أساليب الهيكل الداخلي للكلام الأسلوب الخبري. وفي تكتيفه واستغناه الشاعر عن التأكيد فيأغلب الموصفات دليل على ثقته بمضمون خبره. وعدم توقع موقف مناف من المتقبل لحكمه على موصوفه^(١).

الجمل التي تسسيطر على القصيدة:

تغلب على القصيدة الجمل الفعلية ويغلب على الجمل الفعلية الجمل الفعلية الدالة على الماضي وعددها (٤٥)، أما الجمل الفعلية الدالة على المضارع^(٢) فهي (٢٥)، ونأخذ من ذلك أن الشاعر كان يكتب ذكري ونوعاً من الحلم، فهو يعيش بالكتابة ما عاشه واقعاً فالشعر حياة جديدة لكن في الحلم.

الجموع:

وتقترب نسبة جمع القلة مع جمع الكثرة ففي الكثرة (٢٨) وفي القلة (٢٧)^(٣).
الاختيار:

سأعرض في هذه الأسطر اختيار ابن مكأنس لبعض الألفاظ في نصه، هي:
١. (سرحة) و(المنساب) في قوله:

١- يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمَنْسَابِ كَوْثَرُ
عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصَبَاءٍ

(١) راجع: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ٦٩-٧١.

(٢) مما يدل على المضارع ولو أدنى في صورة الماضي الجمل الشرطية كقول الشاعر:
وَإِنْ تَبْسَمَ فِيْكِ النُّورُ مِنْ جَذْلٍ... لأن الشرط يمحضها للمستقبل.

(٣) لو تكرر اللفظ بلفظه ومعناه فهو معدود.

(السرحة) صوت (س) مرقق صفيرى و(ر) مائع ترددى تكرارى و(ح) مهموس، هذه الأصوات الثلاثة تتناسب كدوال والمدلول الموصوف الذى هو مشهد الطبيعة الجميلة متناسب مع مادة فعل (سرح) الذى فيه جريّة وانطلاق واتساع وهى من نفس المادة لـ(سحر) التي تفيد الهدوء والتأمل، ومنها (السحر). ومادة (سرح) و(ساب) كلاهما يدل على الامتداد والانتشار.

٢. (حرباء) في قوله:

٥. وَكُمْ نَزَلْنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْ (ما) هَجِيرُ إِذْ حَيَثُ لَامَرَى لِحِرَباءِ

كان يجري على سنن القدماء، فلأبي العلاء المعرى:

جَدْ مَقِيمٌ وَخَابَ ذُو سَفَرْ (١) كَانَهُ فِي الْهَجِيرِ حِرَباءً

وله أيضًا:

كَانَى عَلَى الْعَوْدِ الرَّكُوبِ مَهَاجِرًا إِذَا صَحَّ حِرَباءُ الظَّاهِيرَةِ عَوْدُ (٢)

وله أيضًا:

بَزَهْسَى إِذَا حِرَباءُهَا صَلَى الْوَغَى حِرَباءُ كُلِّ هَجِيرَةٍ مَهْيَافِ (٣)

ولحازم القرطاجنى:

شُمُوسٌ تَرِى مِنْ دُونَهَا كُلُّ مَمْسِكٍ بِجِذْنِ الْقَنَابِرِ نَوْبَمْقَلَةِ حِرَباءِ (٤)

واختيار ابن مكائس له ما يسوّجه وهو ما يفيد شدة الحرارة وفرط الظل الذي ينعم به الشاعر تحت السرحة.

إن اختيار ابن مكائس لفظة (حرباء) دون غيرها عائد لما تمثله في هذا السياق من دلالة على فرط حرارة الشمس، فالحرباء ذكر أمر جُبُّين، دويبة نحو العظاية أو أكبر.

(١) اللزوميات. أبو العلاء المعرى: ٥٦/١. دار صادر، بيروت.

(٢) سقط الزند. أبو العلاء المعرى. شرح أحمد شمس الدين: ٢٥٣. دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٥هـ لبنان.

(٣) لو تكرر الفظ بلفظه ومعناه فهو معدود.

(٤) ديوان حازم القرطاجنى. تحقيق عثمان الكعاك: ٢. دار الثقافة. ٩٤٠٩هـ ١٩٨٩م. بيروت. لبنان.

تستقبل الشمس برأسها ف تكون معها كيف دارت. وتتلون ألوانا بحر الشمس^(١). واستعمال غيرها لن تفيد ما تفиде لفظة (حرباء).

٢. (عصابة) للدلالة على الجماعة من الرجال والفتيا المعاصرين للخمرة. فالعصابة ترتبط في التراث الشعري الهمجي عند بعض الشعراء كالأشعشى وحسان بن ثابت رضي الله عنه بالمنادمة... ولفظ (عصابة) اسم لا جمع له من لفظه فكان هذه العصابة لا تنقسم على نفسها فهي كيان واحد. وكل لا يتجزأ إلى أعداد صغيرة^(٢).

كما أن لفظ العصابة جمع مؤنث والتأنث هنا يضيء جانب آخر من جوانب شخصية العصابة إذ يضفي عليهم مسحة من الأنوثة والرق، أو بالأحرى يبرهن ما فيهم من أنوثة^(٣). هي من متممات المشهد.

الفصل والوصل:

تملي النظم على الشاعر الفصل في مواضع والوصل في أخرى^(٤). ومن خلال النظر في نص ابن مكานس أجده وافق القواعد التي تمليها البلاغة العربية ومن ذلك ما ورد في قوله:

٥. وَكَمْ نَزَّلْنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْ (ما) سَهَجِيرُ إِذْ حَيَّثُ لَمْ رَأَى لِحْرَبَاءِ

فالفصل بين (وكم نزلنا... السهيجير) وبين (إذ حيث لأن الجملة الثاني تضم معنى الأولى).

وفي قوله:

٧- يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ الْقَيْظِ عَالِمَةً

فالفصل بين الشطرين آت من أن الثاني تأكيد للأول فهو يحمل معناه.

وفي قوله:

١٢- قَرِيرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْ (ما) قَلْبِ الْذِي لَمْ تَنْلُهُ غَيْرُ سَرَاءِ

(١) انظر: لسان العرب (حرب).

(٢) انظر: تحليل لغوي أسلوبى لنصوص من الشعر القديم. عبد الرحمن الرحموني ومحمد بو حمدى: ٣٦-٣٥. دار الأمان. ط.١٩٩٠. م. الرباط.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٢٧.

(٤) راجع: الإيضاح في علوم البلاغة. الفزويني. قدم له وبويه وشرحه د. علي بولمحم: ١٤٥-١٦٤. منشورات دار ومكتبة الهلال. ط.١٩٩١. م. بيروت. لبنان.

فالفضل بين (قرينة....) وبين (باردة...) لأن الجملة الثاني تضم معنى الأولى.
أما مواضع الوصل فكثيرة جداً في القصيدة فيغلب عليها الوصل بين المفردات
ومنها قول ابن مakanis:

يَصْبُولَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَآرَاءٍ

٤٤. وَكَمْ طَرِبْتُ لِمَا أَبْدَتْهُ مِنْ مُلْحٍ

والشاهد (ذى عقل وآراء).

وقوله:

فَإِنْ تُرْشَأْفَهَا مَوْتِي وَاحْيَائِي

٤٥. فَعَاطَنِيهَا عَلَى طَلْنَدَى سَحَراً

والشاهد (موتي وإحياءي).

وقوله:

تَشَدُّدُ لَتَابَيْنَ صَوْتِ الْعُودِ وَالنَّاءِ

٤٦. مِنْ كَفِ طَبْرِي وَشَادِيْ أَوْ شَادِيَّةِ

والشاهد (العود والناء).

وقوله:

لَمْ يَفْرُقْ وَبَيْنَ إِيْطَاءِ وَاقْوَاءِ

٤٧. يُعْزَونَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالِهِمْ

والشاهد (إيطة واقواء).

والسبب في الوصل في الموضع السابقة أن الأسماء المعطوفة تشارك ما قبلها في الحكم وتدخل معها في المعنى^(١).

ملحوظات لغوية:

ومما يدرو فيه مخالفة للمألوف من قواعد اللغة قول ابن مakanis:

١. قول ابن مakanis:

مِنَ التَّدَابِيجِ مَا يُزْرِي بِصَنْعَاءِ

٤٨. سَاجِيَّةُ الْبَسْتَهَا الصَّانِعُونَ لَهَا

(١) راجع: لسانيات النص: ١١٠.

كان على الشاعر أن يقول (أليسها) لأنه يسند الفعل إلى جمع مذكر سالما، ولا يجوز معه تأنيث الفعل، وهذا من الخطأ الذي وقع فيه ابن مكانتس وقد يرق أسلوب الشاعر حتى يصير مبتلاً وتبدو فيه أخطاء قليلة لا ترضي النحو ولا اللغة^(١).
٢. قوله الذي حذف فيه الفاء :

٥٨ - أَمَا أَنَا سُنْ نَوَاحًا عَلَى طَلَالٍ
وَلَا خَلِيلٌ وَلَا نَدَابٌ أَحِيَاءٌ

فالأصل: أما أنا فلست، ولكن الشاعر حذف الفاء، مع أن (اما) لم تدخل على قول قد طرح استغناء عنه بالمفهول^(٢).

٣. ومن الضرورات التي وقع فيها ما ورد في قوله:

٤٠ - تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا
عَلَى الْهَوَاءِ وَأَحْتَهَا عَلَى الْمَاءِ

فقد أبقى الياء في (تحني) مع جزمهاب (الم) والصواب حذفها، ولكنه أبقاها الثالث ينكسر البيت.

٤. استعمال لفظ (الست) في قوله:

٤٤ - كَانَهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نَظَمَتْ
أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءٍ

واللفظ عامي مصري، (استي) للمرأة معناها: ست جهاتي، أو لحن، والصواب سيدتي^(٣). ولا عجب في استعمال ابن مكانتس العامي، فهو متأثر بما سمع^(٤).

(١) مقال محمود رزق (في ظلال السرحة)، ٧٨٢.

(٢) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام الأنباري: ٤/٢١١. المكتبة العصرية. ١٤١٤هـ بيروت.

(٣) القاموس المحيط: (ست).

(٤) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي. د. محمود رزق سليم: ٨/٤٦٨ وما بعدها. مكتبة الآداب ط١. ١٩٦٥م ١٣٨٥هـ مصر.

نسبة الفعل إلى الصفة^(١):

- ١- ياسرحة الشاطئ المنساب كوثير
 على اليواقيت في أشكال حصباء
 نوءُ الثُّرَيَا اسْتَهَلتْ ذاتَ آنْوَاءِ
 سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَاءِ
 لَنَابِظِلِكِ مِنْ آهَوَا وَآهَوَاءِ
 وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْ(م) هَجِيرٌ إِذْ حَيْثُ لَا مَرَأَى لِحِرْبَاءِ
 مِنَ الْغَمَامِ يَقِينًا كُلُّ ضَرَاءِ
 أَنْتِ الشِّفَاعَةُ لَدَيِ الرَّمَضَانِ الدَّاعِ
 عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الْوَدْقِ سَوْدَاءِ
 تُعْزِي لِأَكْرَمِ أَخْرَوَالِ وَآبَاءِ
 ضَرُعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلِ وَآنْوَاءِ
 زَهْرَ الرَّبَّا وَرَقْتُ عَرْشًا عَلَى المَاءِ
 قَرْبَرَةُ الْعَيْنِ بِالآنَوَاءِ بَارِدَةُ الْ(م) قَلْبِ الْذِي لَمْ تَنْلُهُ غَيْرُ سَرَاءِ
 كِنَاسُ أَرَامَ بَلْ مَغْنِى حَمَائِمَ بَلْ
 مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنِى حَمَائِمَ بَلْ
 لَهَا مَطَارِفُ ظَلَلَ سَجَسَجَ فَمَصِيدُ (م) فُهَا يُعَادِلُ فِيهِ طَيْبَ مَشْتَاءِ
 فَهُنَّ الْعَجُوزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءِ
 حَتَّى تَعْوُدَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءِ
 لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلِ
 ٢- حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيَّهَا السَّحَابُ إِذَا
 وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيْكِ النَّوْرُ مِنْ جَنَلِ
 رَحْمَاكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ
 ٦- نَظَلَ مِنْ فَيْئِكِ الْفَضْفَاضِ فِي ظَلَلِ
 ٧- يَاطَّبَّةُ بِدَوَاءِ الْقَيْظِ عَالَمَةُ
 ٨- لَاصَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكِ الزَّهْرَ وَأَنْجَسَتْ
 ٩- عِصَابَةُ الشَّرْبِ أَمْوَارُ وَرْضَ رَاهِرَةٍ
 ١٠- خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا
 ١١- فَاسْتَمْهَدَتْ دُوْحَهَا الْمُخْطَلُ وَافْتَرَشَتْ
 ١٢- ١٢- قَرْبَرَةُ الْعَيْنِ بِالآنَوَاءِ بَارِدَةُ الْ(م) قَلْبِ الْذِي لَمْ تَنْلُهُ غَيْرُ سَرَاءِ
 ١٣- ١٣- قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَرَزَهَا الصَّبَا فَصَبَتْ

(١) انظر في ذلك: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية: ٥٩-٦٨.

ملحوظة: سأكتب الصفة بخط أكثر سواداً، وسأضع خطأ تحت كل فعل مع كتابته بخط مائل.

- ١٧- وَصَوْتُ بِلِيلِهَا الرَّاقِي ذَرَى غُصْنٍ
- ١٨- كَقَرْعَ نَاقْوُسِ دَيْرِي عَلَى شَرَفِ
- ١٩- خَلِيلَةٌ حِينَ احْتَيْتُ الظُّلُوعَ عَلَى
- ٢٠- تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تُحْنِي أَضَالِعَهَا
- ٢١- بَدِيعَةُ الْحُسْنِي قَدْ فَازَ الْجِنَاسُ لَهَا
- ٢٢- وَقَامَ عَنْهَا سَانُ الزَّهْرِيُّ شِدْنَا
- ٢٣- كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَبًا
- ٢٤- وَكَمْ طَرَبَتْ لِمَا أَبْدَتْهُ مِنْ مَلْحٍ
- ٢٥- وَجَدْتُ بِالْتِرْمِ مَالِي وَمِنْ أَدِيرِي
- ٢٦- كَانَهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلُدِ قَدْ كَمْلَتْ
- ٢٧- كَانَ أَغْصَانَهَا الْأَلْدَنَ الرَّشَاقَ إِذَا
- ٢٨- كَانَ صَمْغَتَهَا الْحَمْرَا يَقْشِرَتَهَا الدُّمْرَاءُ دَكْنَاءُ قُرْصٍ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ
- ٢٩- كَانَهَا فَوْقَ دِعْصِ الْمَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ
- ٣٠- مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الْخَرِيرِيَّهِ
- ٣١- كَانَمَا النَّهْرُ مِرَاهُ وَقَدْ عَكَفَتْ
- ٣٢- نَوْشَاطِيَّ رَاقِ غَبَ القَطْرِ فَهُوَ عَلَى
- ٣٣- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيْكِ التَّسِيمِ لَهُ
- ٣٤- كَانَهُ شَبَكُ مِنْ لُؤْلُؤِ نُظمَتْ
- فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ
 مُسَيْحٍ فِي سَوَادِ الْلَّيْلِ دَعَاءِ
 نَارٍ يُشَحْجُويُّ بِهَا لَا حُبَّ لَمِيَاءِ
 عَلَى الْهَوَاءِ وَاحْتَنَهَا عَلَى الْمَاءِ
 مِنَ الْمَعَانِي يَا فَنَانٍ وَافْنَاءِ
 لِلْهُوكَمْ آرَاجٌ مَا بَيْنَ آرَاجَائِي
 فَنَفَّطَتْ هُبَيْيَ ضَاءِ وَصَفَرَاءِ
 يَصْبُولَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَأَرَاءِ
 فَكُنْتُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْهُمَا الطَّائِي
 حُسْنَا وَحَسْبَكَ مِنْ خَضْرَاءِ لَفَاءِ
 هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ
 هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ

- ٢٥- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَّاً
 رَقْرَاقُ عَيْنِ بِوْجَهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءِ
- ٢٦- وَكَمْ شَدَّتْنَا حَمَامَاتُ الْأَرَاكِ عَلَى
 أَغْصَانِهَا فَارَتَنَا رَقْصَ هَيْفَاءِ
- ٢٧- مِنْ كُلِّ وَرْقَاءِ فِي الْأَفْنَانِ صَادِحَةٌ
 بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءِ زَهْرَاءِ
- ٢٨- وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتِ رَقْبَيْنَ عَالَى
 عِيدَانِهَا فَالْهُ فِي مَغْنَى وَغَنَّاءِ
- ٢٩- بَاكِرُهَا فِي سَرَّاءِ مِنْ أَصَاحِبِنَا
 لَا يَنْطَوُونَ عَلَى حَقْدٍ وَشَحْنَاءِ
- ٣٠- تَدَاعَبُوا بِمَعَانِي شِعْرِهِمْ فَأَرَوْا
 وُدَّ الْأَحْبَبِةِ فِي الْفَاطِرِ أَعْدَاءِ
- ٣١- مِنْ كُلِّ شَيْخٍ مُجَوْنِ فِي شَبَابِ فَتَّى
 يُفْرِي الْمُجُونَ بِقَلْبٍ غَيْرِ نَسَاءِ
- ٣٢- يَسْعَى إِلَيْهَا عَالَى جَرْدَاءِ جَارِيَةٍ
 مِنْ أَيْكِهَا كَهْلَالِ الْأَفْقِ خَدْبَاءِ
- ٣٣- نُوحِيَةُ الصُّنْعِ وَالْأَحْكَامِ مُنْشَأَةٌ
 تَسِيرُ مَاسِرَتْ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءِ
- ٣٤- سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى الْمَاءِ الْمُصَنَّدِلِ شَآ (ام) مَةٌ عَالَى شَفَةِ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ
- ٣٥- سَاجِيَّةُ الْبَسْتَهَا الْحَسَانِيُّونَ لَهَا
 مِنَ التَّدَابِيجِ مَا يُزْرِي بِصَنْعَاءِ
- ٣٦- غَرِيَّةُ ذَاتُ الْلَّوَانِ وَأَجْنِحَةُ
 لَمْ أَدْرِ تَعْزِي لِرَوْضٍ أَوْ لِعَنْقَاءِ
- ٣٧- لَمْ يَسْتَطِعْ شَاؤِهَا إِذْ سَيْرُهَا عَنْقُ
 غَرَّ الْجِيَادِ عَالَى كَدْ وَإِنْظَاءِ
- ٣٨- كَمْ قَدْ تَعِمَّنَا بِهَا عَيْشَأَ بِصَافِيَّةِ
 شَمْطَاءَ تَجْلِي عَلَى الْجُلَاسِ عَذْرَاءِ
- ٣٩- مَقَاتَحِيرَهَا كَسْرَى وَأَدْعَهَا
 رَبُّ الْخَوْرُنَقِ فِي قَرْوَاءِ جَوْفَاءِ
- ٤٠- حَمْرَاءُ صِرْفَاً وَصَفْرَاً إِنْ مَزْجَتْ لَهَا
 كَمْ مِنْ يَدِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَيْضَاءِ
- ٤١- رَاحَأَا إِذَا رَكَعَ الإِبْرِيقُ يَمْزُجُهَا
 سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيحَ فَأَفَاءِ
- ٤٢- أَمْ السُّرُورُ الِّتِي أَبْقَى الزَّمَانُ بِهَا
 جُزْءَ الْحَيَاةِ وَقَدْ الْوَى بِأَجْزَاءِ

- ٥٢- فَعَاطِنِيهَا عَلَى طَلْلِ النَّدَى سَحَرًا
- ٤- وَاسْتَجَاهَا بِنَتَ مِصْرُ تَسْتَطِيلُ عَلَى
- ٥٥- كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلَ النَّسِيمِ بِهَا
- ٦- مِنْ كَفِ ظَبْيٍ وَشَادِيْ أُو وَشَادِيَةٍ
- ٥٧- عَلَى الْحَدَائِقِ لَا الْكَامِ تَنْهَنَّا
- ٥٨- أَمَّا أَنَّا سَلَّسْتُ نَوَاحِيْ عَلَى طَلَلِ
- ٥٩- تَرَكْتُهُ لَأْنَاسِيْ كَالْتِيُوسِ غَنَّوْا
- ٦٠- يُعْزَونَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالِهِمْ
- ٦١- مِنْ كُلِّ الْكَنَّ عِنْدَ الْبَحْثِ مُنْقَطِعٌ

.٨٤. الأفعال:

.٣٩. الصفات:

الناتج: (٨٤) فعلٌ و (٤٠) صفة وبالقسمة تكون النتيجة (نسبة الصفات إلى الأفعال):
 (٤٧.٦١) ولا غرابة في ذلك فالتصوّص الشعريّة تتميز بارتفاع نسبة الفعل إلى الصفة^(١).

الحقول الدلالية:

الحقول الدلالية: هي "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها وتوضع تحت لفظ عام يجمعها"^(٢). والهدف منها "جمع كل الكلمات التي تخص حقلًا معيناً، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام"^(٣).
 وسأعرض للحقول الدلالية في القصيدة كثیرها وقليلها وهي كما يلي:

(١) راجع في طريقة التعامل مع مسألة (نسبة الفعل إلى الصفة): المرجع السابق: ٦٨-٥٩.

(٢) علم الدلالة. أحمد مختار عمر: ٧٩. منشورات عالم الكتب. ط٣. القاهرة. ١٩٩٢م.

(٣) المرجع السابق: ٨٠.

ألفاظه(١)	اسم الحقل
كوثره، حلت، نوع، أنواع(ثلاث مرات)، الغمام، الغيم، هتون الودق، نيل، الموج (مرتين)، الماء (ثلاث مرات)، النهر (مرتين)، الخرير، القطر، نهر الأبلة، عين، الندى.	الماء
دكناه (مرتين منكرة مرة ومعرفة مرة)، سواد الليل (مرتين)، بيضاء (مرتين)، صفراء (مرتين)، خضراء، الحمرا(مرتين منكرة مرة ومعرفة مرة)، سمراء، لؤلؤ، جوهر السبّت، رقشاء، زرقة، شهلاء، سوداء، ألوان.	اللون
الطرف، العين، القلب (مرتين: معرف مرة ومنكرمرة)، الضلوع، أضالعها، لسان، أukan، أذن، كف (مرتين)، شامة، شفة، يد.	الأعضاء
صوت بلبلها، قرع ناقوس، ينشدنا، الخرير، لإصفاء، شدتنا، صادحة، تغنت، مغني، وغناء، صوت العود والناء، تشدو.	السمع
مرأة، فرندي سيف، شبك، العود، الناء، الإبريق، عزالوها، مطارف، قرص.	أدوات الحضارة
بظلك، مقيلا، فيئك، الفضاض، ظلل، مقيل، ظل.	الظل
الدهر، مصيفها، مشتبأ، الليل، حين، الزمان، سحرا.	الزمن
هزتها، أحنيت، صفق، هصرت، مالت (مرتين)، عكفت.	الحركة
حرمي، الهجين، القيط، الرمضا، نار.	الحر
حمامها، بلبلها، حمامات، ورقاء، ورق.	الطيور
راق، طبة، عالمة، بديعة، الإحكام.	إجاده العمل
عنق، تسير، سيرت، يسعي، سيرها.	السير
ديربي، مسبح، دعاء، ركع، تسبیح.	العبادة
آرام، الجياد، ظبي، الإبل، الشباء.	الحيوانات
النور، الزهر، زهر الربا، أزهارها.	الزهر

(١) من ألفاظ الحقل ما تكون فيه الدالة غير مباشرة مثل (اللؤلؤ) فهو في حقل اللون لأنّه أبيض، فدلّاته غير مباشرة.

الفاظه ^(١)	اسم الحقل
جذل، طربا، طربت، فاله.	الفرح
قديمة العهد، العجوز، نوحية، شمطاء.	القدم
عصابة، الجلاس، سراة، أصحابنا.	الجماعة
مصر، الموصل، بغداد، سوراء.	الأمسار
جنان، الحدائق (مرتين)، جنات.	البساتين
المصندل، تنفحنا، نشر الخزاماء.	الشم
الصبا، التسييم، معتل التسييم.	الرياح
السحاب، الغيم، الغمام.	السحاب
فعاطنيها، يهدي.	الإعطاء
كلل، كد.	العجز
يمزجها، مزجت.	الخلط
الشهد، ترشافها.	الذوق
حرباء، رقباء.	الزواحف
المدام، راحا.	الخمر

يبرز للقارئ من الجدول شيوع حقل الماء والكلمات المشاركة له في الدالة، ولذلك صلة وثيق بالبناء العام للقصيدة. ولأهمية الماء فقد ورد ثلث مرات وفي كلها ورد معرفا بالامر.

نظام التمثيل^(٢):

التمثيل هو المحاكاة: وقد عرّفها أرسطوطاليس بقوله: أن يروي الشاعر ما يمكن أن يكون أو ما ينشد أن يكون^(٣).

(١) التخييل هو نظام التمثيل. فالكلمتان بمعنى وهما مستعملتان في كتاب الشعر بنفس المعنى.

(٢) انظر: كتاب الشعر، أرسطوطاليس. حققه مع ترجمة حدیثه د. شکری عیاد: ٦٤. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. ١٩٧٦هـ ١٢٨٦م القاهرة.

التخيل: أن يعقد المتكلم القول على أن صلة المسند بالمسند إليه ليست صلة اعتقاد على الحقيقة بل هي صلة اعتقاد على الإيمان والتخيل والمحاكاة. فالتخيل يربط بين المسند والمسند إليه بصلة ليست صلة حقيقة، بل صلة اعتقاد أنك تخيل أن تلك الحقيقة حقيقة، وهو (التخيل) لا يقدم الحقيقة العلمية أو الحقيقة الفكرية وإنما يقدم الحقيقة المتخيلة من الشاعر، المتكلم.

من أين يأخذ الشاعر المعارف الشعرية؟

بما أن الحقيقة حقيقة تخيلية فلابد أن يتجه الشاعر إلى مواضع، مصادر، منازع ليست حقيقة بل تخيلية. وقد وضع أرسطوطاليس نظاماً أو شبكة من المصادر التخيلية سمّاه (نظام التمثيل) وهو المواضع أو المخازن أو الجهات التي إليها يذهب الشاعر في كل ثقافة ليأخذ الصور فالصورة هي المادة / المنتوج النهائي الموجود في النص، أي: الأعمال القولية المنجزة المحققة في النص.

ولكن من أين جاءت، من أين جلبها الشاعر؟

يقول أرسطوطاليس: الشاعر يتجه إلى مواضع مستقرة، مواضع معروفة، مواضع تواطأت عليها الثقافة الجماعية. إلى مواضع اتفق عليها المجتمع^(١). ومثال ذلك: الغزال في شعر الغزل والرثى في شعر الغزل.

هذا معنيان من معاني موضع حيوان الوحش في شعر الغزل تتفق عليه المجموعة المستخدمة للشعر.

إذا الصور الشعرية هي ما يظهر في النص / ما يتحقق في النص، ما يُجلب فيه من المواضع الموجودة في الثقافة التي لخصها علماء الشعر في معاني الشعر^(٢). وما سبق أستطيع القول أن نظام التمثيل يدل على القواعد العامة المستخلصة من النص الشعري، المنجز والذي إليه ترد جميع التجارب الشعرية أو هو السنة الشعرية في قوانينها العامة.

(١) انظر: المرجع السابق: ٦٤.

(٢) معاني الشعر: بدأها ثعلب النحوي الكوفي فهو الذي وضع هذه المعاني ثم تطورت مع علماء الشعر كالمربزباني وابن طباطبا وابن رشيق وقدامة بن جعفر، فمعاني الشعر ليست المعاني الموجودة في النص بل هي الكليات، الأشكال العامة الموجودة في ثقافة الشاعر.

إذا فنظام التمثيل هو جملة القوانين المتحكمة في استعمال المحاكاة داخل شعرية معينة^(١).

يقول د. حمادي صمود وهو يدرس نص الشابي عن أجزاء نظام التمثيل: "لابد أن تردد أجزاؤها إلى بنية كلية وأن يشدها نظام داخلي يحدد أنساق المبني والمعاني ويرد التنويع إلى الأصل أو الأصول العميقية الباطنة التي تغذى هذه التجربة وتケفل لها الوحدة في التنوّع"^(٢). مما سبق يبين أنه لابد أن يكون وراء الصور نوع من النحو، أرسطوطاليس حين وضع نظام التمثيل بين أن الصورة في حد ذاتها ليست مصدر ارتياح السامع، فهو لا يرتاح للصورة فقط لأنها صورة بل يرتاح لأن الصورة تخاطب فيه قوى نفسية تطلب اللذاذ، وتعرف نظام التمثيل ومستعدة لقبول نظام التمثيل، فالصورة لا تفعل شيئاً إلا داخل نظام التمثيل، فالمحاطب يتلقى الصورة / نظام التمثيل فتؤثر في قواه النفسية التي تطلب اللذاذ والتطهير.

نظام التصوير قائمه على قراءة الطبيعة، الشاعر يقرأ الطبيعة ويقرب بين مستعار ومستعار له، مشبه ومشبه به، ليعطي علاقة منطقية يقرؤها في الطبيعة، فهو يقرأ من الطبيعة (غير العاقلة) مثلاً صوراً يصنع منها بفضل نظام التمثيل صورة عاقلة، فتصبح المرئيات عنده مرئيات بأيات، بمعانٍ، بأشكال ليست هي في الحقيقة بل الشاعر يضيف إليها، فالشاعر يلاحق تماسكاً طبيعياً عaculaً، منطقياً، فيه تجاذب.

ولإدراك نظام التمثيل في صورة ما في قصيدة ما يجب إدراك جميع العلاقات بين الأبيات، فنظام التمثيل ليس الصورة معزولاً بعضها عن بعض، بل هو ما وراء الصور من نظام يريد الشاعر أن يبني عليه جمالية القصيدة كلها أو جمالية النص.

إن القصيدة المدرورة لا تحكي الطبيعة الحقيقية بل تنشئ طبيعة أخرى فجمال الشعر هذا هو الطبيعة الحقيقية، الطبيعة هنا ليست طبيعة حقيقة بل طبيعة كما صنعوا الشاعر، فهو يجعلنا نعيش طبيعة أخرى غير الطبيعة الحقيقية، فهنا تعجب وتخيل وتجميل وتأنيق، والحلة هذه غير موجودة في الطبيعة الحقيقية، ولكن الشاعر هو الذي صنعوا فالنساج الحقيقي هو الشاعر.

(١) الخطاب الأدبي وتحديات المنهج. صالح الهادي رمضان: ٣١٣. نادي أبهى الأدبي. ط. ١٤٢١ هـ ٢٠١٠ م.

(٢) دراسات في الشعرية. الشابي نموذجاً. إعداد. حمادي صمود وأخرين: ١٢. المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات. بيت الحكمة. قرطاج. ١٩٨٨ م.

إذا فالقصيدة التي أمامنا وصف للطبيعة والوصف ليس غرضا من الأغراض "لأنه لا تكاد تخلو منه قصيدة مهما كان اتجاهها"^(١)، بل هو أسلوب خطابي ناظم للأغراض شأنه شأن السرد والحوار.

يبدأ الشاعر في استعمال الخيال من البيت الأول منطلاقا من البداية في رؤية السرحة فيصفها وصفا عاما، فالشاعر يرسم صورة فوقية، كأنما نقطتها من مكان عال، تبدو فيها السرحة بوجه عام.

إن الشاعر يرسم بالكلمات صورة عامة قبل أن يدخل إلى المشاهد الجزئية التي يفصل فيها الوصف جزءا جزءا.

يقول ابن مkanis:

١- يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوْثَرُ

٢- حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيَّهَا السَّحَابِ إِذَا

يدعو للسرحة أن تمطر مطرا عظيما وهذا طبيعي، لأن الاحتفال بالطبيعة لابد أن يبدأ بالمطر، فلا يمكن أن تزهر، تثمر، يغزر ماؤها، تنبت أزاهيرها، أن تكون قابلة أن توصف إلا بعد أن تُمطر.

والبيت الثاني موقعه من القصيدة موقع طبيعي لأنه هو الذي سيثمر القصيدة:

فالنظام هكذا: تسقى السرحة والنتيجة هي تثمر والنتيجة هي توصف.

إن القصيدة سلسلة من الأقوال الوصفية (المدركات الحسية والمعنوية) المتتابعة المتداعية تلقائيا، وصورة السقي في نظام التمثيل في هذه القصيدة يعني بالإغاثة أي: بالمعنى الإيجابي.

واستمر في ذكر المطر قائلا:

٣- وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيْكِ النَّورُ مِنْ حَذَلٍ

هنا تواصل بين السماء والأرض، بين الأسفل والأعلى لأن الأعلى لم يجد وحده، بل تبسم هذا فجاد هذا، فالماء لم يأت من فوق فقط، بل أتى من فوق استجابة لما هو تحت تبسم فأغدق عليه (تبسم النور فأغدق عليه كل بكتاء) وبكتاء هنا في المعنى الإيجابي.

(١) خصائص الأسلوب في الشوقيات. محمد الهادي الطرابلسي: ١٦٠. منشورات الجامعة التونسية. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ١٩٨١م.

والأبيات الأولى ترسم الأجزاء المرئية من الصورة ويليها مجيء المشهد مسموع في قول الشاعر:

١٧- وصوت بليلها الرأقي ذرى غصنٍ
في حلةٍ من دمّقسى الرئيسِ دكتناءٍ

١٨- كقرع ناقوسٍ ديريٍ على شرفٍ
مسيحٍ في سواد الليلِ دعاءٍ

وييرز نظام التمثيل في القصيدة في الشواهد التالية ومنها:

١- قول الشاعر واصفا النهر:

كأنه عند تفريج النسيم له
فرند سيفٍ نظنه كف جلاءٍ

فقد يقول قائل: ما صلة الصورة المائية بصورة السيف؟

أقول: الشاعر يشبّه أمراً من الطبيعة بالسيف، جلب الشاعر المشبّه به وعقد بينه وبين المشبّه صلة، فحركة النسيم على صفحة الماء هي حركة السيف بيد جلاء، وهي منوال تصويري متكرر في الشعر العربي.

يقول المعتمد بن عباد:

نشر الريح على الماء زرد
أي درع لقتال لوجم^(١)

فالصورة هنا حربية ومقرونة بصورة الماء، وهي صورة حربية مولدة ومقلوبة من صورة ثغر المرأة والسيف في بيتن ينسبان لعنترة:

ولقد ذكرتكم والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطرن من دمي

فودرت تقبيل السيف لأنها
لمعت كبارق شغركم المبتسم^(٢)

(١) ديوان المعتمد بن عباد. جمع وتحقيق د. رضا الحبيب السوسي: ٧٦. الدار التونسية للنشر. ١٩٧٥م.

(٢) هذان البيتان موجودان في ديوان عنترة. تحقيق فوزي عطوي: ١٦. دار المعرفة. ط. ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م. بيروت. والصواب أن البيتين محمولان على شعر عنترة، فهما ليسا في روایات الديوان الموثوق بها. لكن محقق شرح التبريزى ذكرهما في الحاشية على أنهما في الجمهرة وليسا فيها. والبيتان في ديوان عنترة في طبعات غير موثوق بها. راجع: شعر عنترة دراسة تطبيقية على نظريات الشك في شعر الجاهلية. د. مصطفى الجوزو: ٨٢. دار الطليعة. ط. ٢٠٠٢م. بيروت.

فهنا المشبه السيف والمتشبه به بارق النغر (الرضا) (١)، وفي قول ابن عباد تشبيه الماء بالسيف.
ولابن قلاقس:

لُجَيْنُ تُوشَّحُ بِالعَسْجَدِ
وَلِلنيلِ تَحْتَ ثِيَابِ الْأَصِيلِ
كَأَنَّ الشَّعَاعَ عَلَى مَتِّهِ
فَرْنَدُ بِصَفَحَةِ سِيفِ صَدِيِّ (٢)

إن علاقة الماء الذي يحركه النسيم أو تحركه الريح بالسيف ليست علاقة في هذه الصورة فقط، بل هي موجودة في الموروث لهادلات، فالماء في الضمير الجمعي بقدر ما هو ماهولين ومغذ ولطيف فهو قاطع، يقطع الجسم أو يهلك الجسم أو يضفعه متلماً يضفعه السيف (٣).
ما في الضمير الجمعي من أن الماء ليس رخوا بل قوة طبيعية هائلة تناظر السيف، فالسيف والماء بينهما صلة في الضمير الجمعي، فالبيت في ذاته ليس هو نظام التمثيل، بل نتيجة نظام التمثيل، فنظام التمثيل هو العلاقات الرئيسية الكبرى الموجودة بين المشبهات والمتشبه بها في الثقافة الشعرية التي يكتب بها الشاعر. ولأبي العلاء المعري:

بِدَلَاصِ كَانِهِ لَمَاءِ الثَّمَادِ (٤)

٢. يقول الشاعر واصفاً السفينة:

٤٣- نُوحِيَّةُ الصُّنْعِ وَالْحُكَّامُ مُنْشَأَةٌ
تَسِيرُ مَا سُرِّرَتْ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءٍ
٤٤- سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى الْمَاءِ الْمُصَنَّدَلِ (أَمْ مَةٌ عَلَى شَفَةِ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ

(١) يماثله قول كعب بن زهير:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا بتسمنت كأنه منهل بالراح معلول
شرح ديوان كعب بن زهير. صنعة أبي سعيد السكري: ٧. نسخة مصورة من طبعة دار الكتب. نشر
الدار القومية للطباعة والنشر. ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م. القاهرة.

(٢) ديوان ابن قلاقس. تحقيق د. سهام الفريج: ٢٤٠. مكتبة المعلم. ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م. الكويت.
(٣) في كثير من الصور تجد أن الماء له نفس الصفات التي للسيف كالجلاء، الشدة، الاتحاح، الصفاء،
الصلابة، والماء ليس شيئاً رخوا بل هو صلب فعندما تحركه الريح تحس فيه صلابة فـ كأنه جسم
متلائم الأجزاء، والإنسان حينما يسقط في الماء على بطنه فإنه ينفلق.

(٤) سقط الزند: ٣٤٨.

شـبـه الشـاعـر السـفـينـة بشـامـة عـلـى شـفـة، فـشـبـه غـير العـاقـل بـعـاقـل، وـشـبـه تـشـبـيـها نـجـدـه عـادـة مـقـلـوـبـا فـالـعـادـة أـن يـقـال: رـيق عـذـب، رـيق عـسـل، رـيق ضـرب....

شـبـه الشـاعـر السـفـينـة بشـامـة عـلـى شـفـة، وـقد وـلـدـ شـيـناـ من شـيـء، أـي تـشـبـيـها مـن تـشـبـيـهـ، فـالـمـشـبـهـ السـفـينـةـ التـي تـشـبـهـ شـامـة عـلـى شـفـةـ، وـالـشـفـةـ فـي حـدـ ذاتـهاـ كـأـنـهاـ شـهـدـ.

فـالـمـرـادـ سـفـينـةـ كـأـنـهاـ شـامـةـ وـشـامـةـ عـلـى شـفـةـ كـالـشـهـدـ لـعـسـاءـ، فـهـوـ تـشـبـيـهـ يـتـوالـدـ.

إـنـ وجـهـ الشـبـهـ بـيـنـ السـفـينـةـ هوـ السـوـادـ، وـالـوـجـهـ الثـانـيـ أـنـ الشـاعـرـ يـتـحدـثـ عنـ النـهـرـ

فـجـعـلـ السـفـينـةـ عـلـى النـهـرـ كـأـنـهاـ شـامـةـ عـلـى شـفـةـ وـهـذـهـ الشـفـةـ فـي حـدـ ذاتـهاـ حلـوةـ

كـالـشـهـدـ لـعـسـاءـ، وـقـالـ (عـسـاءـ) لـأـنـ المـاءـ الـذـيـ عـلـيـهـ السـفـينـةـ مـاءـ عـذـبـ.

يـقـولـ ذـوـ الرـمـةـ:

لـمـيـاءـ فـيـ شـفـتـيـهاـ حـوـةـ لـعـسـ

وـفـيـ اللـثـاتـ وـفـيـ أـنـيـابـهاـ شـنـبـ^(١)

نـظـامـ التـمـثـيلـ هـنـاـ أـنـ المـصـدـرـ هـوـ هـوـ، عـلـاقـةـ بـالـشـفـةـ وـغـزـلـ بـطـبـيـعـةـ، عـلـاقـةـ الشـفـةـ

وـالـرـيقـ بـالـمـاءـ العـذـبـ، فـيـ العـادـةـ الشـعـرـاءـ يـشـبـهـونـ الشـفـةـ بـالـمـاءـ الـحـلوـ، أـمـاـ الشـاعـرـ هـنـاـ

فـقـدـ شـبـهـ النـهـرـ بـالـشـفـةـ فـقـلـبـ التـشـبـيـهـ فـلـاـ مـحـالـةـ مـنـ أـنـ الصـورـ يـلـزـمـهاـ

وقـتـ لـإـدـرـاكـهـاـ وـذاـكـ لـالـتـوـائـهـ، وـهـذـاـ مـنـ خـصـائـصـ التـمـثـيلـ الشـعـرـيـ الـعـرـبـيـ.

٣ـ مـصـارـدـ التـمـثـيلـ تـشـبـهـ الـأـشـجـارـ وـالـغـصـونـ وـنـحـوـهـاـ بـجـسـمـ الـمـرـأـةـ وـهـذـاـ خـطـ

عـامـ يـنـتـظـمـ النـصـ، فـمـنـهـ قـوـلـ الشـاعـرـ عـنـ أـغـصـانـ السـرـحةـ:

٢٧ـ كـأـنـ أـغـصـانـهـاـ الـلـدـنـ الرـشـاقـ إـذـاـ

هـضـرـتـ أـفـنـانـهـاـ أـعـطـافـ وـطـفـاءـ

وـهـنـاـ سـؤـالـ يـجـبـ عـرـضـهـ وـإـجـابـةـ عـنـهـ، إـذـ بـذـلـكـ يـبـيـنـ لـلـقـارـئـ الـصـلـةـ بـيـنـ الـصـورـ

الـمـشـبـهـ وـالـمـشـبـهـ بـهـاـ.

ماـ الصـورـ الـمـتـدـاعـيـةـ فـيـ الـخـيـالـ وـالـخـاطـرـ حـيـنـ يـشـبـهـ الشـاعـرـ أـجـزـاءـ السـرـحةـ بـالـمـرـأـةـ؟

(١) دـيـوانـ ذـيـ الرـمـةـ، حـقـقـهـ وـقـدـمـ لـهـ وـعـلـقـ عـلـيـهـ عـبـدـ الـقـدـوسـ أـبـوـ صـالـحـ، ٢٢/١، مـؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ، طـ٢٠١٤ـ، هــ١٤١٤ـ، بـيـرـوـتـ، ١٩٩٣ـ.

١ـ أن المرأة تثمر كما تثمر الشجرة، والمرأة تسقى كما تسقى الشجرة، وهذا مظهر من مظاهر الإخضاب. فمن الجاهلية والعرب تشبيه المرأة أو جزءاً منها بجزء من الشجرة. يقول امرؤ القيس:

وَفَرْعَيْزِينَ الْمَتَنَّ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٌ كَقِنْ وَالنَّخَلَةُ الْمُتَعَنْكِلٌ^(١)

وتقول العرب عن المرأة: غصن بان، ونحو ذلك، فهي تثمر، والفعل (أثمر) في العربية دال على العطاء المادي الزراعي، عدل به عن معناه الأصلي واستعمل في المعاني الإيحائية والحاقة^(٢).

ويقول ابن مكائنس مشبهاً أجزاء من السرحة:

١٠ـ خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا	ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَآنُوَاءِ
٢٧ـ كَانَ أَغْطَانَهَا الْلَّدْنَ الرِّشَاقِ إِذَا	هَضَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ
٢٨ـ كَانَ صَمْغَتَهَا الْحَمْرَا بِقِشْرَتَهَا الدِّ	(مـ) دَكْنَاءِ قُرْصٍ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ
٢٤ـ كَانَهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٌ نُظمَتْ	أَوْ جَوْهَرُ السِّبْتِ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ
٢٦ـ وَكَمْ شَدَّدْنَا حَمَامَاتُ الْأَرَاكِ عَلَى	أَعْصَانِهَا فَارَتْنَا رَقْصَ هَيْقَاءِ

في الأبيات صورة هي نفس الصورة في البيت السابق من حيث تشبيه شيء من أجزاء الشجرة بالمرأة.

٤ـ وإذا انتقلت إلى بيت آخر ول يكن قول ابن مكائنس:

٣١ـ كَانَهَا النَّهَرُ مِرَآةً وَقَدْ عَكَفَتْ عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلَاءِ

وجدت الشاعر يأخذ من زينة المرأة ما يكمل به الصورة، وهو يفيد من الصورة الجاهلية التي تشبيه الماء بالمرأة^(١) وهي دالة. فضلاً على معاني الصفاء والنقاء. على نرجسية الجمال، الجمال الصافي والطاهر والعفيف. فصفاء الماء دليل على الحياة وعلى العذوبة.

(١) شرح ديوان امرئ القيس. حسن السنديبي: ١٥٠.المكتبة الثقافية. ط٢٧١٤٢٩٨٢م. بيروت. لبنان.

(٢) فقيل الكلام المثمر، وهذا لا يثمر أي نتيجة.

ويلحّ الشاعر على صفة الماء في أبيات عديدة، فمنها قوله:

٢٢- ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غَبَّ الْقَطْرِ فَهُوَ عَلَى نَهْرِ الْأَبْلَةِ يُزْرِي أَيْ إِزْرَاءِ

يولّد الشاعر صورة من النهر، فالشاطئ بعد أن نزلت عليه الأمطار صفا، ورشح الشاعر صفة الصفاء فالنهر الموصوف: على نهر الأبلة يُزْرِي أَيْ إِزْرَاءِ .
ويستمر قائلاً:

٢٣- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ فِرْنَدُ سَيْفٌ نَضَطَهُ كَفْ جَلَاءِ

ولا يزال الشاعر يصف الماء وتلحظ أنه لا يزال يلح على صفة الصفاء، ثم يقول:

٢٤- كَانَهُ شَبَكٌ مِنْ لَؤْلُؤٍ نُظِمَّتْ أَوْ جَوَهَرُ السَّيْتِ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

ولا يزال الصفاء مسيطراً على الصورة.

إن علاقة الماء بالجوادر جهة معنوية كبرى في الشعر العربي، حين يقرن الأديب الماء بالجوادر وبالمعان والبياض والياقوت، فهذا مصدر من المصادر الأساسية للصورة، ومثل ما سبق قول ابن مكานس:

٢٥- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا رَقَارَقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءِ

تلحظ عزيزي القاري أن الصور وإن اختلفت من حيث الجزيئات المعنوية فكلها تسير نحو شيء واحد يعاد وصفه، فالنهر هو النهر أي: شيء واحد، لماذا؟ لأن في ذهن الشاعر نموذجاً مثالياً يرغب في الوصول إليه، يرغب في أن يوصل المشبه إليه، هذا الأنماذج هو المحاكاة (نظام التمثيل) أي: نظام التمثيل ليس الصورة ذاتها إنما سعي الشاعر من خلال الصورة إلى أن يرتقي بالمشبه إلى مرتبة المشبه به، ولذلك يكرر.

(١) يقول طرفة بن العبد:

وعينان كالماويتين استكتنا
بكهفي حاجي صخرة قلت مورد
ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال: ٢٢. مطبوعات
مجمع اللغة العربية. ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م. دمشق.

٥. تعقيل ما لا يعقل، ومنه قول ابن مكานس:

٣٠ - مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاهَنَ الْخَرِيرُ^(١) كَانَهَا أَذْنُ مَالَتْ لِإِصْفَاءِ

هنا تشبيه لغير العاقل بالعاقل

في الصور السابقة لون من تعقيل غير العاقل، فالصورة كلها تتجه نحو تجاوز غير العاقل، الشكل البهيمي الساكن للطبيعة، يتراوّه إلى أن يقرأ في كل قسماتها وكل ملامحها أفعالاً وأعمالاً مثل قول ابن زيدون:

سَرِي بِنَافِحَةِ نِيَا وَفِرْعَبْقَ وَسَنَانَ نَبَّهَ مِنْهُ الصَّبْحَ أَحْدَادِقاَ

والرُّوضُ عَنْ مَائِهِ الْفَضْيِ مِبْتَسِمَ كَمَا شَقَقَتْ عَنِ الْلِّبَاتِ أَطْوَاقَاَ^(٢)

يسعى ابن مكานس إلى رسم توازنات بين الكلمات، في التشبيه: كأنه، كأنه، كأنه، كأنه، هذه توازنات جمالية يصنّعها الشاعر ليخرج بها الطبيعة كلها، ولبناء نظام تمثيلي يوازي النظام المرجعي^(٣) ليروي بها الطبيعة كلها عبر المحاكاة، ولتصبح الطبيعة كلها كأنها عاقل، ولذا قال (يهدي زرقة) وقال (الرؤء) والزرقة) و(الصفاء) لا تهدى حقيقة ولكنها تهدى في العالم الذي يتحدث عنه الشاعر وهو عالم الطبيعة.

(١) قال ابن حجة عن هذا التشبيه: "ومن التشبيه البديعة التي لم تدرك في هذا الباب تشبيه الصاحب فخر الدين بن مكานس في قصيده المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرج" وأورد بعد ذلك البيت السابق والبيت رقم (٢٨) خزانة الأدب وغاية الأرب: ٢٩٠/١.

(٢) ديوان ابن زيدون. شرح وضبط وتصنيف كامل كيلاني عبد الرحمن خليفة: ٢٥٧. ٢٥٨. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط ١٩٢٢ هـ ١٤٥١ مـ. مصر.

(٣) إن الشاعر حين يكرر التشبيه التمثيلي وفي كل مرة يكرره يأخذ جانباً من الصورة فغایته أن يقضى على المرجع الحقيقى ببناء مرجعية خيالية كما لو أنها هي الحقيقة.

ومثله:

٢٣. كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَيًّا
فَنَقَطَتْ هُبَيْطَاءَ وَصَفَرَاءَ

هذا من تعقيل غير العاقل ومثله:

٢٤. وَقَامَ عَنْهَا لِسَانُ الرَّزْهُرِ يُشَدِّدُ
لِلْهُوكُمْ أَرْجُمَا بَيْنَ أَرْجَائِي

إن إسناد اللسان إلى الزهر استعارة تخيلية، إذ الزهر لا لسان له، لكنه من تعقيل
غير العاقل.

ومثله:

٢٥. بَدِيعَةُ الْحُسْنِ قَدْ فَازَ الْجِنَاسُ لَهَا
مِنَ الْمَعَانِي بِأَفْنَانِ وَأَفْنَاءِ

ومثله:

٢٦. وَصَوْتُ بُلْبُلَهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصْنِ
فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ

في البيت مظاهر من مظاهر تعقيل غير العاقل وذاك أن الحلة لا يلبسها إلا الإنسان.

ومثله:

٢٧. كَفَرْعَ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفِ
مُسَيْحٍ فِي سَوَادِ الْلَّيْلِ دَعَاءِ

ينتقل الشاعر إلى طقوس النصارى (قرع) (ناقوس) (ديري) (على شرف) (مسبح).

ويتعلق الشاعر بحب الطبيعة قائلاً:

٢٨. حَلَيَّةٌ حِينَ حُنْيَتُ الضُّلُوعَ عَلَى
نَارٍ شَجَوْيٍ بِهَا لَا حُبَّ لَمْيَاءِ

يفضل الشاعر في البيت السابق حب الطبيعة على حب المرأة، فتعالقه بحب
الطبيعة أكثر من تعالقه بحب المرأة، والقصيدة كلها متوجهة نحو تفضيل الطبيعة على
المرأة، ومن ثم تفضيل حب الطبيعة على الغزل، ووراء ذلك أن جميع الصور التي شبه
بها الطبيعة بالمرأة هي صور تفتّك من جمال المرأة لتعطيه جمال الطبيعة (تأخذ من
المرأة لتعطي الطبيعة).

وهنا سؤال: لماذا يأخذ الشاعر من المرأة ويعطي الطبيعة؟

يجيب عن هذا السؤال الاتجاه التكويوني عند (سبتزي). المنهج الأسلوبي يوصلنا إلى نتائج مفيدة لدراسة نفسية الشاعر، أو ما يسمى بالبنية النفسية من خلال البنية التمثيلية والدلالية، رفض المرأة يُخفي عقدة يعيشها الشاعر ويصرّ بها.

إن في البيت صورة أنوثية أمومية يصرّ فيها ابن مkanis بالتحول من مصدر جمال إلى مصدر جمال آخر.

الإفادة من القرآن الكريم والشعر: (الاقتباس والتضمين):
من المواضع المستفادة في الصور ما يلي:

١١. فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا الْمُخْضَلَ وَافْتَرَشَتْ زَهْرَ الرِّبَا وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ

فهو ينظر فيه لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]. وعندما يوجد الشاعر كلامه بالأخذ من المعين البلاغي الأسمى وهو القرآن الكريم فإن كلامه يزداد حسناً، وفيأخذ الشاعر من الآية ما يفيد علو شأن السرحة.

وينظر أيضاً إلى قول الحسين بن الضحاك عن الخمرة:

ثُمَّ اسْتَحَالَ لَهَا دَرْ فَعْرَشَهُ حَتَّى اسْتَقَلَّ لَهَا عَرْشٌ عَلَى الْمَاءِ^(١)

وينظر إلى قول شاعر سابق هو بدر الدين الذهبي يقول:

قَدِيمَةٌ ذَاهِهٌ فِي رُوضِ جَنْتَهَا كَانَتْ وَكَانَ لَهَا عَرْشٌ عَلَى الْمَاءِ^(٢)

وعند الموازنة بين الأبيات أجد ما يلي:

١. الحسين بن الضحاك وبدر الدين الذهبي أسبق من ابن مkanis زماناً.
٢. ينفق الشعراء في قولهم (على الماء).
٣. متعلق (على الماء) عند كل شاعر مختلف عن الآخر.
٤. كل النصوص من بحر البسيط التام.
٥. كل النصوص همزية.

(١) ديوان الحسين بن الضحاك: ٢٥.

(٢) ديوان شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي . جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراح: ٤٠ طـ١.

٦. الروي في جميع النصوص مجرور.
٧. كل النصوص داخلة في غرض الوصف.
٨. كل النصوص دالة على القدم فالحسين بن الصحاح وبدر الدين الذهبي على قدم الخمرة وابن مكานس على قدم السرحة. وإن كان قول بدر الدين الذهبي أكثر دلالة على القدم وذلك حين نوازن بين (كانت وكان) في قول بدر الدين الذهبي (وأقت) في قول ابن مكานس.
- ٩- لا أجد تعمقاً في ترشيح الصورة عند الشعراء.
١٠. يؤخذ على قول بدر الدين الذهبي تكرار (كان) في الشطر الثاني. وتتوالي وقعاها أذهب شيئاً من جمال الإيقاع.
١١. يقترب الشاعران (ابن مكานس وبدر الدين) من التساوي في النظم إذ كلاهما يستفيد من قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) فكان آخر كلامهما في بيتهما مأخوذ من القرآن غير أن بدر الدين الذهبي أتى به مرفوعاً وابن مكأنس أتى به منصوباً. ومما أفاده قوله عن السرحة:

١٦- لَا يُدْرِكُ الطَّرْفَ أَقْصَاهَا عَلَىٰ كَلِيلٍ حَتَّىٰ تَعُودَ لَهُ لَهُظَاتُ حَوْلَاءِ

هذا القول مستفاد من قوله تعالى: ﴿فَأَتَيْجَ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ قُطُورٍ ۚ ثُمَّ أَتَيْجَ الْبَصَرَ كَثِيرًا يَقْلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرَ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤-٢] وقد أخرج الشاعر من الإنشاء إلى الخبر ومن الأمر إلى السرد. وتفيد الآية كمال صنع الله سبحانه وتعالى وإحسانه خلق السماء فلست ترى فيها عيباً. وأراد ابن مكأنس أن يستفيد من الآية الكريمة وذلك لأنه يصف سرحة أعجب بها فعمد إلىأخذ ما يناسب هذا المعنى من القرآن الكريم، فمهما أراد أي إنسان إدراك أقصى السرحة فلن يستطيع وسيرتد بصره كلياً وهو لم يجد عيباً يعيّب به السرحة.

والشاعر يعوّل في الاقتباس على القوة الشاعرة وعلى قدرتها ومعرفتها بعلاقات التماثل والتناسب والتناقض بين صور الأشياء ويعتمد على القوة الحافظة والمذكورة التي تخزن كلاماً جرى أو نظماً أو نثراً... ولكن هذه القوة لا تعيد ما احتزنت ولا تكرر ما حفظت بل تورده بنوع من التصرف وبضرب من التغيير^(١).

(١) انظر: منهاج البلاغة وسراج الأدباء. حازم القرطاجمي. تحقيق محمد العبيب ابن الخطوقة: ٢٨-٣٩. دار الكتب المشرقية د. ط. د.ت.

وينظر ابن مكานس لبيت الحسين بن الضحاك القائل:

لا يستطيع سنانور لها نظر حتى تَعُودَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءِ^(١)

وهذا النقل الحرفي للشطر الثاني يلقي بظله على صورة ابن مكานس الذي أغار على قول الحسين بن الضحاك، ولكن ابن مكานس نقل الصورة من مجال آخر، فقد كانت في وصف الخمرة فنقلها لوصف ارتفاع السرحة، وهذا لا يقوى أن يكون تغييراً ذا بال.

وقول ابن مكานس:

٢٠- مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَانَشَ الْخَرْبُرِيَّةِ كَانَهَا أَذْنُ مَالَتْ لِإِصْفَاءِ

متأثر بقول الأرجاني:

وَهَدَّتِ سِرِّاً فَحَوْلَ قَبَابِهَا سُمْرُ الرِّمَاحِ يَمْلِئُ لِإِصْفَاءِ^(٢)

وهو فيه سائر على منهج الأرجاني، الذي يفيد تعقيل غير العاقل.

وقول ابن مكานس:

١٧- وَصَوْتُ بُلْبِلَاهَا الرَّاقِي دُرَى غُصْنٍ فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاعٍ

١٨- كَقَرْعَ نَاقْوُسٍ دَيْرِيٌّ عَلَى شَرَفِ مُسِّيْحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَاءِ

متأثر بقول ابن المعتز:

جَرَّتْ ذِيولُ الثِّيَابِ الْبَيْضِ حِينَ مَشَتْ كَالشَّمْسِ مَسْبَلَةُ أَذِيالِ لَلَّاءِ

وَقَرَعَ نَاقْوُسٍ دَيْرِيٌّ عَلَى شَرَفِ مُسِّيْحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَاءِ^(٣)

فبيت ابن مكأنس تضمين لبيت ابن المعتز، وفضله يكمن في تجميع الركن الأول من الصورة (المشبه) ومقابلته بالمشبه به الذي أورده ابن المعتز ولم يكن ابن المعتز

(١) ديوان الحسين بن الضحاك: ٢٥.

(٢) ديوان الأرجاني. تحقيق د. محمد قاسم مصطفى: ٢٢/١. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر. ١٤٩٩ هـ ١٩٧٩ مـ العراق.

(٣) شعر ابن المعتز: ٦/٢.

يقصد بالبيت أن يكون في موقع المشبه به، فابن مكانتس فضل تجميع الصورة وإن كرر بيت ابن المعتز.

وعند النظر إلى بيتي ابن مكانتس تجده نقل بيتأً من نص وأدخله في نصه، وأحسن التوظيف، فأضحى بيت ابن المعتز يمثل جزءاً مهماً في الصورة، فالمعنى لا يتم دون بيت ابن المعتز، وبيان ذلك أن ابن مكانتس قطع السياق وترك الإكمال من كلامه وأثنى ببيت ابن المعتز لأنه يرى فيه خير قيام بالغرض الذي يتحدث عنه، إذ يشكل الخبر الذي تتم به الفائدة^(١).

إن المعنى وإن كان نصفه من كلام ابن المعتز فإن العرب تنظر إلى من تصرف في المعنى ولم ينقله حرفيًا، فيكون بذلك له نصيب منه، فالمعنى للسابك وليس للسابق، وابن مكانتس في هذه الصورة يعد سابكا^(٢).

وقد أثر ابن المعتز وابن مكانتس في ابن خطيب داريا فقال:

كأنما شـ حـ روـ رـ هـ رـ اـ هـ بـ يـ رـ دـ دـ إـ لـ إـ جـ يـ لـ فـ يـ بـ رـ نـ سـ^(٣)

وتأثر ابن خطيب داريا بقول ابن مكانتس دليل على إعجاب به، ثم إن قول ابن مكانتس وإن كان أسبق فهو أحسن لأنه بنى الصورة على التشبيه التمثيلي وهو أكثر تعقيداً وأفضل عند الأدباء من التشبيه البسيط كما في صورة ابن خطيب داريا.
وقوله:

سـ قـ أـ كـ مـ نـ كـ لـ غـ يـ مـ كـ لـ بـ كـ أـ عـ ٣ـ وـ إـ نـ تـ بـ سـ مـ فـ يـ كـ النـورـ مـ نـ جـ ذـ

فيه من قول الشاعر:

وكـمـ تـبـسـمـ فـيـكـ النـورـ مـنـ طـرـ فـجـاءـ يـضـحـكـ عـجـباـ مـنـ فـمـ المـطـرـ^(٤)

(١) انظر: ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث. د. علوى الهاشمي. مؤسسة اليمامة الصحفية ١٩٩٨م. الرياض. العدد ٥٢-٥٣: ٢٢١.

(٢) انظر: المشاكلة والاختلاف. د. عبد الله الغذامي. الفصل الرابع (ما ترک الأول للأخر شيئاً ١٠٧-١٤٧). المركز الثقافي العربي. ط١. ١٩٩٤م. بيروت.

(٣) ديوان ابن خطيب داريا. مخطوط مصورة في مركز جمعة الماجد تحت رقم (٣٠٧٢).

ق ١٦٨. ومصدرها الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٢٥ق). وتأهيل الغريب: ٤٩. د.

(٤) تأهيل الغريب: ٤٧٢.

ولم ين لِي من المتقدم، وعلى كل حال فالنصان قريبان من بعضهما في الشطر الأول، والجهل بأسبيقيَّة أحدهما تمنع القطع لأحدهما بالفضل.

ويستمد ابن مكานس صورة من قصيدة الحسين بن الضحاك في قول ابن مكأنس:

٤٩- مِمَّا تَخَيَّرَهَا كَسْرَى وَأَوْدَعَهَا رَبُّ الْخَوْرَنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ

يبين فيه أثر الحسين بن الضحاك القائل:

مَمَّا تَخَيَّرَهَا أَوْلَاهَا وَأَوْدَعَهَا رَبُّ الْخَوْرَنَقِ فِي جَرَعَاءِ مِيثَاءِ^(١)

والأمر الذي يتحدث عنه الشاعران قوى نقل ابن مكأنس للبيت فال موضوع عن الخمرة، ولا يكاد ابن مكأنس في بيته السابق يحدث تغييراً ذا بال في الصورة غير النص على أن من تخيرها كسرى فقط.

ومن التشبيهات المستفادة قول ابن مكأنس:

٤٢- يَسْعُ إِلَيْهَا عَلَى جَرَاءَ حَدْبَاءِ مِنْ أَيْكِهَا كَهْلَالُ الْأَفْقِ حَدْبَاءِ

وهو متأثر بقول ابن المعتز:

انظُرْ إِلَيْهِ كَزُورَقَ مِنْ فَضَّةِ قَدْ أَنْقَلَتْهُ حَمْوَلَةً مِنْ عَنْبَرٍ^(٢)

غير أن ابن مكأنس قلب الصورة فشبَّه السفينة بالهلال وابن المعتز شبَّه الهلال بالزورق، وعمل ابن مكأنس محسوب له لأنَّه ابتعد عن التكرار، وقد ألحَّ على بيان ميل السفينة المشابه لانعطاف الهلال في قوله (حدباء).

ولابن نباتة مشبهاً الهلال بالسفينة:

كَأَنْ شَكْلَ هَلَالَ الْأَفْقِ فِي يَدِهِ قَوْسٌ عَلَى مَهْجِ الْأَضْدَادِ مُوتَوْرٌ

وبعد أبيات يقول:

أَوْزُورَقَ جَاءَ فِيَهُ الْعِيدُ مُنْحَدِرًا حِيثُ الدُّجَى كَعَبَابَ الْبَحْرِ مَسْجُورٌ^(١)

(١) ديوان الحسين بن الضحاك: ٢٢.

(٢) ديوان أشعار الأمير أبي العباس: ٢٦٦/٢.

ومن نظام التمثيل لدى بعض الشعراء السابقين لابن مكانت تشبيه مرور النسيم على النهر بالتفريك يقول الصفدي:

هذا كلام لست فيه أشككُ
النهر مَوْلَى والنسيم خديمه

ما كان يصلق ثوبه ويفركُ
لولم يكن في خدمة النهر ابرى

ولابن مكانت مفيداً من الصورة السابقة وأشباهها مما هو مركوز في الذهن العربي:

٢٣- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ فِرْنَدٌ سَيْفٌ نَضَطَتْهُ كَفْ جَلَاعٍ

والتفريك مفيد الملامسة. وابن مكانت يفيد مما سبق ويركز على مسألة الملامسة (التفريك) وهو قيد شديد الأهمية لأنه يفيد توالي ملامسته وصقله ليبدو جلياً لاماً، فالشاهد في البيت السابق داخل في دخول الشاعر إلى تشبيهه مركزاً على شيء جديد، وفيه أهمية ذلك القيد في الصورة.

وخلاصة القول إن من يأتي بالخيال من عنده أفضل من يأتى به مسروقاً ومن يُغير ويغيّر خيراً من ينقل الألفاظ دون تغيير^(١).

ومن الصورة الخمرية المستفادة قول ابن مكانت:

٤٥- أمر السرور التي أبقي الزمان بِهَا جُزْءُ الْحَيَاةِ وَقَدْ أَلْوَى بِأَجْزَاءِ

فيبدو فيه قول الحسين بن الضحاك:

جُزْءُ الْحَيَاةِ وَقَدْ أَلْوَى بِأَجْزَاءِ^(٤) حتى إذا الدهر أبقى من سلالتها

(١) ديوان ابن نباتة المصري: ١٨٦. ملترنوم الطبع محمد القلقيلي. مطبعة التمدن. عابدين. ط١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م. مصر.

(٢) الكشف والتبيه على الوصف والتشبيه. صلاح الدين الصفدي. حفظه وعلق عليه هلال ناجي ووليد الحسين: ٢٣٨ مجلـةـ الحـكمـةـ طـ ٢٠١٤ هـ ١٩٩٩ مـ بـرـيطـانـيـاـ

(٣) انظر: منهاج البلغاء: ٢٠

(٤) ديوان الحسين بن الضحاك: ٣٤

وابن مكานس يحاول في غير موضع نظم أسطر له مع أسطر من غيره، وربما نقل بيته، وجرى التوفيق معه في صوره فلا يشعر القارئ بأن الصورة مفخمة، بل ربما أحاس أن الصورة المجلوبة انتقلت لمكان لا تتزحزح عنه ولا تبرحه فليست قلقة فيه ولا مضطربة ولا غريبة عنه، وذلك كما في قول ابن مكานس:

١٧- وَصَوْتُ بِلِبَلِهَا الرَّأْقِي ذَرِيْغُصْنٌ
فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ

١٨- كَفَرْعَنَاقُوسِ دَيْرِيْ عَلَى شَرَفِ
مُسْتَحِ فِي سَوَادِ الْلَّيْلِ دَعَاءِ

ومن التأثر اللفظي ما ورد في قول بن مكานس مبينا فيه تركه النوح على الطلال:

٥٩- تَرَكْتُهُ لَأْنَاسِيْ كَالْتِيُوسِ غَنَوْا
عَنِ الْمُدَامِ بِدَرِ الإِبْلِ وَالشَّاءِ

ففيه من قول أبي نواس:

حاشا لِدَرَّةَ أَنْ تَبْنَى الْخِيَامَ لَهَا
وَأَنْ تَرُوحَ عَلَيْهَا الإِبْلُ وَالشَّاءُ^(١)

ومن قول الحسين بن الضحاك:

بَدَلْتُ مِنْ نَفْحَاتِ الْوَرْدِ بِالْأَلَاءِ
وَمِنْ صَبُوحَكِ دَرِ الإِبْلِ وَالشَّاءِ^(٢)

وهذا مظهر من مظاهر تأثير المتأخر بالمتقدم وخصوصا إذا اتفقت الأغراض. " وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه"^(٣).

ومن الجمع بين المتضادات في الصور قول ابن مكานس:

١٥- قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَرَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَّتْ
فَهُيَ العَجُوزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءُ

وقوله:

٤٨- كَمْ قَدْ نَعِمْنَا إِلَيْهَا عَيْشًا بِطَافِيَةٍ
شَمْطَاءَ تَجْلَى عَلَى الْجُلَاسِ عَذَرَاءِ

(١) ديوان الخمريات. أبو نواس. ٢٢.

(٢) ديوان الحسين بن الضحاك: ٢١.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصوصه. القاضي الجرجاني. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البحاوي: ٢١٤. منشورات المكتبة العصرية. بيروت

- ٤٩- مِمَّا تَحْيِرُهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا
- ٥٠- حَمْرَاءُ صِرْفًا وَصَفْرًا إِنْ مَرْجِنَتْ
- ٥١- رَاحَا إِذَا رَكَعَ الْإِبْرِيقُ يَمْرُجُهَا
- ٥٢- أَمَ السُّرُورُ الَّتِي أَبْقَى الزَّمَانَ بِهَا
- ٥٣- فَعَاطَ طِينِهَا عَلَى طَلْلِ النَّدَى سَحَرَّاً
- ربُّ الْخَوْرَنَقِ فِي قَوْرَاءِ جَوْفَاءِ
 كَمْ مِنْ يَدِي سَوَادِ اللَّيْلِ يَبْطَأءِ
 سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيْحَ فَأَفَاءِ
 جُزْءَ الْحَيَاةِ وَقَدْ أَلَوَى بِأَجْزَاءِ
 فَإِنْ تُرْشَافَهَا مَوْتِي وَإِحْيَائِي

فقد جمع بين الشمطاء والعزراء لنفاستها وقدم عهدها، ولأنها مختومة لم تفضض وبكر لم تقترب^(١).

أبرز وسائل التصوير:

التشبيه: وهو أبرز ما في القصيدة من الوسائل، وهو القالب المولد للعلاقات الجديدة التي يحدثها الشاعر بين الأشياء، ولذا سيكون التركيز منصبًا عليه والاهتمام مختصًا به، ومن شواهد هذه قول الشاعر:

- ١٧- وَصَوْتُ بَلْلَهَا الرَّاقِي ذَرَى غُصْنٍ
- ١٨- كَقَرْعُ نَاقْوُسِ دَيْرِيُّ عَلَى شَرَفِ
- ٢٦- كَانَهَا مِنْ جِنَانِ الْخَلِدِ قَدْ كَمَلَتْ
- ٢٧- كَانَ أَغْصَانَهَا الْلُّدُنَ الرِّشَاقِ إِذَا
- ٢٨- كَانَ صَمْغَتَهَا الْحَمْرَاءِ يَقِشْرُتَهَا الدُّ
- ٢٩- كَانَهَا فَوْقَ دِعْصِ الْمَوْجِ إِذَا سَفَحَتْ
- ٣٠- مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الْخَرِيرِيَّ
- ٣١- كَانَمَا النَّهْرُ مِرَآةً وَقَدْ عَكَمَتْ
- فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ
 مُسَبِّحٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَاءِ
 حُسْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءِ
 هَصَرَتْ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطْفَاءِ
 دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ
 هِظَابَهُ سَفْحُ وَادِ رَبِّ أَفْيَاءِ
 كَانَهَا أَذْنُ مَالَتْ لِاصْغَاءِ
 عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلَاءِ

(١) مقال (في طلال السرحة) د. محمود رزق سليم. ٧٨١.

- ٢٣- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ
 ٢٤- كَانَهُ شَبَكُ مِنْ لُؤْلُؤِ نُظَامَتْ
 ٢٥- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَافَا
 ٤٢- يَسْعَ إِلَيْهَا عَلَى جَرْدَاءَ جَارِيَةٍ
 ٤٤- سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى الْمَاءِ الْمُصَنَّدَلِ شَأْ
 ٤٩- تَرَكْتُهُ لِأَنَاسٍ كَالتِيُوسِ غَنَوْا
 ٦١- مِنْ كُلِّ الْكَنَّ عِنْدَ الْبَحْثِ مُنْقَطِعٌ

وأكثار الشاعر منه ليس لأنه من أشهر الطرائق التي شاعت عند العرب في التعبير عن المعاني فقط، بل إن القدرة على الوصف والتشبيه من أبرز الدلائل على القدرة على النظم^(١)، بل إن “التشبيه بحر البلاغة وأبو عذرتها وسرها ولبابها وإنسان مقلتها”^(٢).
 التشبيه بـ (كان)^(٣):

وردت (كان) أكثر من الكاف، ولعل ميل الشاعر إلى ذلك كون كثير من التشبيهات في القصيدة تشبيهات تمثيلية وتناسبها (كان)، ولها من القوة ما يكفي ليجعل التشبيه بها أعلى درجة من التشبيه بالكاف، فمعها خطوة خطوة نحو التسوية بين العنصرين الأساسيين^(٤)، لأننا نشبه عالما بعالما (نظام مشبهات بنظام مشبهات) ولسنا نشبه عنصرا بعنصر.

وحين يستعمل ابن مكานس التشبيه بـ (كان) فإن الغالب في ترتيب الصورة الآتي:

١. أدلة التشبيه ٢. المشبه ٣. المشبه به ٤. وجه الشبه.

(١) انظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور: ١١٢. دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٠م.

(٢) الطراز العلوي، ١/٣٢٦. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

(٣) العناية بالتشبيه بـ (كان) لبروزها في النص.

(٤) انظر: المرجع السابق: ١٤٧.

وجه الشبه:

كثيراً ما حذف الشاعر وجه الشبه، ومن ذلك قوله:

٢٣- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيْكِ النَّسِيمِ لَهُ فِرْنُدُ سَيْفِ نَظَّهُ كَفْ جَلَاءِ

والوجه المحذوف دال على المعان وحذف لشهرته.

وأقل منه التشبيه المرسل وهو الذي توافرت فيه العناصر الأربع، وهو "أحسن إطار يُنتَظَر أن نجد فيه الصور في أوضح مظاهر مشبعة بأبين دالة وإن خلت من العمق أحياناً" (١). ومنه قول ابن مakanis:

٤٢- يَسْعَ إِلَيْهَا عَلَى جَرَادَةِ جَارِيَةٍ مِنْ أَيْكِهَا كَهْلَ الْأَفْقِ حَدَبَاءِ

وأجزاء الصورة (المتشبه = السفينة) (الأداة = الكاف) (المتشبه به = هلال الأفق)
(الوجه = حداء) وقليل ورود وجه الشبه مصراً به.

ومثله:

٤٤- سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى الْمَاءِ الْمُصَنَّدِلِ شَامِ (م) مَاهَ عَلَى شَفَّةِ كَالشَّهْدِ لَعْسَاءِ

نوع المتشبه والمتشبه به:

يميل الشاعر إلى تشبيه المحسوس بالمحسوس، لأنَّه يروم تسكين الصورة
وترسيخها في ذهن المتلقِّي بالقدر الذي يثير في الحس ما يبعث على الإعجاب (٢).
ومن ذلك قول الشاعر:

٢٧- كَانَ أَغْصَانَهَا الْلَّدْنَ الرَّشَاقَ إِذَا هَضَرَتْ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ

٢٨- كَانَ صَمْعَانَهَا الْحَمْرَاءِ بِقِشْرَتِهَا الدُّكْنَاءِ قَرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ (م)

٢٩- كَانَ الْنَّهْرُ مِرَآةً وَقَدْ عَكَفَتْ عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلَاءِ

٣٠- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيْكِ النَّسِيمِ لَهُ فِرْنُدُ سَيْفِ نَظَّهُ كَفْ جَلَاءِ

٣١- كَانَهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظمَتْ أُوجُوهُهُ السِّيَّتِ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

(١) خصائص الأسلوب في الشويقيات: ١٤٣.

(٢) راجع في ذلك: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ٤٥.

التشبيه التمثيلي:

يغلب على النص التشبيه التمثيلي، وهو النموذج الراقي الدال على نظام التمثيل لأنه يشبه مركباً بمركب، عالم بعالم وتبين فيه المصادر والثقافة، ومنه قول ابن مكานس:

١٧- وَصَوْتُ بُلْبِلَاهَا الرَّاقِي ذَرَى غُصْنٍ

١٨- كَفَرْعَ نَاقُوسِ دِيرِيٍّ عَلَى شَرَافِ مُسَيْحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَاءٍ

إن تشبيه التمثيل هو تشبيه هيئة، فيقابل الشاعر فيه مجموعة من الأجزاء مجتمعة بمجموعة أخرى، ولا يصح فيه تفكيك الصورة بمقابلة كل جزء بما يقابلها في الجانب الآخر، لأن الصورة قائمة على تشبيه هيئة هيئة.

وفي الصورة السابقة يشبه الشاعر صوت البلبل الراقي ذري الغصن وهو لابس حلة من دمقس الريش دكناه بقرع ناقوس ديري على شرف مسيح في سواد الليل دعاء.

والصورة يقع فيها المشبه في البيت الأول كاملاً والمشبه به في البيت الثاني كاملاً.

إن صوت البلبل الراقي ذري غصن وهو يلبس حلة من دمقس الريش دكناه تقابل تماماً بقرع ناقوس ديري (صاحب الدير) مرتفع لبس حلة غامقة اللون، حالة كونه مسبحاً في سواد الليل.

إن في الصورة صوتاً وارتفاع مكان ولباساً ولواناً، ولا يمكن عزل كل عنصر لمقابلته بما يشاكله في المشبه به، فلا يصح أن يقال صوت البلبل كقرع الناقوس لأن ذلك غير مراد الشاعر، وأنه لا يصح عقلاً، فمراد الشاعر الاختلاط في أجزاء المشبه ويقابل له الاختلاط في أجزاء المشبه به، فهو تشبيه علاقة بعلاقة أو تناظر بين العالمين، والتناظر أن يكون بين نظامين علاقة فلكل عنصر منهما علاقته بالعنصر الآخر من النظام الآخر.

وهذا التشبيه من التشبيهات الغريبة، وبعد ما بين الصورتين، ولما فيها من التفصيل، فلو كان التشبيه لصوت البلبل مقابل بقرع الناقوس لكان التشبيه قريب المتناول أما جملة الصورة في الركن الأول (المشببه) فنادر أن تقع فكان من الصعب على الشاعر أن يأتي بالمشبه به الذي يقابلها، إلا بعد مداومة النظر والتأمل القوي^(١) فالشاعر محتاج إلى النظر في أمور كثيرة وإلى الربط بين أجزائها وإلى الإتيان بما يقابلها.

(١) للاستزادة راجع: الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: ١٥٢.

وفي تحصيص الشاعر صوت البلبل ما يفيد جمال المسموع .
 ووجه الشبه في البيتين السابقين منتزع من مجموعة من الأمور لا من أمر واحد .
 لقد استطاع الشاعر أن ينقل المتلقي إلى جو القصيدة ويقرب له ما يريد بيانه غير
 غافل عن أجزاء الصورة الدقيقة في المشبه أو المشبه به .
 ومما ساعده على نقل الصورة أنه أخرجها من الأغمض إلى الأظهر فأنى بأمر من البيئة
 التي يعيشها الناس إذ ذاك . فقد كان النطاري موجودين في مصر وأديرتهم معروفة^(١) .
 لقد ارتقى الشاعر بالنص ارتقاء فنيا حين وصف وصفا دقيقا جدا، ولم يغفل أي جزء
 من أجزاء المشبه في المشبه به، وقد ساعدت هذه الصورة على دفع الموقف التصويري
 في النص .

ومن تشبيه التمثيل قول الشاعر:

٢٨ - كَأَنْ صَمْعَتَهَا الْحَمْرَأِ قِسْرُتَهَا الدُّ (م) **دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ**

يشبه ابن مكانس صمغ الشجرة ذي اللون الأحمر المختلط بالقشرة الدكناة
 بالقرص من الحلبي المقرص وهو الشيء المستدير على أعukan (أطواه) في البطن من
 السمن .

وهذه صورة حاول الشاعر تقريرها بجلب المشبه به من البيئة، وأثمر ذلك قربها
 وإنارة لذهن القارئ الذي هو بعيد عن الصورة .

وتراكب أجزاء المشبه أمر يصعب على الشاعر المجيء بصورة تقابلها ولهذا
 فتشبيه التمثيل من أبرز ميادين السباق بين الأدباء والبلغاء . وهو إلى ذلك تشبيه مفصح
 عن إعمال الذهن وكذا الخاطر وتروّ في رسم شبكة العلاقات بين المشبه والمتشبه به،
 إذ دون ذلك ينزل الأديب ويكبو جواده في نوع من التشبيه يتنافس فيه الأدباء على
 الإجاده . ولجوء الشاعر إلى تشبيه التمثيل دال على أنه يفكّر في قصيده تفكيراً منطقياً
 لأنّه يحاول إقامة العلاقات وسوق الشواهد^(٢) .

(١) مسالك الأبصار. ابن فضل الله العمرى. تحقيق عبد الله السريحي: ١/٤١ و ما بعدها. المجمع النقافي .
 ٢٠٠٣ هـ ٢٠٠٢ مـ. أبوظبي. الإمارات .

(٢) انظر: استعادة الماضي. دراسات في شعر النهضة. جابر عصفور: ٤٢٤ . دار المدى للثقافة والنشر. ط٢ .
 ٢٠٠٢ مـ. سوريا .

مما تميزت به القصيدة جدة بعض تشبيهاتها على ذوق القارئ الذي تربى على بعض التشبيهات النمطية^(١)، ومن ذلك قول ابن مكائس مشبهاً الصمعة التي تعلو قشرة السرحة بالقرص المستدير من الحلي على أطواء بطن امرأة سمراء:

٢٨. كَانَ صَمْغَهَا الْحَمْرَاءِ يُقْشِرُهَا الدُّ (إِمَّا) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمَرَاءِ

وهذا التشبيه فيه جدة، وفيه جمع لأمور متباude في صورة واحدة.

مظاهر العدول في الصور:

الأصل في التشبيه عند العرب أن يشبه الإنسان بالحيوان^(٢)، فيقال: يسرع كالحصان، وشجاع كالأسد ونحوها، ولكن ابن مكائس عدل عن بعض ما هو مركوز في الذهن لدى الأدباء، ومن ذلك ما يلي:

٢٧. كَانَ أَغْصَانَهَا الْلَّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا هَصَرَتْ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ

٢٨. كَانَ صَمْغَهَا الْحَمْرَاءِ يُقْشِرُهَا الدُّ (إِمَّا) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمَرَاءِ

إن الأصل تشبيه الأعطااف بالأغصان اللدن، ولكن الشاعر عدل عن ذلك وقلب التشبيه فشبّه الأغصان اللدن بأعطااف وطفاء، وفي ذلك خروج عن المألوف لدى العرب، والشاعر بذلك يصدّم القارئ جماليًا حين يخرجه عما ألف إلى ما لم يألف.

والأمر نفسه في البيت الذي يليه، وما ورد في البيتين من التشبيه المقلوب الذي يدعى أن وجه الشبه أقوى وأظهر في المشبّه من المشبّه^(٣).

ومن العدول في الصورة قول الشاعر:

٣٠. مَالَتْ عَلَى النَّهَرِ إِذْ جَانَ الْخَرِيرُ يِهِ كَانَهَا أَذْنُ مَالَتْ لِإِصْفَاءِ

(١) انظر: دراسات في الشعرية: ٣٣٤.

(٢) وإن كان العكس موجوداً، يقول أمرئ القيس يشبه النعاج بالعذاري:

فَعَنْ لَنَسَرِبْ كَانَ نَعَاجَهُ عَذَارِي دَوَارِي فِي مَلَءِ مَذَبَّلِ

(٣) انظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، بعنوان السيد محمد رشيد رضا: ١٩٤٤. دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م. بيروت، لبنان.

وهو تشبيه الأكبر والأعظم بالأصغر، والعكس هو المألف^(١)، لكن الشاعر أراد السير في درب لم يسلكه كثيرون قبله، ليجعل للصورة بقاء وخلودا على مر الأزمان. ومما يجعل التشبيه السابق مقبولاً ومثيراً للانتباه^(٢) قدرة الشاعر على التأليف بين طرفي التشبيه مع بعد ما بين الصورتين.

إن العزوف عن المعهود ومحاولة كسر التتابع اليومي والمألف لهو أمر يحسب للأديب الذي يتعد عن الاجترار ويسعى للتتجديد ساعياً لنحت اسمه بين المبدعين. وبما كان من جميل الصورة قوله:

١٧- وَصَوْتُ بِلِبَاهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصْنٍ
فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ

١٨- كَفَرْعَ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفِ
مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ الْيَلِ دَعَاءِ

فهي صورة مؤلفة من أجزاء متعددة في المشبه يقابلها أجزاء متعددة في المشبه به (تشبيه تمثيلي)، ووروده بهذه الصورة لم أجده إلا عند ابن مكานس ومع أن ابن المعتز سبقه لكن ابن مكานس ركب هيئة كاملة في الركن الأول (المشبه).

التقييد في الصورة:

يعمد ابن مكานس إلى تقييد الصورة أحياناً ليفيد معنى في حالة محددة ومنه قوله:

٢٧- كَانَ أَغْصَانَهَا الْلُّدُنُ الرِّشَاقَ إِذَا
هَصَرَتْ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءِ

فالصورة ليست متحققة إلا إذا (هصرت أفنانها). وفي حالة حذف هذا القيد فالصورة غير صحيحة إذ الحركة شرط أساس في بناء التشبيه. ومنه قوله:

٢٢- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ
فِرْنُدُسَيْفِ نَضَتْهُ كَفْ جَلَاءِ

فالصورة دون (عند تفريك النسيم له) ليست مقبولة، إذ الحركة شرط أساس في بناء التشبيه، وكان الشاعر آخر المجيء بالصور المتحركة لأنها أدعى لجذب القارئ من الصور الثابتة.

(١) راجع: الكشف والتبه: ٧٦.

(٢) انظر: البلاغة، المدخل لدراسة الصور البينية. فرانسوا مورو. ترجمة محمد الولي وعائشة جرير: د ٧٧ أفريقيا الشرق ط ٢. المغرب. ٢٠٠٣ م.

يتسم الوصف في البيت السابق بناء نظام من العناصر الجزئية، التي تنتج صورة في حالة مخصوصة، فالسيف وفرند السييف من المعاني الأعيان المطروحة في الطريق^(١)، لكن الشاعر وصل بين الأمرين في حالة مخصوصة ولحظة محددة فكانه يقول: ياليت النسيم يفرك النهر دائمًا حتى أراه وأنتشي به وأصفه لكم.

الصورة الشعرية ليست التقاط شيء موجود بل هي البحث عن حال مخصوصة يُنظر منها إلى الشيء، وتدرك منها اللغة الوصف.
ومثله:

٢٥- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا
رَقَّارَاقُ عَيْنِ بِوْجِهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءِ

التدريج في الصور:

ربما عمد الشاعر إلى التدرج في الصورة ليكون بذلك مبرزاً تنامي الأمر الموصوف ووصوله إلى درجة فوق ما يتصور المتقني، وهو أسلوب أداء متفرد في التعبير عن الحركة مما يعزّز قوة المنطق في مباني الصورة ومعانيها ويسمح في تحديد الصورة التي يراها الشاعر مثالية في تتبع أبعاد الصورة وتفصيلها وتحليلها^(٢).
ومن ذلك قول ابن مakanis عن السرحة:

١٣- مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنِي حَمَائِمَ بَلْ
كَنَاسُ آرَامَ بَلْ أَفْنَاءُ دَرْمَاءِ

فلم يكفيه أن جعلها مقيل ندمان بل توسيع في وصفها منتقلًا إلى الأوسع عن طريق استعمال (بل) المفيدة الإضراب، فهي تقطع ما قبلها عمًا بعدها، فكان الشاعر أراد توسيع ظل السرحة منطلاقاً من الأضيق إلى الأوسع.
إن الشاعر يلاحق المعنى والصورة في راكم الصور من أغراض مختلفة، وبيان ذلك هكذا:

مقيل ندمان	من غرض خمرى
مغن حمامى	من غرض الشكوى
كناس آرام	من وصف الأطلال
أفناء درماء	من وصف الأطلال مرة أخرى

(١) انظر: الخطاب الأدبي وتحديات المنهج: ١١٥.

(٢) انظر: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ١٠٣.

أجزاء الصورة:

١. البصر:

٥- حمراءٌ صرفاً وصفراً إن مزجت لها
كم من يدٍ في سواد الليل بيضاءٍ

٢- الشم:

٦- على الحدائق لا الأكام تفتحنا
ريح النفساج لأنثر الخراماء

٣. الذوق:

٧- فعاظنها على طل اللنى سحرًا
فإن ترشافها موتي وأحيائي

٤. السمع:

٨- راحا إذا ركع الإبريق يمزحها
سمعت من صوته تسبيح فأقام

ومن أبرز شواهد السمع قول الشاعر:

٩- وكل شدتنا حمامات الأراك على
أغصانها فارتنتارقص هيقاء

١٠- وكل ورقاء في الأفنان صادحة

١١- عيذانها فالله في مغنى وغناء

١٢- ورق تغنت بحنات رقين على

والآيات تحوى صوتا من أجمل الأصوات وهو تغنى الحمام، وله أثر في الإنسان من
خلال إثارة حسه.

١٣- د. اللمس: ويبرز في قول الشاعر:

١٤- كانه عند تفرييك النسيم له
فرند سيف نضته كف جلاء

والتفرييك يفيد اللمس.

الصور المتحركة :

ومن خلال النظر في الصور التي عرضها الشاعر أجد غلبة للصور المتحركة ومنها
قول الشاعر:

زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى
كَانَهَا أَذْنٌ مَالَتْ لِإِصْفَاغِ
عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلَاءِ

١١. فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا الْمُخْضَلَ وَافْتَرَشَتْ
٢٠ - مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاهَ السَّرِيرُ بِهِ
٢١ - كَانَمَا النَّهْرُ مِرَآةً وَقَدْ عَكَمَتْ

وقوله:

فِرْنَدُ سَيْفِ نَضَتْهُ كَفُ جَلَاعِ

٢٢ - كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيْكِ التَّسِيمِ لَهُ

وغير هذه الأبيات كثير، وقد وضعت خطا تحت الألفاظ المفصحة عن الحركة، وترداد الحركة بازدياد الأفعال في البيت، ولكن قد يلجأ الشاعر إلى رسم صورة ساكنة فيضع المتقبل أمام لوحة فنية حسية ساكنة^(١). ومنه قوله:

٢٨ - كَانَ صَمْغَتَهَا الْحَمْرَا يَقِسِّرُهَا الدُّ (ام) دَكْنَاءُ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

وهذا الأمر قليل إذ الحركة روح الصورة ومن أعمدتها الهامة لأنها تنقلها من الجمود ومن أن تكون مصلوبة لا تتحرك على مر الأزمان، وهذا ما يفسر شيوخ الحركة في النص. من أبرز ما يتصل بالتصوير في الأبيات:

١. أن علاقة الماء بالجواهر جهة معنوية كبرى في الشعر العربي، حين يقرن الأديب الماء بالجواهر وبالمعان والبياض والياقوت، فهذا مصدر من المصادر الأساسية للصورة.

أوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

٢٤ - كَانَهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٌ نُظِّمَتْ

٢. انهمار الماء وشدة انصبابه:

وهو أمر بين في النص ولعل إلحاح الشاعر عليه لأن الماء أصل الحياة، فلا حياة للسرحة دونه.

ومن ذلك قوله:

نَوْءُ الثَّرَيَا اسْتَهَلتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ

٢ - حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيْهَا السَّحَابُ إِذَا

سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَاءِ

٣ - وَإِنْ تَبْسَمَ فِيْكِ النُّورُ مِنْ جَذَلِ

(١) انظر: المرجع السابق: ٦٢

حَلَّتْ: انهمرت بالمطر، والعزلاء مصب الماء من القرية ونحوها. والجمع عزالي، ويقال
أرسلت السماء عز إليها أي: انهمرت بالمطر^(١)، وفي قوله (كل بكم) ما يفيد كثرة الماء.
ويتبع ما سبق قول الشاعر:

٦. نَظَلَ مِنْ فَيْئِكِ الْفَضَّافَاضِ فِي ظُلْلٍ

وقوله:

٧. لَا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرِ وَانْجَسَتْ

وقوله:

٨. خَمَائِلُ الرُّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا

والنمير: الراكي والكثير من الماء.

حتى إن الشاعر حين يذكر الزهر فإنه يذكر منه ماله صلة شديدة بالماء، وذلك في
البيت السابق.

وقوله:

٩. فَاسْتَمْهَدَتْ دُوْحَهَا الْمُخْضَلُ وَافْتَرَشَتْ

ف (زهر الربا) ونبته أشد حاجة إلى ماء الغمام من غيره من النباتات، وقد قال المتبنبي:

أَيْنَ أَزْمَعْتَ أَيْهِهِ ذَا الْهَمَامَ

ف "نبت الربى لا بقاء له إلا بالغمام، إذ لا شرب له إلا من مائه، أما نبت غير الربى
فيتمكن أن يشرب من الماء الجاري"^(٢).

٣. شیوع الظل وامتداده:

ويبيّن في قول الشاعر:

٤. رُحْمَكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ

(١) المعجم الوسيط: عزل.

(٢) شرح ديوان المتبنبي. عبد الرحمن البرقوقي: ٤٦١. دار الكتاب العربي. ٢٠٠٧ هـ ١٤٨٦ م. بيروت. لبنان.

هَجِيرٌ إِذْ حَيَثُ لَا مَرَأَى لِحِرْبَاءِ
مِنَ الْغَمَامِ يَقِينًا كُلَّ ضَرَاءِ

٥- وَكَمْ نَزَّلْنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الـ
٦- نَظَلَ مِنْ قَيْئِكِ الْفَضْفَاضِ فِي ظَلَلِـ

وقوله:

١٤- لَهَا مَطَارِفُ ظِلٌ سَجْسَاجٌ فَمَصِـ (ام) فَهَا يُعَادِلُ فِيهِ طِيبٌ مَشْتَأِـ

٤. المبالغة:

وهو أمر متصل بالسرحة التي يصفها الشاعر، ومنه قوله:

٥- هَجِيرٌ إِذْ حَيَثُ لَا مَرَأَى لِحِرْبَاءِ (ام)
٦- مِنَ الْغَمَامِ يَقِينًا كُلَّ ضَرَاءِ
١٦- لَا يُدْرِكُ الطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَلِـ
حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَهْظَاتُ حَوْلَـ

٥- وَكَمْ نَزَّلْنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الـ
٦- نَظَلَ مِنْ قَيْئِكِ الْفَضْفَاضِ فِي ظَلَلِـ

وقوله:

٢٦- كَانَهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلُدِ قَدْ كَمِلَـ

والدلالة على الضخامة مأخوذ من سعة ظل الشجرة الذي أظل الشاعر وأصحابه
جميعاً من الشمس، وأخذ ذلك من عجز البصر عن الإحاطة بها حين يحاول ذلك،
وكذا من التفاف بعضها على بعض لكبر حجمها.

٥. تشبيه السرحة بالمرأة، وسبق بيان شيء منه:

١٩- خَلِيلَةٌ حِينَ أَحْتَبْتُ الظُّلُوعَ عَلَـ
عَلَى الْهَوَاءِ وَاحْتَنَـا عَلَى الْمَاءِ
٢٠- تَهَكَّمَتْ بِـي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا
مِنَ الْمَعَانِي يَأْفَنَـا وَأَفْنَـا
٢١- بَدِيعَةُ الْحُسْنِ قَدْ فَازَ الْجَنَاسُ لَهَا
هَصَرْتَ أَفْتَاهَا أَعْطَافَ وَطَفَـ

(ام) دَكْنَـا قُرْصٌ عَلَى أَعْكَـا سَمْرَاءِ

٢٧- كَانَ أَغْصَـا هَا اللَّدْنَ الرِّشَاقَ إِذَا
٢٨- كَانَ صَمْغَـا هَا الْحَمْرَـا يَقْشِـرَـا هَا

وفي الأبيات السابقة بيان لعلاقة الحب التي نشأت بين الشاعر والسرحة حتى فضل السرحة على المرأة، وذلك إمعان منه في الادعاء بجمال السرحة الأسطوري الذي يفوق جمال النساء.

وفيها كذلك تشبيه السرحة بالمرأة، والعرب تفعل ذلك من قديم، فتشبيه المرأة بالشجرة.

٦. صفاء المنظر:

وهو خاص بالماء الذي سعى الشاعر لوصف لمعانه فقال:

- | | | | | |
|---|---|---|--|--|
| ٢١- كَانَمَا النَّهَرُ مِرَآةً وَقَدْ عَكَمَتْ
عَلَيْهِ تُدَهِّشُ فِي حُسْنٍ وَلَلَاءُ | ٢٢- ذُو شَاطِئٍ رَاقِ غَبَّ الْقَطْرِ فَهُوَ
نَهَرُ الْأَبْلَةِ يُزْرِي أَيْ إِزْرَاءٍ | ٢٣- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ
فِرْنَدُ سَيْفٌ نَضَطَهُ كَفْ جَلَاءُ | ٢٤- كَانَهُ شَبَكٌ مِنْ لَوْلَؤُ نُظِّمَتْ
أَوْجَوْهَرُ السِّتٌّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ | ٢٥- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَافَاءً
رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءُ |
|---|---|---|--|--|

وهو خاص بالماء الذي سعى الشاعر لوصف لمعانه فقال:

ومما يسترعي الانتباه في الأبيات السابقة الخاصة بذكر صفاء الماء أن أكثرها مقترون (بأن) وذلك أن الشاعر يريد أن يصنع من عناصر السرحة مشهدًا ماثياً، والتكرار في (كأن) يفيد ملاحة المعنى ومعاناه إنتاجه، كما يشير إلى عجز الشاعر عن الإحاطة بالمشهد.

وقد برع الصفاء في قوله : (مرأة)، وهذا تشبيه متداول عند الشعراء ومنه قول الشاعر:

- | | |
|---|---|
| كَانَ وَجْهَ النَّهَرِ إِذْ حَفَّتْ بِهِ
أَشْجَارَهُ فَصَافَحَتِهِ الْأَغْصَنْ | مَرْأَةٌ غَيْرَ دَقَدَ وَقَفَنَ حَوْلَهُ
يَنْظَرُنَ فِيهَا أَيْهُنَّ أَحْسَنَ ^(١) |
|---|---|

وبعز الصفاء في إزراء الشاطئ بنهر الأبلة، وفي تشبيه النهر بالسيف الذي نضته كف جلاء، وفي تشبيهه بالشبكة المنظومة من لولؤ وبجوهر السنت وتجليل الرقشاء وبإهاده الزرقة والصفاء...

(١) أعيان العصر وأعوان النصر. خليل الصfdi. تحقيق. د. علي أبي زيد وآخرين: ٦٥٥ / ٣. دار الفكر. ط١٨. دمشق.

وإكثار الشاعر من الدخول إلى المعنى من جهات متعددة للدلالة على الصفاء مفيد
فرط نقاء ماء النهر، ويصل الشاعر من ذلك إلى أن ما سبق مفيد طيب السرحة التي
تشرب من هذا الماء الصافي.

وبعد فيبين من الدراسة السابقة أن الحضور المكثف للسرحة مظهر من مظاهر
تعلق الشاعر بها، ولعل نموها على شاطئ النيل كان من أبرز أسباب الاحتفال بها فقد
كان للمصريين ولوع شديد بحب نهر النيل^(١).

لقد خلع الشاعر على السرحة إحساساته، فالقصيدة وصفية وكذلك عاطفية فلم
يقف الشاعر على وصف الجانب الحسي فقط بل تجاوزه فخلع على السرحة جملة من
الانفعالات والإحساسات العاطفية فنورها يبتسّم، وظلّها يطبّ ويداوي من القيظ ومن
داء الهجير وقلبه لم تنه غير سراء.

لقد طفق الشاعر "ينعت قوامها من الأخصى إلى الرأس ومن القدم إلى الذؤابة
كأنها وهي العجوز الشمطاء كاعب حستاء وخلع عليها من نفسه نفسها ومن روحه
قبساً وصورةً ما أشاعت حولها من نشاط وما نشرته من جذل ومرح^(٢)
في الأخير هل نجح ابن مkanis في نقل صوره إلينا؟

الصور التي ذكرها كانت قادرة على بناء فكرته وعاطفته من خلال صياغته الخاصة
وهو بذلك الأمر يعد ناجحاً من هذا المنظور^(٣).

ثم إن تمكّن ابن مkanis من نقل المتعة إلى العين ومقدراته على الإذاذ الذائقة، وهما
أمران يتقوّى بهما انتساب الكلام المخيّل إلى الشعر، إنه مقدراته على ذلك أشهد في
نجاحه، فالشاعر لم ينقل المرئيات والمحسوسات نقاً حقيقة بل أشربها التمويه
إشراباً أضفي على صوره أبعاداً لم تكن لها في الأصل^(٤).

(١) وما يبين ذلك الولوع وشده مراجعة كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر: ٣٨٢-٣٥١. ومراجعة
مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم: ٧٧٩-٧٨٢.

(٢) مقال (في ظلال السرحة) د. محمود رزق سليم: ٧٧٩-٧٨٠.

(٣) راجع: النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني. دراسة مقارنة. د. أحمد الصاوي: ٢٥١. الهيئة المصرية
العامة للكتاب. دار بور سعيد للطباعة. الإسكندرية. ١٩٧٩.

(٤) راجع: بحوث في الشعرية: ١٦٣. أحمد الجوة. مطبعة التسفير الفني. كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بصفاقس. ٢٠٠٤.

وفي الأخير أنقل كلام د. محمود رزق سليم عن السرحة قائلاً:
 "تلك هي سرحة ابن مكานس التي أطلقـت من حوله أرجـا عـبـقـ بالـأـرـجـاءـ عـطـرـهـ.
 وضـاعـ فـيـ الـآـفـاقـ نـشـرـهـ،ـ فـجـذـبـتـهـ إـلـيـهـاـ بـهـ اـجـتـذـابـاـ وـاقـتـضـبـتـهـ اـقـتـضـابـاـ وـأـثـارـتـ فـيـ نـفـسـهـ
 وـسـاوـسـ الشـيـاطـينـ،ـ وـأـهـاجـتـ فـيـ خـاطـرـهـ أـبـالـسـةـ الشـعـرـ فـأـتـاهـاـ فـيـ بـيـتـهـ وـنـادـهـاـ مـنـ تـحـتـهـ
 وـنـاجـاهـاـ بـقـصـيـدـةـ فـرـيـدةـ،ـ فـخـلـدـهـاـ بـيـنـ الـلـدـاتـ،ـ وـجـعـلـهـاـ فـيـ الـخـالـدـاتـ".^(١)

إن المنظر الذي يصفه ابن مكานس والحالة التي يراها لتنستنطق الألسنة. وفيها
 استشعار للمنة الربانية من خلال التواصل بين السماء والأرض المائل في المطر الغزير
 المنهمـرـ.ـ وـهـذـاـ يـعـطـيـ أـيـ أـدـيـبـ فـرـصـةـ لـتـأـمـلـ فـيـمـاـ أـمـامـهـ مـنـ صـنـعـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ.
 إن التدرج في وصف الخمرة أمر لا يخيّب أفق الانتظار لأن الشاعر يصف لحظة الانتشاء^(٢).

خرق التراتب:

وذاك أن ابن مكأنس يصف ثم ينتقل لأمر آخر يصفه ثم يعود للأول ومنه قوله:

- ٤- رَحْمَاكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ
- ٥- وَكَمْ نَزَلَنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الـ (ما) هَجِيرٌ إِذْ حَيَثُ لَامَرَأٍ لِحِرَبَاءِ
- ٦- نَطَلُ مِنْ قَيْنِكِ الْفَضَاضِ فِي ظَلَلِ
- ٧- بَاطِلَةٌ بِدَوَاءِ الْقَيْطِ عَالَمَةٌ
- ٨- لَا صَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكِ الرَّهْرَ وَانجَسَتْ
- ٩- عِصَابَةُ الشَّرَبِ أَمْوَارُ وَرَضَ زَاهِرَةٌ
- ١٠- خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَتَشَاهَا وَمَرْضِعُهَا
- ١١- فَاسْتَمْهَدَتْ دُوْهَهَا الْمُخْضَلُ وَافْتَرَشَتْ

(١) مقال (في ظلال السرحة): ٧٧٩.

(٢) راجع: أسلوبية الوصف وال الحوار: ٥٦.

١٢— قَرِيرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْأَرْضِ (أ) قَلْبُ الْذِي لَمْ تَنْلُهُ غَيْرُ سَرَّاءِ

١٣— مَقْيُلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنَى حَمَائِمَ بَلْ كَنَاسُ آرَامَ بَلْ أَفْنَاءُ دَرْمَاءِ

١٤— لَهَا مَطَارِفَ ظِلَّ سَجَسَحَ فَمَصِيدَ (أ) فُهَاهَا يُعادِلُ فِيهِ طِيبَ مَشْتَاءِ

فقد وصف الظل في الأبيات (٤-٧) ثم انتقل إلى الدعاء للسرحة وذكر (عصابة الشرب) وعاد بعد ذلك إلى ذكر الظل.
بنية المشهد الوصفي للسفينة^(١)

السفينة					
الصفات اللون النوع المكان الشكل	التحمل سوداء + نوحية الصنع البكور	النهر كھلال	الأفق	ذات ألوان	سيرت من غير إعياء
حسباء					+
السرعة					+
ساجية					+
الغرابة					

(١) التقسيم هنا وفي (بنية المشهد الخمري) الذي سيأتي مستفاد من كتاب (أسلوبية الوصف والحووار) وقد نقل مؤلفه هذه الطريقة عن مؤلف غربي اسمه (جان ريكاردو) وسمها شجرة ريكاردو؛ أسلوبية الوصف والحووار، ٢٢: ٢٢. وتنهض فكرة الشجرة على قاعدة جوهيرية مفادها أن للوصف بنية أساسية خاصة تكون من موضوع توسيعة قد تشمل عناصر الموضوع وصفاته ومواقعه وقد تقتصر على بعضها فقط كأن يكتفي الواصل بذكر الموضوع وخاصة من خصائصه وعنصر من عناصره "المراجع السابق: ٢٢.

بنية المشهد الوصفي للخمرة

الخمرة	العناصر	الموقع	الصفات	الزمان، المكان
الإبريق - الساقى	الجدّة القدِيم	اللون		
الساقية	حمراء صرفاً+	عذراء، مما تخيرها كسرى		سوداً
الليل+السفينة				
كف شاد أو	أو ودعهارب الخورنق	صرفاء إن مزجت بها+	سحراً	
وشادية	في قوراء جوفاء +	بيضاء (اللمعان)		
(الصوت) سمعت	شمطاء			
من صوته تسبيح فأفاء				

+

تشدولنا بين صوت العود والناء

ومن أجزاء الصورة الكلام عن الخمرة وهو صورة ثقافية وأنموذج في التعبير أكثر
مما هي ذات قيمة مرجعية .

ولم يطل الشاعر الوقوف أمام الخمرة بل عدّها من متممات المشهد، وذاك أنه ”كلما طال وقوف العين الواصفة على أجزاء الموصوف وهي الخمرة بلونها وقدمها ودنانها وعاصرها ونفاستها... امتدّ الوصف وتشعيّت طرقه وأصبح الواصف ينزع إلى الاستقصاء فيطول لذلـك زـمن الوصف في الخطاب“^(١).

ومما سار فيه الشاعر على سنتن من قبله في ذكر الخمرة ذكر نسبتها إلى بلد معين، وهو هنا مصر، ولعل ولع الشعراء بنسبة الخمرة إلى مكان بعينه له صلة بالطبيعة الأصلية في الشخصية العربية التي تميل منذ العصر الجاهلي إلى البحث عن أصالة النسب والتثبت من الأعراق سواء أكان نسب أشخاص أم حيوان أم خمور... فلم يكن غريباً والحالة هذه أن يعني الشعراء في وصف الخمرة بذلك نسبها ومعتصرها والبلاد التي يحلبها منها التجار^(٢).

(١) المرجع السابق: ٧٢.

(٢) انظر: تحليل لغوي أسلوبى لنصوص من الشعر القديم: ٣١.

ومن عنایة الشاعر بقدم الخمرة قوله:

٤٨ - كَمْ قَدْ نَعْمَنَا بِهَا عَيْشًا بِصَافِيَّةٍ
شَمْطَاءَ تُجْلِي عَلَى الْجُلَاسِ عَذْرَاءِ

٤٩ - مِمَّا تَخَيَّرَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا
رَبُّ الْخَوْرَنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ

وهذا الأمر مما يشيع لدى الشعراء لأن في الإشارة إلى القدم ما يفيد فرط تأثيرها في الشراب. وتلحظ في حديث ابن مكานس عن الخمرة شيئاً من الألفاظ الدينية، ومنه (ركع) و(تسبيح) ولعل ذلك عائد إلى الرغبة في جمع المتضادات في الصورة من خلال قرن المقدس بالمقدس، إضافة إلى أنه سير على سنن السابقين في ذلك الأمر^(١).

وفي قول ابن مكأنس:

٥٦ - مِنْ كَفِّ ظَبَّيٍ وَشَادِيْ أَوْ وَشَادِيَّةٍ
تَشَدُّدُ لَنَا بَيْنَ صَوْتِ الْعُودِ وَالنَّاءِ

يبين أن الخمرة والغلام عنصران متلازمان على الأقل في عرف الشاعر لا تحتمل متعة السمر إلا بهما، فالسياق هو الذي استدعي لفظ (ظبي، شاد، شادية) دون غيرها^(٢). وأشار ابن مكأنس إلى وقت الشرب وأنه في الليل (سود الليل أو سحراً) وذاك أن المتعة تزيد ليلاً، والليل أخفى للوليد.

ومما يتصل بالمشهد الخمري أن عين الشاعر تتبع جزءاً من أجزاء الموصوف ومتصل من متعلقاته وهو اللون من تحوله من أحمر إلى أصفر^(٣).
ويتصل به أيضاً ابن مكأنس وصف الخمرة باللفظ المفرد فقط (صافية، شمطاء، عذراء، حمراء، صفراء، راحا، المدام)^(٤)، وذاك أن المفرد هنا أغناه عن الجمع.

(١) انظر: ديوان الخمرات. أبو نواس. ٢٨-٢٩. تحقيق علي نجيب عطوي. دار مكتبة الهلال. ط١٩٨٦.

بيروت. لبنان

(٢) انظر: تحليل لغوي أسلوبى لنصوص من الشعر القديم: ٣٧.

(٣) انظر: أسلوبية الوصف والحووار: ٤٢.

(٤) للاستزادة: انظر: المرجع السابق: ٤٤-٤٥.

الإيقاع:

من أبرز شروط الإيقاع وهو يدل في قسم منه على الوزن أن "يطرد الطبع لإيقاعه" ويمازجه بصفاته عما يطرد الفهم لصواب تركيبه، واعتدال نظمه^(١). ومن دلائل إطراب الإيقاع في القصيدة قصد الشاعر إلى الألفاظ السهلة في نطقها: من حيث الابتعاد عن الألفاظ صعبة النطق لقرب مخارجها مثلاً، والأمر الثاني تجنب الشاعر الزحافات والعلل القبيحة، التي تؤثر في نغم الوزن وهو هنا (البساط) ومنها حين (مستفعلن) الثانية في الشطر الأول أو الثاني، وهو وإن جاز فإن قلة وروده في الشعر دال على أن الشعراء يستقلونه^(٢).

ثم إن التحام أجزاء القصيدة، والتئام ألفاظ كل بيت، وتواافقها وتشاكلها، وسلامتها من الاضطراب الذي تقتضيه الضرورات. جعل اللسان ينطلق في إنشاد الأبيات دون أن ينحبس أو يتوقف أو يلحقه الكلال، كل ذلك يدل على أن القصيدة كالجملة الواحدة قد أفرغت إفراغا في قالب واحد^(٣). فتشعر بالانسجام في النص. إن المنشد لا يجد عسرا في إخراج الأصوات في اللحظة ولا الكلمات في الجملة، يقول الجاحظ: "أوجد الشعر ما رأيته متلاحماً لأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحداً، وسبك سبكًا واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"^(٤). أنت القصيدة على بحر البسيط التام، وأنت العروض فيه محبونة^(٥)، والضرب محبونا، مقطوعاً^(٦). وهو من البحور التي أفتتها الأذن العربية لكثره ما يؤمه الشعراء^(٧).

(١) شرح ديوان الحماسة. المرزوقي. نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون: ١٩٥١مـ. القاهرة. وانظر: مدخل إلى الشعر العربي الحديث (أنشودة المطر). محمد الخبوب: ١٩٥٣مـ. دار الجنوب للنشر. ١٩٩٥مـ. تونس.

(٢) موسيقى الشعر: ٧٢.

(٣) انظر: شرح ديوان الحماسة: ١٩٥١مـ. ونحوه نقدية لأعلام النقد العربي. ٢٠٠٧-٢٠٠٨مـ. اختيار وشرح د. محمد السعدي فرهود. القاهرة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥مـ.

(٤) البيان والتبيين. الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون: ١٩٨٧مـ. دار الفكر.

(٥) تصبح (فاعلن) (فعلن).

(٦) تصبح فيه (فاعلن) (فعلن) انظر: أهدى سبيل إلى علمي الخليل. محمود مصطفى. شرحه وضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور: ٣١٢.٣٩٢مـ. دار الكتب العلمية. ط٢.١٤١٢هـ ١٩٩٢مـ. بيروت. لبنان.

(٧) موسيقى الشعر. إبراهيم أنيس: ١٩٩٧مـ. مكتبة الأنجلو المصرية. ط٧. القاهرة.

تشكلت القصيدة من (٢٧٣٩) حرفًا منطقية نطقًا سليماً، دون ما تمليه قواعد الخط الإملائي. في واحد وستين بيتاً، وقد توزعت الحروف في القصيدة كما يلي:

شيوخ الحروف في النص:

الحرف	مرات وروده
الهمزة	٢٩٤
النون	٢٦٥
ألف المد	٢٦٣
اللام	٢٢١
الياء الساكنة	١٥٣
الميم	١٤٥
الراء	١٣٠
التاء	١٢٢
الهاء	١٠١
الباء	٩٧
العين	٨٤
ال DAL	٨٣
الفاء	٨٢
الواو المتحركة	٧٦
الكاف	٧٦
الواو الساكنة	٦٠
السين	٦٠
الحاء	٥٨
القاف	٥٦
الثين	٤٧
الياء المتحركة	٤٣

الحرف	مرات وروده
الجيم	٢٨
الصاد	٢٨
الزاي	٢١
الطاء	٢٤
الضاد	٢٠
الغين	١٩
الذال	١٧
الخاء	١٢
الظاء	٩
الثاء	٤

نستخلص من الجدول السابق أن القصيدة يغلب عليها إيقاع الجهر بعدد (٢١٦٢). وأن الحروف المهموسة يبلغ عددها (٥٨٢)، وقد تجاوزت الحروف المهموسة النسبة المعتادة في الاستعمال، إذ إن استعمالها لا يتتجاوز في الكلام العادي (%)٢٠(.١)، أما في القصيدة فقد تجاوزته بنسبة ضئيلة جدا، بلغ حظّ الحروف المهموسة (%)٢١.٢(.٢)، ومما يوضح سبب قلة الحروف المهموسة في الكلام حاجة الإنسان عند النطق بها إلى قدر أكبر من هواء الرئتين مما تتطلبه نظائرها المجهورة(.٢).

ومما يع Rudd the الحكم السابق (وهو شیوع الحروف المجهورة) أننا إذا نظرنا إلى الحرف الذي يسبق حرف المد في القافية سنجد هكذا:

(١) انظر: المرجع السابق: ٣٢. خصائص الأسلوب في الشوقيات: د.د.

(٢) انظر: موسيقا الشعر: ٧٧.

الحرف	مرات وروده
الراء	١٠
النون	٥
الياء	٥
الفاء	٥
الباء	٤
الواو	٤
الميم	٤
اللام	٣
ال DAL	٣
العين	٢
السين	٢
الشين	٢
الزاي	٢
الضاد	٢
الكاف	١
التاء	١
الهاء	١
الجيم	١
الطاء	١
الغين	١
القاف	١

ومما سبق يبين للقارئ غلبة حروف الجهر على ذلك الموضع، فقد وردت في (٤٩) موضعًا، أما حروف الهمس ففي (١٢) موضعًا، وهذا يشير إلى سيطرة حروف الجهر حتى في موضع بعينه.

لقد صبغ الشاعر قصيده بالأصوات المجهورة، وهذه سمة مميزة للقصيدة، وأعطى الأصوات المهموسة فرصة التلوين الإيقاعي^(١). ولا غرابة في شيوع الأصوات المجهورة فــتناب الأصوات المجهورة في المقاطع، واستمرار طول الانفجار في الأصوات ينسق التنغيم، ويساعد على تداخله مع الصيغ المجهورة، ويعطي بيت القصيدة وجوده الفعلي... فاستمرار الجهر الحقيقي ما هو إلا استمرار للوظيفة الداخلية للمقاطع، وهو الجسر الذي يربط طول المقاطع، وهذا لا يعني أن الشعراء لا يهتمون بالأصوات المهموسة، ولكن الصيغ المجهورة تشكل القمم الحقيقة كما تشكل توقعات النغم^(٢).

فيما أن الشعر إنشاد (جنس شفوي) والإنشاد يقتضي إيقاع الأجراس الداخلية، فذلك يقتضي التأليف في الأصوات المجهورة.

ومن نتائج الجدول شيوع حرف الهمزة، ولا غرابة في ذلك فهو روى القصيدة، فقد وردت الهمزة روايا (٦١) مرة، ووردت في الحشو (٢٢٢) مرة، فشكّلت طبقة كثيفة من الإيقاع المناسب لمقام الإننشاد في القصيدة، ومن أبرز الآيات في ذلك قول ابن مكานس:

٥٢- أَم السُّرُورُ الِّتِي أَيْقَسَ الزَّمَانَ بِهَا جُزْءُ الْحَيَاةِ وَقَدْ أَلَوَّى بِأَجْزَاءِ

٦ ٤ ٣ ٢ ١

فالهمزة في ستة مواضع متوزعة بين صدر البيت وعجزه، ويقرب منه قول الشاعر:

٤٢- ذُو شَاطِئٍ رَاقِ غَبَّ الْقَطْرَ فَهُوَ عَلَى نَهْرِ الْأَبَلَّةِ يُزْرِي أَيْ إِزْرَاءِ

٥ ٤ ٣ ٢ ١

ولا سيما في الشطر الثاني حين تجتمع أربع همزات متعددة الحركات فمنها المضموم والمفتوح والمكسور، ويمثله قول الشاعر:

٤٠- تَدَاعَبُوا بِمَعَانِي شِعْرِهِمْ فَأَرَوْا وَدَ الْأَحِبَّةِ فِي الْفَاظِ أَعْدَاءِ

(١) لامية المتنبي (مالنا كلنا جو يا رسول) قراءة إيقاعية. مجلة أداب الرافدين. د. بشري البستاني: ٦٦، ع. ٣١. كانون الأول ١٩٩٨ م.

(٢) التركيب الصوتي في قصيدة أنشودة المطر. د. قاسم البرسيم. مجلة آفاق عربية: ١١٥ / ٥ / ١٩٩٣ م.

والهمزة حرف يخرج من أقصى الحلق، وهو حرف شديد، مجهور، مرفق، يمتنع معه النسخ، وشيوعه صدى لحرف الروي، كما أن الشاعر أراد نثر الهمزة في الأبيات لمالها من بروز صوتي.

وشيوع حروف المد من ألف وواو وباء يعطي الشاعر قدرة على إطالة الصوت بالإنشاد، ويسيطر الإيقاع، مما يجعل مدة إنشاد البيت ذي المدود أكثر من غيره، ومن ذلك قول الشاعر:

١. يَاسْرَحَةُ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوَرْهُ عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصَبَاءٍ

ففي البيت (١١) مدا، ما بين ألف وواو وباء، فالواو والباء مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما والألف يتسع مخرجه لهواء الصوت أشد من اتساع الياء والواو وهو بذلك يحتاج إلى زمن أطول من بيت تقل فيه المدود^(١).

ومن نتائج الجدول بيان قلة حظ الحروف التالية من النص وهي (ص، ز، ط، ض، غ، ذ، خ، ظ، ث) وأكثر هذه الأحرف أصوات مطبقة، وهي أصوات مفعمة لهارنة قوية في الأذن، مما يلائم طبع البدو وخشوتهم^(٢)، ويعود عنه ذوق الحضري الذي يمثله ابن مkanis هنا، وكذلك الغرض الغنائي الذاتي، وهو ووص الطبيعة: (تناسب الدال والمدلول).

التنوع والتكرار:

تبرز في البحر مسألة التنوع والتكرار (مستفعلن) تكرر مرتين في كل شطر، وكذا (فاعلن)، مما يخفف من رتابة الإيقاع وسيره على نمط واحد، زد على ذلك قبول التفعيلتين للخبر الذي يكون وجوده نسيجاً من التباين والتشاكل بين التفاعيل، (مستفعلن) وردت تامة: ١٨٦ مرة، ولا غرابة في ذلك لأن العرب تحبذ خبرن (مستفعلن) الأولى في الشطرين دون الثانية.

(مستفعلن) وردت مخبونة: ٥٨ مرة = ٣١ في بداية الشطر الأول، ٢٧ بداية الشطر الثاني وقد أتى خبرن (مستفعلن) على النمط الأجدود في المزاحفة فالعرب تحبذ خبرن (مستفعلن) الأولى^(٣) في الشطرين، وعند مطالعة العدد المخبون من (مستفعلن) الأولى

(١) انظر: الكتاب. سيبويه. تحقيق عبد السلام هارون. ٤، ٤٢٥-٤٣٦. مكتبة الخانجي. ط٢. ٢٠١٤هـ

(٢) انظر: فقه اللغة. د. كاصد الربيدي. ٤٥١. ٤. جامعة الموصل.

(٣) "خبر عروض البسيط إذا استعمل تماماً زحاف يجري مجرى العلة، فهو لازم لا يحق للشاعر أن يخرج عنه إلا في حالة التصرير، بينما يحق للشاعر أن يختار إحدى تفعيلتين إما (فعلن) التي دخلها الخبر، وإما (فاعل) التي دخلتها القطع، لكنه يلتزم بما يختار، ولا يصح له أن يستعمل النمط الآخر في"

في الشطرين أجد أن خبن (مست فعلن) الأولى في الشطر الأول أكثر من مجئها تامة بفارق واحد، أما خبن (مست فعلن) الأولى في الشطر الثاني فأنت قريبة من السليمة عدداً، فهي أقل بأربع مرات فقط، مما يدل على أن نزوع الشاعر إلى إكثار الخبن كان رغبة في التلوين، وتدل الأبيات: (٥٣.٢٣.٢٩.٢٧.٢٥.٢١.١٨.١٣.) على رغبة الشاعر في حذف السواكن فعدد الأبيات (٩) وهي تمثل ما نسبته ١٤٪ تقريباً من النص، وتزداد رغبة الشاعر في حذف السواكن في موضعين هما (١٤.٥٩).

وتأتي الأبيات سليمة من الخبن عندما يريد الشاعر التنبيس عن نفسه كما في الأبيات (٣٨.٤٨.٥٠.٥٤.٤٨.٦٠) وفيها:

- ٣٨- وَرُقْ تَعَنَّتْ بِحَنَّاتِ رَقَيْنَ عَلَى
 عِيْدَانِهَا فَالْهُ فِي مَعْنَى وَغَنَّاءِ
 شَمْطَاءَ تُجَلِّى عَلَى الْجُلَاسِ عَذْرَاءِ
 كَمْ مِنْ يَدِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بِيُضَاءِ
 بَغْدَادَ وَالْمُوْصِلِ الْحَدْبَا وَسَوْرَاءِ
 تَشْدُو لَنَا بَيْنَ صَوْتِ الْعُودِ وَالنَّاءِ
 لَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ إِيْطَاءِ وَأَقْوَاءِ
 ٤٨- كَمْ قَدْ نَعْمَنَا بِهَا عَيْشَا بِصَافِيَةِ
 ٥٠- حَمْرَاءُ صِرْفَاً وَصَفَرَاً إِنْ مَرَجْتَ لَهَا
 ٥٤- وَاسْتَجَلَهَا بِنْتَ مِصْرِ تَسْتَطِيلُ عَلَى
 ٥٦- مِنْ كَفِ طَبِيرِ وَشَادِ أَوْ وَشَادِيَةِ
 ٦٠- يُعَزَّونَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالِهِمْ

أما (فاعلن) فقد وردت تامة في الحشو: ٧٩ مرة، ووردت مخبونة في الحشو: ٣٤ مرة.

=القصيدة نفسها (البنية اللغوية والإيقاعية في عينية لقيط بن يعمر) د. خالد الجديع، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع. ٢٨، ربى الآخر، ١٤٢٣هـ - ٤١. وتأتي (فاعلن) الأولى صحيحة أو مخبونة، أما (فاعلن) الثانية فلا تأتي إلا مخبونة (فعلن).

الصور التي أنت عليها القصيدة وزنا:

أولاً:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن يا سرحة شـ شـاطـ لـ منـسـابـ كـوـ ثـره --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- ---	النمط المثال الحركات والسكنات المقاطع الصوتية العدد النسبة
٢٤ مرة ٪١٩,٦٧	

ثانياً:

مـtfـعلـnـ فـاعـلنـ Mـstـfـعلـnـ Fـعـلـnـ وـkـmـ Nـzـlـ Nـa~m~q~i~ L~a~m~n~k~ m~h~m~ i~ --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- ---	النمط المثال الحركات والسكنات المقاطع الصوتية العدد النسبة
٢٣ مرة ٪١٨,٨٥	

ثالثاً:

Mـstـfـعلـnـ F~ع~l~n~ M~st~f~عل~n~ F~ع~l~n~ A~n~t~ Sh~sh~f~a~ E~l~z~r~ R~m~s~p~a~n~ D~a~e~ D~a~e~ --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- --- ---	النمط المثال الحركات والسكنات المقاطع الصوتية العدد النسبة
١٨ مرة ٪١٤,٧٥	

(١) استندت هذه الطريقة من المرجع السابق: ٤١٢-٤١٥.

رابعا:

متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن على اليوا قيت في أشكال حص باع ----- --- 7 --- 7 - 7 - 7 مرة ١٧ ٪ ١٣.٩٣	النمط المثال الحركات والسكنات المقاطع الصوتية العدد النسبة
---	---

خامسا:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن نوع الثرى يَا اسْتَهْلُ لَتْ ذَاتِ أَذْ وَاعِ ----- --- 7 --- 7 - 7 - 7 مرة ١٥ ٪ ١٢.٢٩	النمط المثال الحركات والسكنات المقاطع الصوتية العدد النسبة
--	---

سادسا:

متفعلن فعلن مستفعلن فعلن لنا بظاً لك من أهوا وأه واع ----- --- 7 --- 77 - 7 - 7 مرة ١١ ٪ ٩.٠١	النمط المثال الحركات والسكنات المقاطع الصوتية العدد النسبة
--	---

سابعاً:

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن	النمط
حلت عليه ك عزا ليه سحرا ب إذا	المثال
--- --- --- --- --- ---	الحركات والسكنات
--- --- --- --- --- ---	المقاطع الصوتية
77 - 77 - 77 - 77 - 77 - 77	العدد
7 مرات	النسبة
% ٥,٧	

ثامناً:

متفعلن فعلن مستفعلن فعلن	النمط
تركته لأننا سركتيو س غنو	المثال
--- --- --- --- --- ---	الحركات والسكنات
--- --- --- --- --- ---	المقاطع الصوتية
77 - 77 - 77 - 77 - 77 - 77	العدد
7 مرات	النسبة
% ٥,٧	

ومن النظر في الجدول أرى أن الغلبة كانت للصورة الأساسية (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن)، وربما كان سبب ذلك المتصل بحال الشاعر هو رغبة الشاعر في التأمل والوقوف الطويل على جمال السرحة، مما جعله يكثر من نمط تكرر فيه المقاطع الطويلة.

التدوير:

بحر البسيط من البحور التي يقل فيها ورود التدوير لأن عدد المقاطع في الصدر فيها ما يكفي لاستيعاب البنية النحوية، فلا تحتاج إلى تدوير. وقد جاء في ثلاثة أبيات، ومجيئه مرتبط بحرص الشاعر على ألا يفقد الوزن الشعري أهم أهدافه، وهو حلاوة المسموع وألا يفقد البيت ميزته باعتباره وحدة إيقاعية دنيا^(١). وربما دلّ على "توتر الشاعر ورغبته بالاستمرار وعدم التوقف للتعبير عن حالة وجданية داهنته، يصبح معها القطع قطعاً

(١) انظر: جمالية الموت: ١٥٣ وراجع الحاشية (٢).

للحالة قبل اكتمالها، وكان الفجأة لا تمهله لالتقاط أنفاسه في نهاية كل شطر، فيواصل الكلام ولا يقف إلا عند آخر البيت^(١).

الروي:

أهم الحروف في القصيدة واليه تنسب، فيقال قصيدة همزية ورائية وهذا، والروي في القصيدة هو حرف الهمزة، وهو صوت شديد مجهور مررق، يخرج من أقصى الحلق، ويمتنع معه النفس.

والحرف ليس من الحروف التي يكثر استعمالها روايا، فليس كالباء أو الدال أو النون أو الميم أو اللام؛ وذاك أن الصوت بقدر ما يكون مخرجه أقرب إلى الشفتين يكبر حجمه من الاستعمال رويا^(٢)، أما الهمزة بعيد عن الشفتين.

وحرف الهمزة واضح في مخرجه، ومما زاده وضوحاً الألف التي سبقته وحرف المد (الياء) الذي أتى وصلاه.

والهمزة قريبة من القوافي الذلل، لكثرة ما ورد فيها من الكلمات ذات الألف الممدودة للتأنيث والإلحاد^(٣).

وهذا الحرف لم يأت رويا فقط، بل زرعه الشاعر في مواطن كثيرة جداً من الأبيات، وقد تكرر في حشو الأبيات (١٢٥) مرة عدا حرف الروي، ومما الشواهد الناطقة بذلك وسبق ذكره قول الشاعر:

٥٢- أمر السرور التي أبقي الزمان بها جُزءَ الحَيَاةِ وَقَدْ أَلْوَى بِأَجْزَاءِ

والروي مطلق بحركة الكسرة، ومعلوم أن الروي المطلق يمكن فيه ما لا يمكن في غيره من مد الصوت^(٤). ومن تنشيط لنفس المتلقي في مقطع البيت، وتهيئة لطول نفس الشاعر في مطلعه^(٥).

(١) الأسلوبية والصوفية: ٤٥.

(٢) انظر: خصائص الأسلوب في الشويقيات: ٤٠.

(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب د. عبد الله الطيب المجدوب: ١/٨٠-٨١. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١٣٧٤، مصر.

(٤) انظر: كتاب القوافي، أبو يعلى التنخوي، تحقيق عمر الأسعد ومحب الدين رمضان: ١١٢. دار الإرشاد، ط١٢٨٩، بيروت.

(٥) انظر: حمالية الموت: ٢٠٥. وانظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحستاوي، ٢٠١. المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٦٨، بيروت. وانظر: بنية اللغة الشعرية، جان كوهين: ٧٢-٧٤. ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار تويقا، ط١٩٨٦، مصر.

ومخرج الكسر أخرج في الجهاز، أي أقرب إلى الشفتين، ومن النقاد من يرى أن الكسر يتلاعمر في اللغة العربية مع ياء الاختيار (المتكلم) الدالة على الامتلاك والأحقيّة^(١).

وقد تناسب الروي المكسور مع إيقاع الحشو الذي تكرر فيه الكسر مراراً، ومن أبرز شواهد ذلك قول ابن مakanis:

١٨- كَقَرْعُ نَاقُوسِ دَبِيرِيٍّ عَلَى شَرَفِ مُسْتَبَحٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ دَعَاءً

في البيت سمة مفيدة وهي مجيء كل الحروف مكسورة. وهو أثر من آثار الروي. البيت يتحدث عن صوت الناقوس والكسر يتلاعمر مع صوت القرع، لأن الصورة صوتية والقرع يكون متجانساً لا يتغير فالتجانس الموجود في مادة الصورة ناسبه تجانس في توقيع الكسر في البيت (ضربات موقعة، دلالة الشكل فالكسر تنغيمراً). التنغيم الداخلي (الكسر) موازن لتنغيم الناقوس وموازن للتسبيح يسير على وتيرة واحدة لا يتغير ولا يتبدل.

ومن خصائص التسبيح أنه يسير على وتيرة واحدة. التسبيح في المسيحية: تسبيحهم جماعي كالمتصوفة، وتوجد الجوقة في الكنيسة، وتكون ترتيلاتهم وتنغيماتهم مع بعضهم وتكون موقعة حتى يتمكنوا من المتابعة. ومن الشواهد أيضاً قول الشاعر:

١. يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوَرَهُ عَلَى الْيَوْاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ

وقوله:

٦. نَظَلَ مِنْ فَيْئِكِ الفَحْضَاضِ فِي ظَلَلِ مِنَ الْغَمَامِ يَقِينًا كُلَّ ضَرَاءٍ

وقوله:

٤. رُحْمَكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ لَنَابِطَلِكِ مِنْ أَهْوَأَ وَآهْوَاءِ

(١) السبع معلقات. مقاربة سيميائية أثربولوجية. عبد الملك مرناض: ٢٢٢. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ١٩٩٨م.

وقوله:

٤٥. وَجَدْتُ بِالْبَرِّ مِنْ مَالٍ وَمِنْ أَدَبٍ
فَكُنْتُ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْهُمَا الطَّائِي

وقوله:

٤٦. مِنْ كُلِّ وَرَقَاءٍ فِي الْأَفْنَانِ
بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي فَيَحَاءَ زَهْرَاءِ

إن انتشار الكسر الذي هو رخو ومرقّاق يدل على تناسب الأصوات وغرض الوصف.

الكافية:

كافية القصيدة من المتواتر وهو كل قافية وقع فيه حرف متحرك بين ساكنين ^(١)
وهي من القوافي التي ترد كثيرا في الشعر.

ورد في آخر النص ما يشير ولو من وجه خفي إلى قدرة الشاعر العروضية حين قال:

٤٧. أَمَّا أَنَا لَسْتُ تَوَاحِدًا عَلَى طَلَيلٍ
وَلَا خَلِيلٍ وَلَا نَسْدَابًا أَحِيَاءٍ

٤٨. تَرَكْتُهُ لَأَنَاسٍ كَالْتَيْوُسِ غَنَوْا
عَنِ الْمَدَامِ بِدَرِ الإِبْلِ وَالشَّاءِ

٤٩. يُعَزَّونَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالَتِهِمْ
لَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ إِيْطَاءِ وَإِقْوَاءِ

٥٠. مِنْ كُلِّ الْكَنَّ عِنْدَ الْبَحْثِ مُنْقَطِعٌ
كَأَنَّهُ وَاصِلٌ وَالشِّعْرُ كَالْزَاءُ

فكأنه يقول أنا الشاعر وغيري لا. وفيه إلماح إلى رغبته في الخمريات التي يراها أولى
من البدء بالوقوف على الطلل.

وقد عزّ الشاعر إيقاع القافية بضم أكثر من حرف في آخر بيتين متوالين كما في قوله:

٥١. وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مَحْرُّ تَسْتَطِيلُ عَلَى
بَغْدَادَ وَالْمَوْصِلِ الْحَدُبَا وَسَوْرَاءِ

٥٢. كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلَ النَّسِيمِ بِهَا
عَلَى اعْتِدَالٍ وَحَدَبَاءِ وَزَوْرَاءِ

(١) الوفي بمعرفة القوافي. أبو العباس الأندلسي. تحقيق د. نجاة نولي: ٦٢. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط. ١٤١٨ هـ. الرياض.

إن في مجيء الشاعر بحرف الراء في (سوراء) و(زوراء) تعزيز لإيقاع القافية، ومثله قوله:

فَنَقْطَةٌ هُبَيْطَاءُ وَصَفْرَاءُ

٢٣- كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَرْهَارَهَا طَرَأً

يَصْبُولَهَا كُلُّ ذِي عَقْلٍ وَأَرَاءٍ

٢٤- وَكَمْ طَرَبْتُ لِمَا أَبْدَثَهُ مِنْ مُلْحٍ

وازداد حرص الشاعر على جعل القوافي ذات إيقاع متدام، فليس بإيقاعها محصورا في الروي فقط، بل جاوز ذلك ليشمل وزن اللفظ الذي في آخر البيت، وبيان ذلك كما يلي، انظر إلى قول ابن مakanis:

فِرْنُدُسَيْفِيَضَتَّهُ كَفْ جَلَاءُ

٢٣- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ التَّسِيمِ لَهُ

أُوجَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

٢٤- كَانَهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٌ نَظَمَتْ

رَقْرَاقُ عَيْنِ بِوْجِهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءُ

٢٥- كَانَهُ حِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَّاً

أَغْطَانِهَا فَارْتَنَارَقْصَهِيفَاءِ

٢٦- وَكَمْ شَدَّتْنَا حَمَامَاتُ الْأَرَاكِ عَلَى

بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ

٢٧- مِنْ كُلِّ وَرْقَاءِ فِي الْأَفَنَانِ صَادِحَةً

عِيْدَانِهَا فَالْهُ فِي مَغْنَسِ وَغَنَّاءِ

٢٨- وَرْقَ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتِ رَقْيُنَ عَلَى

لَا يَنْطَوُونَ عَلَى حِقْدِ وَشَحْنَاءِ

٢٩- بَأَكْرَتْهَا فِي سَرَاءِ مِنْ أَصَاحِبِنَا

إن ألفاظ (جلاء، رقشاء، شهلاء، هيفاء، زهراء، غناء، شحناه) كلها على وزن (فعلاء)، ومثله ولكنه أقل منه تتبع أبيات قول ابن مakanis:

شَمْطَاءَ تُجْلِي عَلَى الْجُلَاسِ عَذْرَاءُ

٤٨- كَمْ قَدْ نِعْمَنَا بِهَا عِيشَاءِ بِصَافِيَةِ

رَبُّ الْخَوَرَنَقِ فِي قَوْرَاءَ جَوْفَاءِ

٤٩- مِمَّا تَحْيَرَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا

كَمْ مِنْ يَدِ فِي سَوَادِ الْلَّيْلِ يَبْيَضَاءِ

٥٠- حَمْرَاءُ صِرْفَاً وَصَفْرَاً إِنْ مَرْجُتَ

سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيحَ فَأَفَاءِ

٥١- رَاحَأْ إِذَا رَكَعَ الْإِبْرِيْقُ يَمْزُجُهَا

فَ (عذراء، جوفاء، بيضاء، فأفاء) على وزن (فعلاء)، وهذا يدل على أن الشاعر لم يقنع من النغم بما تتوفره القافية. بل رامر شيئاً أعلى منه^(١).

وقد يعمد الشاعر إلى تناسق إيقاعي بين البيتين بذكر لفظين في كل بيت على وزن واحد. كل لفظ يقابل ما في البيت الثاني وزنا، ومنه قول ابن مكานس:

١٤. لَهَا مَطَارِفُ ضِلْ سَجْسَحَ فَمَصِيرٌ (أ.م.) فُهَا يُعَادِلُ فِيهِ طِيبٌ مَشْتَاءٌ

١٥. قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَّتْ فَهُنَى الْعَجْوُزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءٍ

إن قوله (طيب مشتاء) على وزن (هدى مرهاة). وفي الثاني من البيتين السابقين يبرز توالد الدلالات من الأصوات. فليس للشاعر دالة مسبقة ي يريد وضعها، بل تنداعى الدلالات بتداعى الأصوات.

٢٧. كَانَ أَغْطَانَهَا اللَّدُنَ الرِّشَاقَ إِذَا هَصَرَتْ أَفْنَانَهَا أَعْطَافُ وَطَفَاءٍ

٢٨. كَانَ صَمْغَتَهَا الْحَمْرَا يَقِشْرُتَهَا الدُّ (أ.م.) دَكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ

إن قوله (أعطاف وطفاء) على وزن (أعكان سمراء). وقد حرص الشاعر على الابتعاد عن الزلات المتعلقة بالقافية، ومن مظاهر حرصه أنه حين كرر لفظة (الماء) في القافية مرتين فصل بين البيتين بثمانية أبيات. والبيتان هما:

١٩. فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا الْمُخْضَلُ زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ

٢٠. تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا عَلَى الْهَوَاءِ وَاحْتَنَتْهَا عَلَى الْمَاءِ

ومن عيوب القافية التضمين وهو "تعليق قافية البيت بصدر البيت الذي بعده"^(٢) ومنه قول ابن مكานس:

١٧. وَصَوْتُ بِلْبِلِهَا الرَّاقِي ذَرَى غُصْنٍ فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ

١٨. كَقْرَعَ نَاقْوَسٍ دَيْرِيٌّ عَلَى شَرَفٍ مُسَبِّحٍ فِي سَوَادِ الْيَلِ دَعَاءِ

(١) للاستزادة: راجع: شعريات عربية. توفيق بكار: ٤٠ / ٢ وما بعدها. المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار. دار الجنوب للنشر. تونس. ٢٠٠٩. م.

(٢) أهدى سبييل: ١٨٨.

فالصورة في البيت الأول لا يمكن أن تكتمل إلا بورود البيت الثاني، وهذا وإن عده العروضيون عيباً فإن عبد القاهر الجرجاني لا يرى في ذلك عيباً، بل يراه أمراً مقوياً على جعل البيتين كاللحمة الواحدة^(١)! لأنه تفطن إلى مفهوم انسجام النص وبلاغة الخطاب الذي يتجاوز الجملة والبيت.

ومن الضرورات الجائزة قصر الممدود وقد جاء في النص في الأبيات التالية:

٧- يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ الْقَيْطِ عَالِمَةُ	أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدَيِ الرَّمَضَانِ الدَّاعِ
٢٨- كَانَ صَمْغَتَهَا الْحَمْرَاءِ يَقِشِّرُهَا	(م) دَكْنَاءِ قُرْصٍ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ
٣٥- كَانَهُ حِينَ يُهُدِي زُرْقَةً وَصَفَّاً	رَقْرَاقُ عَيْنِ بِوْجِهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءِ
٤٠- حَمْرَاءُ صِرْفًا وَصَفْرًا إِنْ مَزْجَتْ	كَمْ مِنْ يَدِي سَوَادِ الْلَّيْلِ يَبْيَضَّا
٤٤- وَاسْتَجْلِهَا بِنْتَ مِصْرَ تَسْتَطِيلُ	بَغْدَادَ وَالْمَوْصِلَ الْحَدْبَابَا وَسَوْرَاءِ

وهذه من الضرورات التي أجازها العلماء، وهي كثيرة في الشعر، وما سبق شاهد على الألف التي تكون في آخر الكلمة أما في وسطها فشاهده قول الشاعر:

١٠- خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمُرْضِعُهَا	ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَأَنْوَاءِ
--	--

ومن النادر في النص اضطرار الشاعر إلى إبقاء الياء في الفعل (تحني) وهو مجزوم فقال:

٢٠- تَهَكَّمَتْ يِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعُهَا	عَلَى الْهَوَاءِ وَاحْتَنَهَا عَلَى الْمَاءِ
---	--

والواجب حذف الياء من الفعل لأنّه مجزوم بالـ(ما) وعلامة جزمه حذف الياء، ولكن الشاعر أبقاها لأن مدتها مسهمة في تجنّب البيت زحاف (الطي) وهو حذف الرابع الساكن فتغدو (مستفعلن) (مستعلن) وتحول إلى مفتعلن^(٢).

(١) انظر: التضمين العروضي وأثره في بناء النص الشعري. عوض الجميسي. مجلة علامات. تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة. ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ مـ المجلد الثامن. العدد الثلاثون: ٢٤١ وما بعدها.

(٢) انظر: أهدي سبييل: ٢٧. وانظر مقال د. محمود رزق سليم (في ظلال السرحة): ٧٨٢. فقد أشار إلى أن الشاعر لديه بعض الزلات اللغوية وال نحوية.

ومن الضرورات النادرة في النص صرف الممنوع، وشاهدنا قوله الشاعر:

٢٣- كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَرْهَارَهَا طَرَّاً فَتَقَطَّأَ هِبَّةً طَاءٍ وَصَرَاءً

والقاعدة تقضي بجز (بپباء) بالفتحة عوضاً عن الكسرة لأنها ممنوع من الصرف.
ولكن فعل الشاعر هنا مما أجازه العلماء، حفاظاً على استقامة البيت، وصرف الممنوع
جائز، لأنها معاملة لاسم على أصله وهو أنه مصروف^(١).

موسيقا الصوت المعزول عن الإطار:

ومما ينظر إليه بعين الاعتبار موسيقا الصوت المعزول عن الإطار، وذلك يشير إلى
اهتمام الشاعر بذلك الصوت الذي أشاعه التراكم الذي كون كثافة ملحوظة فوق
المعيار الطبيعي من الأصوات الموجودة في الخطاب غير الشعري^(٢).

ويحاول الباحثون استنطاق جميع الأصوات المحتملة مشاركتها في أي تجميع للأصوات^(٣).

ومن ذلك قوله ابن مكانتس:

٤. لا صَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكِ الزَّهْرَ وَابْجَسَتْ عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الْوَدُقِ سَوْدَاءِ

بين (الدهر) و(الزهر) اتحاد أغلب الأصوات:

ال دهر

ال زهر

إن الاختلاف بين اللفظين يقع في موضع واحد فقط. ولابن مكانتس:

٦. نَظَلَ مِنْ قَيْئِكِ الْفَضَّاضِ فِي ظَلَّ مِنَ الْعَمَامِ يَقِينًا كُلُّ ضَرَاءِ

يشير في البيت صوت (ظ) (واض)، وهو حرفان فخميان مستعليان، ولعل في
اجتماعهما دلالة على التفعيم، وهو حرفان يشتراكان في بعض النواحي الصوتية.
أو بعبارة أخرى كان وقعهما في الآذان متشابهاً^(٤)، وبين الصوتين تجاوب وتشابه^(٥).

(١) انظر: ضرورة الشعر، أبو سعيد السيرافي، تحقيق د. رمضان عبد التواب: ٤٠-٢٩ . دار النهضة العربية.
١٤١٤هـ ١٩٨٤م بيروت.

(٢) انظر: تحليل الخطاب الشعري، د. محمد العمري: ٦٤ . الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع.
١٩٩٠م. الدار البيضاء.

(٣) انظر: المرجع السابق: ٦٥.

(٤) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٥٥ . دار الطياعة الحديثة. ١٩٧٦م.

(٥) انظر: تحليل الخطاب الشعري: ٧٦.

ومنه الصغير، ومن شواهده:

٤٣- نُوحِيَةُ الصُّنْعِ وَالْحَكَامِ مُنْشَأَةٌ تَسِيرُ مَا سُرِّتُ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءٍ

٤٤. سَوْدَاءُ تَحْكِي عَلَى الْمَاءِ الْمُصْنَدِلِ شَاهِيَّةٌ عَلَى شَفَةِ كَالشَّهَدِ لَعْسَاءٍ

٤٥- سَاجِيَّةُ الْبَسْتَهَا الْطَّائِنُونَ لَهَا مِنَ التَّدَابِيجِ مَا يُزْرِي بِصَنْعَاءٍ

ومن الأصوات الشائعة للراء:

٤٦- فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا الْمُخْضَلُ وَافْتَرَشَتْ زَهْرَ الرُّبَا وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ

٤٠٦ (+)

١

٤٧- قَرِيرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الْمَلْكِ لَمْ تَنْلِهُ غَيْرُ سَرَّاءٍ

٤ (+) ٦

٢١

٤٨- ذُو شَاطِئِ رَاقِ غَيْبُ الْقَطْرِ فَهُوَ عَالٍ نَهْرُ الْأَبَلَةِ يَزْرِي أَيْ إِزْرَاءٍ

٥ ٤ ٣

٢ ١

٤٩- مِمَّا تَحِيرَهَا كِسْرَى وَأَدْعَهَا رَبُّ الْخَوْرَنَقِ فِي قَوْرَاءِ جَوْفَاءِ

٣ ٤ ٥

٢ ١

وهذه الأبيات فيها ما وردت للراء فيه مضعفٌ فتكون عن حرفين، وحرف الراء صوت

تكراري، وقد تنوّع وروده في البيت (٤٦) من حيث الحركات فورد مكسوراً ومفتوحاً

ومضموماً، كما تنوّع موقعه، ومن ذلك البيت (٤٨) فقدأت في بداية الكلمة ووسطها وأخرها.

ومن تكرار المدود ما جاء في قول ابن مكานس:

٥١- يَا سَرْحَةُ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوَافِرُهُ عَلَى الْبَوَاقِيَّةِ فِي أُشْكَالِ حَصَبَاءِ

ففي البيت (٤٦) مداً ما بين ألف وواو وباء، وهذا يمثل عدواً كمياً عن كمية الأصوات

المستعملة في كل بيت، وقد غالب المد بالألف، إذ جاء في ستة مواضع، وفيه ذلك إعلاء

شأن السرحة، وكذا تفيد المدود ارتفاع السرحة الحسي، ولهذا ناداها الشاعر بحرف النداء (يا) المفید ضخامة حجمها، وقد صرّح الشاعر بذلك في قوله:

١٦. لَا يَدْرِكُ الْطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَّٰٰ
حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءِ

المفید فرط ارتفاعها.

والناء، ومن شواهدها:

١١. فَاسْتَمْهَدْتَ دَوْحَهَا الْمُخْضَلَ وَافْتَرَشْتَ
زَهْرَ الْرِبَا وَرَقَّتْ عَرْشًا عَلَى

٥

٤ ٣ ٢ ١

ومن تكرار الكاف وهو بين في الشطر الثاني:

٢- وَأَنْ تَبَسَّمَ فِيْكِ النُّورُ مِنْ جَذَلٍ
سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَاءِ

ومما له صلة بالحديث شیوع صيغ محددة في النص، فالنص يوضح بورود الجموع، ومنها: (الياقوتية، ظلل، الغمام، الزهر، عصابة، خمائ، حمائ، مطارف، لحظات، الرئيس.. الضلع، أضالعها، المعاني، ملح، اللدن، الرشاق)

وتتشيع فيه صيغة (أفعال) خصوصا، ممثلة بروزا يلاحظه القاريء، ومن ذلك (أشكال، أنواع، أحوال، آباء، أهواء، آرام، أفياء، أفنا، أفنان، أرجاء، آراء، أعطاف، أعکان، أعداء، أجزاء).

إن توادر أبنية الجموع يدل على الجمال في المخيال الشعري القائم على الكثرة وأن أفق الانتظار يتطلب الوصف بالكثرة، فذلك أكثر إقناعا بالفضل والتميز.

إن وزن (أفعال) بنية صوتية قائمة على المد والفتح وهما يناسبان مشهد الطبيعة القائم على الانفتاح والامتداد، فالشاعر لا يصف مشهدا منغلا بل يصف مشهدا منفتحا، ومن أدله قوله:

١٦. لَا يَدْرِكُ الْطَّرْفُ أَقْصَاهَا عَلَى كَلَّٰٰ
حَتَّى تَعُودَ لَهُ لَحْظَاتُ حَوْلَاءِ

وتظهر صيغة (فعلاء) بارزة، وذاك أن الشاعر يصف مؤثثا وهي (السرحة)، وقد ساعدت القافية على شیوع الصيغة (فعلاء) وسبق بيان ذلك، ولكن مما شاع في حشو

الأبيات منها (حمراء، صفراء، خضراء، دكنا، ورقاء، جرداء، سوداء، شمطاء، قوراء، حدباء) وتلحظ أنَّ أغلب الألفاظ دالة على اللون.

ومما شاعت فيه حروف من مخرج واحد قول ابن مكابيس:

٤- وَاسْتَجِلُهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَسْتَطِيلُ عَلَى بَعْدَادَ وَالْمَوْصِلِ الْحَدِبَا

إن شيوع حروف (ت، ط، د) آت من تجاوب صوتي، فهي حروف مشتركة في المخرج، إذ تخرج من طرف اللسان وأصول الثناء، ومتشتركة في الشدة، وحرف (ط، د) يشتراكان في صفة الجهر^(١).

ومن التجاوب الصوتي ما ورد في قول الشاعر:

٥- قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَرَزَتْهَا الصَّبَّا فَصَبَتْ فَهُنَى الْعَجُوزُ تَهَادَى هَدْيَ مَرْهَاءِ

إن الهاء منتشرة في البيت سبع مرات وهذا يمثل (١٥.٩٪)، ولعل ذلك عائد إلى محاولة الشاعر تبطيء الصورة، خصوصاً في الشطر الثاني الدال على حركة العجوز البطيئة، والهاء تقوم بذلك أي بعمل التبطنة، خصوصاً أنها في آخر البيت مقرونة بحرف المد الأول. وقد تعزز الإيقاع في الشطر الثاني بقراوة صرفية بين لفظين^(٢).

ومما يبرز فيه مبدأ الإفاده قول الشاعر:

٦- نَظَلَ مِنْ فَيْئِكِ الْفَضْفاضِ فِي مِنَ الْغَمَامِ يَقِينُتَا كُلَّ ضَرَاءِ

عندما يبلغ الصوت مستوى التشبع يصبح سمة مفيدة، وفي البيت تكررت (ظ، ض، ف) فجلبت الانتباه إلى الظل والفيء ومتعة المكان.

وتمثل الألفاظ للمعنى موجود ولكنها قليل وقد ورد في البيت التالي:

٧- رَاحَ إِذَا رَكَعَ الْإِبْرِيقُ يَمْرُجُهَا سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيحَ فَأَفَاءِ

وفي قوله (فأفاء) تمثيل لصوت الخمرة، وبها أصبحت العلاقة مسوجة بين اللفظ وما يدل عليه، ويشبهه اختيار الشاعر أصواتاً مضعفة كما في قوله:

(١) انظر: المرجع السابق: ٧٩.

(٢) انظر: أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي: ٦٠.

- ٦- تَظَلُّ مِنْ قَيْنَكِ الْفَضْفاضِ فِي
 مِنَ الْعَمَامِ يَقِنَّا كُلَّ ضَرَاءٍ
- ١٤- لَهَا مَطَارِفٌ ظَلٌّ سَجْسَجَ فَمَصِّيْدٌ
 فَهَا يُعَادِلُ فِيهِ طِبْبَ مَشْتَاءٍ
- ٢٥- كَانَهُ حِينَ يَهْدِي زَرْقَةً وَصَفَا
 رَقَاقُ عَيْنٍ بِوْجُهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءٍ

ولجوء ابن مkanس إلى اختيار أصوات مضعفة كـ(الفضاض، سجسج، رراق) يفيد رغبته في مضعفة الإيقاع على مستوى الوزن.

ومما يبرز فيه التنغير الصوتي للأبيات التي حوت جناساً. وهو فن بدعي لفظي يعطى الذهن للألفاظ التي تصطبغ به. ومن مطالعة القصيدة بدا لي أن الشاعر مقل منه. وهذا غريب في عصر عرف شعراً به بحشد البديع، ولا سيما الجناس منه بأقسامه المتعددة. ولم يأت الجناس في القصيدة إلا في الموضع التالية:

- ٢- حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيَّهَا السَّحَابِ إِذَا
 نَوْءُ الثَّرِيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ
- ٤- رُحْمَكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُورِ مِنْكِ فَكَمْ
 لَنَابِظِلِكِ مِنْ أَهْوَا وَأَهْوَاءِ
- ٨- لَا صَوْحَ الدَّهْرِ مِنْكِ الزَّهْرَ وَابْجَسَتْ
 عَلَيْكِ كُلُّ هَتْوُنِ الْوَدْقِ سَوْدَاءِ
- ٢١- بَدِيعَةُ الْحُسْنِيْنِ قَدْ فَازَ الْجِنَاسُ لَهَا
 مِنَ الْمَعَانِي بِأَفْنَانِ وَأَفْنَاءِ
- ٢٢- وَقَامَ عَنْهَا السَّانُ الزَّهْرُ يُنْشِدُنَا
 لِلْهُوكُمْ أَرْجَ مَا بَيْنَ أَرْجَائِي
- ٢٩- كَانَهَا فَوْقَ دِعْصِ الْمَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ
 هِضَابُهُ سَفْحٌ وَادِرَبُ أَفِيَاءِ
- ٣٢- ذُو شَاطِئِ رَاقِ غَبَّ الْقَطْرُ فَهُوَ عَلَى
 نَهْرِ الْأَبَلَّةِ يُزْرِي أَيْ إِزْرَاءِ
- ٢٨- وَرْقُ تَغْنَتْ بِجَنَاتِ رَقَيْنَ عَلَى
 عِيدَانِهَا فَالْهُ فِي مَغْنَى وَغَنَاءِ
- ٤٣- نُوحِيَّةُ الصُّنْعِ وَالْحُكَمِ مُنْشَأَةٌ
 تَسِيرُ مَا سُيَرَتْ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءِ
- ٥٢- أَمِ السُّرُورُ الَّتِي أَبْقَى الزَّمَانَ بِهَا
 جُزْءَ الْحَيَاةِ وَقَدْ أَلَوَى بِأَجْزَاءِ

ومع ورود البيت الحادي والعشرين الذي أشار فيه الشاعر إلى فن الجناس إلا أن انصرافه إلى قصيده جعله يتخفف منه.

ومن النظر في الأبيات التي حوت جناسات أرى أن (٨٠٪) منها الجناس فيها في الشطر الثاني، وأن (٧٠٪) منها اللفظ الثاني في آخر البيت، وهذا دال على رغبة الشاعر في إبراز المعنى في هذه الأبيات عن طريق الجناس الذي وضعه في آخر البيت، وهو موضع مهم جداً لأنها متصل بالترنم بالروي، وبعوض هذا الحكم أن الجناس بين لفظين كليهما في الشطر الأول لم يرد إلا في بيت واحد، وحاول الشاعر تقويته بتقريب أحدهما من الآخر، وبجعلهما على وزن واحد (الدهر) و (الزهر)، أما الجناس بين لفظين أحدهما في الشطر الأول والثاني في الشطر الثاني فلم يمثل إلا (١٠٪) ولعل ذلك عائد إلى تلاشي النغم أو شبه تلاشيه بين الشطرين مقارنة بين كونهما في شطر واحد.

ومن نتائج الأبيات أن (٣٠٪) منها جاء الجناس فيها بين المفرد وجمعه، وقدّم الشاعر المفرد على جمعه، كما أن من نتائجه أن الجناس الموجود في النص كله من الجناس الناقص، وهو أقل إطراها من الجناس التام.

وليس شرطاً أن يظهر أثر الجناس ظهوراً بارزاً في جميع الأبيات فربما كان منه ما يجلب النظر إلى سياقها عن طريق إيقاعها دون أن يكون لها أثر خاص في الدلالة^(١).

ومما يتصل بحركة الإيقاع التضاد، وقد ورد في تسعة أبيات فقط^(٢)، هي:

- | | |
|---|--|
| ٤٠- تَدَاعَبُوا بِمَعَانِي شِعْرِهِمْ فَأَرَوْا | ٤١. مِنْ كُلِّ شَيْخٍ مُجُونٍ فِي شَبَابِ فَتَنِ |
| ٤٦- غَرِيْكَةُ ذَاتُ الْلَوَانِ وَاجْنِحَةُ | ٢٠- تَهَكَّمَتْ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَاعَهَا |
| وَدَ الْأَحِبَّةِ فِي الْفَاطِرِ أَعْذَاءِ | عَلَى الْهَوَاءِ وَأَحْنَتْهَا عَلَى الْمَاءِ |
| يُقْرِي الْمُجُونَ بِقَلْبِ غَيْرِ نَسَاءِ | فَهَا يُعَادِلُ فِيهِ طِيبَ مَشْتَاءِ |
| لَمْ أَرْ تُعْزِزَ لِرَوْضِيْ أَوْ لِعَنْقَاءِ | (م) لَهَا مَطَارِفُ ظِلٌّ سَجْسَجَ فَمَصِيدٌ |

(١) للاستزاده: راجع: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٥٩.

(٢) وعلى ذلك فالشاعر يرفض التشبيح الأسلوبي.

٥٠. حَمْرَاءُ صِرْقَةً وَصَفَرًا إِنْ مَرَجْتَ لَهَا
 ٥٢. أَمْ السَّرُورُ الَّتِي أُبْقَى الزَّمَانُ بِهَا
 ٥٣. فَعَاطَنِيهَا عَلَى طَلْنَتِي سَحَرًا
 ٥٦. مِنْ كَفِ طَبْرِي وَشَادِيْ أَوْ وَشَادِيَّةِ
- كَمْ مِنْ يَدِيْ فِي سَوَادِ اللَّيلِ يَبْيَضَأِ
 جُزْءَ الْحَيَاةِ وَقَدْ الْوَى بِأَجْزَاءِ
 فَإِنْ تِرْسَافَهَا مَوْتِي وَإِحْيَايِي
 تَشْدُو لَنَا بَيْنَ صَوْتِ الْعُودِ وَالنَّاءِ

إن من نتائج عرض الأبيات بيان أن الشاعر استهواه المجيء بالتضاد في المقطع الخمري، وكأنه يشير بذلك إلى تغير أحواله حين يعاشر الخمرة، فمع قصر المقطع الخمري مقانة بمقطع وصف السرحة إلا أن الشاعر أبى إلا حشد المتضادات في هذا المقطع، ليبين تعلقه بالخمرة.

أتى التضاد في الأبيات متنواعا فقد استقل الشطر الثاني بـ(٢٢.٣٪) من الشواهد، واستقل الأول بـ(٢٢.٢٪)، واشتراك الشطران في (٤٤.٥٪) وهذا يجعل تفاعل الشطرين أكثر، وكما سبق أن جاءت شواهد الجناس وكان اللفظ الثاني منها في آخر البيت فشواهد التضاد مثلها ونسبة ذلك (٤٤.٥٪).

أتى التضاد بين مصادرتين ميمين وهذا يزيد التضاد دلالة، وبين فعلين منفي ومثبت، وبين جمعين ليسا على وزن واحد (أحْبَة، أَعْدَاء)، وبين مفردتين ليسا متقابلين لغة (شيخ، فتى)، فالشيخ يقابل الشاب والطفل والفتى، وبين لفظين دالين على لونين وهما مجرoran.

التكرار:

التكرار يحمل في طياته شحنة إيقاعية ومن شواهد:

٣٠. مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الْخَرَبُرُ بِهِ
 كَانَهَا أَذْنُ مَالَتْ لِاصْفَاءِ
 ٤١. مِنْ كُلِّ شَيْخِ مُجُونٍ فِي شَبَابِ فَتَى
 يُقْرِي الْمُجُونَ بِقَلْبِ عَيْرَ نَسَاءَ

ويظهر من البيتين سعي الشاعر لجعل أحد اللفظين المكررين في الشطر الأول والثاني في الشطر الثاني، وفي هذا تقوية في الرابط بين الشطرين، وفي تكرار (مالت) دليل على انباء الوصف على الميلان، الذي يشكل صفة أساسية في الصورة، أما تكرار

(المجون) فقد أتى ليبعد الوهم، لأنه في حال عدم التكرار فسيصير المعنى ملبيسا، فأورد الظاهر مكان المضموم، دفعا للبس، فلو قال (يقريره) لعاد المعنى على (فتى) ولجاجة المعنى مضطربا.

ومنه تكرار (بل) في قوله:

١٢. مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنِي حَمَائِمَ بَلْ كِنَاسُ آرَامَ بَلْ أَفْنَاءُ دَرْمَاءِ

ومما جعل (بل) مكانا مميزا في الإيقاع في البيت السابق كونها في جميع مواضعها تمثل نهاية التفعيلة (فاعلن) بأن جاءت في موقع الاسم والنون من (فاعلن) وإليك بيان ذلك:

مقيل ند مان بل مغنى حما ثم بل كناس آ رام بل أفناء درماء

متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن متفعلاً فاعلاً

العدول عن التصريح:

التصريح محسن لفظي، ذو إيقاع يذكر بالصوت الوارد في نهاية الشطر الأول، وقد جرت عادة الشعراء ببدء قصائدهم مصرعة، ولكن ابن مكانتس عدل عن ذلك فما السبب الذي دعاه إلى ذلك؟

لعل الابتعاد عن الصنعة والتصريح أحد مظاهرها أمر دعاه إلى نبذ الابتداء بالتصريح، فبدأ بالأمر الذي بهره وشده وهو منظر السرحة، ثم إن من الشعراء من تخفف من التصريح^(١).

ما يشبه اللازمة الإيقاعية في بعض الأبيات:

ورد في بعض الأبيات ما يمكن أن يلحق بالدراسة الإيقاعية، وهو ما يشبه اللازمة الإيقاعية، ومنه قول الشاعر:

٢٧- كَانَ أَغْصَانَهَا اللَّدْنَ الرَّشَاقَ إِذَا هَصَرْتَ أَفْنَانَهَا أَعْطَافَ وَطَفَاءِ

٢٨- كَانَ صَمْعَتَهَا الْحَمْرَا يَقِشْرُهَا الدُّكْنَاءِ قُرْصٌ عَلَى أَعْكَانِ سَمْرَاءِ (م)

(١) انظر: القوافي؛ أبو يعلى التنوخي (وزن الشعر وما يلحقه) وانظر: شعر أبي ذؤيب الهذلي: ٢٨٩.

وقوله:

حُسْنَا وَحَسِيبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَاءِ

هِطَابَه سَفَحٌ وَادِرَبُ أَفِيَاءِ

٢٦- كَانَهَا مِنْ جِنَانِ الْخَلْدِ قَدْ كَمْلَتْ

٢٩- كَانَهَا فَوْقَ دِعْصِ الْمَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ

وقوله:

فِرْنَدُ سَيْفٌ نَضَطَهُ كَفُ جَلَاءِ

أَوْ جَوْهَرُ السِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ

رَقْرَاقُ عَيْنٍ يَوْجِهُ الْأَرْضَ شَهْلَاءِ

٣٢- كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ

٣٤- كَانَهُ شَبَكٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظِّمَتْ

٣٥- كَانَهُ حِينَ يَهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا

إن تصدير الأبيات السابقة بـ(كأن) وـ(كانها) وـ(كانه) يشكل سمة في تلك الأبيات، لا سيما أن أكثرها أبيات متتابعة مما يعطيها سمة التطابق في بدايات المقاطع. ويعطي رباطاً يشد عرى الأبيات بعضها ببعض، وفيه إيحاد إيقاع موسيقي متميز يمثل وقفة تأمل واستزادة لاستعادة النشاط قبل الاستمرار في القصيدة^(١).

وبعد، فقد حاولت في الصفحات السابقة بيان ما تحمله القصيدة من طاقات إيقاعية، وظهر أيضاً أن الشاعر لم يعمد إلى إيقاعات مفتعلة عن طريق الإلحاح على فن الجنس الذي شاع في النصوص في عصره، مما حفظ لقصيدته بريقاً فقدته قصائد كثيرة لأنها آثرت التلطخ بأوضار المحسنات البدعية، متعلقة بها ومقدمة إليها على المعنى.

* * *

(١) يراجع: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٧٦.

الخاتمة:

وبعد حمد الله يسّر الله لي الانتهاء من البحث وقد بان من خلال الدراسة نجاعة تطبيق المنهج الأسلوبي على الشعر العربي القديم وقد ابتدى البحث بتعریف الأسلوبية وبين اختلاف التعریف باختلاف الزاوية التي ينطلق منها، ثم عرض البحث لمناهج الأسلوبية المشهورة وجذور الأسلوبية وصلتها بالمعارف الأخرى.

وبعد ذلك انتقل البحث لدراسة الجانب النظري فعرض لبعض المبادئ المهمة في الأسلوبية وهي (مبدأ الإفادة والعدول والاختيار (الجدولية) والنسقية (محور التأليف)). وانتقل البحث بعد ذلك للجانب التطبيقي على القصيدة المدروسة فعرض للبناء العام، وبيان فيه نهوض القصيدة على ثلاثة أساليب كبرى هي:

١. الخطاب والحوار.
٢. السرد.
٣. الوصف.

ثم عرض البحث لمسألة الوحدة العضوية وناقشها، مع ربط ذلك بالنص المدروso، وبين كيف اتصل بعض أبيات القصيدة أو بعض مقاطعها ببعض، إضافة إلى بيان ما تتميز به مقاطع عن أخرى أسلوبياً.

وعرض البحث بعد ذلك لمسائل كثيرة جدالها ارتباط وثيق بالبناء العام في الدراسة الأسلوبية، مستعيناً في دراستها بالإحصاء ليكون الكلام علمياً وقائماً على ركيزة أساسية.

وانتقل البحث بعد ما سبق لبيان نسبة الفعل إلى الصفة فيبيتها وظهر من خلالها شيوع الفعل أكثر من الصفة في القصيدة، كما عالج البحث الحقول الدلالية التي شاعت في القصيدة فرتبتها وفقاً لكثرتها واتضح منها غلبة حقل الماء وما يتصل به.

وانتقل البحث بعد ذلك لنظام التمثيل الذي يعني بدراسة المحاكاة وبينت فيه أن الشاعر ينطلق في نظامه التصويري من مواضع اتفاق عليها المجتمع، وعرضت لما شاع من وسائل التصوير وهو التشبيه الذي شكل وجوده بروزاً أسلوبياً، وقد ربطت فيه النص بالنصوص التي قبله والتي أثرت فيه، وبينت كيف أفاد منها.

ووصل البحث لدراسة العدول في الصورة الذي يجعل الصورة جديدة بعد أن كادت تهترى، ثم انتقل البحث لدراسة التقىد في الصورة، والتشبّه التمثيلي الذي كان مسيطرا على القصيدة.

وأفاد البحث من شجرة (جان ريكاردو) فعرض رسماً لبنيّة مشهدٍ هما (بنيّة المشهد الوصفي للسفينة) و(بنيّة المشهد الوصفي للخمرة).

كما لم يعزّب عن البحث الإشارة بعض المباحث المتصلة بنظام التمثيل كالدرج في الصورة والصور المتحركة وغيرها من المسائل.

وانطلق البحث بعد ذلك إلى الإيقاع فدرسه منطلاقاً من الإحصاء، وربط الباحث شیوع حروف الجھر بجوّ القصيدة. وأورد الصور التي أنت عليها القصيدة وزناً في جداول، كما لم يُغفل البحث الإشارة إلى أمور أخرى تتصل بالإيقاع كالروي والقافية والتدوير. كما درس موسيقاً الصوت المعزول عن الإطار بكثير من مسائلها.

وتضمن البحث بين دفته تصويباً لأكثر من خطأً وقع فيها ناقد أو ناسخ لديوان ابن مكّانس أو غيرهما، ومطالعة البحث كفيلة ببيان ذلك.

وبعد فلا أملك إلا أن أحمد الله سبحانه وتعالى الذي يسرّ لي سبل البحث وأشكّر كل من مذّلي يد العون مساعداً ومساعيناً. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

لَحَقُّ (همزة ابن مكناس):

- عَلَى الْيَوْمِيَّتِ فِي أَشْكَالِ حَصَبَاءٍ
 تَوْءُهُ التَّرِيَا اسْتَهَلَتْ ذَاتَ آنْوَاءٍ
 سَقَاهُ كِمْنَ كُلَّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَاءٍ
 لَنَابِطِيلِكِ مِنْ آهَوَآهَوَاءٍ
 هَجِيرٌ إِذْ حَيَثُ لَا مَرَأَى لِعَرَاءٍ
 مِنَ الْغَمَامِ يَقِينًا كُلُّ ضَرَاءٍ
 أَنْتِ الشِّفَاءُ لَدِي الرَّمْضَانِ مِنَ الدَّاءِ
 عَلَيْكِ كُلُّ هَتْوَنِ الْوَدْقِ سَوَادِءِ
 تُعْزِي لَا كُرْمٌ أَخْسَوَالٌ وَآبَاءٍ
 ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَآنَوَاءٍ
 زَهْرَ الرُّيَا وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ
 كَلْبُ الْذِي لَمْ تَنَلْهُ غَيْرُ سَرَاءِ
 كِنَاسُ آرَامَ بَلْ أَفْتَاءُ دَرَمَاءِ
 فَهَا يُعَادِلُ فِيهِ طَيْبٌ مَشْتَاءٍ
 فَهُنَّ الْعَجُوزُ تَهَادِي هَذِيَّ مَرْهَاءَ
 حَتَّى تَعُودُكَ لِحَظَّاتٍ حَوْلَاءِ
 فِي حَلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ
- ١- يَاسَرْحَةُ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوْرَهُ
 ٢- حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِهَا السَّحَابُ إِذَا
 ٣- وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيَكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلِ
 ٤- رُحْمَكِ الْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ
 ٥- وَكَمْ تَرَلَتْ مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الـ (ما)
 ٦- نَظَلَ مِنْ فَيْنِكِ الْفَضَّاضُ فِي ظَلَلِ
 ٧- يَاطَّبَّةُ بِدَوَاءِ الْقَبِيطِ عَالِمَةُ
 ٨- لَاصَوْحُ الْدَّهْرِ مِنْكِ الْزَّهْرَ وَأَنْجَسَتْ
 ٩- عِصَابَةُ الشَّرْبِ أُمْواً رَوْضَ زَاهِرَةَ
 ١٠- خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْ شَاهَ وَمَرْضِعُهَا
 ١١- قَاسْتَمَهَدَتْ دَوْحَهَا الْمُخْطَلُ وَافْتَرَشَتْ
 ١٢- قَرِيرَةُ الْعَيْنِ بِالْأَنْوَاءِ بَارِدَةُ الـ (ما)
 ١٣- مَقِيلُ نَدْمَانَ بَلْ مَغْنَى حَمَائِمَ بَلْ
 ١٤- لَهَا مَطَارِفُ طِلْ سَجْسَجَ قَمْ صِيدِ (ما)
 ١٥- قَدِيمَةُ الْعَهْدِ هَزَّتْهَا الصَّبَا فَصَبَتْ
 ١٦- لَا يَدْرِكُ الطَّرْفُ أَفْصَاهَا عَلَى كَلَلِ
 ١٧- وَصَوْتُ بُلْبِلَهَا الرَّاقِي ذَرَى غُصْنُ

- ١٨— كَفَرْ عَنْ أَقْوَسِ دَيْرِيْ عَلَى شَرَفِ
 ١٩— خَيْلَةُ جِينَ أَحْنَيْتَ الظُّلُوعَ عَلَى
 ٢٠— تَهَكَّمْتُ بِي فَلَمْ تَحْنِي أَضَالِعَهَا
 ٢١— بَيْعَةُ الْحُسْنَ قَدْ فَازَ الْجِنَاسُ لَهَا
 ٢٢— وَقَامَ عَنْهَا السَّانُ الرَّهْرِيْنْ شِيدَنَا
 ٢٣— كَمْ صَفَقَ الْمَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَأَ
 ٢٤— وَكَمْ طَرَبَتْ لِمَا أَبْدَتْهُ مِنْ مُلْجَ
 ٢٥— وَجَدْتُ بِالْقِيرِ مِنْ مَالِيْ وَمِنْ أَدِيْ
 ٢٦— كَانَهَا مِنْ جَنَانِ الْحَلْدِ قَدْ كَمَّتْ
 ٢٧— كَانَ أَغْسَطَهَا الْأَلْدُنَ الرِّشَاقَ إِذَا
 ٢٨— كَانَ صَمْغَتَهَا الْحَمْرَاءِ شُرَبَهَا الْذُ
 ٢٩— كَانَهَا فَوْقَ دِعْصِ الْمَوْجِ إِذْ سَفَحَتْ
 ٣٠— مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الْخَرِيرِ بِهِ
 ٣١— كَانَهَا النَّهْرُ مِرَآةً وَقَدْ نَعَمَتْ
 ٣٢— ذُوشَاطِيْ رَاقَ غَبَ القَطْرِ فَهُوَ عَلَى
 ٣٣— كَانَهُ عِنْدَ تَفْرِيْكِ النَّسِيمِ لَهُ
 ٣٤— كَانَهُ شَبَكُ مِنْ لُؤْلُؤٍ نُظمَتْ
 ٣٥— كَانَهُ جِينَ يُهْدِي زُرْقَةً وَصَفَا
- (ما) دَكْنَاءِ قُرْصٍ عَلَى أَعْكَانِ سَمَراءِ
 هِظَابَهُ سَفْحٌ وَادِرَبٌ أَفْيَاءِ
 كَانَهُ سَأْدُنْ مَالَتْ لِاصْفَاعَ
 عَلَيْهِ تَدْهِيشٌ فِي حُسْنٍ وَلَاءِ
 نَهْرِ الْأَبَابِيَّةِ يُسْرِيْ أَيْ إِرْأَءَ
 فِرْنَسُ سَيْفِيْ نَضَهَهُ كَفْ جَلَاءِ
 أَوْ جَوْهَرُ الْسِّتِّ أَوْ تَجْلِيلُ رَقْشَاءِ
 رَقْرَاقُ عَيْنِيْ يَوْجِهُ الْأَرْضَ شَهْلَاءِ

- أَغْصَابِهَا فَارْتَارَقْصَهِيَّاءٍ
 بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي قَبْحَاءِ زَهْرَاءِ
 عِنْدَهَا فَالْهُ فِي مَعْنَى وَغَنَّاءِ
 لَا يَنْطَوِي وَنَ عَلَى حَقْدِ وَشَحْنَاءِ
 وَالْأَحْيَاءِ فِي الْفَاطِنِ أَغْنَاءِ
 يَقْرِي الْمَجْوُنَ بِقَلْبِ غَيْرِ نَسَاءِ
 مِنْ إِبْكَاهِ كَهْلِ الْأَفْقِ حَدَباءِ
 تَسِيرُ مَا سُرَّتْ مِنْ غَيْرِ إِعْيَاءِ
 مَةُ عَلَى شَفَةِ كَالْشَّهْدِ لَعْسَاءِ (أ)
 مِنَ التَّدَابِيعِ مَا يُسْرِي بِصَنْعَاءِ
 لَمْ أَذْرُ تُعْزِي لِرَوْضِ أَوْلِعَنَاءِ
 غَرَّ الْجِمَادِ عَلَى كَدْ وَانْطَاءِ
 شَمْطَاءِ تَجَلَّى عَلَى الْجُلَاسِ عَذْرَاءِ
 رَبُّ الْخَوَرَنِقِ فِي قَوْراءَ جَوْفَاءِ
 كَمْ مِنْ يَدِي فِي سَوَادِ اللَّيلِ يَنْضَاءِ
 سَمِعْتَ مِنْ صَوْتِهِ تَسْبِيْحَ فَأَفَاءِ
 جُزْءَ الْحَيَاةِ وَقَدْ الْوَيْ بِأَجْزَاءِ
 فَإِنْ تُرْشَافَهَا مَوْتِي وَاحْيَانِي
- ٢٦— وَكَمْ شَدَّتْ حَمَامَاتُ الْأَرَاكِ عَلَى
 ٢٧— مِنْ كُلِّ وَرْقَاءِ فِي الْأَفْنَانِ صَادِحةً
 ٢٨— وَرْقَ تَغْنَتْ بِجَنَّاتِ رَقَبْيْنَ عَلَى
 ٢٩— بَاَكِرَتْهَا فِي سَرَاءِ مِنْ أَصَاحِبِنا
 ٣٠— تَدَاعَبُوا بِمَعَانِي شِعْرِهِمْ فَأَرَوْا
 ٣١— مِنْ كُلِّ شَيْخِ مَجُونٍ فِي شَبَابِ فَقَتِي
 ٣٢— يَسْعَى إِلَيْهَا عَلَى جَرْداءِ جَارِيَةٍ
 ٣٣— نُوحَيَةُ الصُّنْعِ وَالْإِحْكَامِ مُنْشَأَةٌ
 ٣٤— سَوْدَاءَ تَحْكِي عَلَى الْمَاءِ الْمُصْنَدَلِ شَأْ
 ٣٥— سَاجِيَّةُ الْبَسْنَهَا الْمَطَابِعُونَ لَهَا
 ٣٦— غَرِيَّةُ ذَاتِ الْأَوَانِ وَاجِنَّهَةٌ
 ٣٧— لَمْ يَسْتَطِعْ شَأْوَهَا إِذْ سَيْرُهَا عَنْقَ
 ٣٨— كَمْ قَدْ نَعِمْتَ بِهَا عَيْشًا بِصَافِيَةٍ
 ٣٩— مَقَاتِلَهَا كِسْرَى وَأَوْدَعَهَا
 ٤٠— حَفَرَاءُ صِرْقاً وَصَفْرَاً إِنْ مَرْجَتَ لَهَا
 ٤١— رَاحَأْ إِذَا رَكَعَ الْإِبْرِيزِيْقِ يَمْزِجُهَا
 ٤٢— أَمِ السُّرُورُ الَّتِي أَبْقَى الزَّمَانَ بِهَا
 ٤٣— فَعَانِيَهَا عَلَى طَلْلِ الْتَّدَى سَحَرَأْ

بَغْدَادَ وَالْمَوْصِلِ الْحَدُبَا وَسَوْرَاءِ
 عَلَى اعْتِدَالِي وَحَدَبَاءِ وَزَوْرَاءِ
 تَشَدُّدُ لَتَابِينَ صَوْتِ الْحُسْودِ وَالْتَّاءِ
 رِيحُ الْبَنَفْسَاجَ لَانْشَرُ الْخُزَامَاءِ
 وَلَا خَلِيلِي وَلَا تَذَبَّ أَحْيَاءِ
 عَنِ الْمُدَامِ بِدَرِ الْإِبْلِ وَالشَّاءِ
 لَمْ يَفْرُقْ وَابْيُنْ إِيْطَاءِ وَأَفْوَاءِ
 كَائِنَهُ وَاصِلُّ وَالشِّعْرُ كَالْزَاءُ

- ٤٥— وَاسْتَجَلَهَا بِنْتَ مِصْرٍ تَسْتَطِيلُ عَالَى
 ٤٥— كَمْ بَيْنَ مَنْ قَامَ مُعْتَلُ النَّسِيمِ بِهَا
 ٤٦— مِنْ كَفِ ظَبْيَ وَشَادِيْ وَشَادِيَةِ
 ٤٧— عَلَى الْحَدَائِقِ لَا الْكَامِ تَنَفَّحُنا
 ٤٨— أَمْسَا أَتَالَسْتُ نَوَاحَى عَالَى طَلَلِي
 ٤٩— تَرَكْتُهُ لَأَنَّاسِيَ التِّيُّوسِ غَنَّوْا
 ٥٠— يُعْرَوْنَ لِلشِّعْرِ لَكِنْ مِنْ جَهَالِهِمْ
 ٥١— مِنْ كُلِّ الْكَنَّ عِنْدَ الْبَخْتِ مُنْقَطِلُّ

* * *

مسرد المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

المخطوطات:

١. ديوان ابن خطيب داريا. مخطوطة مصورة في مركز جمعة الماجد تحت رقم (٣٠٧٢). ومصدرها الخزانة العامة بالرباط رقم (٢٢٥). (ق).

٢. ديوان فخر الدين بن مكناس. مخطوط محفوظ في مكتبة دار الكتب المصرية. رقم ١١٩٦ / أدب.

المطبوعات:

١. اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث. د. سامي عباينة. عالم الكتب الحديث. ط. ٢٠١٠ م إربد. الأردن.

٢. أساس البلاغة. الرمخشري. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط. ٣. ١٩٨٥ م مصر.

٣. أساليب الهجاء في شعر ابن الرومي مقاربة أسلوبية في جمالية القبح. عامر الحلواني. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ط. ٢٠٠٢ م. صفاقس.

٤. استعادة الماضي. دراسات في شعر النهضة. د. جابر عصفور. دار المدى للثقافة والنشر. ط. ٢. ٢٠٠٢ م سوريا.

٥. أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. بعناية السيد محمد رشيد رضا. دار الكتب العلمية. ط. ١. ١٤٠٩ هـ. ١٩٨٨ م. بيروت. لبنان.

٦. الأسلوب دراسة لغوية إحصائية. د. سعد مصلوح. دار البحوث العلمية. الكويت. مطبعة حسان. القاهرة. ط. ١. ١٩٨٢ هـ. ٢٠٠٠ م.

٧. الأسلوب والأسلوبية. بيير جيرو. ترجمة منذر عياشي. مركز الإنماء. الحضاري. ط. ٢. ١٩٩٤ م. حلب.

٨. الأسلوبية. عبد الله صولة. بحث مكتوب على قرص مرن. صادر عن جامعة تونس الافتراضية. ٢٠٠٥ م.

٩. الأسلوبية، الرؤية والتطبيق. يوسف أبو العدوس. دار المسيرة. ط. ١. ١٤٢٧ هـ.

١٠. أسلوبية الوصف والحوار. عامر الحلواني. مطبعة التسفير الفني. ط. ٢. ٢٠٠٣ م.

١١. الأسلوبية في النقد العربي الحديث. دراسة في تحليل الخطاب. فرحان الحربي. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط. ١. ٢٠٠٣ هـ. ١٤٢٤ م. بيروت. لبنان.

١٢. الأسلوبية والأسلوب. عبد السلام المسدي. الدار العربية للكتاب. ١٣٩٧ هـ. ١٩٧٧ م. ليبيا. تونس.

١٣. الأسلوبية والصوفية. دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج. أمانى سليمان داود. مجداوى. ط. ١. ١٤٢٣ هـ. ٢٠٠٢ م. عمان. الأردن.

١٤. الأصوات اللغوية. إبراهيم أنيس. دار الطباعة الحديثة. ٦. ١٩٧٦ م.

- ١٥- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية. محمد الشاوش. المؤسسة العربية للتوزيع. ط.١٢١ هـ ٢٠٠١ م. بيروت. جامعة منوبة. كلية الآداب. تونس.
- ١٦- أعيان العصر وأعوان النصر. خليل الصافي. تحقيق. د. علي أبي زيد وآخرين. دار الفكر. ط.١٤١٨ هـ ٢٠٠٩ م. دمشق.
- ١٧- الانزياح الشعري عند المتنبي. قراءة في التراث القدي عند العرب. د. أحمد الخطيب. دار الحوار. ط.١٢٠٠٤ م. الأذقية. سوريا.
- ١٨- الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية. د. أحمد محمد ويس. مجلد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط.١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م. بيروت.
- ١٩- أهدى سبيل إلى علمي الخليل. محمود مصطفى. شرحه وضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور. دار الكتب العلمية. ط.١٤٩٢ هـ ١٩٩٢ م. بيروت. لبنان. ط.٢.
- ٢٠- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ابن هشام الأنطاري. المكتبة العصرية. ط.١٤١٥ هـ بيروت.
- ٢١- الإيضاح في علوم البلاغة. جلال الدين القزويني. قدم له وبويه د. علي بوملحم. منشورات دار ومكتبة الهلال ط.١٩٩١ م. بيروت.
- ٢٢- البحث الأسلوبي معاصرة وتراث. د. رجاء عيد. منشأة المعارف. الإسكندرية. مطبعة أطلس. القاهرة. ط.١٩٩٣ م. القاهرة.
- ٢٣- بحوث في الشعريات. أحمد الجوة. مطبعة التسفير الفني. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ط.٢٠٠٤ م. صفاقس.
- ٢٤- البلاغة. المدخل لدراسة الصور البينية. فرانسوا مورو. ترجمة محمد الولي وعائشة جرير. أفريقيا الشرق ط.٢٢٠٠٢ م. المغرب.
- ٢٥- البلاغة والأسلوبية. هنريش بليث. ترجمة وتعليق محمد العمري. أفريقيا الشرق. ط.١٩٩٩ م. الدار البيضاء. المغرب. بيروت. لبنان.
- ٢٦- البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب. مكتبة لبنان ناشرون. ط.١٩٩٤ م. الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان. مصر.
- ٢٧- البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر. علي علي صبح. المكتبة الأزهرية للتراث. ط.١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.
- ٢٨- بنية اللغة الشعرية. جان كوهين. ترجمة محمد الولي ومحمد العمري. دار تويق. ط.١٩٨٦ م.
- ٢٩- البيان والتبيين. الجاحظ. تحقيق وشرح عبد السلام هارون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣٠- تأهيل الغريب. شمس الدين النواجي. تحقيق د. أحمد محمد عطا. مكتبة الآداب. ط.١٤٢٥ هـ القاهرة.
- ٣١- تحاليل أسلوبية. محمد الهادي الطرابلسي. دار الجنوب للنشر. ط.١٩٩٢ م. تونس.

٢٢. تحليل الخطاب الشعري. د. محمد العمري. الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع. ط.١. ١٩٩٠م. الدار البيضاء.
٢٣. تحليل لغوي أسلوبي لنصوص من الشعر القديم. عبد الرحمن الرحمن و محمد بو حمدي. دار الأمان. ط.١. ١٩٩٠م. الرباط.
٢٤. جمالية الموت في مراثي الشعراء المخضرمين (الخنساء - مالك بن الريب - أبو زؤيب الهذلي) قراءة أسلوبية. د. عامر الحلواني. مطبعة التسفير الفني. ط.١. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. ٢٠٠٤م. صفاقس.
٢٥. الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. د. عبدالله صولة. ط.١. دار الفارابي. بيروت. لبنان.
٢٦. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. السيوطي، تحقيق علي محمد عمر. نشر مكتبة الخانجي ط.١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م. القاهرة.
٢٧. خزانة الأدب وغاية الأرب. ابن حجة الحموي. قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه. د. صالح الدين الهواري. المكتبة العصرية. ط.١٤٢٦ هـ ٢٠٠٦م. صيدا. بيروت.
٢٨. خصائص الأسلوب في الشوقيات. محمد الهادي الطرابلسي. منشورات الجامعة التونسية. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ١٩٨١م.
٢٩. الخطاب الأدبي وتحديات المنهج. د. صالح الهادي رمضان. نادي أبها الأدبي. ط.١٤٢١ هـ ٢٠١٠م.
٣٠. دراسات في الشعر الجاهلي. نوري القيسى. ١٩٧٢م. دمشق.
٣١. دراسات في الشعرية. الشاعر نموذجا. إعداد. حمادي صمود وآخرين. المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات. بيت الحكمة. ١٩٨٨م. قرطاج.
٣٢. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث. د. أحمد درويش. دار غريب. ١٩٩٨م. القاهرة.
٣٣. ديوان ابن زيدون. شرح وضبط وتصنيف كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط.١٤٢١ هـ ١٩٢٢م. مصر.
٣٤. ديوان ابن قلاقيس. تحقيق د. سهام الفريح: ٢٤٠. مكتبة المعلم. ط.١. ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م. الكويت.
٣٥. ديوان ابن باتة المصري. ملزوم الطبع محمد القلقيلي. مطبعة التمدن. عابدين. ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٥م. مصر.
٣٦. ديوان الأرجاني. تحقيق د. محمد قاسم مصطفى. منشورات وزارة الثقافة والإعلام. مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر. ١٤٢٩ هـ ١٩٧٩م. العراق.
٣٧. ديوان أشعار الأمير أبي العباس. دراسة وتحقيق د. محمد بديع شريف. دار المعارف. القاهرة.

- ٤٨- ديوان الحسين بن الضحاك. تحقيق د. جليل العطية. منشورات الجمل. ط١. ٢٠٠٥م.
كولونيا. ألمانيا.
- ٤٩- ديوان الحمرىات. أبو نواس. تحقيق علي نجيب عطوى. دار مكتبة الهلال. ط١. ١٩٨٦م.
بيروت. لبنان.
- ٥٠- ديوان حازم القرطاجي. تحقيق عثمان الكعاك. دار الثقافة. ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م. بيروت. لبنان.
- ٥١- ديوان ذي الرمة. حققه وقدم له وعلق عليه عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الرسالة. ط٢.
١٤١٣هـ ١٩٩٣م. بيروت.
- ٥٢- ديوان شعر يوسف بن لؤلؤ الذهبي. جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراح. ط١. د.ت.
- ٥٣- ديوان طرفة بن العبد. شرح الأعلم الشنترمي. تحقيق درية الخطيب ولطفى الصقال.
مطبوعات مجمع اللغة العربية. ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م. دمشق.
- ٥٤- ديوان المعتمد بن عباد. جمع وتحقيق د. رضا الحبيب السوسي. الدار التونسية للنشر. ١٩٧٥م.
- ٥٥- السبع معلقات. مقاربة سيميائية أنثropolوجية. عبد الملك مرتضى. اتحاد الكتاب العرب.
١٩٩٨م. دمشق.
- ٥٦- سقط الزند. أبو العلاء المعربي. شرحه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. ط١. ١٤١٠هـ
١٩٩٠م. بيروت. لبنان.
- ٥٧- شرح ديوان امرئ القيس. حسن السندي. المكتبة الثقافية. ط٢. ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م. بيروت. لبنان.
- ٥٨- شرح ديوان الحمامسة لأبي تمام. المرزوقى. تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون.
١٤٥١م. القاهرة
- ٥٩- شرح ديوان كعب بن زهير. صنعة أبي سعيد السكري. نسخة مصورة من طبعة دار الكتب.
نشر الدار القومية للطباعة والنشر. ١٣١٩هـ ١٩٥٥م. القاهرة.
- ٦٠- شرح ديوان المتنبي. عبد الرحمن البرقوقي. دار الكتاب العربي. ط١. ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م. بيروت. لبنان.
- ٦١- شعر عنترة دراسة تطبيقية على نظريات الشك في شعر الجاهلية. د. مصطفى الجوزو.
دار الطليعة. ط١. ٢٠٠٢م. بيروت.
- ٦٢- شعر ابن المعتر. صنعة أبي بكر الصولي. دراسة وتحقيق يونس السامرائي. منشورات وزارة
الثقافة والفنون. ١٩٧٨م. الجمهورية العراقية.
- ٦٣- شعريات عربية. توفيق بكار. المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار. دار الجنوب
للنشر. ٢٠٠٩م. تونس.
- ٦٤- كتاب الصناعتين. أبو هلال العسكري. تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل
إبراهيم. المكتبة العصرية. ١٤١٩هـ صيدا. بيروت.

٦٥. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي. جابر عصفور. دار المعارف. ١٩٨٠م. القاهرة.
٦٦. ضرورة الشعر. أبو سعيد السيرافي. تحقيق د. رمضان عبد التواب. دار النهضة العربية. ط١٤٥ هـ ١٩٨٥م. بيروت.
٦٧. الطراز. العلوى. دار الكتب العلمية. ١٩٨٢م. بيروت.
٦٨. ظاهرة التعالق النصي في الشعر السعودي الحديث. د. علوى الهاشمي. مؤسسة اليمامة الصحفية ١٩٩٨م. العدد ٥٣-٥٢. الرياض.
٦٩. الطفيرة واللهم. إبراهيم خليل. ط١. أمانة عمان الكبرى. عمان.
٧٠. العدول، أسلوب ترائي في نقد الشعر. السعدي. منشأة المعرف. ١٩٩٠م. الإسكندرية.
٧١. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي. د. محمود رزق سليم. مكتبة الآداب ط١٤٢ هـ ١٩٨٥م. مصر.
٧٢. علم الأسلوب مبادئه واجراءاته. صلاح فضل. النادي الأدبي الثقافي بجدة. ط٢. ٢٠٠٨ هـ ١٤٨٨م.
٧٢. علم الدلالة. أحمد مختار عمر. منشورات عالم الكتب. ط٢. ١٩٩٢م. القاهرة.
٧٤. الفاصلة في القرآن. محمد الحسناوي. المكتب الإسلامي. ط٢. ١٩٨٦م. بيروت.
٧٥. فقه اللغة. د. كاصد الزيدى. جامعة الموصل. ١٩٨٧م.
٧٦. في النص الأدبي. دراسات أسلوبية إحصائية. د. سعد مصلوح. دار عالم الكتب. ط٢. ١٤٢٢ هـ ١٩٠٢م. القاهرة.
٧٧. في سيمياء الشعر القديم. د. محمد مفتاح. دار الثقافة الجديدة. ١٩٨٢م. دط. الدار البيضاء.
٧٨. القاموس المحيط. الفيروز آبادي. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. دت. دط.
٧٩. القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. أوزوالد ديكرو وجان ماري سشفاير. ترجمة د. منذر عياشي. المركز الثقافي العربي. ط٢. ٢٠٠٧م. الدار البيضاء. المغرب.
٨٠. الكتاب. سبيوبيه. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. ط٢. ١٤٠٢ هـ.
٨١. كتاب الشعر. أسطوطاليس. حققه مع ترجمة حديثه. د. شكري عياد. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. ١٤٨٦ هـ ١٩٧٦م. القاهرة.
٨٢. كتاب القوافي. أبو يعلى التنوخي. تحقيق عمر الأسعد ومحبي الدين رمضان. دار الإرشاد. ط١٤٨٩ هـ. بيروت.
٨٣. الكشف والتنبية على الوصف والتشبيه. صلاح الدين الصfdi. حققه وعلق عليه هلال ناجي. ووليد الحسين مجلة الحكم. ط١. ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩م. بريطانيا.
٨٤. اللزومنيات. أبو العلاء المعربي. دار صادر. دط. دت. بيروت.
٨٥. لسان العرب. ابن منظور. دار صادر. دط. دت. بيروت.
٨٦. لسانيات الخطاب. صابر الحباشة. دار الحوار. ط١. ٢٠١٠م. اللاذقية. سوريا.

- .٨٧. لسانیات النص. مدخل إلى انسجام الخطاب. محمد خطابي. المركز الثقافي العربي. ط٢. ٢٠٠٦م. الدار البيضاء. المغرب.
- .٨٨. اللغة والأسلوب. عدنان بن ذريل. مراجعة وتقديم حسن حميد. مجداًاوي للنشر والتوزيع. ط٢. ٢٠٠٦هـ ١٤٢٧م. عمان. الأردن.
- .٨٩. المتنبي. محمود شاكر. نشر مطبعة المدى. المؤسسة السعودية بمصر. القاهرة. دار المدى. دط. ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. جدة.
- .٩٠. مدخل إلى الشعر العربي الحديث (أنشودة المطر) محمد الخبوب. دار الجنوب للنشر. ١٩٩٥م. تونس.
- .٩١. مدخل إلى علم الأسلوب. د. شكري عياد. ط٤. أصدقاء الكتب. ١٩٩٨م. الجيزة.
- .٩٢. المرشد إلى فهم أشعار العرب. د. عبد الله الطيب المجدوب. مطبعة مصطفى البابي الحلبى. ط١. ١٣٧٤هـ مصر.
- .٩٣. مسالك الأبصار. ابن فضل الله العمرى. (ج١). تحقيق عبد الله السريحي. المجمع الثقافى. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. أبوظبى. الإمارات.
- .٩٤. المشاكلة والاختلاف. د. عبدالله الغذامى. المركز الثقافى العربى. ط١. ١٩٩٤م. بيروت.
- .٩٥. المعجم الأدبي. جبور عبد النور. دار العلم للملايين. بيروت. ط٢. ١٩٨٤م.
- .٩٦. معجم تحليل الخطاب. باتريك شارودو - دومينيك منغنو. ترجمة عبد القادر المهيри وحمادي صمود. مراجعة صلاح الدين الشريف. دار سيناترا. المركز الوطنى للترجمة. ٢٠٠٨م. تونس.
- .٩٧. المعجم الوسيط. إخراج إبراهيم مصطفى وأخرين. مجمع اللغة العربية المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع. ط٢. استانبول.
- .٩٨. منهاج البلاغة وسراج الأدباء. حازم القرطاچنى. تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة. دار الكتب المشرقية دط. دت.
- .٩٩. موسيقا الشعر. إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية. ط٧. ١٩٩٧م. القاهرة.
- .١٠٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ابن تغري بردي. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
- .١٠١. النص الغائب. محمد عزام. تجليات التناص في الشعر العربي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠١م.
- .١٠٢. نصوص نقدية لأعلام النقد العربي. اختيار وشرح د. محمد السعدي فرهود. القاهرة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
- .١٠٣. نظرية الأدب. رينيه ولتك. أوستن وارين. ترجمة محيي الدين صبحي ومراجعة د. حسام الخطيب. مطبعة خالد الطرايishi. ط١. ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
- .٤. نظرية البنائية في النقد العربي. صلاح فضل. ط٢. ١٩٨٠م القاهرة.

٥. النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني. دراسة مقارنة. د. أحمد الصاوي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. دار بور سعيد للطباعة. الإسكندرية. ١٩٧٩م.

٦. النقد والحداثة. عبد السلام المسدي. دار الطليعة. ط١. بيروت. ١٩٨٣م.

٧. الوافي بمعرفة القوافي. أبو العباس الأندلسي. تحقيق د. نجاة نولي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١. ١٤١٨هـ الرياض.

٨. الوساطة بين المتنبي وخصومه. القاضي الجرجاني. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي. منشورات المكتبة العصرية. بيروت.

المجلات:

١. البنية اللغوية والإيقاعية في عينية لقيط بن يعمر. مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ع٢٨. ربيع الآخر. ١٤٢٢هـ. ٤١١م.

٢. التركيب الصوتي في قصيدة أنشودة المطر. د. قاسم البرسيم. مجلة آفاق عربية. ١٩٩٢/٥م.

٣. التضمين العروضي وأثره في بناء النص الشعري. عوض الجميعي. مجلة علامات. تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة. ١٤٩٨هـ ١٩٩٨م. المجلد الثامن. ع٢٠.

٤. جمالية العدول في التراث البلاغي. خيرة حمرة العين. مجلة جذور. رجب. ١٤٢٤هـ. سبتمبر ٢٠٠٣م.

٥. علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة. صلاح فضل. مجلة فصول مج٥. ع١. أكتوبر. نوفمبر. ديسمبر. ١٩٨٤م.

٦. لامية المتنبي (ما لنا كلنا جويا رسول) قراءة إيقاعية. مجلة آداب الرافدين. د. بشري البستاني. ع٢١. كانون الأول. ١٩٩٨م.

٧. محاولات في الأسلوبية الهيكيلية. مجلة الموقف الأدبي عبد السلام المسدي. العدد ٧١. آذار. ١٩٧٧م.

٨. مقال (في ظلال السرحة). د. محمود رزق سليم. مجلة الرسالة والرواية. العدد ٧٨٤. رمضان. ١٣٦٧هـ. ١٩٤٨م. مصر.

رسائل علمية غير منشورة:

١. شعر أبي ذؤيب الهذلي. دراسة بلاغية أسلوبية. محمد اللويمي. رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي. ١٤٢٤-١٤٢٣هـ.

* * *

JOURNAL OF ARABIC STUDIES

KINGDOM OF SAUDI ARABIA

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
AL-IMAM MUHAMMAD IBN SAUD
ISLAMIC UNIVERSITY



- **Ibn Malik's tracing of Grammarians with regard to what they understand of Sybawayhi Texts**
Dr. Saad Bin Suwaif Al-Madyani
- **Minor and Major Issues by Abi Hassan Al-Akhfash and their impact on Grammarians**
Dr. Abdullah Bin Muhammed Jarallah Al-Nighaimeeshi
- **Rhetorical Terms and Examples in "Al-Kamil" by Al-Mubarrid**
Dr. Abdulaziz Bin Salih Al-Dailij
- **Stylistic Method in Modern Literary Study: as Applied to Fakhr Addeen Ibn Makanis A-rhymed Poem (794 H)**
Dr. Mohamed Ibn Ibrahim Al-Doukhi